عقائدنا

بحوث مقارنة بصورة الحوار بين القرآن و التوراة و الانجيل
تشمل التحقيق المقارن عند التوحيد و النبوة والمعاد
على ضوء ما جاء فى الديانات السّماوية الثلاث . . .

سماحة الشيخ

آية الله العظمى الدكتور محمد الصادقي الطهراني

تأسيس ١٣٥٨
جامعة علوم القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

عقائدنا

بحوث مقارنة بصورة الحوار بين القرآن و التوراة و الانجيل
تشمل التحقيق المقارن عند التوحيد و النبوة والمعاد
على ضوء ما جاء فى الديانات السّماوية الثلاث ...

سماحة الشيخ
آية الله العظمى الدكتور محمّد الصّادقي الطهراني

تأسيس ١٣٥٨
جامعة علوم القرآن

انتشارات شکرانه
مرکز نشر آثار آیت الله العظمی دکتر محمد صادقی تهرانی

عقائدنا

بحوث مقارنة بصورة الحوار بين القرآن والتوراة والانجيل
تشمل التحقيق المقارن عند التوحيد والنبوة والمعاد
على ضوء ما جاء في الديانات السّماوية الثلاث ...

سماحة الشيخ

آية الله العظمى الدكتور محمد الصادقي الطهراني

حروفچینی و ویرایش: واحد تهیه وتنظیم متون انتشارات شکرانه
امور هنری: واحد گرافیک جامعة علوم القرآن
چاپ: گلها
نوبت چاپ: نخست، بهار ۱۳۹۵ه.ش، ۱۴۳۷ ه.ق
شمارگان: ۳۰۰۰ نسخه
قیمت: ۲۵۰۰۰ تومان
شابک: ۰-۰۰-۷۳۸۰-۶۰۰-۹۷۸

قم، بلوار امین، کوی۲۱ ، پلاک ۷ / کدپستی: ۳۷۱۳۹۳۴۸۹۴
تلفن: ۳۲۹۳۴۴۲۵ و ۳۲۹۲۵۴۹۹ - ۰۲۵/ نمابر: ۳۲۹۲۴۸۶۷ - ۰۲۵

www.forghan.ir
email: Sadeghi@Forghan.ir



الفهرس

* * *

جدول توضيحي لرموز الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد رمزنا للقرآن (٢: ٢) وأمثاله إشارة إلى السور والآيات، ورمزنا للكتب الأُخرى بما يلي من رموز:

(العهد العتيق)

تك: سفر التكوين من التوراة
لا: سفر اللاويين
عد: سفر الأعداد
تث: سفرالتثنية
را: كتاب راعوث
صم: صموئيل ١ـ ٢
مل: الملوك ١ـ ٢
أي: الأيام ١ـ ٢ وأيوب
نح: نحميا
مز: المزامير
أم: الأمثال
نش: نشيد الأنشاد
ار: ارميا
حز: حزقيال
دا: دانيال
هو: هوشع
مي: ميخا
نا: ناحور
حب: حبقوق
صف: صفيا
حج: حجّي
مل: ملاخي

(العهد الجديد)

مت: إنجيل متى
مر: إنجيل مرقس
لو: إنجيل لوقا ١/ ٣
يو: إنجيل يوحنا
ع: أعمال الرُّسل
رو: رومية
كو: كورنثوس ١ـ ٢
غل: رسالة بولس إلى غلاطية
أف: رسالة بولس أفسس
في: رسالة بولس إلى فيلبي
كو: رسالة بولس إلى كولوسي
تس: رسالة بولس إلى تسالونيكي ١ـ ٢
تي: رساله بولس إلى تيموثاوس ١ ـ٢
طس: رسالة بولس إلى تيطس
فل: رسالة بولس إلى فليمون
عب: رسالة بولس إلى العبرانيين
بط: رسالة بطرس ١ـ ٢
رؤ: رؤيا يوحنا

الإهداء

إلى كافة من يهمه الحفاظ على الأُصول العقائدية والإعتناق بها ونشرها التوجيه إليها ـ إلى طلاب وروّاد العلم ـ وإلى العلماء الأعلام مراجع الموحدين في أصول الدين وفروعه ولا سيما الروحيين المسلمين:

وأخص من بينهم أكابر أساتذتي في العلوم العقلية والنقلية طيلة ربع قرن: فإلى الماضين منهم:

الأستاذ الأعظم آيةالله العظمى المرجع الأعلى للطائفة الشيعية المغفور له الحاج آغا حسين الطباطبائي البروجردي قدس الله روحه الزكية.

آيةالله العظمى المرحوم الشيخ محمد علي الشاه آبادي قدس‌الله روحه.

آيةالله العظمى المرحوم الحاج الميرزا مهدى الآشتيانى قدس‌الله روحه.

آيةالله العظمى المرحوم السيد محمد الحجة الكوه كمري قدس‌الله روحه.

آيةالله العظمى المرحوم حاج الشيخ محمد تقي الآملى قدس‌الله روحه.

وإلى الحاضرين منهم:

آيةالله العظمى الحاج السيّد روح الله الخميني أدام الله ظِلّه العالي على رؤوس المسلمين.

آيةالله العظمى الحاج السيد أبوالقاسم الخوئى أدام الله ظِلّه العالي على رؤوس المسلمين.

آيةالله العظمى الحاج السيد محمد حسين الطباطبائي التبريزي أدام الله ظلّه العالي على رؤوس المسلمين.

آيةالله العظمى الحاج السيّد محمد هادي الميلاني أدام الله ظلّه العالي على رؤوس المسلمين.

آيةالله العظمى الحاج السيد محمد رضا الگلپايگاني أدام الله ظِلّه العالي على رؤوس المسلمين.

آيةالله العظمى الحاج السيّد أحمد الخونساري أدام الله ظلّه العالي على رؤوس المسلمين.

آيةالله العظمى الحاج السيّد أبوالحسن الرفيعي القزويني أدام الله ظلّه العالي على رؤوس المسلمين.

ثم إلى بني الإنسان كافة، من كتابيّين وسواهم: مسلمين ويهود ومسيحيين وسواهم، ولا سيما:

إلى من لم تثبت عقائده الدينية بسناد العقل والنقل الصحيح، أو لم يتثبت، وإلى كافة من يريدون التحلّل عن العقائد الجاهلة العمياء، والإهتداء إلى الصراط المستقيم.

إلى الجميع أهدي كتابي هذا، وفي هذه الظروف القلقة المرّة التي تمرّ على البشرية من الإحادات الشريرة والدعايات الباطلة الزور ضدّ الأديان السماوية، ولا سيما الشريعة المحمدية الخالدة.

ونتأكد الرجاء من طلاب الحقيقة وروّاد الفضيلة، من كان له نقد يهمه: أن يرسله فى كتاب إلى المؤلف، ليُلفت نظره إلى ما شذّ عنه، أو جواب عمّا شذّ عن الناقد، وله الشكر، والله من وراء القصد.

النجف الأشرف ـ د. محمد الصّادقي

❊ ❊ ❊

مقدمة الطبعة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

بعد مضي زهاء ربع قرن من تأليف وطبع هذا الكتاب، خلال السني سبعة عشر من هجرتي الهاجرة ضد الشاه عليه لعنة الله يُطبع الآن لمرة ثانيه، نتيجةً طلبات كثيرة من أنحاء العالم الاسلامي، لحد صوروا منه عديداً من الصور للحاجة الملحّة في البلاد الخليطة، والعشرة الإسلامية المسيحية ككل، ولم نستلم حتى الآن إجابة عنه، رغم قضائه الحاسم على التوراة والإنجيل المحرفين، اللّهُمَّ إلّا شذراً مثل ما نبه علي زميلي السيد موسى الصدر، أن الأستاذ الحداد البيروتي رئيس مطارنة بيروت بجونية رد عليك بمجلة تسع صفحات، فلما راجعتها وجدتها رداً على الحداد نفسه إذ يقول: إن الشيخ ذبحنا بسكيننا نحن، إذ يستدل علينا بكتبنا فأخرنا عن دعاياتنا مائة سنة، وكان عند مطالعته هذا الكتاب و«رسول الإسلام في الكتب السماوية» و«المقارنات العلمية والكتابية بين الكتب السماوية» كان يبكي متحسراً على الأمّة الكتابية.

حوارنا هنا وفي الكتابين الآخرين بين حقيقي حصل بيننا وبين عديد من علماء اهل الكتاب، وكتابي نحاورهم فيما ألفوه رداً على الإسلام،

وتقـديري فيمـا يمكـن أن يقولـوه أو يكتبـوه، ممـا يحلّـق علـى كافـة الحـوارات بشأن الكتب السماوية الثلاثة.

وقد تعتبر هذه من الحروب الباردة بيننـا وبيـنهم، بـل هـي أقـوى مـن الحـروب الحارة الحارقة التي لا تأتي بكل دمار وبوار، وقد طبقنا فيها قـول الله تعـالى: ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلّا بالتى هي أحسن ...﴾ [عنكبوت، ٤٦].

فـرغم الحـروب الإسـرائيلية والصـليبية، وبعـد الإنتكاسـة للمسـلمين، لعـدم وحدتهم، ووهدتهم في تحقيق شرعتهم، يجد القارئ انتكاسة كاملة شاملة يهوديـة مسيحية امام القرآن ما لاحول عنها الا التسليم للكتاب الامام: القرآن ﴿مصـدقاً لمـا بين يديه و مهيمناً عليه﴾ [مائده، ٤٨]. وكما يجد القارىء هنا وفي سائر مؤلفاتنـا، وإنمـا النجاح كله هو الأصالة القرآنية في بحوثنا، لعل الله يوقفنا لتقييم الأصالة القرآنيـة في كافة العلوم الإسلامية، وهو حسبي ونعم الوكيل.

قم المقدسة:

محمد الصادقي الطهراني

❊ ❊ ❊

المقدمة

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد للّه الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يُولد، ولم يكن له كفواً أحد، الذي انحسرت الأوصاف عن كنه معرفته، وردَعت عظمته عقول الفحول، فلم تجد مساغاً إلى بلوغ غايته، المتجليي لخلقه بخلقه، المتعالي أن يتجليى فيهم، الظاهر لقلوبهم بحجته، كلّ شيء خاضعٌ له، وكل شيء قائم به، غنى كل فقير، وعزٌّ كلِّ ذلل، وقوّة كل ضعيف، مفزع كل ملهوف.

نحمده على الآئه كما نحمده على بلائه، وعلى أن منّ علينا بهدايته مدينه وتسديده عن الزلات والضلالات، وتسعينه على وظائف حقوقه، ونستهديه بما هبانا من العقل افطرة، وبمن أرسل إلينا من رسله المبشرين المنذرين، لكيلا يكون للناس عليه حجة بعد الرسل.

ونصلّي ونسلم على أنبيائه ورسله الدين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ولا سميا الرسول الأعظم محمدﷺ، المبعوث إلى كافة الرّسل والأمم، الذي أرسله على حين فترة من الرّسل، وطول هَجعة من الأُمم، وانتقاض من المبرم، فجاء بتصديق الذي بين يديه، بالنور المضيء، والبرهان الجلي، والمنهاج البادي فبلّغ رسالات ربه غير وإن ولا مقصّر، وجاهد في أعدائه غير واهن ولا مُعذِر.

أسرته خير أسرة، وشجرته خير شجرة، أغصانها معتدلة، وثمارها متهدّلة وعلى آله الخيّرين الطيبين المعصومين المكرمين، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ما طلعت الشمس وما غربت.

المدخل

بسم الله الرّحمن الرّحيم

... الجزء الأوّل من هذه السلسلة تمّ في مقارنات كتابية: البيئات التالفية للكتب السماوية الثلاثة طوال قرونها، والمقارنات العلمية في طرفٍ مما تضمه، ونقد ما كان حرياً به و الذود عما كان يحق له.

وقد كانت النقطة الرئيسية المتقصّدة من هذه البحوث: المقارنة العقائدية والاحكامية، والبشارات الكتابية بحق الرسول الأعظم محمدﷺ.[1]

والآن حان في هذا الجزء حين استعراض البحوث: المقارنية العقائدية ـ استعراضاً في جدال بالتي هي أحسن ـ دون أي تحامل وزور، حيث لا نتقصد - ولم نكن ممن يقتصد ـ في البحوث العلمية والعقائدية أن نكون ممن تصدّه التقاليد العمياء عن بيان الحق وتصديقه.

ويسرنا: أن الجزء الأوّل حلّ محله من قلوب صافية، وضمائر صافية، فأثره الصالح أينما حلّ، فأتبع شكراً متواصلًا من مختلف الشعوب، ومن الزعماء الروحيين السياسيين:

من العلماء الأعلام ومن الملوك ورؤساء الجمهوريات المسلمين، حيث أرسلوا بكتب تعني تبجيل المؤلف وتجليله فيما ألف - ما يحق لوُفرها أن تفرد بكرّاس فذّ - ولعلنا نوفق لنشره كذلك بعد قليل.

---

١ . طبع هذا الجزء باسم رسول الإسلام في الكتب السماوية.

وأخيراً أشكر هؤلاء الكرام، راجياً من الملك العلام أن يواصل في التوفيق لمن يهمه التبشيرات الحقة، ويغمه الدعايات الباطلات، فيضحي بنفسه و نفيسه في سبيل الله و يجاهد بلسانه و قلمه و بماله و ماله من عِدّةٍ وعدّة، علّ الحقّ يهز عروش الكفر و الإلحاد، ويهزم الباطل فيحل الأمن محله في شتى مجالات الحياة.

وبما أن العقيدة الصالحة هي التي تربط بين المتفرقين، وتقرِّب بين المتباعدين دون سواه من روابط، لذلك إننا سوف نحاول في هذا الجزء تفصيل البحث الجذري، العقلي الكتابي، حول العقائد بصورة التساؤل والمقارنة، ولكي ينتفع به كل من يعتنق عقيدةً مّا، فيجدد تفكيره حول ما يعتنقه، إصلاحاً أو تبديلًا أو تثبيتاً، حيث العقائد تقاربت ومزجت فاضطربت من جرّاء تلكم المخالطات، وإنما الدواء الحاسم لهذه الأدواء: البحوث المقارنية حول العقائد الدينية ـ عقلية ونقلية ـ وهذا الكتاب بأجزائه الثلاثة يضم بحثاً مفصلًا عن أهم المواضيع الدينية.

* * *

المقارنات العقائدية

قسم الإلهيات:

... لقد نرى من المبشرين الإنجيليين، دعايات حول العقائد الإنجيلية، ربما يدّعون فيها تفوّقها على العقائد الإسلامية، ومن ذلك دعوى: أن التثليث! أقوى من توحيد القرآن، حيث العربي الجاهلي ما كان ليفهم من ا لتوحيد إلّا طرفاً ساذجاً يناسب جهله، وهو توحيد القرآن!

وكما يقول الحداد في مؤلّفه: القرآن والكتاب:

الله في القرآن والعهدين:

إهداء وإهداء

الحداد:[1] أُهدي كتابي هذا إلى المسيحيين لكي يذكروا أنهم وأهل القرآن في توحيد الله ... وإن زاد الإنجيل من التوحيد تفسيراً منزلّا لحياة الحيّ القيّوم في طبيعته الواحدة الأزلية الحيّة المتفاعلة القائمة على الذات والنطق الذاتي: (الكلمة) والحياة الذاتية:

---

١ . كما كنا في البحث في الجزء الأول، هنا أيضاً نستعرض كافة الأنظار الكتابية حول ما نرومه من البحوث العقائدية، و إنما بدأنا بمقالة الأستاذ الحداد، لجمعه ما سلف من أنظار. إضافة إلى ما يراه به شيئاً ﴿ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله﴾ [آل عمران، ٦٤].

(الروح القدس) تثليثاً موحّداً، ما كانت البينة الحجازية البدائية لتقوى على استساغته، بل كان يكفيها القليل من العلم المنزل: ﴿وما أوتيتم من العلم إلّا قليلًا﴾ [إسراء: ٨٥]، ما يزالون مع هذا التثليث الموحِّد أهل التوحيد المنزل، وأهل الكتاب الأوّل، الذي يجعل توحيد الله في مكانه الأساس من الدين والدنيا ...

المناظر: وأنا أهدي كتابي هذا إلى ... وإلى الكتابيين لكي يذكروا: أنّ الكتابيين حُرِّفا عن الوحي الإلهي في وفير من المواضيع وأن القرآن بهيمنته عليهما وذوده عن ساحة الوحي فيهما ـ خدم البشرية خدمة هامة، بها يحتفظ على الكرامة الله وكتبه ورُسُله.

ولكي يعلموا: أن التوحيد الكتابي الحالي خليط من الوثنية، والإعتقاد بالخالق الحيّ، والقرآن، بيّن التوحيد الخالص الحنيف رفضاً للوثنية إطلاقاً وإن كانت كتابية!...

ولكي يعرفوا أن التثليث الموحد! تناقض بيِّن، وانحراف جارف مهار عن التوحيد الحق الذي أتى به أنبياء الله تترى ... ولم يستسغه الإسلام حيث العقل والفطرة لا يستسيغانه، لا أن بيئة الحجاز لم تكن لتفهمه لقلة علمها، بل لعقلها بالوحي المحمدي، رفضها لسائر الأوهام الجاهلة الوثنية! ولقد أُوتوا من العلم بالله كثيراً ... على ضوء القرآن ـ فإنه ﴿أنزله بعلمه﴾ [نساء: ١٦٦] ـ والملائكة شهود! أجل وكثيراً من هذا القليل الذي أوتي الناس أجمعون، وإن كان الكل قليلًا في جنب علم الله سبحانه وتعالى عما يشركون ...

فـ ﴿يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلّا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله﴾ [آل‌عمران: ٦٤]، ربي أبرنبال: رجاء يا أستاذ أن تستعرض الأي حول الإله من القرآن مقارنة لآي من التوراة قبل الإنجيل بهذا الصدد ـ رجاءً لكي نقارن بينهما.

المناظر: أجل ومن المؤسف أن في تصاريح التوراة الحالية بالنسبة للإله ما يمس كرامة ربوبيته وإليكم النماذج التالية:

إله التوراة في نماذج:

١ ـ إن روح الله قبل خلق العالم كان يرفُّ على وجه الماء (تك ١:١- ٣).

٢ ـ و قد تعب الله من الخلق واستراح في اليوم السابع (تك ١:١- ٤).

٣ ـ و خلق الإنسان كصورته. ذكراً وأنثى (تك ١: ٢٦- ٢٨) و (تك ٥:١- ٢) (تك ٩: ٧).

٤ ـ وهو جسم يُرى يمشي على الأرض ويقوم ويقعد كأمثالنا (تك ٢٤: ٩- ١١).

٥ ـ ويُصارع يعقوب نبيه فيُصرع (هوشع ١٢: ٣) و (تك ٣٥: ١١) و (تك ٣٢: ٣١).

٦ ـ وهو يمشي في جنة آدم ولا يراه لأنه اختفى منه، ويغش ويكذب ويخدع ويظلم و هو أشخاص كأشخاصنا (تك ٢: ١٨ - ١٦) و (تك ٣:١ - ٢٦).

٧ ـ ويحزن ويتأسف في قلبه: لماذا خلق الإنسان؟ وأراد أن يمحوهم (تك ٦: ٥- ٨).

٨ ـ وبدلًا عن ذلك يبلبل بين لسانهم، أن نزل في مجتمعهم فأوجد اختلاف الألسن لكيلا يتغلبوا عليه لو اتحدوا وتناصروا (تك ١١: ١- ٩).

٩ ـ وينزل إلى سدوم لكي يرى هل فعلوا بالتمام حسب صراخها الآتي إليه (تك ١٨: ٢٠)!

١٠ ـ ويرى لنفسه شركاء كموسى ولهم أنبياء كهارون لموسى وهو يبعث روح الكذب لإغواء أنبيائه (١- ملوك ٢٢: ٢٠- ٢٣).

فهذا طرف من تصاريح التوراة: الكتاب الإمام للقرآن على حد تعبير الحداد! تصريحات تمس من كرامة الرب تبارك وتعالى بما لا يُنسب إلى أجهل خلقه وأرذلهم!

ربي إسحاق ـ ربي يوسف ـ ربي حييم: وعدة أخرى من الرّبيين الحضور:

يا أستاذ: كيف تنال هكذا من كتاب موسى؟ ذلك النبي العظيم، أفلا توجبون أنتم الروحيون المسلمون حرمة أنبياء الله ... فهلّا تؤمنون بهم؟ رغم تصاريح القرآن حيث تملي عليكم أن تؤمنوا بهم كما تؤمنون بنبيكم.

المناظر: هذه نصوص التوراة الحالي دون تدخُّل لنا من عندنا ـ فإنها دخيلة بأيدي الدسّ والتحريف، في وحي التوراة، فليست هي من الوحي إطلاقاً، إلّا الآية التي تحترم ساحة الرب وأنبيائه وتشاريعه ـ ونظرية تحريف التوراة ذود عن ساحة الرب وأنبيائه، وتكريم لموسى‌ عليه السلام وسائر النبيين، ونحن إن نزيف هذه الأقاويل ـ نحترم بذلك أنبياء الله كما أمرنا ـ فلم نؤمرأن نؤمن بهذه المقالات الزور، ولا هذه التوراة التي لبعت بها الأيدي: ﴿فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عندالله ليشتروا به ثمناً قليلًا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون﴾ [بقره. ٧٩].

ربي اسحاق: لعلها أو أنها: آيات متشابهات كأمثالها في القرآن سواء، وقد تفسرها المحكمات وكما تفسرون ومتشباهات القرآن بمحكماته.

المناظر: إنما نعتبر التشابه، كما سلف[١] المصاديق المشكوك فيها أو المغفول عنها مع ظهور المفهوم المعنيّ من الكلام تماماً، وأما التصاريح والظهورات البيِّنة فليست بمتشابهة بل هي مناقضة مع ما تُصرح بخلافها، ثم لنعتبر منها ما يناقض العقل والفطرة، نعتبره دخيلًا من خرافات الأوهام وأضغاث الأحلام.

ربي: فلننظر في تلكم الآيات ولكي نرى رأينا.

* * *

١. في المقارنات العلمية والكتابية بين الكتب السماوية.

المقارنة (١)

روح‌الله يرفّ على وجه الماء؟!

المناظر: تقول (تك ١:١- ٣) «في البدء خلق الله السّموات والأرض. وكانت الأرض خربة وخالية وعلى وجه الغمر ظلمة. روح‌الله يرفّ على وجه الماء»!.

فهل إن الله تعالى وتقدّس روحاً جسمانياً حتى يرفّ ويتحرّك على وجه الماء؟ فهل هو من جنس ما خَلَق لكي يسبح في الماء قبل خلق الأرض والسماء؟!

القس وربي ابرنيال: كلا: لا جسم ولا روح جسماني، بل هو مجرّد عنهما، وما المعنيّ من الروح هنا إلّا ما يتكرر في آي القرآن أيضاً من روح‌الله في المسيح، فالحلّ هو الحل!

المناظر: ليس في القرآن كلمة: روح‌الله، بل: روحي ﴿فإذا سوّيته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين﴾ [حجر، ٢٩]، يعني آدم عليه السلام.

وروح منه: ﴿إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول‌الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروحٌ منه﴾ [آل‌عمران، ١٧١].

وروحنا: ﴿فأرسلنا إليها روحنا فتمثّل لها بشراً سويّاً﴾ [مريم، ١٧].

والروح في هذه الآيات تعني على الترتيب: روح آدم والمسيح وروح القدس، وإضافتها إلى الله تشريفيّة أو نشوية، لا جنسيّة فقد انتجبها الله من بين خلقه وشرّفها على سائر الأرواح، إذ خلقها، فهي أرواح منه: صادرة منه بكرامة وعزّ، فقد فضّل روح آدم على غيره من الخلق، وروح المسيح على من دونه من بني آدم، وروح القدس على سائر الملائكة، ودليلًا على انتفاء السنخية مضافاً إلى أدلة عقليّة قويمة، آيٌ صريحة من الذكر الحكيم أن: ﴿ليس كمثله شيءٌ﴾ [شورى، ١١]، ... و﴿لا تدركه الأبصار﴾ [انعام، ١٠٣]، ... و: ﴿إنّه بكل شيء محيط﴾ [فصلت، ٥٤].

فبين الروح هنا وهناك بون شاسع، إذ إن روح‌الله هناك يرفّ على وجه الماء قبل خلق الأرض والسماء، وهنا مخلوق شرَّفه الله على سواه.

ربي: كيف! وقد نتحمل أن تقصد التوراة ما قصده القرآن؟

الروح في التوراة والقرآن

المناظر: كلّا: حيث التوراة هناك تستعرض الحاق قبل الخلق، قبل أن يخلق آدم وعيسى وغيرهما من الخلق، وليس الروح القدس حامل الوحي أيضاً، حيث الملائكة كثير، وكلهم أرواح، فليعم الرفُّ على الماء كلّهم، ثم ماذا يصنع حامل الوحي من حراكه على وجه الماء؟ هل ليُلقي الوحي على الماء حيث لا أرضٌ ولا سماء، فعلةٌ لا غيةٌ؟

ربي: هلّا يذكر القرآن ما يناسب هذه الآية؟:

... وكان عرشه على الماء:

المناظر: أجل وقد أسلفناها كالتالي: ﴿وهو الذي خلق السّموات والأرض في ستة ايام وكان عرشه على الماء﴾... [هود. ٧] والعرش هنا عرش التدبير حيث كان تدبيره تعالى حينذاك متجهاً إلى المادة الأصلية المعبّر عنها بالماء، فكان يدبِّره كيف يشاء، ثم خلق منها الأرض والسماء كما فصّلناه من آي الذكر الحكيم[1] وبعدئذ يتجه التدبير إلى السّموات والأرض وما فيها وما بينهما: ﴿هو الذي خلق السّموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعلمون بصيرٌ﴾ [حديد. ٤]، ... ﴿ثم استوى على العرش الرّحمن فاسئل به خبيراً﴾ [الفرقان. ٥٩].

---

١. في الجزء الأول من سلسلة المقارنات.

فالمنسوب إليه العرش، ماهيته قرينة على ماهية العرش، واستوائه عليه، والعرش سواء أكان مادة، كما قد يحتمل في بعض الآيات، أم سلطاناً وعلماً وقدرة وتدبيراً، كما في جلّها أو كلها المذكور هو فيها، فهو على أية حال ليس إلّا كما يناسب ساحة الرب تبارك تعالى، فليس استوائه على العرش تحيزاً منه سبحانه على عرش كالسلاطين على عروشهم، بل كناية عن سلطانه على خلقه دون أن يختص به غيره أو يشاركه فيه أحد.

فلعلَّ روح‌الله في لفظ التوراة في الأصل «عرشه تعالى» كما فسّرناه، فبدّل العرش بالروح والإستواء بالرف والحراك تبديلًا بأيدي المبطلين والمحرفين!

هل الروح عرش؟:

ربي: كلا: لا تحريف ولا تبديل، حيث الماء الروح يُراد منها العرش والمقصود من رفّه حراكه على الماء تدبيره تعالى حينذاك .. فالتعابير شتى والمعنى واحد.

المناظر: لا ذا ولا ذاك، حيث الذي يرفّ على وجهه روح‌الله في التوراة، ليس هو المادة الأصلية لخلق العالم، بخلاف الماء في الآية: ﴿وكان عرشه على الماء﴾، [هود: ٧]، فإنّها تستعرض بيئة العالم قبل خلق السّموات والأرض، وآية الرفّ تذكر رفَّ الروح على الماء حينما كانت الأرض خربة، يعني مخلوق غير عامرة، وعلى وجه الغمر ظلمة، وروح‌الله يرف على وجه الماء، فالماء هنا غيره هناك.

فلا يعني من رفِّ الروح على الماء، تدبيره تعالى إياه، حيث التدبير حينذاك لا يخصّه بل يعمّه والأرض الخربة والسماء وما إليهما القرينة للماء في الكينونة!

وأيضاً فالتدبير تحريك لا تَحَرُّك، فلا يعبَّر عنه بالحِراك والرفِّ، ثمّ التدبير كيفما كان فليس من خلقه تعالى، بل من فعله، فلا ينفصل عنه انفصال الخلق حتى يتحرك على وجه الماء!

وأخيراً كيف تستسيغ البلاغة أن يُعبَّر عن التدبير وهو فعل من أفعال الرب بالروح وهو من خلقه! ولا حسن فيه إلّا غواية قوم أخلدوا إلى الأرض واتبعوا أهواءهم وكان أمرهم فرطاً، الذين يتحيَّنون الفُرَص أن يعتبروا الله كخلقه ويشبهوه بهم!

إصلاح أول في التوراة:

فلتكن الآية في التوراة هكذا: خلق الله السّموات والأرض من الماء، وكان قبل ذاك عرشه «تدبيره» على الماء الذي خلق منه العالم: كما تفيده آية العرش في الذكر الحكيم.

وإذا لا ترضون إلّا أن تكون الآية وفق الأصل النازل، فهي إذاً من رواسب الوثنيّات العتيقة كما في كتبهم حيث تعتبر سيفاالروح المهلك، الأقنوم الثالث وأنه: «الروح الذي يرف على وجه الماء» ... حال أن الماء إن كان هو المادة الأولية قبل خلق العالم، فماذا يصنع الروح المهلك يرفّه على وجهها، أرغَمَ أن يتبدل الماء إلى الأرض والسماء، إلى حياة جديدة، رغم ذاك ينقلب الأمر، ويهلك هذه المادة عن كيانها الأول أيضاً فينمحي العالم من أصله؟

أو إذا كان هو الماء المعروف عندنا، أيريد الروح المهلك ليهلك الحياة الكامنة فيه أو الأحياء الذين سيخلفون منه؟!!

* * *

المقارنة (٢)

إله التوراة جسم يُرى وهو يمشي على الأرض ويقوم كخلقه ويسكن في بيت بَنوه بأمره:

ربي: أنّى هذا وأين؟

المنـاظر: فـي (الخروج ٢٤: ٩- ١٨) «ثـم صـعد موسـى وهـرون ونـاداب وأبيهـو وسـبعون مـن شـيوخ إسـرائيل. ورأوا إلـه إسـرائيل وتحـت رجليـه شـبه صنعةٍ مـن العقيـق الأزرق الشـفاف وكـذات السـماء فـي النقـاوة. ولكنـه لـم يمـد يـده إلـى أشـراف بنـي إسـرائيل فـرأوا الله وأكلـوا وشـربوا. وقـال الـرب لموسـى: إصـعد. إلـى الجبـل وكـن هنـاك فأعطيـك لـوحي الحجـارة والشـريعة والوصـية التـي كتبتها. فقام موسى ويشوع خادمه. وصعد موسى إلى جبل الله.

وأما الشيوخ فقال لهم اجلسوا ههنا حتى نرجع إليكم. وهوذا هـارون وحـور معكم. فمن كان صاحب دعوى فليتقدم إليهمـا. فصـعد موسـى إلـى الجبـل. فغطـى السحاب الجبل، وحل مجد الرب على جبل سيناء وغطاه السحاب ستة أيام. وفي اليوم السابع دعي موسى من وسط السحاب. وكان منظر مجد الرب كنار آكلة على أرس الجبل أمام عيون بني إسرائيل.

ودخل موسى في وسط السحاب وصعد إلى الجبـل. وكـان موسـى فـي الجبـل أربعين نهاراً وأربعين ليلة».

ثمّ تذكر فـي الفصـل (٢٥) أن: «ممـا كلـم الـرب موسـى: أن كلِّـم بنـي إسـرائيل يصنعوا لي مقدساً من ذهب وفضة، وأسمانجوني، وأرجوان، وقرمز، وبوص، وشعر معزى، وجلد كباش محمّرة، وجلود تُخَس، وخشب سنط، وزيت للمنـارة، وأطيـاب لدهن المسحة، للبخور العَطِر، وحجـارة جـزع، وحجـارة ترصـيع للـرداء والصُّـدرة فيصنعون لي مقدساً:

لأسكن في وسطهم:

وتصـنع غطـاءً مـن ذهـب ... وأنـا أجتمـع بـك هنـاك وأتكلـم معـك مـن علـى الغطـاء، مـن الكـروبيين علـى تـابوت الشـهادة بكـل مـا أوصـيك بـه إلـى بنـي إسرائيل»!!!

فبُعداً لإله يقعد على شبه العقيق قريباً من شيوخ بني إسرائيل! ثم تعساً له أن يسكن في بيتٍ بنوه لكي في وسطهم فيراهم ويروه ويكلمهم من قريب!

ربي: هل يستعرض القرآن حكاية شيوخ إسرائيل لرؤية الرب؟ وكأني أذكر ذلك!

المناظر: إن هناك آيات محكمات في الذكر الحكيم تُحيل إدراكه تعالى بالأبصار ـ سواء أكانت من أبصار العيون أم أبصار القلوب ـ فهي لا تدركه وتحيط به علماً إلا عرفاناً بالبصائر، لا إدراكاً وحيطة به فهو: ﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير﴾ [انعام: ١٠٣]، ﴿ألا إنه بكل شيءٍ محيط﴾ [فصلت: ٥٤]، ﴿ولا يحيطون به علماً﴾ [طه: ١١٠]، ﴿وليس كمثله شيءٌ وهو لسميع البصير﴾ [شورى: ١١].

فلا تصل طائرات العقول إلى ذاته ولا صفاته فكيف بالعيون!

القرآن وقصة الرؤية:

وأما نص الحكاية في القرآن فهي مهيمنة عليها في التوراة. تزيف زيف ما فيها وتبرىء ساحة عن نسبة التجسم له تعالى: فقد تندّد بالمسلمين الأولين حين أرادت شرذمة منهم بسطاء أن يسألوا الرسول الأعظمﷺ كما سئل موسى من قبل: عن خرافة الرؤية: ﴿أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضلَّ سواء السبيل﴾ [بقره: ١٠٨].

وتارة تسلّي الرسول حين يغضب لبعض الأسئلة الجاهلة من جهلة أهل الكتاب: ﴿يسألك أهل الكتاب أن تنزِّل عليهم كتاباً من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك. فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البيِّنات فعفونا عن ذلك وآتينا موسى سلطاناً مبيناً﴾ [نساء: ١٥٣].

إذ تعتبر الرؤية ظلماً ـ وحاش نبي الله موسىؑ أن يصغي إلى سؤال الظالمين ولا سيما عند استحالة المسؤول عنه كهذا ـ إلّا أن يأذن له ربه لكي يريهم استحالة مسؤولهم:

﴿ولما جاء موسى لميقاتنا وكلّمه ربه قال ربِّ أرني أنظر إليك قال لن تراني لكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكّاً خرَّ موسى صعقاً﴾ [اعراف، ١٤٣].

تجلى الرب للجبل ـ لا فيه ولا لموسى ـ إلّا للجبل، فجعله دكّاً: أجزاءً متفرقة كهشيم تذروه الرياح، فأحالت رؤيته تعالى عملياً كما أحالتها قولياً: ﴿لن تراني﴾ وأخذت شيوخَ إسرائيلَ الحضورَ للرؤية ـ أخذتهم ـ صاعقةٌ، فأحرقتهم وقضت عليهم:

﴿وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون * ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون﴾ [بقره، ٥٥ ـ ٥٦].

وهؤلاء الذين أخذتهم الصاعقة كانوا هم المختارين من شعب إسرائيل: ﴿واختار موسى قومه سبعين رجلًا لميقاتنا فلما أخذتهم الرجفة قال ربِّ لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي بما فعل السفهاء منا إن هي إلّا فتنتك تُضل بها من تشاء وتهدي من تشاء أنت ولّينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين﴾ [بقره، ١٠٨].

فهذه آيٌ بآيٍ: آيات بيّنات في الذكر الحكيم تنفي خرافة التجسّم والرؤية، وأخر زائغاتٍ في هذه التوراة تصرح: أن موسى والشيوخ رأوا الإله وهو على كرسي من عقيق أزرق شفاف ـ ولم يمدّ يده إلى أشراف إسرائيل فأكلوا وشربوا.

فهل يستمر قائلكم الحداد في فريته الجاهلة: إن القرآن تفصيلٌ للتوراة أو نسخة عربية منها ـ أن التوراة إمامه؟ أم بالأخير يصدِّق أنه إمام ومهيمن لما بين يديه من كتاب يصدِّق ما فيها من الوحي ويزيِّف ما تدخّل فيها من الغي!!!

بيت الله في القرآن وفي التوراة:

ربي: ومهما يكن من شيء، فلا علينا في الفصل الأخير: من قصة بناية يسكن فيها الرب وسط بني إسرائيل، حيث التصاريح المتوفرة من القرآن أيضاً تذكر: أنّ الله بيتاً وبيوتاً ...

المناظر: بين البيتين بون شاسع، حيث التوراة تصرح أن هذا البيت الذي أمر الله ببنايته إنما هو لغرض سكناه: أن يسكن فيه في وسطهم لكي يراهم ويروه، حال أن تصاريح القرآن تفسّر بيت الله بما يُعبد فيه ويبيت فيه العابدون للعبادة، فالإضافة هنا تشريفية لشرف العبادة، دونها هناك: إذ تنافي شرف الألوهية: ﴿وإذ جعلنا البيت مثابة للناس أمناً واتخذوا من مقام إبراهيم مصلًّى وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهِّرا بيتي للطائفين والعاكفين والركَّع السجود﴾ [بقره، ١٢٥]، ﴿إن أول بيت وضع للناس للذي ببكَّة مباركاً وهدىً للعالمين. فيه آيات بيِّنات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً﴾ ... [آل‌عمران، ٩٦ـ ٩٧]، ﴿جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس﴾ [مائده، ٩٧].

فقد يعبِّر القرآن عن بيوتات خاصة ببيت الله لبيوتة عباده فيها لكي يعبدوه، لا ليسكن فيه هو بنفسه ولا لكي يراهم ويروه!

القرآن ورؤية الرب في الدنيا والآخرة:

ربي: إننا نجد في مواضع أخر من القرآن أن محمداً رأى ربه في معراجه وأن المؤمنين سوف يرونه يوم الدين، فالنبي رآه عند لقائه ليلة المعراج كما يقول: ﴿ولقد رآه نزلة أُخرى * عند سدرة المنتهى * عندها جنة المأوى﴾ [نجم، ١٣ـ ١٥].

لا النبي فحسب، بل والمؤمنون يرونه يوم القيامة: ﴿وجوهٌ يومئذٍ ناضرة * إلى ربها ناظرة﴾ [قيامة، ٢٢ـ ٢٣]، فليكن الرب في نظر القرآن أيضاً، جسماً يُرى في النشأتين، لشيوخ بني إسرائيل فضل الرؤية في الدنيا حيث يحرم عنها مؤمنو الإسلام إلّا في الآخرة، ويُحرم عنها نبيّه في معراجه!!!

إشراق عرشي حول الرؤية:

المناظر: كلا! لا ذا ولا ذاك، أما الرسول الأعظمﷺ فلم تكن رؤيته حينذاك ـ إلا زيادة المعرفة ببصر القلب، أي بالبصيرة وروح اليقين، اعتباراً بدلالة الآيات أنفسها:

﴿ما كذب الفؤاد ما رأى * أفتمارونه على ما يرى * ولقد رآه نزلة أُخرى. عند سدرة المنتهى * عندها جنة المأوى * إذ يغشى السدرة ما يغشى * ما زاغ البصر وما طغى * لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾ [نجم. ١١ – ١٨].

فلم يكن النظر حينذاك إلى ربه إلا نظر الفؤاد بنور اليقين، فللقلوب أبصارٌ كما للرؤوس: ﴿قلوب يومئذٍ واجفة * أبصارها خاشعة﴾ [نازعات. ٨– ٩]: أبصار القلوب، و في العلوي: «وأنِر أبصار قلوبنا بضياء نظرها إليك، و فيه: كيف أعبد رباً لم أره ... لم تره العيون بمشاهدة الأبصار بل رأته القلوب بحقائق الإيمان ...

ورسول الله ﷺ وإن كان عارفاً بربه حق المعرفة طيلة حياته النّيرة، إلّا أن طبيعة الحال قاضية في ظرف يطير فيه هذا الطائر القدسي إلى أعلى الآفاق واضعاً قدميه على كاهل الكون ـ تاركاً ما سوى الله وراءه ظهرياً بجثمانه ـ بعد أن تركها بروحه الطيبة ـ متخلياً متحللًا منقطعاً عمن سوى الله ـ حتى وعن نفسه المقدسة، هذه الحالة الروحية قاضية أن يكون من ربه قاب قوسين: ليس بينه وبين الله أحد، أو أدنى: ليس وحتى نفسه المقدسة:

بيني وبينك، إني ينازعني، فارفع بلطفك إني من البين، فلم يبق آنذاك حجابٌ عن المعرفة إلّا حجاب الألوهية الذي لن يرتفع إطلاقاً، فقد خرقَ حجبَ الظلمة والنور، حتى نور نفسه المقدسة النيِّرة، فلم يكن يتجه حينذاك إلّا إلى ربه ـ تاركاً ناسياً سواه حتى نفسه ـ ولو بقيت هذه الحالة التجردية للرسول الأعظم ﷺ لا شتغل ﷺ عن نفسه وعن الكون إطلاقاً بربه وقضى نحبه، فلم يبلِّغ رسالات ربه، ويشتغل بربه بصورة أُخرى يرضاها، هذا بابٌ من المعرفة لا يدانيها ولا يعاينها أحدٌ غيره ﷺ.

فلم تكن الرؤية آنذاك ولا في أية حالة، لم تكن رؤية ببصر العين، وحاشاه من إله لا يُرى، بل ببصيرة الفؤاد: وما كذب الفؤاد ما رأى «الفؤادُ» ولقد رآه «ربِّه» نزلةً أُخرى. عند سدرة المنتهى: عند منتهى الرّحمة وهي منتهى مدارج المعرفة

ومعارجها الممكنة، رحمةً عندها جنّة المأوى... فما جنّة المأوى بما فيها من رحمة لا تحدّ ولا تحصى ... رحمة روحيّة وماديّة، بمن يدخلها من الأنبياء والأولياء ... ما هي في الزلفى إلّا عند السّدرة، فالسدرة التي وصل فيها الرسول الأعظم ﷺ إلى تلك المدرجة العليا من المعرفة، إمام الرحمة وأُمها، وجنّة المأوى تأتم بها وتأوي إليها، كما أن الرسول ﷺ صاحب السدرة، إمام الأنبياء والأولياء المكرّمين ... ولتفصيل هذه الآيات محل آخر يناسبه.[١]

الوجوه الناضرة الناظرة:

وأما الوجوه الناضرة الناظرة يوم القيامة، فليست نظرتها إلى ربها إلّا نظرة الرعاية، لا الرؤية، وحتى كمثل ما رأى رسول الله ربَّه بنور اليقين، بتلك المدرجة، ولا هي الوجوه الظاهرية، حيث إنَّ نظر العين لا ينسب إلى الوجه «وجوه ... ناظرة» بل إليها نفسها: عيون ناظرة.

وأخيراً في الآية التالية دلالة بيّنة على أن النظر هنا إنما هو نظر الرعاية الرؤية: ﴿ووجوهٌ يومئذٍ باسرة * تظن أن يفعل بها فاقرة﴾ [قيامة، ٢٤- ٢٥]، إذ الظن هو من أفعال القلوب، فلا ينسب إلى الوجوه الظاهرة الجسمانية ولا عيونها، فهناك الوجوه الناضرة الباسرة متقابلة، فالباسرة لا تظن إلّا الفاقرة الداهية، والناضرة لا تظن إلّا الرحمة الناضرة، تنظر إلى ربها نظر الرعاية، انتظاراً للرحمة الشاملة ...

كرسي الرب في التوراة والقرآن:

ربي: إذا كان إله إسرائيل على كرسي شبه صنعة من العقيق الأزرق الشفاف، فإله القرآن ـ أيضاً ـ له كرسيّ، فهما سيّان في مشكلة التجسّم، إذ كان كرسيان إلّا أن إله القرآن:

---

١ . كما فصّلناه في تفسيرنا: الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، في سورة النجم.

﴿وسع كرسيّه السَّموات والأرض﴾، ولا تذكر التوراة سعة كرسيّه!

المناظر: كلا ... إلّا في اسم الكرسي. فإن التوراة يعبّر عنه بصنعة من العقيق، فلا تَوافق الا في الإسم دون المسمّى، إذ الكرسي لإله التوراة حينما رآه شيوخ بني إسرائيل كان الطور:

جبل الوحي، و جنسه عقيق أزرق شفّاف ...! حال أن كرسي إله القرآن يسع الكون، من سمواته وأرضه، دون أن يحدّ له حدّاً أو جنساً، فما هو إلّا كناية عن المجالات الواسعة الكونية لحكمه وتقديره، لعلمه وقدرته، حيث الكرسي كناية عن مقام القضاء كما أن العرش يكنّى به عن السلطة الملكية: ﴿الله لا إله إلّا هو الحي القيّوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السّمووات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلّا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلّا بماشاء وسع كرسيّه السَّموات والأرض ولا يؤدهُ حفظهما وهو العليّ العظيم﴾ [بقرة، ٢٥٥]، والكرسيّ هنا عبارة أخرى عمّا فصّل في نفس الآية، من: حياته وقيّوميته، فهو قائم بنفسه وكل شيء قائم به، فلا يقوم ويسكن على كرسي مادي وحاشاه، و من شؤون الكرسي: علمه الذي لا يغفل ولا يجهل فيه ولا ينام عنه ولا تأخذه سنة ولا نومٌ، ومنها مِلكه ومُلكه للكون، فلا تكوين ولا تأثير في ملكه ولا شفيع إلّا بإذنه ... أجل وسيع كرسيّه قيّوميّته وعلمه ومِلكه ومُلكه: وسع السّموات والأرض... لا كإله إسرائيل إذا يقوم ويقعد على شبه العقيق عند الطور، ولا كإلة الإنجيل ... ليست ملكوته إلّا في السماء .. ولذلك يدعوه عباده في صلواتهم: «ليأت ملكوتك في الأرض كما في السماء»[1] لا هذا ولا ذاك، بل إن سعة مُلك وعلم وقدرة وملكوت إله القرآن ومجاله هو الكون أجمع ﴿لا يعزب عنه مثقال ذرّة في السّموات ولا في الأرض﴾ [سبأ، ٣]، ﴿ألا إنه بكل شيءٍ محيط﴾ [فصلت، ٥٤]، ﴿على كل شيءٍ قدير﴾ بقرة، ١٠٦]، ﴿أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت﴾ [رعد، ٣٣]، ﴿ما من دابة إلّا هو آخذ بناصيتها﴾ [هود، ٥٦].

---

١. هذه جملة من الصلوات الانجليلية

كرسي آخر لإله التوراة:

ربي: ... قد توجد كلمة الكرسي في التوراة، كالقرآن، على سواءٍ، قائلًا إن النبي ميخا بن يملة قال لأخاب الملك: إسمع كلام الله جالساً على كرسيّه وكل جند السماء وقوفٌ عن يمينه وشماله، فقال الله: من يغوي أخاب، فقال هذا هكذا، وخرج الروح ووقف أمام الله وقال: أنا أغويه، فقال الله: بماذا؟ قال أخرج وأكون روح كذب بفهم كل أنبيائه، فقال الله: إنك تغويه وتقدر، أخرج وأفعل كذا (١- الأيام: ٢٢ و ٢ منه: ١٢).

التوراة وكرسي الظلم للإله:

المناظر: أجل، هما على سواء في لفظة الكرسي، وعلى بون شاسع في المعني منه، حيث النص في التوراة أجلس إلهها على ذلك الكرسي، ثم حدّ الكرسي بحدود اليمين والشمال والأمام، و قضية تلكم الحدود اللازمة للجسم أنّ إله التوراة محدود الجسم، على حدّ كرسيه الذي جلس عليه.

وأخيراً يرسل هذا الإله روح الكذب بفهم كل أنبيائه لكي يكونوا كذبة كمثله! وقد نأتي على أكاذيبه بعد حين! فهناك بين الكرسيّين الإلهيين بون شاسع.

القرآن و إله السماء:

الدكتور القسيس فندر الآلماني: كذلك هناك آيات تخير الإله في السماء أو في الأرض والسماء، قائلة: ﴿وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله﴾ ... [زخرف، ٨٤]، ﴿أأمنتم مَن في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور * أم أمنتم مَن في السماء أن يرسل عليكم حاصباً فستعلمون كيف نذير﴾ [ملك، ١٦- ١٧].

حيث الأُولى تدلنا أن الله تخير في الأرض والسماء، فهما على تناقضهما، تحيِّزان الرب في خلقه فتُجسِّمانه!.

المناظر: كلا، فلا مناقضة ولا دلالة على ما تهواه، حيث الأولى تبيّن سعة مكانة الألوهية ومجالات العلم والقدرة الإلهية في الأرض والسماء، على خلاف إله الإنجيل الذي تخص ملكوته بالسماء، لا إنّ ذاته كائنة في مكان السماء والأرض، كما يُقال: إنّ محمداًﷺ نبيٌّ في الشرق والغرب، فهل يظن عاقل أنه يأوى في المكانين لحالة واحدة؟

فإله القرآن، إله في الكون بأجمعه، لا أن ذاته مستكن في أرضه وسمائه! فالأرض والسماء ظرف الألوهيته، لا لذاته.

والآية الثانية لم تأت بذكرى الإله حتى تكون ﴿مَنْ﴾ تعبيراً عنه ثانياً، إذاً فليس المعنيٌّ منه إلاّ مَن في السماء من عمّال الرب الذين يصدرون عن أمره برحمته وغضبه، وهم من الملأ الأعلى: ﴿ما كان لي من علم بالملأ الأعلى إذ يختصمون﴾ [ص. ٦٩]، ﴿لا يسَّمَّعون إلى الملأ الأعلى ويُقذفون من كل جانب﴾ [صافات. ٨]، أو غيرهم من عمّاله القاطنين في سمٰواته: ﴿وكم من مَلَك في السموات لا تُغني شفاعتهم شيئاً إلاّ من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى﴾ [نجم. ٢٦]، ﴿قالوا إنا أُرسلنا إلى قومٍ مجرمين ❊ لنرسل عليهم حجارة من طين﴾ [الذاريات. ٣٢].

فهم مصادر أمره تعالى كما أرسلوا على قوم لوط، لإنذارهم في حجارة من طين بأمر ربهم: ﴿فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجّيل منضود﴾ [هود. ٨٢].

فكم بين هنا وهناك من بون شاسع: بين إله التوراة والقرآن..! وهل يعتبرها الحدّاد إمام القرآن، فهو ترجمة عربية عنها..؟ أم هل هو إلاّ مهيمن وإمامٌ على العهدين، كما وأن نبيّه إمام النبيّين: ﴿... ثم جاءكم رسولٌ مصدّق لما معلكم (أيها النبيّون) لتؤمنن به ولتنصرنّه﴾ [آل‌عمران. ٨١].

❊ ❊ ❊

المقارنة (٣)

إله التوراة يخلق الإنسان كصورته:

... ثم هناك آيات أخرى تشبِّه الرب بخلقه في تصاريح غير قابلة التوجيه، منها: ... فعمل الله وحوش الأرض كأجناسها والبهائم كأجناسها ... (٢٦) وقال الله: نعمل الإنسان على صورتنا وكشبهنا (٢٧) فخلق الله الإنسان على صورته، على صورة خلقه ذكراً وأنثى (تك ٥: ١-٢) (و تك ٩: ٧).

فهذه تصاريح عجيبة: أن الله خلق الإنسان كصورته! حتى في الذكورة والأنوثة! فهل إن الله بوحدته ذكر وأنثى! أم هناك إلهان إثنان: ذكر وأنثى؟ أم إنه خنثى احتفاظاً على وحدته لا ذكر ولا أنثى؟

ربي: وقد يوجد في أحاديثكم أن الله خلق آدم على صورته!

المناظر: مهما يكن من شيءٍ كهذه فهي إسرائيليات تدخّلت في أحاديثنا بأيدي الدسّاسين، كيف لا وهي مخالفة لتصاريح القرآن: أن ﴿ليس كمثله شيء﴾ [شورى: ١١]، نحن لا نصدق حديثاً وإن كان متواتراً إلّا ما وافق كتاب الله أو لم يخالفه.

ثم هناك في بعض ألفاظ الحديث الساقطة عنه ما يدلنا على خلاف ذلك، بل هو يجعله نصاً في معنى صالح لا صِلة له بباب التشبيه، تعالى الله عنه علواً كبيراً:

... يُقال للباقر محمد بن علي خامس الأئمّة الإثنى عشر للمسلمين: ماذا تقول فيما روي عن رسول‌الله: إنّ الله خَلَقَ آدم على صورته؟ فيقول: ليس حيث تذهب ... إن رجلين كانا يتسابّان عند رسول‌الله فقال أحدهما للآخر: قبّح الله وجهك ووجهَ مَن يشبهك، فقال ﷺ: «لا تقل هذا فإن الله خلق آدم على صورته»!

فإن ضمير الغائب في صورته راجع إلى مَن سبَّه القائل وهو صاحبه ولقد نهاه الرسول عن ذلك اعتباراً أنه خنأٌ عامٌ يشمل آدم وسائر أبنائه من أنبياء الله وأوليائه الصالحين، فليس لأحدٍ أن يسبّ الجماعات البشرية

بأسرها بمن فيهم الصالحون. فوجه من يشبه إنساناً واحداً يشمل جميع الوجوه لتشابهها في الصورة الإنسانية رغم اختلاف الألوان والإشكال! ... فإن الله خلق آدم وبنيه على صورة صاحبك.

* * *

المقارنة (٤)

إله التوراة يعيى ويتعب فيستريح:

المناظر: ومن تلكم المشابهة الخاطئة أن إله التوراة يتعب كما يتعب الإنسان إذ تقول: «فأكملت السّموات والأرض وكلّ جندها. وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل. وبارك الله اليوم السابع، لأنه فيه استراح من جميع عمله الذي عمل الله خالقاً» (تك: ١: ٢ـ ٤).

فيوم السبت الذي أمرتم فيه بقطع العمل من صيد الحيتان وغيرها، تعتبرة التوراة يوم سبت الله، يعني: قطعه عن خلقه، واستراحته عن نَصَبه وتعبه، سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً.

ربي: فما هو رأي القرآن في يوم الاستراحة: السبت؟

المناظر: هناك تصاريح في القرآن تفنِّد خرافة التعب وأكذوبة الإستراحة قائلة: ﴿ولقد خلقنا السّموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسّنا من لغوب﴾ [ق، ٣٨]، ﴿أو لم يَرَوا أن الله الذي خلق السّموات والأرض ولم يعْيَ بخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى﴾ [الاحقاف، ٣٣]، ﴿أفعيينا بالخلق الأول بل هم في لبسٍ من خلقٍ جديد﴾ [ق، ١٥]، ﴿ولئن سألتهم من خلق السّموات والأرض ليقولنّ خلقهنّ العزيز العليم﴾ [زخرف، ٩]، ... وما إليها من تصاريح قيِّمة تنزِّه ساحة الرب تعالى عن العيِّ والتعب والإستراحة من

النَّصَب ... فهل يواصل الحداد فريته الساقطة: أن القرآن نسخة عربية من ذيّاك الخرافات العارمة!

* * *

المقارنة (٥)

إله التوراة يصارع يعقوب فيصرَع! يعقوب التوراة يَصرَع ربه فيضطره إلى استلاب بركة النبوة عنه كما استلبها بخدعته عن أبيه إسحاق! ...

زعيم إسرائيل الأوّل يخادع أباه ويصارع ربه لاستلاب بركة النبوة عنهما!

ألا فانظروا إلى زعيم إسرائيل الأول كيف يبني بناية النبوة الإسرائيلية على الخداع والتغلب!

... أيها الروحيون الإسرائيليون والإنجيليون! أفلا يحق لنا صراحة القول: إن هذه التوراة ومختلقيها أعدى وألدُّ الخصوم للّه ولأنبيائه الكرام وتشاريعه، حيث لا تبقي فرية، إلّا وتنسبها إلى الله وأوليائه!

الروحيون: كيف ذاك! أنّى! كلا! ما نصه؟!

أرض الصراع ونتاجه:

المناظر: أجل، إنه تذكر التوراة وجه تسمية يعقوب بإسرائيل، وقوته وشوكته قائلة:

فللرب خصام مع يهوذا وهو مزمعٌ أن يعاقب يعقوب بحسب طرقه. بحسب أفعاله يردّ عليه. في البطن قبض بعقب أخيه وبقوته جاهد مع الله، جاهد مع الملاك وغلب (هوشع ١٢: ٢ـ ٣). وهذه المجاهدة المظفرة ليعقوب على الله وملاكه! كان حينما: «ظهر الله ليعقوب إذ جاء من فدّان أرام وباركه. وقال الله: إسمك يعقوب، لا يدعي اسمك فيما بعد يعقوب، بل يكون اسمك إسرائيل، فدعا اسمه إسرائيل» (تك ٣٥: ١٠ـ ١١)

إسرائيل التوراة يتغلب على الخالق وخلقه!

والوجه في هذه التسمية أنه غلب الله في مصارعته: «فبقي يعقوب وحده وصارعه إنسانٌ حتى طلوع الفجر. ولمَّا رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حُقَّ فخذه فانخلع حقُّ فخذ يعقوب في مصارعته معه. وقال: أطلقني لأنه قد طلع الفجر. فقال: لا أطلقك إن لم تباركني. فقال له: ما إسمك؟ فقال: يعقوب، فقال لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل إسرائيل: لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت!

وسأل يعقوب وقال: أخبرني باسمك، فقال: لماذا تسألني عن اسمي؟ وباركه هناك! فدعا يعقوب اسم المكان فينئيل قائلًا: لأني نظرت الله وجهاً لوجه ونجّيت نفسي» (تك ٣٢: ٢٥- ٣١).

فهذه تصاريح بيِّنة: أن الله صارع عبده يعقوب «جاهد مع الله وغلب» فباركه الله بركة النبوة لكي يتخلص من بأسه «ظهر الله ليعقوب ... وباركه» وسمَّى مكان المصارعة فينئيل و فسّره بمصرع إله إسرائيل... !

فلا تقتنع توراتكم أن تُتعب الإله عن خلق السَّموات والأرض فتريحه عن تعبَه وعِبئه، حتى تصرعه في مصارعة عبده يعقوب لحدّ فجيع فتُلجئه أن يباركه ولكي يتخلص عنه!!.

ربي: كلا، ليس هو الله، حيث يصرّح: «أنّ إنساناً صارعه»!.

المناظر: كلا، هو ذاك! حيث التصاريح المتكررة هناك: أن الله صارعه وباركه وسمّاه إسرائيل، لأنه غلب الله وملائكته والناس، والتعبير عن الله بالإنسان ليس بذلك البعيد في مذهب التوراة حيث تصرّح: أنه على صورة الإنسان، وإن شئت فقل: إن التوراة لا تميز بين الإله والإنسان ولذلك ينسب عمل كلٍّ إلى الآخر دون تمييز!

إله التوراة لا يعرف اللغة!:

ثم اقض العجب من إله التوراة بعد ضعفه في مصارعة عبده، في جهله باللغة، حيث يفسر كلمة «إسرائيل» وهي بمعنى عبدالله يفسرها بـ: مصارع الله ـ تفسيراً بالضد ـ فيا له مُراماً ما أبعده وضعفا ثم جهلًا ما أهونه!!

ربي: من أين لكم أن هذه البركة بركة النبوة؟

المناظر: من آيات أخرى تفسيرها، وأن البركة الخاصة التي تناسب هذه البيئة ليست إلّا النبوة ... وقد تذكر التوراة كيفية خلافة يعقوب عن أبيه إسحاق كما تناسب وأخذه بركتها هنا.

* * *

المقارنة (٦)

أصل النبوة في بني إسرائيل خديعة وتغلُّب!!:

(تك ٢٧:١ـ ٤٠) لما شاخ إسحق وكلّت عيناه، دعا عيسو ابنَه الأكبر قائلًا: إنني شخت ... فاخرج الآن إلى البرية وصِد واصنع لي طعاماً لآكل حتى أباركك قبل الموت ...

ذهب عيسو وكانت رفقة سامعة كلام زوجها إسحق، فقالت لابنها يعقوب: إسمع قولي حتى تكون البركة لك، لا لأخيك. إصنع له طعاماً كما أمر كي يباركك، قال: أمّاه! هوذا عيسو أشعر وأنا أملس، ربما يجُسُّني أبي فأكون في عينيه كمتهاونٍ وأجلب لعنة لا بركة ...

قالت: لعنتك عليَّ! اسمع قولي ... فصنع كما أمرته، فأخذت ثياب عيسو وألبستها يعقوبَ وألبست يديه وملامسة عنقه جلود جدي المعز، فدخل يعقوب على حاله وطعامه على أبيه ... قال: من أنت؟ قال: عيسو بكرك، قد فعلت كما كلمتني: كُلْ طعامك وباركني، قال: ما هذه السرعة؟ قال: إلهك يسّرلي، قال: تقدم لأجُسّك: أأنت هو ابني عيسو؟ فجسه قائلًا: الصوت صوت يعقوب ولكن اليدين

يدا عيسو .. فباركه على أنه عيسو قال: هل أنت هو ابني عيسو؟ قال: أنا هو. قال: قدِّم لي لآكل حتى تباركك نفسي... فأكل وقدم له خمراً فشرب!! فقال له: تقدم وقبلني. فقبله وقال: أنظر رائحة ابني كرائحة حقل قد باركه الرب.

فليُعطك الله من ندي السماء ومن دسم الأرض وكثرة حنطة وخمر. ليستعبد لك شعوباً وتسجد لك قبائل! فجاء عيسو بما أمره أبوه فارتعد إسحق ارتعاداً عظيماً جداً. فعندما سمع عيسو كلام أبيه.. صرخ صرخة عظيمة ومُرَّة جداً وقال لأبيه: باركني أنا أيضاً. فقال:

قد جاء أخوك بمكر وأخذ بركتك. فقال ألا إسمه دعي يعقوب. فقد تعقَّبني الآن مرتين.

أخذ بكوريتي وهو الآن قد أخذ بركتي ... وكلما أصر على أبيه أن يباركه أيضاً أنكر عليه:

أن ليست البركة إلّا واحدة وقد أخذها أخوك يعقوب!!!

إسحق التوراة ظلوم جهول!:

فهذا إسحق التوراة يخطىء ذياك الخطأ العظيم في شك منه، أن من يباركه أ هو عيسو أم يعقوب! وهو إذ يريد ليباركه على جهله وخطئه يشرب خمراً لكي تزيده خطأً وخَبَلًا، وبعد أن يُنَبَّه بما فعل لا يرجع عما صنع اعتذاراً أنها لم تكن إلّا بركة واحدة، كأنها بناية شيدت فلا تتغير عن بنائها وكيف لا ترجع بركة أعطيت في غير محلها! فإسحق التوراة إذاً أعمى القلب والعين، وإله التوراة الذي يُمضي ليعقوب هذه البركة المختلسة أعيى الطوق في هذا البين، فقد بنيت نبوة إسرائيل بدءاً على عمىً وعمهٍ وخطأٍ وخبل، فما أبعدها عن الحق وأقربها إلى الزور والغرور!

ربي: فماذا يقول القرآن في شأن إسحق ويعقوب؟

إسرائيل في القرآن بشارة إلهية:

المناظر: القرآن إذ يهيمن على ما بين يديه، تطهيراً له عن الكذب والشّين، يعتبر ولادة إسحق ويعقوب من البشارت التي بشِّرت بها امرأة إبراهيم، قائلًا: ﴿وامرأته قائمة فضحكت فبشّرناها بإسحق ومن وراء إسحق يعقوب﴾ [هود، ٧١]، ويعد اتِّباع يوسف الصدِّيق لهما في عداد مفاخرة الإيمانية: ﴿... واتبعت ملة آبائي إبراهيم واسحق ويعقوب﴾ [يوسف، ٣٨]. ويصرح بنبوتهما بعد إبراهيم وإسماعيل: ﴿وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط﴾ [نساء، ١٦٣]، ويأمر بالإيمان بما أنزل إليهم: ﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط﴾ [البقرة، ١٣٦]!

فهل يستمر قائلهم الحداد في مقالته الزور: إن القرآن نسخة عربية من التوراة؟ هل إن الصدق ترجمة عن الفرية والكذب؟ فهل الإيمان بهذه التوراة إلّا مسّاً بكرامة إسرائيل؟

ألا فتعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم... وقداسة الرب وأنبياء بني إسرائيل، تصديقاً للقرآن وتكذيباً لهذه التوراة التي تنال من كرامة الرب وأنبيائه!!!

* * *

المقارنة (٧)

إله التوراة يأسف ويندم أن خلق الإنسان فينزل مع شركائه لينظر المدينة ويلقي الخلاف بين ألسنتهم مخافة أن يجتمعوا ضده:

ربي إسحاق: أين هذه من التوراة؟

المناظر: (تك ٦: ٥- ٨) ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر في الأرض. وأن كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم. فحزن الرب أنه عمل الإنسان في الأرض.

وتأسف في قلبه. فقال الرب: أمحو نعن وجه الأرض الإنسان الذي خلقته. الإنسان مع بهائم ودبابات و طيور السماء، لأني حزنت أني عملتهم.

وأما نوح فقد وجه نعمته في عيني الرب ... ثم يذكر طوفان نوح.

بلبلة الألسن مخافة أربابها!:

(تك ١١: ١ـ ٩) وكانت الأرض كلها لساناً واحداً ... وأخذوا يبنون لأنفسهم مدائن ...

فنزل الرب لينظر المدينة وقال: هو ذا شعب واحد ولسان واحد وهذا إبتداؤهم بالعمل والآن لا يمتنع عليهم كل ما ينوون أن يعملوه. هلم ننزل ونبلبل هناك لسانهم حتى لا يسمع بعضهم لسان بعض.

فبددهم الرب من هناك على وجه الأرض فكفوا عن بنيان المدينة. لذلك دُعي اسمها بابل، لأن الرب هناك بلبل لسان كل الأرض!!

... فهذه تصاريح كتاب الإمام! تنسب إلى الرب الحزن والتأسف على خلق الإنسان، الكاشف عن غيٍّ سابق وعيٍّ لا حق، وأنه ـ وحاشاه ـ نزل إلى الأرض مع شريكه أو شركائه، يستنصرهم في القضاء على القوّات الكامنة فيه، التي حباهم إياها، ففرق جمعهم بتفريق لغاتهم!

فهل كان يلحقه من وحدتهم أو من بناياتهم المدن ضرّ وشر، وهل هو في السماء؟ فلا يمكنه إبصار ما يعمله الإنسان على وجه الأرض، لكي يضطر إلى النزول مع شركائه.

فاقض العجب من التصاريح البينة في الكتاب الإمام. ففيها تجسيم للّهتعالى وتجهيل لساحته، وإعياءٌ لقدرته، وتكثيرٌ له عن وحدته، وتبديلٌ لربوبيّته، وتحديدٌ لشوكته، وتأسيفٌ وتحزينٌ له في عمله، وأخيراً تخليطٌ بين البابل والبلبلة في اللفظا ولمعنى، و تشقيق للأوّل عن الثاني رغم أصول الإشتقاق، فسبحانه سبحانه

عن ذلك، ما أجهل مؤلفي الكتاب الإمام! وأجرآهم عليه سبحانه وتعالى عما يصفون!

ربي: وهل في القرآن تأويل لإختلاف الألسن؟

بون شاسع بين الكتابيين في سر اختلاف الألسن:

المناظر: أجل ومنها أنه من الآيات الدالة على علمه وحكمته تعالى وكما يقول: ﴿ومن آياته خلق السّموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين﴾ [الروم. ٢٢]، اعتباراً أن اختلاف الفعل، دليل على اختيار الفاعل وعلمه،[١] فلو كان الخالق مسيَّراً غير مخيَّر، وكان خلقه توليداً ولا إيجاداً بالإرادة، فمن أين هذا الإختلاف المتناسق في خلقه، ثم دليلًا على وحدته، تلائم أجزاء الخلق رغم اختلافها: ﴿الذي خلق سبع سموات طباقاً ما ترى في خلق الرّحمن من تفاوت[٢] فارجع البصر هل ترى من فطور * ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير﴾ [الملك. ٣-٤].

... أجل إنه لا تفاوت وتنافي بين هذا الخلق المختلف الألوان والصور، بل وهناك كمال التناسق والتلائم محكّم فيه دون فطور وفتور، ولولا هذه الوحدة العجيبة الحاكمة على مختلف أشكال الخلق لإنتقضت بناية التوحيد، ولم يكن اختلاف الخلق آية إلّا على اختلاف الخالق ...

أجل فمن آيات علمه وحكمته البارعة، اختلاف الألسنة والألوان واختلاف السَّموات والأرض ـ على تلائمها ـ الدَّال على علم الخالق وإرادته المختارة ...

ولكن اختلاف الألسن في نظرية التوراة، آية الجهل والعيٍّ للخالق، وحاشاه، هو ـ رغم التوراة ـ آية العلم والقدرة في نظرية القرآن، فاقضِ ما أنت قاض!!!

١ . لقد فصلنا القول في هذا في كتابنا: حوار بين الإلهيين والماديين

٢ . التفاوت المنفي عن الخلق هو التنافي التكويني القائم المندغم في ذوات الخلائق

الدكتور فندر: إن يأسف إله التوراة أن خلق الإنسان فأغرقهم في طوفان نوح، فإله القرآن كذلك يأسف ويغرقهم أجمعين:

﴿فلما ءاسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين﴾ [الزخرف: ٥٥].

البون شاسع بين الأسفين:

المناظر: بين الغرقين والأسفين بون شاسع: أما الغرق فما هو في هذه الآية إلّا لآل فرعون: ﴿فاستخفّ قومه فأطاعوه، إنهم كانوا قوماً فاسقين. فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين. فجعلناهم سلفاً ومثلًا للآخرين﴾ [الزخرف: ٥٤- ٥٦].

ثم الآيات في طوفان نوح لا تذكر أسفاً من الله وندماً أن خلق الإنسان: ﴿وقوم نوح لمّا كذّبوا الرسل أغرقناهم وجعلناهم للناس آية﴾ [الفرقان: ٣٧]، فلا تعتبر غرق المكذبين نتيجة لأسفه سبحانه، بل لتكذيبهم رسله، ونتيجةً لدعاء نوح عليهم: ﴿ولقد نادانا نوحٌ فلنعم المجيبون﴾ [الصافات: ٧٥].

ثم البون بين أسفه سبحانه في التوراة وبين أن آسفه آل فرعون كما في القرآن شاسع بيِّن، كما في تصريح الكتاب الإمام!: أنه تعالى تأسف في قلبه وحزن، لماذا خلق الإنسان؟ فهو آسف وحزين ونادم على فعله: أن خلقهم.

والقرآن يعتبر آل فرعون أنهم آسفوا الرب، لا أنه تعالى أسف على خلق الإنسان وندم، و إذا كان الأسف من الأعلى على الأدنى بعصيانه فليس هم إلّا الغضب والإنتقام ـ لغوياً ـ ﴿فلما آسفونا﴾ أغضبونا بعصيانهم، و إذا كان من الأدنى أو الأعلى، لما فعله نفسه كان بمعنى الأسى والحزن والتحسر، حيث التحزن إنما هو لمن لا يجد سبيلاً لغلبه على مأموله، فيتحسر بدلاً عن الإنتصار، فإنه التوراة يتحسّر ويأسف على فعله أن خلق الإنسان، فيأخذ بعملية الإحتياط للحفاظ علىٰ كيانه، فيبلبل بين الألسنة، حال أن خلق إله القرآن لم يتحسر ولن يندم على فعله، و إنما أغضبه عصيان العصاة من عبيده، فأغرقهم تعذيباً لهم ومثلاً وسلفاً للآخرين.

وكلّ فعل يُنسب إلى الرب، لا يجوز أن يفسّر إلّا بما يناسب وساحة ألوهيته إلّا ألّا يقبل التفسير فتكذّب نسبته إليه، كذياك اتصاريح البشعة من التوراة: أنه حزن و تأسف و نزل مع شركائه ليرى ما يصنعه بنو الإنسان فبلبل بين ألسنتهم لكيلا يجتمعوا فيمسّوا من كرامة الرب، سبحانه و تعالى ... عما يصفون!

التوراة لا تفرق بين الله وملاكه! ولا بين الواحد والكثير!:

أجل، و في حين أنها تشبّه الرب بخلقه، فبالأحرى ألا تميزه من ملاكه وكما تقول في قصة هاجر وتبشيرها بإسماعيل: (تك ١٦: ٧ - ١٤) «ووجدها ملاك الرب. فقال لها ملاك الرب ... وقال لها ملاك الرب تكثيراً أكثر نسلك فلا يعدّ من الكثرة» ...

فإن قوله: أكثر نسلك، من كلام الملاك، فهل إنهم على جمعهم فرد؟ كما أن الذي كثّر النسل هو الله لا ملاكه، فهو أيضاً على وحدته جمع، وهو ملاكه كما أن ملاكه نفسه، هذا ولكي يتأتى هذا التناقض ذريعة ومبرراً لتناقض التثليث!

* * *

المقارنة (٨)

إله التوراة يغش ويكذب ويخدع ويظلم وهو جسم يُرى ولا يَرى آدم في الجنة حيث اختفى، وهو أشخاص كأشخاص الإنسان! ويُخرج آدم وزوجته مخافة أن يصيرا كمثله وشركائه:

... هذه تصاريح التوراة في قصة آدم العجيبة كما تقول (تكوين ٢: ١٦- ١٨ و ٣: ١- ٢٦):

«وأوصى الرب الإله آدم قائلًا: من جميع شجر الجنة تأكل وأما شجرة معرفة الخير والشرّ فلا تأكل منها شيئاً، لأنك يوم تأكل منها موتاً تموت.

فقال الحية (يعني إبليس) للمرأة (حواء) أحقاً قال الله: لا تأكل من كل شجر الجنة؟

فقالت المرأة: نأكل منها إلّا التي في وسط الجنة، فقال الله: لا تأكلا منه ولا تمساه لئلا تموتا.

فقالت الحية: لن تموتا. بل الله عالم أنه حينذاك تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر. فأكلها آدم مع زوجه فانفتحت أعينهما وعلما أنهما عريانان. فخاطا أرواق طين وصنعا لأنفسهما مآزر. وسمعا صوت الرب الإله ما شياً في الجنة فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الإله في وسط الجنة، فنادى الإله: أين أنت؟ فقال آدم: سمعت صوتك في الجنة فخشيت، لأني عريان فختبأت. فقال: كيف علمت أنك عريان؟. هل أكلت من الشجرة؟ فقال: المرأة ابتلتني، فقال: وأنتِ لماذا؟ فقالت: الحية غرتني ... فقال للحية: ... وقال للمرأة: أكثر أتعاب حبلك، بالوجع تلدين أولاداً ... وقال الرب الإله: هوذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفاً الخير والشر والآن يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة ويأكل ويحيى إلى الأبد فأخرجه من جنة عدن»!!! ...

مجازر الكتاب الإمام:

فما للكتاب الإمام يكذِّب الله في مقالته «موتاً تموت» في حين أنه يصدِّق عدوه إبليس «لن تموتا» فقد أكلا ولم يموتا؟

ربي: الموت هنا هو الموت الروحي الحاصل من العصيان، فهما حينذاك قد حُذرا عن العصيان بنتاجه وهو موت القلب ورينه.

المناظر: فلنفرض أن العصيان موت، إلّا أنهما لم يعصيا حيث لم يكونا يعرفان ويميزان الخير والشر ـ حسب التوراة ـ إذاً فما كانا من المكلفين حتى يموتا بسبب العصيان!

ثم كيف تكون المعرفة موتاً وعدمها حياةً، مع التصريح أن آدم صار كواحد من الآلهة عارفاً، فهل الإله أيضاً ميت، لأنه عارف؟

وأخيراً كيف ينهاه عن ابتغاء أهم وسائل الطاعة وهي المعرفة والعقل، رغم أنه خلقه لها، ولذلك يأمره وينهاه؟ فهل يمنعه عما يتوسل هو به إلى طاعته ومعرفته، نهياً عن أصل الخيرات وهو العقل والمعرفة؟ وزجراً عن السلوك في سبيل الكمال رغم أنه خُلق للاستكمال؟ أفهل كان يخشى أن يشاركه في المعرفة ويصير كمثله، كما خشي عن تخلُّده في الحياة فأخرجه عن الجنة لا لشيءٍ إلّا ألا يأكل من شجرة الخلد فيصير كأحد من الآلهة، وكما خشي من كثره فبلبل بين لسانهم، لكيلا يجمعوا جمعهم فيغلبوا عليه!

إنْ هذه إلّا مشية عشواءَ: أن يعتبر العقل والمعرفة موتاً، وابتغاءهما عصياناً، واللاشعورية العمياء حياةً، والبقاء عليها طاعة، مع أن الخالق الحكيم خلق الإنسان لمعرفته وطاعته:

﴿وما خلقت الجن والإنس إلّا ليعبدون﴾ [الذاريات: ٥٦]، ولرحمته وغايته: ﴿ولذلك خلقهم﴾ [هود: ١١٩].

ربي: لعل الموت هنا مقابل الخلود، فإذا أكلا لم يخلدا في الحياة، رغم ما اغتالهما به الشيطان: أنهما يخلدان إن أكلا، فهناك بون بين شجرة الحياة والمعرفة.

المناظر: هذا خلاف تصاريح الآيات: أن الله أخرجهما بعد ذاك لكيلا يأكلا من شجرة الحياة فيخلدا، فلم يكن عدم الأكل من شجرة المعرفة رمزاً للخلود حتى يكون الأكل سبباً لنفيه وهو الموت، مع أن الخالق لم يخلق الإنسان للبقاء، كلَّا إلّا للفناء والموت، فإناطة الخلود بعدم الأكل عن شجرة المعرفة، وعدمه بعدمه، فيها غش وزور، زور: لأن عدم الخلود سواءٌ فيه أكل هذه الشجرة وعدمه، وغش: حيث الأكل أعطاه معرفة وتمييزاً، لا موتاً فقد صدَّق الكتاب الإمام! إبليس اللعين في قوله: لن تموتا، يعني بأكل الشجرة، لكن تنفتح أعينكما وتصيران كالله عارفين الخير والشر، وكذَّب إلهه حيث وعد بذلك الموت ولم يموتا، فيا له من فضيحة مخزية تعكس أمر الصدق والكذب بين الإله الرحيم وعدوه الرجيم!

إفتراءات مخجلة في كتاب الإمام!

فهذه الآيات تكذّب الله في وعده وتنسبه إلى الخداع لخلقه! ولا خديعة إلّا عن عي وغي، وتنسبه إلى النهي عن ابتغاء المعرفة والتمييز، لكيلا يصير الإنسان كأحد الآلهة! ثم إلى الجهل وأنه جسم حيث يمشي في الجنة منادياً: يا آدم أين أنت؟ حيث اختفى آدم وزوجته عن وجه الرب، وأن الرب لم يعلم خطيئته حتى أقر هو بها، ثم الرب يعد حواء و بناتها بتعب شديد حين الولادة جزاءً بما عصت، مع التصريح أنها وزوجها ما كانا يعرفان الخير والشر، فلا تكليف بطاعة فلا عصيان، ومهما يكن من ذنب لهما فلماذا تعاقب بناتهما، لا هو والأبناء أيضاً، ثم البنات لماذا يؤخذن بما عصى أبواهن ﴿ألّا تزر وزارة وزر أخرى. وأن ليس للإنسان إلّا ما سعى﴾؟ [النجم: ٣٩]. ثم تنسب الإله إلى التعدد وإلى الخوف: أن يصبح آدم وزوجته كواحد منهم في الخلود، كما صارا كذلك في المعرفة! فيخرجهما عن الجنة، لكيلا يأكلا من شجرة الخلد فيخلدا كالآلهة، فقد تعتبر الإخراج عقوبة لما يخشى منهما أن يعملاه، لأنهما أكلا من شجرة المعرفة، حيث اعتبر عقوبة الأكل تعب الولادة لبناتها فحسب!، وأخيراً يخرجهما عن جنة عدن أي الخلد، مع أنها لا يدخلها كافر، وقد دخلها إبليس يغويهما ولا تكليف فيها فلا عقاب وقد أخرجا منها! وإنما يدخلها أهلها يوم القيامة بما أطاعوا جزاءً وفاقاً، ولم يكن لهما عمل قبل دخولهما!!!

فندر وظاهرة التعدد في إله القرآن!

الدكتور فندر: هناك في ظاهرة التعدد يوجد آيٌ من القرآن كقوله: ﴿إنّا أعطيناك الكوثر﴾. وهو مع القول: هوذا الإنسان قد صار كواحد منا، هما على سواء دلالة على تعدد الآلهة.

جميعة الذات والصفات:

المناظر: كلا! وبينهما بون شاسع، حيث التوراة تصرح بتعدد الآلهة، لا اعتباراً بضمير الجمع في «منا» فحسب، بل «بواحد منّا»، فليكن هناك تعدد ذاتي في البين حتى يعتبر الإنسان كواحد منهم في المعرفة.

وأما الجمع في القرآن كـ ﴿إنّا أعطيناك الكوثر﴾ فإنما هو بإعتبار جمعية الصفات في هذه العطية الإلهية لنبينا محمد ﷺ أن أعطاه كوثراً من كل خير، عطيّةً لها نصيب من كافة صفاته العليا التي يعطي بها ويمنح، لا عطية خاصّة تخص ببعض الكمالات، وقد يكفي شاهداً على ذلك تصاريح التوحيد في الكثير من آي الذكر الحكيم، إذاً فتصبح آية الجمع المتشابهة مفسَّرة بهذه المحكمات، ولكن جمع الآلهة في التوراة لا يقبل أي تفسير و توحيد، فبينه وبين آي التوحيد فيها تناقض ظاهر!

هل إن إله القرآن يعلم بعد جهل؟

فندر: وهناك في ظاهرة العلم بعد الجهل أيضاً، آيٌ كثيرة في القرآن كما يقول: ﴿وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلّا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه﴾ [البقرة، ١٤٣]، فإله القرآن لا يجعل بيت المقدس قبلةً مِن قبل ثم يحولها إلى المسجد الحرام إلّا ليعلم من يتبع الرسول ويميزه عمن ينقلب على عقبيه إرتجاعاً إلى الجاهلية الأولى!

المناظر: كلا، فإنَّ «نعلم» هناك وفي نظرئرها[١] ليست من العِلْم ضد الجهل، بل العَلْم و هو السمة والعلامة كما في منجد اللغة: عَلَم ـِ عَلماً: وَسمَه، والشفه شقها،

١ . وهي ما يلي: ﴿ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمداً﴾ [كهف، ١٢]، ﴿وما كان له عليهم سلطان إلّا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شكّ﴾ [سبأ، ٢١]، ﴿ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين﴾ [محمد، ٣١]، ﴿وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء﴾ [آل عمران، ١٤٠]، ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين﴾ [آل‌عمران، ١٤٢]، ﴿و ليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قتلو في

وكما في اللسان،[1] فمن الجائز أنّ يعلم هذه وأمثالها من علم ـِ عَلماً، وتشهد له محكمات الآيات ﴿إن الله بكل شيءٍ عليم﴾ [العنكبوت، ٦٢]، ﴿يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور﴾ [الغافر، ١٩]، ﴿والله يحول بين المرء وقلبه﴾ [الأنفال، ٢٤]، ﴿وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء﴾ [يونس، ٦١].

فالمعني من آية القبلة: وما جعلنا بيت المقدس قبلة من ذي قبل إلّا لنَسِمَ من يتبع الرسول حينذاك ممن ينقلب ويرتجع إلى الجاهلية الأولى، حيث كانت هوى أهل مكة في الكعبة وهم بطبيعة الحال لا يرضون قبلة غيرها إلّا أن يتبعوا الرسول ضد ما يهوون، فاتباعهم في استقبال القدس سمة وعلامة على حقيقة إيمانهم، وانقلاب من انقلب على عقبيه سمة النفاق وقد وسم الله كلًّا بسمته كشاكلته بتشريع الإتجاه نحو القدس بداية العهد المدني بعد هجرة الرسول الأعظمﷺ من مكة المكرمة.

... وشاهداً آخر على أنَّ ﴿نعلم﴾ في الآيات الإحدى عشر هي من العَلم بمعنى العلامة، أنه من العِلم يتعدى إلى مفعولين، اللهمَّ إلّا إذا كان بمعنى المعرفة والتمييز كما يُقال: علمت زيداً عن عمرو أي ميزته، فـ ﴿نعلم﴾ بين أن يكون من العَلم وهو العلامة، أو العِلم بمعنى التمييز، لأنه في الآيات المشار إليها متعدٍ إلى واحد، والتمييز يختلف بالنسبة لمختلف المميزين، فللجاهل يعتبر تمييزاً لنفسه بعد عدم تمييزه، وللعالم تمييزاً لغيره، فإذ يقول الله الذي لا يعزب عن علمه مثقال ذرة فى الأرض ولا في السماء يقول هنا: لنعلم من يتبّع الرسول، «يريد بذلك أن جعل القبلة القدس لم

سبيل الله أو ادفعوا﴾ [آل‌عمران، ١٦٦ ـ ١٦٧]، ﴿وما أصابكم يوم التقى الجمعان فبإذن الله وليعلم المؤمنين . وليعلم الله من يخافه بالغيب﴾ [مائده، ٩٤]، ﴿وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوي عزيز﴾ [حديد، ٢٥].

١ . في اللسان ص ٣١٣ـ ٣١٤ باب علم: يُقال عَلَمت عِمَتي أعلِمها عَلماً وَعلَمَه رقمه في أطرافه وعلمَ يعلَم ويعِلم: جعل علامة، فقد يجوز أنّ يعلم في هذه الآيات من عَلَم بالفتح عَلماً، بل يتعين هذا اعتباراً بمحكمات الآيات أو أنه بمعنى التمييز إذا اعتبرناه من عَلِم بالكسر، كما فصلناه في المتن.

يكن إلّا لنميّز متبعي الرسول ممن ينقلب على عقبيه، نميزهم للجاهلين بهم ولأنفسهم، ولكيلا يدّعي المنافق الإيمان وليظهر إيمان المؤمنين.

ربي: عفواً يا أستاذ رجاءً أن تستعرض قصة آدم من القرآن ولكي نقارن فيها بين الكتابين.

قصة آدم الصحيحة في القرآن:

المناظر: أجل، هناك آي من الذكر الحكيم تستعرض القصة كما يناسب وساحة الوحي والربوبية، خالية عما يمس من كرامته وينال من ساحته، مهيمنة على التوراة، مطهّرة له عن الخرافات والعرقلات.

فهي تصدّق الرب في وعده وتكذّب عدوّه إبليس، رغم التوراة قائلًا: ﴿فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى * إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى * وإنك لا تظمأ فيها ولا تضحى﴾ [طه، ١١٧- ١١٩]، ﴿... يا بني آدم لا يفتننَّكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما﴾ [الأعراف، ٢٧]، ﴿... قال اهبطوا منها بعضكم لبعض عدوٌّ ولكم في الأرض مستقرٌّ ومتاع إلى حين * قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون﴾ [الأعراف، ٢٤- ٢٥].

فلم يكن في الأكل من الشجرة شيءٌ إلّا العصيان والخروج عن الجنة إلى شقاء الحياة الدنيا وبلائها، لا أنهما يكونان حينذاك عارفين كأحد الآلهة حسب التوراة!

﴿فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى﴾ [طه، ١٢٠]، ﴿فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما وُرِيَ عنهما من سوآتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلّا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين * وقاسمه ما إنّي لكما لمن الناصحين * فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين * قالا ربنا ظلمنا أنفسنا ... * قال اهبطوا بعضكم لبعض عدوّ

ولكم في الأرض مستقرّ ومتاع إلى حين * قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون﴾ (٧: ٢٠-٢٥).

فهذه تصاريح بيِّنة تصرِّح: أن وعد الخلود وأن يصيرا عارفين كالملكين هذا كان وعداً مكذوباً، من إبليس لا من الله، وأن غروره كان بالنسبة لآدم أو هو وزوجته، لا لها ثم منها اليه، وأنهما كان عليهما لباس الجنة قبل الأكل مستورة به عوراتهما، فانتزع عنهما بما عصيا، وأريا سوآتهما بعد الستر وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة، لا أنهما ما كانا يعرفان أنهما عريانان ولا يعرفان عوراتهما فعرفاها بعد الأكل من شجرة المعرفة، وأن الرب تعالى وبخهما بما عصيا، لا أنه سأل عن مكانهما وهو يمشي في شوارع الجنة، وأنه أخرجهما منها بما عصيا جزاءً وفاقاً، لا مخافة أن يأكلا من شجرة الخلد فيستزيدا خلود الحياة على المعرفة.

ثم إن القرآن لا يصرح باسم الشجرة ولا أن الجنة جنة عدن وخلود: ﴿وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين﴾ [البقرة، ٣٥].

ما هي جنة آدم وأين هي؟:

فليس هناك أية إشارة إلى أن الشجرة ما هي، فضلًا عن أنها شجرة المعرفة أم سواها، لا أنَّ أكلها سبب الموت، ولا أنَّ الجنّة عدن، وإنما الجنّة هناك بستان من بساتين الدنيا في بعض الأنجم المعمورة، للقرائن المتوفرة على أن جنّة الخلد لا يدخلها كافر ولا سيما الشيطان الرجيم: ﴿لأملأنّ جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين﴾ [ص، ٨٥]، كلّاً، إلّا المتقين: ﴿إن المتقين في جنات وعيون * ادخلوها بسلام آمنين﴾ [الحجر، ٤٥-٤٦]، ولا يخرج منها داخل: ﴿لا يمسُّهم فيها نَصَبٌ وما هم منها بمخرجين﴾ [الحجر، ٤٨]، وإنما يدخلها أهلها بعد الموت في جنة البرزخ التي هي روضة من رياضها ثم يوم القيامة يدخلونها خالدين، وأنها: ﴿لا لغو فيها ولا تأثيم﴾ [طور، ٢٣]، وقد أثم في

تلك الجنة إبليس والزوجان بغروره لهما، وأن ﴿وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين﴾ [الزخرف، ٧١]، وقد مُنع آدم وزوجه عما اشتهياه من الشجرة هناك!

ثم هنالك قرينة واضحة في آيات القصة على ذلك وكما تقول: ﴿هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى﴾ [طه، ١٢٠]، فلو كانت تلك الجنة هي جنة الخلد فما الحاجة إلى الأكل من شجرة الخلد حتى يطمع فيها آدم بغرور إبليس فيأكل منها لكي يخلد، أخلوداً بعد خلود؟ حيث الخلود للداخل في جنة الخلد غير مشروط بشيء؟

ثم هناك آيات تدلنا أن الجنة أطلقت على بساتين الدنيا كما أطلقت على جنات الآخرة، فكم هناك من بون شاسع بين القرآن المهيمن والتوراة! في هذه القصة فاقض ما أنت قاض!

* * *

المقارنة (٩)

إله التوراة يغضب فيصعد من فمه دخان ومن أنفه نار وينزل إلى الأرض على أجنحة الريح ويُرى عليها:

ربي: وأين هذا في التوراة؟

المناظر: في (٢ صموئيل ٢٢: ٧-١١) يحكي أن داود دعا ربه في ضنك وضيق: «في ضيقي دعوت الرب وإلى إلهي صرخت فسمع من هيكله صوتي، وصراخي دخل أذنيه ...

فغضب لذلك وصعد دخان من أنفه ونار من فمه أكلت جمراً اشتعلت منه، طأطأ السّمٰوات، ونزل وضباب تحت رجليه، ركب على كاروب وطار ورُئي على أجنحة الريح» ...

فإله التوراة حينما يغضب لا يملك نفسه حتى يصعد من أنفه دخان، ومن فمه نار، وينزل من السماء راكباً على كاروب على أجنحة الريح، كل ذلك لينجي عبده داود من كربه العظيم! حيث لا يقدر على إنجائه دون أن ينزل من مكانه السماوي! كما أن إله الإنجيل لا يقدر على إنجاه عبيده إلّا أن ينزل من لاهوت ألوهيته إلى ناسوت الجسم مسيحاً في رحم مريم البتول ليُصلب فيصبح فداء عن ذنوب عباده!

ربي: ويوجد هناك مثله في القرآن أن الله يأتي عبيده في ظلل من الغمام والملائكة: ﴿هل ينظرون إلّا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الأمر وإلى الله ترجع الأمور﴾ [البقرة، ٢١٠].

المناظر: كلا، فإن الآية تعتبر هذه النظرة الخاطئة الكافرة من زلات المحرفين، ولا تخبر بها وتستعرضها كحقيقة مصدَّقة، لا، إلّا قريناً بالتزييف وكما يقول: ﴿يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين * فإن زللتم من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا أن الله عزيز حكيم * هل ينظرون إلّا أن يأتيهم الله! ...﴾ [البقرة، ٢٠٨ ـ ٢١٠].

فهذا استفهام إنكارى منه تعالى يواجه به الذين زلوا واتبعوا خطوات الشيطان، وكانوا ينتظرون أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة... حتى يؤمنوا، كما وأن المشركين كانوا يقترحون على الرسول محمدﷺ أن يأتى بالله والملائكة قبيلاً[١] أو يروا ربهم: ﴿وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوّاً كبيراً * يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجراً محجوراً﴾ [الفرقان، ٢١ ـ ٢٢].

فيا عجباً منكم أن تعتبروا ما ينقله القرآن عن الضالين ثم يزيّفه، تعتبرونه من مقالاته المصدَّقة، نرجو أن تفكروا ثم تحكموا!

---

١. يشير إلى هذه الآية: ﴿أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتى بالله والملائكة قبيلاً﴾ [الإسراء، ٩٢].

* * *

المقارنة (١٠)

إله التوراة يرى لنفسه شركاء كموسى، ولهم أنبياء كهرون لموسى، وهو يبعث روح الكذب لإغواء أنبيائه ويصلب قلب فرعون لكيلا يؤمن و ...:

فهناك في التوراة من نسبة الظلم والمنع عن الخير وإرادة ضلالة النبيين وما إليها، شيءٌ كثير يمس بكرامة رب العالمين!

ربي: أين هذه من التوراة؟:

المناظر: في: (١ ملوك ٢٢: ٢٠: ٣٣). «إن الرب أمر روح الكذب أن يغوي جميع أنبيائه وقال إنك تقدر على ذلك».

«وفرعون أراد أن يؤمن بموسى فمنعه الله وصلب قلبه فلم يؤمن» (خروج ٩: ١٢ و ١٠: ١ و ٢٧ و ١١: ١٠).

«والله غضب على داود لما زنى بامرأة أورياه! فلسط الأجانب على نسائه لكي يزنوا بهنَّ قبال بني إسرائيل» (٢ صمو ١٢: ٩ – ١٥).

والله كدود الخلاف (هوشع ٥: ١٢) ودبٌ (مراثي أرميا ٣)!

ويرى الرب أن الآلهة كثير، بل الناس كلهم آلهة (مز ٨٢: ١– ٦ و يو ١٠: ٣١ - ٣٦)

أجل: وهو يجعل موسى إلهاً لفرعون وهارون أخاه نبيًّه: «فقال الرب لموسى انظر، أنا جعلتك إلهاً لفرعون وهارون أخوك يكون نبيًّك ... ولكني أقسي قلب فرعون وأكثر آياتى وعجائبي في أرض مصر ولا يسمع لكما فرعون» (حز ٧: ٤١).

فويل التوراة من هذه الخرافات الكافرة، ثم ويلكم حيث أخلدتم إليها إعتباراً أنها الوحي الإلهي الخالص، فمالكم كيف تحكمون!!

* * *

«تصاريح التوحيد في التوراة»

هل نُعتبر التوراة كتاب التوحيد لما فيها من آيات ـ أم التوحيد والشرك ـ جمعاً بين المتنافيين؟

الحداد: وإن تعجب فعجب قولكم: إن الكتاب الإمام كتاب الشرك والتجسيم وما إليهما من تزييف لساحة الربوبية، رغم أن هناك تصاريح وفيرة تدعوا إلى خالص التوحيد! فقد تعتبر التوراة كلمة التوحيد أول الوصايا العشرة: «أنا الله إلهك ... فلا يكن لك آلهة أخرى تجاهي، لا تصنع لك تمثالًا منحوتاً ولا صورة ما. لا تسجد لهن ولا تعبدهن، لأني أنا الرب إلهك إله غيور» (خروج ٢٠: ٢ – ٥).

ولنسمع صوت النبوة من فم أشعيا: ﴿قبلي لم يصوَّر إله وبعدي لا يكون، أنا أنا هو الله وليس غيري مخلِّص﴾ (٤٣: ١١).

فلقد سخرت التوراة من الوثنية والشرك بأبيات من الشعر الملهم وآيات من الوحي المنزل لم يسمع لها مثيل: «بمن تشبهون الله؟ وأي شبه تعادلون به؟؟ الصنم يسكبه الصانع يغشّيه بالذهب ويصوغ له سلاسل فضة! والفقير ينتخب خشباً لا يسوِّس، يطلب ماهراً لينصب صنماً لا يتزعزع»! (٤٠: ٨). «ليخرّ خزياً المتكلمون على المنحوتات! القائلون للمسبوكات: أنتن آلهتنا» (٤٢: ١٧).

ونسمع هتاف التوحيد الوحيد يتصاعد من كل الفصول: «أنا» أنا هو الله! «وليس آخر» (٤٥: ١٧).

ولنسمع صوت الزبور ـ كتاب صلواتهم عبر الأجيال ـ: «لا شبيه لك في الآلهة يا الله ولا مثل أعمالك! كل الأمم الذين صنعتهم يأتون ويسجدون أمامك يا الله ويمجِّدون اسمك.

لأنك أنت العظيم والصانع المعجزات أنت الله وحدك» (مز: ٨٥).

ولنسمع أصوات الحكمة المنزلة تتبعهم جيلًا بعد جيل وتقودهم إلى صراط التوحيد: «إن جميع الذين لم يعرفوا الله حمقاً من طبعهم، لم يقدروا أن يعلموا الكائن من الخيرات المنظورة ولم يتأمّلوا المصنوعات حتى يعرفوا صانعها! لكنهم حسبوا النار والريح والهواء أو مدار النجوم أو لجَّة المياه أو نيِّري السماء، آلهة تسود العالم! فإن كانوا إنما اعتقدوا هذه آلهة لأنهم خلبوا بجمالها، فليتعرفوا: كَم ربها أحسن منها! إذ الذي خلقها مبدئ كل جمال! أو لأنهم دهشوا من قوَّتها وفعلها: فليتفهموا بها كَم منشئها أقوى منها! ...

غير أن لهؤلاء وجهاً للعذر: لعلّهم ضلوا في طلبهم للّه ورغبتهم في وجدانه ... أما الذين سموا أعمال أيدي الناس آلهة: الذهب والفضة، وما اخترعته الصّناعة، تماثيل الحيوان، والحجر الحقير مما صنعته يدٌ قديمة فهم أشقياء! ورجاؤهم في الأموات!

إن اختراع الأصنام هو أصل الفسق ووجدآنها فساد الحياة، إنها لم تكن في البدء وليست تدوم إلى الأبد إنما دخلت العالم بحب الناس للمجد الفارغ، ولذلك قد عُزم على إلغائها من قريب» (سفر الحكمة، ١٣:١ ـ ١٠ و ١٤: ١٢ ـ ١٤).[1]

فهذا طرف من توحيد الكتاب الإمام رغم أنكم المسلمين تعتبرونه كتاب الإلحاد والشرك، وتحسبوننا مشركين ولا سمح الله!

الناظر: أجل إن شريعة التوراة، ولا شك، في أصلها شريعة التوحيد كما يصدِّقها القرآن ويزيد عليها معارف أخرى أعلى منها وأغلى، إلّا أن التوراة الحالية ـ منذ قرون حتى الآن ـ أصبحت كتاباً متناقضاً في شتى الأُصول والفروع لما تدخَّل فيها من أضغاث الأحلام وخرافات والأوهام.

والقرآن إذ يهدف توحيد الأُمم في توحيد الإله وفي دينه وشريعته، يميل بهيمنته على التوراة وغيرها من أسفار الوحي، فيصدّق صدق ما بقي فيها، كأمثال

١. القرآن والكتاب: احداد، ج ١، ص ٣٤ ـ ٣٥.

تلكم الآيات في دلالات التوحيد، ويزيّف زيف ما تدخّل فيها كما سلف من التعدد والتجسيم والجهل والعيّ والغيّ والخداع وما إليها!

فهو يدعو أهل الكتاب ـ الموحدين أصالة ـ يدعوهم إلى كلمة سواء بيننا وبينهم: ﴿ألا نعبد إلّا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنّا مسلمون﴾ [آل‌عمران، ٦٤].

يدعوهم ليعتصموا بحبل التوحيد الحق ويرفضوا الخرافات الوثنية التي نشبت فيهم من جرّاء الأوهام المظلمة والإختلافات العارمة والتقاليد الجاهلة: من التجسيم والتوليد و التثليث وما أشبهها، وإضافة إلى ذلك يفتح لهم وللعالمين أبواباً واسعة في معارف التوحيد وغيرها إلى حيث أصبحت هامّة آياته في تفصيل معارف والتوحيد.

فعلى أتباع الكتاب الإمام! أن يحذفوا عنه تلكم الخرافات التي تمسّ من كرامة الرب، و تنافي توحيده الحق، تصديقاً للقرآن حيث يدلهم إلى حقه عن باطله، وعدله عن مائله.

الحدّاد: لقد كانت اليهودية القديمية دائماً دين توحيد على أشد ما يكون التوحيد الصارم... يشهد بذلك الكتاب والقرآن، فمن تعوّد تلاوة الكتاب كما وصل إلى عهد النبى ﷺ وكما هو بين أيدينا اليوم، وجده دعوةً صريحة جارفة إلى التوحيد الشديد، وتنزيه الله عن كل شرك، وقد شهد لهم الإنجيل بالغيرة المفرطة في ذلك أنهم: يطوفون البر والبحر ليكسبوا ولو دخيلًا واحداً، فلابد إذا طافوا الجزيرة كلها والحجاز ليجعلوها لهم دار هجرة و مقام وديار تبشير وتوحيد[١].. فهم والمسيحيون والمسلمون أمة واحدة في توحيد الله: ﴿إنَّ هذه أُمّتكم أمّة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾ [الأنبياء، ٩٢].

١. القرآن والكتاب، ج ١، ص ٣٤ـ ٣٥

«توحيد الإنجيل والقرآن»

الإنجيل والتثليث الموحّد!:

ويستمر قائلًا: وإن زاد الإنجيل على التوحيد تفسيراً منزلًا لحياة الحي القيّوم في طبيعته الواحدة الأزلية، الحية المتفاعلة، القائمة على الذات والنطق الذاتي، (الكلمة) والحياة الذاتية والمحبة الذاتية: (الروح القدس)، تثليثاً موحداً، ما كانت البيئة الحجازية ـ البدائية ـ لتقوى على استساغته، بل كان يكفيها القليل من العلم المنزل: ﴿وما أُوتيتم من العلم إلّا قليلًا﴾ [الإسراء، ٨٥]، ما يزالون مع هذا التثليث الموحد أهل التوحيد المنزَّل وأهل الكتاب الأوّل الذي يجعل توحيد الله في مكان الأساس من الدين والدنيا.

القديس برنردوس: إن وحدانية الثالوث الالهي لها المقام الأعلى بين جميع الآحاد.[1]

المناظر: قبل كل شيء إننا نجد التوراة والإنجيل الأصليين، كما أنزلا على موسى وعيسى، وكما يعبر عنهما القرآن، نجدهما كتابي التوحيد، إلّا أنهما كما هما الآن قد نشبت وتدخلت فيهما أفكار وثنية وإلحادية كما سلف من التوراة، وكالتثليث الإنجيلي العارم، وقد يزيفهما القرآن في تصاريح.

---

١. في كتاب الملاحظة، ٥ ب ٨، نقلة عنه الخور نسقفوس جرجش شلحت السرياني الحلبي في هامش كتاب النجوى في الصناعة والعلم والدين ط بيروت ١٩٠٣.

ولا يكاد ينقضي العجب من الحدّاد والقديس برنردوس وأضرابهما حيث يعتبرون التثليث حق التوحيد وكماله، اعتذاراً عن توحيد القرآن الخالي عنه: أن البيئة البدائية الحجازية ما كانت تستسيغه لعلو محتده وغموضه، فما أوتوا من العلم إلّا قليلًا! ...

توحيد التثليث دون العقل لا فوقه:

رغم أن العقل والعلم هما اللذان لا يستسيغان توحيد التثليث لاستحالة، فليس هو أمراً فوق العقل، يصدّقه ولا يعرفه حق المعرفة، وإنما هو مستحيل دون العقل، يحيله ويكذبه، و ما هو إلّا من جرّاء الخرافات العتيقة الوثنية من الوثنيين من قبل، ضد ما أتى به الأنبياء: من التوحيد الخالص المعقول!

وأما قصة قلة العلم فهي عامة شاملة لمن سوى الله، مهما كان عالماً عبقرياً، فما علوم الناس وغيرهم في جنب العلم الإلهي إلّا قليلًا في قليل، وقد حُرم أهل التثليث حتى عن هذا القليل أيضاً حيث أخلدوا إلى تصديق قضية متناقضة، ألا وهي التثليث الموحد!

وأخيراً كيف لا تستسيغ البيئة البدائية الحجازية التثليثَ المسيحي المختلق وهو أقرب إلى ما كانت عليه في الجاهلية العمياء من الشرك، وقد كان لهم ثلاثمائة وستون إلهاً، فهل التنزل من هذه الكثرة إلى الثلاثة أهون أم إلى الله الواحد القهار؟، أم إن التنزل عن هذه الكثرة المادية من الآلهة، إلى ثلاثة على شاكلتها في التجسد، هل هو أقرب إلى استساغتهم، أم إلى الواحد المجرِّد، المستحيل تجسّده عن اللاهوت؟

ثم إن كان التثليث من كمال التوحيد فليكن التربيع والتخميس ثم فالأكثر الأكثر، ليكن ذلك كله أكمل وأرقى، وحينذاك فالوثنية الحجازية قبل الإسلام القائلة بثلاثمائة وستين إلهاً، هذه أرقى من التثليث، وإن نقصت عنها

لفقـدآنهاالجمع بـين الواحـدة والكثـرة، أجـل تـنقص عنهـا فـي الجمـع بـين المتناقضين!.

فعجبٌ من قوم يدّعون العقل والعبقرية ثم يجمعون بين المتناقضين لا في المعنى فحسب بل وفي التعبير أيضاً «توحيد التثليث» ثم يزيفون التوحيد الخالص أنه للبيئة البدائية لعرب الحجاز السذج بعد الإسلام، وكذلك الوثنية قبل الإسلام، حال أن للوثنيين العرب أن يعتبروا وثنيتهم من توحيد الوثنية اعتباراً وبحدة الثلاثمائة والستين وثناً مع الإله الواحد اللاهوتي، وهم معهم شركاء في الوثنية على شاكلة أخرى، إذ إنَّ الباطل له ألوان وللحق لون ناصع لا يتبدل، وهو التوحيد الخالص غير المزيج بشيءٍ مما ينافي الوحدة الحقيقية.

* * *

المقارنة (١١)

الله في الإنجيل، كيانه وكينونته:

الثالوث المقدس في الإنجيل:

استعراض عقيدة الثالوث عن نفر من علماء الإنجيل:

حكم الإنجيل والكتب المقدسة في الثالوث ...:

الدكتور بوست:[1] «الله يعني الحادث بنفسه وهو اسم لخالق الكون وهو الروح اللامتناهي الأزلي وجوداً وحكمة وقدرة وعدلاً وكرامة، لا يتغير ولا يتبدل، قد يتجلى في خلقه بجلوات مختلفة (روم ١: ٣٠) وكما تجلى في المسيح، وطبيعته الألوهية يُقصد منها أقانيم ثلاثة متساوية الجواهر (مت ٢٨: ١٩ و ٢ قر ١٣: ١٤) يعني إله الأب وإله الابن و إله الروح القدس، إله الأب خلق

١ . في قاموس الكتاب المقدس

الخلق بواسطة الابن (مز ٣٣: ٦ وكو ١: ١٦ عب ١: ٢) والإبن هو الفادي، والروح هو المطهِّر، وهذه الأقانيم في مرتبة ومدرجة واحدة وعمل واحد.

وأما صفاته تعالى فهو القدّوس (يوش ٢٤: ١٩) ولا يفنى (١ تيمو ١: ١٧) وفي كل مكان (مز ١٣٩: ١٧ ع ١٧: ٢٤) وقدير على كل شيء (تك ١٧: ١) وليس كمثله شيءٌ (مز ١٠٢: ٢٦) والعادل (١ـ ٩: ٢٤) والرحيم (مز ١٣٦) والحكيم (أيوب ١٢: ١٣) المحب (١ يو ٣: ١٦) ولاتجوز الصلاة لغير الله (مت ٤: ١٠ مقابلة مع تث ٦: ١٣ و ١٠: ٢٠) إلّا أن يصلّى للمسيح وروح القدس، لأنهما أيضاً من جوهر الألوهية وكنهها (١ ع ٧: ٥٩- ٦٠ وقر ١ـ ١: ٢ وفلي ٢: ٩ مقابلة).

ولربما راح المنجي يسوع إلى الصحراء منفرداً يدعو (مت ١٤: ٢٣ و ٢٦: ٣٩ و مر ١: ٣٥ و لوقا ٥: ١٦) وأرفع صلاةٍ وأعلاها التي تربو على صلاته كلها، ما صلّاها أخيراً مع الحواريّين (يو ١٧: ١ و ٦: ١٩ و ٢٠: ٢٦) وشكر المسيح ربه حيث استجاب دعوته (يو ١١: ٤١ ـ ٤٢) واستعان بربه حينما سُلِّم إلى الصليب (يو ١٢: ٢٧) وسأله: إلهي ألهي لم تركتني وذلك حينما صلب»!!!

الدكتور باطر:[1] «أجل إن التعاليم المنيرة المسيحية مركّزة على الإعتقاد بوجود إله مثلث الأقانيم منذ البدء، فقد انكشف لنا من الكلام الإلهي توحيد الثالوث وأن ذات الإله القدّوس الأزلي واحدٌ في الكينونة والأقانيم الثلاثة إله واحدٌ في هذه الأقانيم، يعني: أنهم أطوار متباينة وجودية، وهي الواحد الأقدس الأزلي، أجل إنهم واحد في الألوهية ممتنعي القسمة، وواحدٌ في القدرة والجلال، ولكلٍّ شخصية وألوهية».

الدكتور فندر: عباراتنا شتى وحسنك واحد وكلٌّ إلى ذاك الجمال كثير، فالمسيح هو الله وابنه من الناحية الروحية، وهو ابن الإنسان من الناحية الجسمية، وهو الله وابنهابن الإنسان من الناحيتين، والله وابنه وروح القدس ثلاثة في واحدٍ

---

١. في كتابه أصول الديانة المسيحية وفروعها المطبوع ١٩٢٦ فاروس طهران، ص ٢٧.

وواحدٌ في ثلاثة، و هذا هو توحيد التثليث ـ رمزٌ غيبي وسرٌّ إلهي وكشفُ لاهوتي ـ وقد امتاز التوحيد في ديننا بذياك الثالوث المقدّس ... أجل إننا سبقناكم وجميع الملّيين في شتى الميادين ومن أهمها الثالوث رغم إعضاله وغموضه.

تناقضات في خرافة الثالوث:

المناظر: هذه الجملات ـ على طولها ـ لا تزداد الباحث إلّا عجباً وحيرةً، أن كيف يمكن الإعتناق بمثل تلكم الخرافات التي يكذّبها العقل والدين، فهذه التهكمات الزور بين ما لا أساس له ولا سناد من الإنجيل، و بين ما هو من الإختلافات الوثنية والبولصية التي تدخلت وتسرّبت فترسبت في هذه الأناجيل وقد فصّلنا القول في بينتها وأطوارها عبر القرون الإنجيلية، و أخيراً هي مناقضة لتصاريح الإنجيل في التوحيد الخالص.

تصاريح الإنجيل المتناقضة في الله والمسيح:

فقد يصرّح الإنجيل: أن المسيح ابن الإنسان (كما في ثمانين موضعاً).[١]

وأن الحياة الأبدية: معرفة الله بالوحدانية وأن المسيح رسوله (يوحنا ١٧: ٣)

ويقول المسيح: أول الأحكام أن نعرف أن إلهنا واحد (مرقس ١٢: ٢٩).

وقال له الكاتب لقد قلت حسناً إن الله إله واحد وليس غيره من إله ولما رآه المسيح عاقلاً في جوابه وكلامه خاطبه قائلًا: لست بعيداً عن ملكوت الله (مرقس ١٢: ٣٢ و ٣٤).

وثانية: أنه ابن الله (مت ٣: ١٧) وأول مواليده (عب ١: ٩) وابن الله المبارك (مر ١٤: ٦١) والوسيط بينه وبين خلقه (تيموثاوث ٢: ٥).

---

١. ومنها متى ٨: ٢٠ـ ٩: ٦/ ١٦: ١٣ و ٢٧ / ١٧: ٩ و ١٢ و ٢٢ / ١٨: ١١ / ١٩: ٢٨ / ٢٠: ١٨ و٢٠ / ٢٤: ٢٧ / ٢٦: ٢٤ و ٤٥ و ٤٦ / هذه تصاريح متى وكذلك في الثلاثة الأخرى.

وثالثة: أنه هو الله والكلمة (يو ١: ١) **الأزلي** (عب ٩: ١٤) والرب: وقد كرّر في الأناجيل، ومثل يهوه/ الله: يرسل أنبياء وحكماء وكتبة (متى ٣٣: ٣٤- لوقا ١١: ٤٩) ومثل يهوه هو رب الشريعة، فبِقدرته الشخصية يتمم ناموس موسى ويعدِّله (متى ٥: ٢١) ومثل يهوه يعقد عهداً مع البشر (متى ٢٦: ٢٨ مرقس ١٤: ٢٤ لوقا ٢٢: ٢٠) فالإيمان الذي يقتضيه يسوع إنما يقتضيه لنفسه، فيريد أن يكون هو موضوع الإيمان وسببه (لوقا ٩: ٢٦) ويرضى بأن تقدَّم له عبادة دينية- فيقبل السجود له- ذلك السجود الذي حسب العقلية اليهودية والمسيحية (استير ١٣: ١٢- أعمال ١٠: ٢٦- رؤيا يوحنا ١٩: ١٠. ٢٢: ٩) يعود إلى الإله الحق وحده (انظر متى ١: ٢٥ و ٨: ٢ و ٩: ١٨ و ١٤: ٣٣ و ٢٨: ٩. ١٧).

ورابعة: أنه عمانوئيل: الله معنا (مت ١: ٢٣) «مزيج في ذات الله»!!

فهل يمكن أو يعقل اتحاد الأب والولد، أو العبد والمعبود؟ أم كيف يتصور أن يكون المسيح إلهاً بلاهوته وعبداً بجسمه ناسوته! فهل إن للجسم المستقل عن الروح تعقّلًا أو شعوراً، حتى يكون عبداً؟ أو أن اللاهوت محدود حتى يُحدّد في الجسم؟

إذ ذاك فإننا لا نجد في هذه الأقاويل إلّا تناقضات: أن يكون المسيح إلهاً حال أنه ابنه، و معبوداً حال أنه عبده، وواحداً حال أنه ثلاثة، وثلاثة حال أنه واحد؟!

فـ «باطر» قد يوحِّد الله في الكينونة ثم يكثِّره في العدد قائلًا: هم اطوار متباينة وجوديّة ... إنهم واحد في الألوهية ممتنعي القسمة، ولكلٍّ شخصية مستقلة إلهية!

لها سبعة أبواب: مناقضات:

و«بوست» يبدأ كلامه: الذي يستعرض فيه نظرات الإنجيل حول الإله، يبدأه بتفسير كلمة «الله» يفسرها أولًا: أنه الذي حدث بنفسه! والعقل يحيل هكذا تفسير من ناحيتين:

١ ـ حدوث الإله الأزلي. ٢ ـ حدوث شيء بنفسه، المقتضي لسبق وجوده على نفسه! مع تصريحه بأزلية الإله يعني لا أوليّته!.

ثم مناقضة ثانية في قوله: أنه لا يتغير، وأنه يتجلّى في جَلَوات مختلفة، المقتضية لتغيّره في تلكم الجلوات، كيف لا! ومن هذه الجَلَوات تجسّده من اللاهوت والتجرّد في رحم مريم البتول!

وثالثة: تعبيره عن ذات الإله بالطبيعة المعبِّرة عن الأجسام، وأنها أقانيم ثلاثة والأب خالق بواسطة الابن!

فهل ولَد الإبن حينما ولَده بواسطته أيضاً، فهذا تقدُّمُ لوجود الإبن على نفسه! وإلّا فلا حاجة إلى وساطة الإبن في سائر الخلق أيضاً، فإنه أهون من خلق الإبن.

ثم إن كان الابن نفس الأب جوهراً دون تفاوت ذاتي بينهما، فما معنى الوساطة؟ وهل إن الشيء يوسِّط نفسه فيما يريد؟.

ورابعة: يجعل هذه الأقانيم في مرتبة وعمل واحد، فما لهذه الوحدة المثلثة تمتاز في إحداها بعنوان الأب الوالد، وفي الأخرى بالإبن المولود، مختلفي المرتبة هكذا، ثم في الأب بالأصالة وفي الولد بالوساطة: مختلفي العمل!

وخامسة: يأخذ في سرد صفاته: أنه ليس كمثله شيءُ وإذ ذاك فلمَ شبّهتموه، بعبد المسيح إلى حيث اعتبرتموهما واحداً لا يختلفان في حقيقة الألوهية؟ وأنه لا يفنى، حينذاك فِلَم تقتله اليهود صلباً؟ وأنه قديرُ على كل شيء: إذاً فلم لم يقدر على التخلص من اليهود؟

وسادسة: أن الصلاة لا تجوز إلّا للّه، إلّا للأقنومين الآخرين: ولو كانت ذواتهم واحدة فلتحسب الصّلاة المتجهة لواحدٍ منهم إلى الآخرين أيضاً!

وسابعاً: يذكر أرفع صلوات المسيح، وأنه شكر ربه واستعان به وسأله: إلهي لمَ تركتني؟ فهل تحلّلَ المسيح حينذاك عن لاهوت الألوهية فاحتاج إلى إله الأب أم بقي على لاهوته؟ وإذ ذاك فَلِم يستدعي منه، رغم أنه القدير كمثله ويزيد عليه قوة أنه: الوسيط بينه وبين خلقه، وأنه يستدعي من نفسه اعتباراً بأنه الله! فكيف يستدعي الإله من نفسه؟ وكيف يسيطر عليه عبيده الذين بيده نواصيهم؟

... فهذه أبواب سبعة جهنمية يفتحها ممثِّلوا شريعة الإنجيل عليها اعتباراً أنها توحيد التثليث.

تصاريح المسيح تناقض وألوهيته:

... وإنما الحق والصدق هنا تصاريح المسيح ﷺ نفسه: أنه عبدالله ورسوله، وأن الله تعالى فوقه وفوق الخلق أجمعين، فلا وحدة بينه وبين أحدٍ ممن سواه، ولا مماثلة ولا مشاركة:

فالمسيح الصدق خاضع في جنب الرب إلى حيث لا يرضى أن يقال له: صالح: «و إذا واحد تقدم وقال له: أيها المعلم الصالح ... فقال له: لماذا تدعوني صالحاً؟ ليس أحدٌ صالحاً إلا واحد وهو الله» (متى ١٩: ١٦- ١٩) (مر ١٠: ١٨) (لو ١٨: ١٩).

فهل إنَّ هذا العبد يدَّعي أنه يساوي ربه في الجوهر؟ وأن يُصلَّى له كما يُصلَّى للَّه؟ وأنه مع ربه في مرتبة وعمل واحد على حد تعبير بوست؟.

كلَّا: إنه بالرغم من هذه الفرية يندِّد بالذي يعتبره إلهاً، أو في درجته، أو يسميه ربّاً:

فيندّد ببطرس ويعتبره شيطاناً، إذ قال له: «حاشك يا رب! فالتفت وقال بطرس: إذهب عني يا شيطان. أنت مَعْثَرةٌ لي، لأنك لا تهتم بما للَّه لكن بما للناس» (مت ١٦: ٢٢- ٢٣).

فهذه تصريحة بيِّنة يستنكر فيها المسيح ﷺ إطلاق كلمة الرب عليه، فيعتبرها معثرة شيطانية من بطرس، لأن في ذلك اهتماماً بالخلق، وإعراضاً عن الخالق: «أنك لا تهتم بما للَّه» حيث الربوبية ليست إلّا له تعالى، وقد نسبها بطرس إلى الناس إلى المسيح!! فاهتم للخلق فيما يخص الخالق.

وكذلك يندد بمن يعتبره معادلاً للَّه، حيث اليهود اعترضوا عليه لكونه شفى مريضاً في البست فأجابهم: أبي يعمل وأنا أعمل، فمن أجل هذا

قالوا: إنه كسر السبت وجعل نفسه معادلًا للَّه! (يوحنا ف ١٧)، فإنه يعتبر كونه عِدلًا للَّه افتراءً عليه وزوراً نسبته إليه اليهود، حيث يعمل بعض الأعمال الإلهية التشريعية ككسر السبت بأن شفى فيه مريضاً.

الأسقف: التثليث سرٌّ إلهي لا يفهمه ولا يعقله السذج المسلمون ولا غيرهم، وإنما يجب الإيمان به حسب الأصول المقرّرة المسيحية منذ قرون، وأنتم أيضاً كمثلنا تؤمنون بالله وتوحّدونه معترفين أنكم لا تحيطون به علماً.

المناظر: الإيمان بالله دون أن ندرك ذاته، يختلف عن الإيمان بما ينافي العقل، فالإيمان بالله نتيجه الأدلة العقلية، كما وأن توحيد التثليث يحيله العقل لإستحالته ذاتياً، فهناك بين الإيمانين بون شاسع كطرفي النقيض، الواجب والممتنع، حيث الإيمان بوجود الخالق ضروري تدل عليه البراهين القاطعة، رغم الإيمان بتثليثه فإنه إيمان يزيّفه العقل للتناقض.

القديس امبروسيوس:[١] «دع الألة حيث يبحث عن الإيمان».

القديس ايلاريوس: «نبحث ونحن مؤمنون حائرون في ميدان الحقيقة، ونسأل بعنادٍ شريف البراهين الفلسفية إثبات إيماننا».

القديس يوحنا الدمشقي: «بالإيمان نعرف سرَّ الثالوث الأقدس، و نعبده بالإيمان لا بالأبحاث والبيّنات».

المناظر: إذا تركنا الدليل على الإيمان حيث نبحث عن الإيمان، إذاً فلنترك الإيمان إذ لا يعضده دليل! فالإيمان دون دليل قاطع عقلي يمليه على الإنسان، هذا إيمان كاسح أعمى، وإن العقل وبراهينه تنافي الإيمان بالتثليث، إذاً فهذه العقيدة تنافي العقل، ثم يجب على كافة المجانين وسائر من لا يعقل أن يكونوا من المثلثين المسيحيين، حيث لا عقل لهم يمنعهم عن تصديق التناقضات!

---

١ . ينقله عنهما الخور فسقفوس جرجس شُلَحُتْ السرياني الحلبي في كتابه: «النجوى في الصناعة والعلم والدين» ط بيروت ١٩٠٣.

وأخيراً فهل يوجد أي سناد قاطع وحجة ساطعة للرد و القبول في مختلف العقائد إلّا العقل؟ فإذ لا عقل فلا إيمانَ صحيحاً، فكيف يسأل القديس إيلاريوس بعنادٍ شريف البراهين الفلسفية؟ أعناداً للفلسفيات الشريفة العقلية، ثم وداداً للعرقلات الشريرة المجنونة؟ أترجيحاً للجنون واللاشعورية علىٰ العقل والشعور، وللظلمات على النور؟! بل والمجنون لا يصدق التناقض!

الأب فرنسيس فريبة:[١] ... إننا لا نحاول أن ننفذ إلى أعماق سرّ شخصية المسيح وندرك كنهه ... وهيهات أن يُسبر غور محيط الأسرار الإلهية ... فمن يستطيع أن يدرك عمق الله؟ والواقع أن كل محاولة عقلية قامت بتفسير الأسرار الإلهية باءَت بالفشل، وانتهت إلى السقوط في سلسلة من الهرطقات ... فالكنيسة بالعموم لا تفسّر الأسرار الإلهية بالعقل والفلسفة، وإنما تقدم الأسرار الإلهية للعقل البشري على نحو يلائم طبيعته، وهذا ما فعلته في سرّ التجسُّد بنوع خاص، فإن مجمع أفسس وخلقيدونيا حدّدا هذا السر مستندين إلى نصوص الوحي فقط، لا إلى نور الفلسفة في تعريفها لمفهوم الطبيعة و الأقنوم ... (ص ٦٣) وبالتالي سرّ الثالوث الأقدس لا يناقض العقل ... ولكنه يفوق العقل ...

(ص ٦٤) فمن مقالات المسيح ينقلها عنه القديس يوحنا «الحق أقول لكم قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن» ويقول يوحنا: «الكلمة صار جسداً» فإذن في المسيح وجودٌ أزليّ، وجود حادث، إن الوحي يعلمنا: أن الله صار حقاً إنساناً، وأنه إله حقيقي وإنسان حقيقي ...

فشخصية المسيح شخصية فريدة في نوعها، هو إله وإنسان، يقوم في شخص واحد فقط: (شخص الكلمة الإلهية الأزلى) وفي طبيعتين: إلهية وبشرية، وهذا التحليل هو مفتاح سر شخصية المسيح وبه ندرك حياة المسيح الباطنية والخارجية، كما أننا ندرك قيمة أفعاله الفدائية اللّانهائية (٦٥- ٦٦).

---

١. في كتابه: «التجسّد» نقله إلى العربية الأب لويس ابادير، ص ٥٤- ٥٥.

نحن نتمسك بأن الكلمة قد اتّحد أقنوميّاً بجسد له روح عاقلة، وصار إنساناً بطريقة لا تقبل التعبير والإدراك، وعندئذٍ دُعِيَ ابن الله، ليس بموجب النعمة أو بموجب إرادة الله، ولكن بموجب وحدة الأقنوم الإلهي ... وإن كانت الطبيعتان مختلفتين، إلّا أنهما اتحدتا في وحدة حقيقة في مسيح واحد: إبن واحد ناتج عن الإثنين.

والآن فالمعنى البسيط للقول بأن الكلمة صار جسداً، هو أنه قد اشترك مثلنا في اللحم و الدم، أنه جُعِلَ بذاته جسداً شبيهاً بجسدنا، ووُلِد كإنسان من إمرأة، ولكنه لم يتخلَّ من أجل ذلك عن جوهره الإلهي ومنزلته كابن للأب السماوي، إنه لما ظهر في الجسد ظل على ما كان عليه.

... هذا ما يعلم به المعتقد المستقيم في كل آن ودينٍ، وهذا ما نجده في جميع الآباء (٦٦- ٦٧).

لو دويغ اوث:[١] «تعبِّر الكنيسة عن إيماناً بألوهة المسيح وبنوته الإلهية في قوانين الإيمان كلها: «هو إذاً إيمان مستقيم أن نؤمن ونعترف بأن سيدنا يسوع المسيح ابن الله هو إله وإنسان، هو إله من جوهر الأب مولود قبل الدهور، وإنسان من جوهر الأُم مولود في الزمان، إله كامل وإنسان كامل» (D٤٠٢، انظر D٥٤، ٨٦، ١٤٨، ٢١٤، ٢١٥، ٢٩٠) وتعلن العقيدة أن ليسوع المسيح طبيعة إلهية مع كل كمالاتها غير المحدودة بسبب ولادته الأزلية من الله الأب».

الحداد: أجل ... إن توحيد التثليث من أرقى مراتب التوحيد ولم تكن البيئة البدائية في الحجاز لتقوى على استساغته، لأنهم ما أوتوا من العلم إلّا قليلًا! والنصرانية منذ كانت هي دين التوحيد مع قولها بعقيدة التثليث في الطبيعة الإلهية الواحدة، فالتثليث المسيحي الصحيح لا يعدِّد ولا يجزِّء اللاهوت الواحد في الله الأحد، فالنصرانية أولًا وأخيراً «تؤمن بإله واحد» كما ينص عليه مطلع

١ . الالماني في كتابه «مختصر في علم اللاهوت العقائدي»، ج ٢، ص ١٦، نقله إلى العربية الأب جرجس المارديني.

دستور إيماننا الذي هو شهادتها تحت كل سماءٍ، ومن ثم فالإيمان في ألوهية عيسى ـ لا في تأليه عيسى ـ وفي تأنّسه وتجسّده، لا يزيد شيئاً ولا ينقص شيئاً من طبيعة الخالق الواحدة.

إذاً فالعقيدتان المسيحيّان: «التثليث والتجسيد» لا تَمِتّان إلى الشرك بصلة: إنهما من صميم التوحيد، وتعتبرهما النصرانية القويمة في معناهما الصحيح تفسيراً منزّلًا لحياة الحيّ القيّوم في ذاته السامية، كما نزل به الإنجيل.

وهذا التعليم الكامل لم يكن الرسل والحواريون يبشّرون به لأول وهلة، بل كانوا ينادون بالتوحيد، الأركان الأولى لأقوال الله، في ديار الوثنية والشرك، وبعد توطيد الإيمان كانوا يفسّرون للمؤمنين غنى الطبيعة الإلهية في تفاعلها اللّا محدود، وتثلثها الذاتي اللامتناهي، على قدر ما يمكن للعقل البشري المحدود أن يستوعب حياة الحيّ القيّوم اللا محدودة.[1]

المناظر: هذه شهادة صريحة من الحداد أن التوحيد يختلف عن التثليث حيث يقرُّ أن الحواريّين كانوا ينادون بالتوحيد في البداية، ثم بعدئذ فسَّروه بالتثليث أي: تفسيراً للشيء بضده، وتفسيراً للواحد أنه ثلاثة، ثم جمعاً بين النقيضين: أن الواحد في وحدته ثلاث، والثلاث في تثلثه واحد.

ثم الأب فرنسيس فريبة يحاول تفسير سر التجسد ولا يأتي بشيء طوال كلامه تجواله في شتات العبارات، لا يأتي أخيراً إلّا بالجمع بين المتباينين المتناقضين في شخص واحد هو المسيح، حيث يعتبر الإله متجسداً، ومحدودية الجسد تنافي حلول الإله فيه بلاهوته اللانهائي، إلّا أن يتجزأ في لاهوته فيتصل منه جزء بالجسد، رغم أن المجرَّد غير المتناهي لا أجزاء له لكي ينفصل منه جزءٌ يصلح للإتحاد بناسوت الجسم، ثم قبل ذاك يعتبر سر التجسد فوق العقل، حال أن العقل هو الذي يدرك استحالته يزيفه ـ أيّاً كان ـ فليس إلّا دون العقل ومحكوماً

١ . القرآن والكتاب للحداد، ص ٤٤.

عليه بصريح حكمه! وأخيراً قصة الثالوث، اعتباراً أن المستحيل فيما كان ـ لا يستحيل في جنب قدرة الإله ـ و لازمه جواز الجمع بين الوجودت والعدم في ذات الله، وكذلك ما إليه من المناقضات، اعتباراً أن استحالة التناقض مستثناة في جنب الإله.

ثم إنه في بداية كلامه يُحيل أن يسبر الإنسان غور السرّ الإلهي، وبعد قليل يسبر غوره و يحدِّده بناسوت الجسم، استناداً إلى النصوص الوحي في زعمه، فكأن الوحي يستطيع أن يجمع بين المتناقضين، أو يفسر ما يستحيل للإنسان أن يسبر غوره!

و«لوديغ أوث» يتناقض في كلامه، فيعتبر المسيح من جوهر الأب، وأنه مولود قبل الدهور، حال أن الولاده ـ كيفما كانت ـ فإنها حدوثٌ لا محالة، وجوهر الأب أزلي دون ريب! ثم يعطي للمسيح ما للإله من كمالات إلهية غير محدودة اعتباراً بولادته الإزلية، رغم أن الأزلية والولادة متناقضتان، إذ الولادة حدوث والأزلية لا حدوث! ...

«إيريناوس»: لقد بيِّنت بالكفاية أن كلمة الله المتجسّد هو الذي علّق على الصليب.

ترتليان: إن الله صلب حقاً ومات حقّاً وقام حقّاً (عن جسد المسيح).

هيلاريوس: إننا نبشر دائماً بصلب وموت ابن الله.

كيركس الإسكندري: ما هو خاص بالناسوت يصبح خاصاً بالكلمة، وما هو خاصّ بالكلمة يصبح خاصاً بالإنسان.

اغسطين: إن العظيم في صورة الله هو نفسه الحقير في صورة العبد.[1]

استحالة الثالوث في محكمة العقل:

المناظر: القول الفصل هنا وهناك أن: بيئة الحقائق والأمور في جنب العقل ثلاث:

١. نقلها في ص ٧٠، الأب فرنسيس فريبة في كتابه «التجسد».

١ ـ ما يُحيله على علمٍ واطمئنان، ومنه توحيد التثليث لاشتماله على تناقضات بيّنة كما سلف وسوف نأتي على تفصيله، فليس هذا فوق العقل بمعنى أنه يصدقه ولا يدركه، فإنما العقل يبطله ويُحيله، فهو دون العقل ومحكوم لديه بالبطلان إطلاقاً.

٢ ـ ما يجوِّزه ولا يدرك ذاته كذات الإله، حيث البراهين العقلية والفطرية والكونية تثبت أن هناك إلهاً خلق الكون: ليس كمثله شيءٌ، لكن العقل لا يدرك ذاته، ولا يتمكن من إدراكه، إلّا أنه يصدِّق وجوده بالضرورة.

٣ ـ ما يجوِّزه ويدركه كغيرهما من الممكنات المحسوسة ...

إذاً فللعقل أن يحكم في جميع ما يبحث عنه: إما بضرورة الوجود أو العدم أو الإمكان.

الدكتور فندر: هب إن ذلك مستحيل في عقولنا الضعيفة، إلّا أنه لا يستحيل عند الله وفي جنبه فإنه على كل شيءٍ قدير، وباستطاعته أن يكون واحداً في ثلاث وثلاثاً في واحد، فلا يضاهي شيءٌ من الرب شيئاً ممن سواه، وهناك توافق النص منا (مز ١٠٢: ٦٢) ومنكم (٤٢: ١١) أن: ليس كمثله شيءٌ، وأن الله على كل شيءٍ قدير (تك ١٧: ١) و(٢: ٢٠).

المناظر: المستحيل مستحيل أيّاً كانت ظروفه، فلا يتعلق به القدرة بتاتاً، وليست الإستحالة أمراً نسبياً حتى تجعل ميسورة في جنب الله رغم استحالته لمن سواه، وإلّا أصبحت القضايا التالية أيضاً ممكنة في جنب الله:

١ ـ الله موجود ومعدوم.

٢ ـ عالم وليس بعالم.

٣ ـ خالق وليس بخالق ...

فهل تسمحون بتصديق أمثال هذه المتناقضات لكونها في جنب الله؟.

فندر: لنفرض أن توحيد التثليث مستحيل في نظر العقل، إلّا أن الإيمان فوق العقل ولا اعتبار بحكم العقل في جنب حكم الإيمان!

المناظر: ... يا ويلاه! هل يتجه التليف بالإيمان وما إليه من تكاليف، إلاّ إلى العقلاء بسناد العقل، وهل يكلّف المجنون والصبي الذي لا ميز له بالإيمان، فإذاً لا عقل ولا تعقُّل و تصديق منه، فلا إيمان!

فهل تريدون أن تركّزوا بناية الإيمان في المسيحية على خلاف العقل والعلم، حينذاك فكل من يريد الإيمان بتكلم العقائد، لا بدّ له أولًا التحلّل عن العقل وأحكامه البيّنة، فما لكم كيف تحكمون؟

تصاريح التثليث في الانجيل زعم الانجيليين:

الدكتور باطر:[١] فما نصنع بالتصاريح الإنجيلية المقدسة كما في (يوحنا:١:١-٥) «في البدء كان الكلمة والكلمة كان عندالله وكان الكلمة الله. هذا كان في البدء عند الله. كل شيءٍ به كان وبغيره لم يكن شيءٌ مما كان. فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس. والنور يضيء في الظلمة والظلمة لم تدركه».

فالكلمة هنا هو المسيح الذي كان إلهاً ثم تجسّد فصار إنساناً، وهو القائل: أنا والأب واحد (يوحنا ١٠: ٣٠) وتوما الحواري يخاطبه: إلهي إلهي (يوحنا ٢٠: ٢٨) ولم يمنعه المسيحﷺ، ورئيس الكهنة يسأله: تالله الحيّ قل لنا: هل أنت المسيح ابن الله أم لا؟ ويجيبه:

أنت قلت (مت ٢٦: ٦٣) ومعناه في الإصطلاح العبري: أن القول الحق كما قلت ...».

المناظر: ما هذه الجملات ـ على حد تفسيركم ـ إلاّ مناقضة لتصاريح أخرى تنفي عنه الألوهية، كما مضت، ثم للبراهين الساطعة العقلية وتصاريح الأنبياء من قبل على بطلان التثليث، لتناقضه في أصله واختلافه عما بعث له الأنبياء كافة، و قد يأتيكم بيان فصل حول الآيات في يوحنا.

---

١ . في كتابه اصول الديانة المسيحية وفروعها، ص ٣٠.

ثم هب أن تصاريح الإنجيل متواترة على التثليث، فلا يتضح لنا إذ ذاك إلّا أنها بأجمعها من دسّ المحرّفين وعقائد الوثنيين من قبل!.

* * *

«سر تجسُّد اللاهوت»

الدكتور باطر:[1] هذه تضحية ربانية وفداء الإله بجسمه تخليصاً للإنسان عن ذنبه ...

فليس لنا أن نتصور: أن الله تزوج وولد المسيح! بل إن المسيح هو الأقنوم الثاني وهو من الأقنوم الأول ويضاهيه ويساويه في القدرة والجلال.

إننا نعتقد أن ابن الله الأزلي تجسد بقوة روح القدس في رحم الباكرة مريم وتولّد منها إنساناً بلا ذنب (١ بط ٢: ٢٢) وهو إله وإنسان في ذاتين متباينين في شخص واحد مع الأبد، ومنذ أذنب آدم حتى ولادته لا يخلو إنسان من أي ذنب إلّا المسيح.

إنه تجسد وصلب تضحيه عن خطايانا، و هذه هى النقطة الأساسية في المسيحية: إن المسيح افتدى لمحو الذنوب، وكفى به إمحاءً عن ذنوب العالمين.

أجل إن الله تصوّر بصورة المسيح ابنه لكي يصلح كفارةً لذنوب أمّته وعباده، لذلك اقترب منا وصار كمثلنا.

الأسقف: أجل، إنه لما أذنب آدم وزوجته، صار العصيان فطرةً ذاتية لولده، ولقد أراد الله أن ينجّي الإنسان عن درَن العصيان، لذلك نزل عن لاهوت الألوهية وتجسّد في رحم مريم فتولّد بصورة المسيح وصُلب، ولكي يكون ذلك تطهيراً

---

١. في كتابه اصول الديانة المسيحية وفروعها

لنسل الإنسان المؤمن به عن العصيان، فياله من إله بَرٍّ رحيم، ومن ابن رؤوف كريم، فالراعي العدل من يضحي لأجل من يرعاه!!

(وهذا هو المصطلح عندهم بالتجسد الشرطي كما هو رأي التوماويين، ويعارضهم السكوتيون القائلون بالاختيار المطلق للتجسد وأنه مجد الله بحيث أن ابن الله كان قد تجسد حتى بدون الخطيئة الأصلية، وقد دعا قبل السكوت إلى هذا التعليم إسحاقُ النينوي في القرن السابع وروبرت دوتز (Deutz) والقديس البرت الكبير، إلّا أن الكتاب المقدس يضع غاية التجسد افتداء البشر من خطيئتهم بينا هو لا يشير أبداً إلى أن التجسد كان يكون بدون الخطيئة الأصلية.

من أدعية الشرطيين: «يا لها من خطيئة سعيدة تلك التي استحقت لنا هذا الفادي العظيم» (صلاة (Exultet) تُقال في رتبة النور ليلة الفصح عند اللاتين)[1]

المناظر: إن الفداء الشرطي لا تزيد خرافة التثليث إلّا إفساداً معنوياً على العقلي، حيث تعتبر وُلد آدم عصاةٍ بما عصى، وأنه لا يمكن تطهيرهم عن دَرَن العصيان إلّا بتنزّل الإله عن الألوهية إلى البشرية، وصلبه فداءً لخلقه، رغم أنه ﴿لا تزر وازرة وزر أخرى﴾، ﴿وأن ليس للإنسان إلّا ما سعى﴾. ورغم إمكان غفران الذنوب بمجرد المشيئة من الله دون حاجة إلى بطلان ألوهيته بتجسده لو أمكن، ورغم أن في هذه التضحية المستحيلة إبطالًا لشرائع الله وتحليلًا لمحارمه، حيث الفداء كفاية عن شر العصيان فلا عصيان، وما هناك إلّا الغفران، وقد يأتيكم في ذكريات الصليب تبيانه الفصل ...

القديس توما والقديس أوغسطينوس: إن الله كان قادراً بقدرته الكلية أن يخلص البشر بوسائط أخرى عديدة «حرية التنويع» (توما ٣: ١: ٢) وإنَّ حصر الفداء في التجسد كواسطة لا سبيل إلى غيرها، هو نيل من قدرة الله وحكمته ورحمته،

---

١ . نقل عن مختصر في علم اللاهوت العقائدي، تأليف لوديغ اوث، ج ١، ص ٨١.

فالله قادر دون مساس بعدله أن يعفو عن الخاطىء التائب ويعيد إليه النعمة حتى بدون تكفير أو بتكفير غير واف، ويمكن القول بالمعنى الواسع بضرورة لياقة من حيث إن تجسد أقنوم إلهي هو أنسب طريقة للفداء، لأنها تظهر على أروع وجه كمالات الله وتوحي للإنسان أسمى الأسباب للسعي إلى الكمال الأدبي والديني (القديس يوحنا الدمشقي في الإيمان المستقيم ٣:١. القديس توما ٣/ ١:١ - ٢).

المناظر: فيا لإله جاهلٍ فاتك ينتخب فسبيل الفداء الطريقة المستحيلة المهينة بالنسبة لنفسه، القاضية على تشاريعه الناتج عنهما خلاص العصاة دون توبة منهم، يا له جهلًا وفتكاً وهتكاً، ويا لها عملية جاهلة همجية إباحية تحرِّر العباد عن تشاريعه الصالحة المصلحة! ...

كلمتان في التثليث: نقلي وعقلي:

أما النقل فكما يصرّح به القرآن: ﴿وقالت اليهود عزيز ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون﴾ [التوبة: ٣٠].

القرآن يعتبر الثالوث من جرّاء الوثنية العتيقة:

... هذه صراحة صادقة حكيمة من الذكر الحكيم أن قصة بنوّة المسيح وألوهيّته مضاهية لما كان عليه الوثنيون من قبل، وهناك سجلّات التاريخ طيلة قرون تؤيد تلك الحقيقة الناصعة بكرورها المتواترة: أن التثليث في المسيحية من جرّاء ورواسب تلكم الخرافة غير المعقولة من عبدة الأوثان!

... أجل: إن تثليث الآلهة ليس من مبتكرات المسيحيين، إنما ﴿يضاهئون قول الذين كفروا من قبل﴾ فقد ترجع جذور التثليث إلى أقدم العصور التاريخية، وكان البشر قد استساغ التثليث واعتقد به، وبإمكاننا

القـول: إن عقيـدة التثليـث ـ علـى مختلـف صـورها ـ قـد شـغلت أفكـار البشـر منذ أزمان سحيقة: منذ فجر التاريخ.

الثالوث: في مختلف الأديان الوثنية:

«إن أقدم ما نعثر عليه فـي تـاريخ الفراعنـة الثـالوث المكـوَّن مـن الآلهـة (أوزيـريس، إيزيس، حورس): الأب والأم والولد، ثم المكوَّن من: («آمون» وزوجـه «مـوت» وابنـه «خونس») وهو تثليث بلدة «تب» وهم الأب والأم والولـد، ثـم المكـوَّن مـن (فتـاح ـ سخت ـ ايموس) وهو لبلدة «منف»، ثـم المكـوَّن مـن (أنـوبيس ـ معـات ـ تـوت) ثـم المكوَّن من (آنوا ـ بعل ـ آيا) وهو ثالوث الكلدانيين، ثم المكوَّن من (سن ـ شـمش ـ عشـتار) الأب و الابـن والأم، ثـم المكـوَّن مـن (الآب والابـن وروح القـدس) وهـو للمسيحيين»[1] ﴿يضاهئون قول الذين كفروا من قبل﴾ هكذا، وكتالي مثلًا بمثـل ـ تثليثـاً علىٰ مثال من يلي من السابقين، حيث لا تخلو الديانات الوثنية عن التثليـث أيـاً كـان نوعه وشكله:

«الأب ـ الابن ـ الأم» كما ذكر، أو «الأب ـ الابن ـ روح القدس» كالتالي:

برتشرد:[2] «لا تخلو كافة الأبحـاث المـأخوذة عـن مصـادر شـرقية مـن ذكـر أحـد أنواع التثليث أو التولّد الثلاثي أي: (الاب والابن وروح القدس)».

موريس:[3] «كان عند أكثـر الأمـم البائـدة الوثنيـة تعـاليم دينيـة جـاء فيهـا القـول باللاهوت الثالوثي أي (الإله ذو أقانيم ثلاثة)».

وفي كتاب: سكان أو روبـا الأول[1] «كـان الوثنيـون القـدماء يعتقـدون بـأن الإلـه واحد ولكنه ذو ثلاثة أقانيم».

---

١ . حياة السيد المسيح ل فاروق الدملوجي، ص ١٦٢.

٢ . في كتابه خرافات المصريين الوثنيين ص ٢٨٥. وهذه المنقولات نقلها عن العقائد الوثنية لمحمد طاهرالتنّير البيروتي وقد طبعت قبل زهاء صف قرن ونفدت نسخة.

٣ . في كتابه الآثار الهندية القديمة، ج ٦، ص ٣٥، Maurice /ـ Indian Antiquities

الثالوث البرهميّ:

دوان:[2] إذا أرجعنا البصر نحو الهند نرى أن أعظم وأشهر عباداته اللاهوتية هو التثليث و يدعون هذا التعليم بلغتهم «ترى مورتي» وهي جملة مركّبة من كلمتين، أما «ترى» فمعناها ثلاثة و «مورتي» معناها هيئآت أو أقانيم وهي «برهمة وفشنو وسيفا»: ثلاثة أقانيم غير منفكّين عن الوحدة، وهي الرب والمخلّص والمهلك، ومجموع هذه الثلاثة أقانيم إله واحد، ويرمزون عن هذه الأقانيم الثلاثة بثلاثة أحرف وهي الألف والواو والميم، و يلفظونها «أوم» ولا ينطقون بها إلّا في صلواتهم، ويحترمون رمزها في معابدهم احتراماً عظيماً.

ولما أراد برهمة (خالق الوجود الذي لا شكل له ولا تؤثر فيه الصفات) أن يخلق الخلق اتخذ صفة الفعل وصار شخصاً ذكراً وهو «برهمة الخالق» ثم زاد في العمل إلى الصفة الثانية من الوجود فكان «فشنو» الحافظ، ثم انقلب إلى الصفة الثالثة الظلالية فكان «سيفا» المهلك، ويدعون هذه الصفات الثلاث أيضاً «ترى مورتي» ويشبّهونها بالنار، ويدعونها أيضاً «ألني ـ سوريا ـ أندرا» وغير ذلك من الأسماء الثلاثية.

وفي كتب البرهميين المقدسة المعتبرة لديهم: أن هذا الثالوث المقدس غير منقسم في الجوهر والفعل والامتزاج ويوضحونه بقولهم:

«برهمة الممثّل لمبادیء التكوين والخلق، ولا يزال خلّاقاً إلهياً هو «الأب» و (فشنو» يمثّل الحماية والحفظ وهو «الإبن» المنفكّ والمنقلب عن الحال اللاهوتية».

---

١ . ص ١٩٧.

٢ . في كتاب خرافات التوراة والإنجيل وما يماثلها في الديانات الأخيرة ..
Doane _ Bidle Mythsandtc heir parlle isinokter.

«سيفا» المبدئ والمهلك والمبيد والمعيد (وهو روح القدس) ويدعونه: «كرشنا»: الرب المخلص والروح العظيم حافظ العالم المنبثق أي المتولّد منه».

«فشنو» الإله الذي ظهر بالناسوت على الأرض ليخلص الناس، «فهو أحد الأقانيم الثلاثة التي هي الإله الواحد».

وفي الكبيتا:[١] إن كرشنا قال: أنا رب المخلوقات جميعها، أنا سرُّ الألف والواو والميم «أوم» أنا: برهمة وفشنو وسيفا، التي هي ثلاثة آلهة: إله واحد.

فالأقنوم الثالث وهو في صفته المظلمة: (المهلك) وفي صفته الحسنة: (المعيد) يعبّرون عنه بصورة حمامة ويقصدون بهذه الصورة الرمز عن الإعادة والخلق الجديد، هو الروح الذي يرفُّ على وجه الماء[٢] ويعبّرون عن الأقانيم الثلاثة الأبدية الجوهرية بالألف والواو والميم «أوم» كما ذكرنا، ويقولون عن هذه الأقانيم الثلاثة:

الخالق ـ الحافظ ـ المهلك ـ وأنها تتناوب العلم أي: إن الإبن يعمل عمل الأب والابن، والأب يعمل عمل الابن وروح القدس.

وقال **ألن:**[٣] يقول البرهميون في كتبهم الدينية: «إن أحد الأتقياء (واسمه أتنيس) رأى أنه من الواجب أن تكون العبادة لإله واحد، فتوسل ببرهمة وفشنو وسيفا قائلًا: يا أيها الأرباب الثلاثة! اعلموا أني أعترف بوجود إله واحد فأخبروني أيّكم الإله الحقيقي لأقرب له نذري وصلاتي، فظهرت الآلهة الثلاثة وقالوا له: إعلم أيها العابد أنه لا يوجد فرق حقيقي بيننا، وأما ما تراه من ثلاثة فما هو إلّا بالشبه والشكل، والكائن الواحد الظاهر بالأقانيم الثلاثة هو واحد بالذات».

١ . هو أحد كتبهم المقدسة الدينية

٢ . كلمة انجليزية بمعنى الثلاثة ـ ومورتي سنسكريتية

٣ . كما تقدم عن التوراة مثله ان روح الله كان يرفّ على وجه الماء

موريس:[١] لقد وجدنا بأنقاض هيكل قديم دكّته مرور القرون، صنماً له ثلاثة رؤوس على جسد واحد، والمقصود منه التعبير عن الثالوث.

الثالوث البوذي:

المستر فابر:[٢] وكما نجد عند الهنود ثالوثاً مؤلفاً من برهمة وفشنو وسيفا، هكذا نجد عند البوذيين، فإنهم يقولون إن بوذا إله واحد، ويقولون بأقانيمه الثلاثة، وكذلك بوذي «جينست» يقولون عن «جيفا» أنه مثلث الأقانيم.

دافس ودوان:[٣] البوذيون الذين هم أكثر سكان الصين واليابان يعبدون إلهاً مثلث الأقانيم يسّمونه «فو» ومتى ودُّوا ذكر هذا الثالوث المقدَّس يقولون: الثالوث النقي «فو» ويصوّرونه في هياكلهم بشكل الأصنام التي وجدت في الهند ... ويوجد في أحد المعابد المختصة بيوتالا في منشوريا تمثال «فو» مثلث الأقانيم.

المستر فابر:[٤] الصينيون يعبدون بوذا ويسمّونه «فو» ويقولون إنه ذو ثلاثة أقانيم، والألف والواو والميم كما تقول الهنود تماماً.

ثالوث تاوو:

دوان:[٥] أنصار «لا وكومتذا» وهو الفيلسوف الصيني المشهور وكان قبل المسيح بأربع سنين وستمائة ـ يُدعَون «شيعة تاوو» وهؤلاء يعبدون إلهاً مثلث الأقانيم، وأساس فلسفته اللاهوتية: أن تاوو وهو العقل الأبدي انبثق منه واحد، ومن هذا الواحد انبثق ثانٍ، و من الثاني انبثق ثالث، ومن هذه

١ . في كتابه آثار الهند القديمة، ج ٤، ص ٣٧٢.
٢ . في كتابه أصل الوثنية. Faber / rigin of Heathen Ldolatry
٣ . دافس في كتابه الصين، ج ٢، ص ١٠١ و ١٠٣ ودوان في كتابه السابق ذكره.
٤ . في كتابه أصل الوثنية.
٥ . في كتابه، ص ١٧٢.

الثلاثة صدر كل شيءٍ، وهذا القول بالتوليد والانبثاق أدهش العلامة موريس، لأن قائلة وثنّي.

ثالوث الصينيين:

وقد جاء في الكتب الدينية أن أصل كل شيءٍ واحد، وهذا الواحد الذي هو أصل الوجود اضطر إلى إيجاد ثانٍ، والأول والثاني انبثق منهما ثالث، ومن هذه الثلاثة صدر كل شيء.

ثالوث الهنود:

وقال **المستر هلسلي ستونس:**[1] ويعتقد الهنود بإله مثلث الأقانيم، ومتى ودّوا التكلم عنه بصفة المهلك يقولون: سيفا أو مهديفا، ومتى أرادوا وصفه بصفة الحافظ يقولون: الإله فشنو ويقولون: إن هذا الثالوث المقدس حاضر في كل مكان بالروح والقدرة.

ثالوث المصريين:

والمصريون القدماء كانوا يعبدون إلهاً مثلث الأقانيم مصوّراً في أقدم هياكلهم ويظن أهل العلم أن الرمز الذي يصوّرونه وهو جناح طير ووكر وأفعى، إن هو إلّا إشارة عن ذلك الثالوث واختلاف صفاته.

وقال **دوان:**[2] وكان قسيسو هيكل ممفيس بمصر يعبّرون عن الثالوث المقدس للمبتدئين بتعلّم الدين بقولهم: إن الأول خلق الثاني، والثاني مع الأول خلقا الثالث، وبذلك تمَّ الثالوث.

---

١ . في كتابه الإيمان والعقل، ص ٧٨ . Helsly Steve ns/ـ Faith Andreason

٢ . في كتابه، ص ٤٧٣.

«وسأل توليو» ـ ملك مصر ـ الكاهن «تنيشوكي» سأله أن يخبره: هل كان قبله أحد أعظم منه؟ أو هل يكون بعده من هو أعظم منه؟ فقال له الكاهن: «نعم يوجد من هو أعظم و هو أولًا: الله، ثم الكلمة ومعهما روح القدس، و لهؤلاء الثلاثة طبيعة واحدة، وهم واحد بالذات، وعنهم صدرت القوة الأبدية، فاذهب يا فاني يا صاحب الحياة القصيرة».

وقال بونويك:[١] وأغرب عقيدة عمَّ انتشارها في ديانة المصريين الوثنيين القدماء هي قولهم بلاهوت الكلمة، وأن كل شيءٍ صار بواسطتها، وأنها، أي الكلمة، منبثقة من الله، و أنها الله ـ وكان «بلاتو» عارفاً بهذه العقيدة الوثنية، وكذلك أرسطو وغيرهما، وكان ذلك قبل التاريخ المسيحي بسنين، ولم نكن نعلم أن الكلدانيين والمصريين يقولون هذا القول و يعتقدون هذا الإعتقاد إلّا في هذه الأيام.

وقال أيضاً:[٢] كما أن للكلمة مقاماً سامياً عند المصريين ـ كذلك يوجد في كتبهم الدينية المقدسة هذه الجملة: إني أعلم بسرٍّ لاهوت الكلمة وهي كلمة رب كل شيءٍ وهو الصانع لها ـ فالكلمة هي الأقنوم الأول بعد إلاله وهي غير مخلوقة، وهي الحاكم المطلق على كافة المخلوقات.

ثالوث اليونان:

في كتاب ترقّي التصورات الدينية[٣] كان اليونانيون القدماء الوثنيون يقولون: إن الإله مثلث الأقانيم ــ وإذا شرع قسيسوهم بتقديم الذبائح يرشّون المذبح بالماء المقدس ثلاث مرات (إشارة إلى الثالوث) ويرشّون المجتمعين حول

١ . في كتابه اعتقاد المصريين، ص ٤٠٢ و ٤٠٤ ...
thguo Tnred oMdnafreill eBnaitpygE _kciwnoB
٢ . في كتابه اعتقاد المصريين ص ٤٠٢ و ٤٠٤ ..
thguoTn redoMdnafre illeBnaitpy gE_kciwnoB.
٣ . ص ٣٠٧. Pruogr e ssofRelig iousdeas

المـذبح بالمـاء ثـلاث مـرّات، ويأخـذون البخـور مـن المبخـرة بـثلاث أصـابع، ويعتقـدون بـأن الحكمـاء صـرحوا: أن كـل الأشـياء المقدسـة يجـب أن تكـون مثلّثة، ولهم اعتناء تام بهذا العدد في كافة أحوالهم الدينية.

وقـال دوان نقلًـا عـن أورفيـوس:[١] «كـل الأشـياء عَلِمهـا الإلـه الواحـد مثلـث الأسماء والأقانيم».

وهذا التعليم الثالوثي أصله مصر ـ وكثيرون من الآباء في الجيل الثالث والرابع قالوا: إن فيثاغورس وهيركليتوس وبلاتو علّموا التثليث، وقد أخـذوا فلسـفتهم فـي التثليث عن أورفيوس.[٢]

ثالوث الرومان:

قال فيسك:[٣] وكان الرومانيون يعتقدون بالتثليث وهو أولًا الله ثم الكلمة ثم الروح.

ثالوث الفرس:

قـال دوان:[٤] وكـان الفـرس يعبـدون إلهـاً مثلـث الأقـانيم مثـل الهنـود تمامـاً وهـم: أورمــزد ومتــرات وأهرمــان، فــأورمزد: الخلّــاق، ومتــرات: ابــن الله المخلّــص والوسيط، وأهرمان: المهلك.

ويودج في كتابات زورستر سانن ـ الشرائع الفارسية ـ هـذه الجملـة: الثـالوث اللاهوتي مضيءٌ في العالم، ورأس هذا الثالوث موناد.

قال هيجن[١] والمسيو دونلاب[٢] وبنصون:[٣] كان الفـرس يـدعون متروسـاً: الكلمـة والوسيط ومخلّص الفرس.

---

١ . وهو أحد كتّاب وشعراء اليونان قبل المسيح بقرون.
٢ . انظر دائرة المعارف، تأليف تشمبرس عند كلمة اورفيوس.
٣ . في كتابه الخرافات ومخترعوها، ص ٢٠٥ ..
٤ . في كتابه الديانة القديمة، ج ٢، ص ٨١٩.

ثالوث الفنلنديين:

قال **بارخوست**:[٤] كان للنفلنديين (وهم برابرة كانوا يسكنون شمالي بروسيا في القرون الخالية) إله اسمه «تريكلاف» وقد وجد تمثال له في «هرتو بخربرج» له ثلاثة رؤوس على جسد واحد.

ثالوث الإسكندنافيين:

قال **دوان**:[٥] «وكان الإسكندنافيون يعبدون إلهاً مثلث الأقانيم يدعونها:

«اودين ـ تورا ـ فرى» ويقولون عن هذه الثلاثة أقانيم: إنها إله واحد، وقد وجد منهم يمثل هذا الثالوث المقدس بمدينة «أوبسال» من «أسوج» وكان أهالى أسوج و نروج والدنمرك يفاخرون بعضهم في بناء الهياكل لهذا الثالوث، وكانت جدران هذه الهياكل مصفَّحة بالذهب ومزيَّنة بتماثيل هذا الثالوث ويصوّرون «أودين» وبيده حسام و«تورا» واقفاً عن شماله وعلى رأسه تاج وبيده صولجان و «فرى» واقفاً عن شمال «تورا» وتمثاله فيه علامتا الذكَر والأنثى، ويدعون أودين: الآب، وتورا: الابن البكر للآب أودين، وفرى: مانح البركة والنسل والسلام والغنى».

ثالوث الدردّيين والتر والسيبريّين:

كان الدرديون يعبدون إلهاً مثلث الأقانيم وهم: تولاك ـ فان ـ مولا وسكان سيبريا القدماء كانوا يعبدون إلهاً مثلث الأقانيم ويدعون الأقنوم الأول منه:

---

١ . في كتابه الأنكلوسكستن، ج ٢، ص ١٦٢.

٢ . في كتابه ابن الانسان، ص ٢٠.

٣ . في كتابه المسيح الملاك، ص ٧٥.

٤ . في قاموس العبراني

٥ . فى ص ٣٧٧ من كتابه

خالق كل شيءٍ ـ والأقنوم الثاني: إله الجنود ـ والأقنوم الثالث: روح المحبة السماوية ـ ثم يقولون: أقانيم ثلاثة: إله واحد.

والتتر الوثنيون عبدوا إلهاً مثلث الأقانيم وعلى أحد نقودهم الموجودة في متحف «بطرسبرج» صورة هذا الإله المثلث الأقانيم جالساً على حندوقة.

ثالوث الجزائر الأقيانوسية:

قال **نيت:**[١] ساكن الجزائر في الأقيانوس عبدوا إلهاً مثلَّث الأقانيم فيقولون الإله الأب ـ الإله الابن ـ والإله روح القدس ـ ويصوّرون روح القدس بهيئة طيرٍ.

ثالوث المكسيكيين:

قال **اللورد كينكسبرو:**[٢] «المكسيكيون يعبدون إلهاً مثلث الأقانيم يدعونه «تزكتليبوكا» ومعه إلهان آخران: أحدهما واقف عن يمين الإله المذكور، والآخر واقف عن يساره ــ واسم الإله الأول الواقف عن اليمين «اهوتزلبيوشتكي» والآخر اسمه «تلالوكا» ــ ولما عيِّن «برتو لوميو» مطراناً سنة ١٤٤٠ ــ أرسل القس «فرنسيس هَرْمنديز»، إلى المكسيك، ليبشّ بين الهندوسيين بالديانة المسيحية، وكان هذا القس عارفاً بلغة الهندوس، وبعد مضيٍّ عامٍ على ذهابه أرسل مكتوباً إلى المطران المذكور يقول فيه: إن الهندوسيين يؤمنون بإله كائن في السماء وإن هذا مثلث الأقانيم وهو الإله الأب والإله الابن والإله روح القدس، وهؤلاء الثلاثة إله واحد.

---

١ . في كتابه الصنائع القديمة والخرافات الوثنية ص ١٦٩ ..
ygolohtyM dnatrA tnricnAf oegaug naLlacilobmy SehtthginK

٢ . في كتابه آثار المكسيك القديمة ج ٥ ص ١٦٤ .. ocixeM foseitiuq itnA ـ hguor obsgniK

واسم الأب «بزونا» واسم الابن «باكاب» مولود من عذراء، واسم روح القدس «ايكيهيا» ويعقدون صنماً اسمه «تنكاتنكا» يقولون عنه: إنه واحد ذو ثلاثة أقانيم، وإنه ثلاثة أقانيم إله واحد.

ثالوث الهندوس الكنديين:

قال **سكوير:**[1] والهندوس الكنديون يعبدون إلهاً مثلث الأقانيم، ويصوّرونه بشكل صنم له ثلاثة رؤوس على جسد واحد ويقولون: إنه ذو ثلاثة أشخاص بقلب واحد وإرادة واحدة ...

* * *

«القرآن والثالوث»

فهذه شرمذة قليلة من خرافات الوثنيين الأقدمين قبل المسيح حول الثالوث، وكل ذلک تصديق للقرآن الحكيم حيث يشير اليها بكلمة واحدة ... [التوبة، ٣٠]، أجل يضاهئون هؤلاء المثلثين الوثنيين فى خرافة الثالوث الكافرة فأنى يؤفكون! فـ ... [آل‌عمران، ٦٤]، ... [مائده، ٧٧]، ... [الأنعام، ٢١]، ... [النساء، ١١٦].

فالنصرانية منذ القرن الثالث حتى الآن تقلّد قوماً مثلثين[2] ضلّوا من قبل وأضلوا كثيراً، وهم الثلث الثالثيون من مجلس نيقية، وعلى رأسهم أثناسيون، وهؤلاء أيضاً يضاهئون في خرافة الثالوث: قول الذين كفروا من قبل، وهم من ذكرناهم من الوثنيين الأقدمين المثلثين، إذاً فالمسيحية اليوم ليست إلّا تقليداً في

---

١. في كتابه رمز الحية، ص ١٨١ .. lobmy Stnep reSeht- eriuqS

٢. راجع ج ١ ص ٣٣- ٣٦ المقارنات - تجد تفصيل عمليات مجلس نيقية.

تقليد أعمى، من الأقدمين ومَن قبلهم، وهاتان الآيتان تشيران إلى كلا التقليدين وتزيّفان موقف المقلدين!

﴿... ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم﴾ [النساء، ١٧١].

﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرّم الله عليه الجنّة ومأواه النارما للظالمين من أنصار * لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلّا إله واحد و إن لم ينتهوا عمّا يقولون ليمسّنّ الذين كفروا منهم عذاب أليم﴾ [مائده، ٧٢- ٧٣].

﴿وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم ءأنت قلت للناس اتخذوني وأُمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس بحق لي إن كنتُ قلتُه فقد علمتَه تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علّام الغيوب * ما قلت لهم إلّا ما أمرتني به أن اعبدوا ربي وربكم ...﴾ [مائده، ١١٦- ١١٧].

فقد يعتبر القرآن الكريم عقيدة الثالوث غلوّاً في الدين غير الحقّ، واتباعاً للذين ظلّوا من قبل وأضلّوا كثيراً، وافتراءً على الله وتكذيباً بآياته وظلماً لا يُغفر، وضلالًا بعيداً، فما لكم كيف تحكمون؟

تصاريح الإنجيل في تزييف الثالوث وألوهية المسيح:

هذا وكما يصرّح الإنجيل أن المسيح عبدالله (في ثمانين موضعاً) وأنه رسوله كما يقول: إن الحياة الأبدية معرفة الله بالوحدانية وأن المسيح رسوله (يوحنا ١٧: ٣).

وكما يصرخ المسيح صرخته المدوّية: أول الأحكام أن نعرف أن إلهنا واحد (مرقس ١٢: ٢٩).

وكما يقول له الكاتب: لقد قلت حسناً إن الله إله واحد وليس غيره من إله ـ ولما رآه المسيح عاقلًا في جوابه وكلامه خاطبا قائلًا لست بعيداً عن ملكوت الله (مرقس ١٢: ٣٢ و ٣٤).

وكما يندِّد مسيح الصِّدق ببطرس ويعتبره شيطاناً إذ قال له: حاشاك يا ربّ! فالتفت إليه وقال: إذهب عني يا شيطان! أنت معثرة لي لأنك لا تهتم بما للّه لكن بما للناس (مت ١٦: ٢٢ - ٢٣).

وأخرج برنابا هذه القصة كالتالي: وانصرف يسوع من أورشليم بعد الفصح ودخل حدود قيصرية فيلبس. فسأل تلاميذه بعد أن أنذره الملاك جبرائيل بالشغب الذي نجم بين العامة ماذا يقول الناس عني؟

أجابوا: يقول البعض إنك إيليا وآخرون إرميا أحد الأنبياء. أجاب يسوع: وما قولكم أنتم فيَّ؟ أجاب بطرس: إنك المسيح ابن الله، فغضب حينئذ يسوع وانتهره بغضب قائلًا:

إذهب وانصرف عني، لأنك أنت الشيطان تحاول أن تسيء إلي.

ثم هدّد الأحد عشر قائلًا: ويلٌ لكم إذا صدَّقتم هذا لأني ظفرت بلعنة كبيرة من الله على كل من يصدق هذا ...

فبكى بطرس وقال: يا سيِّد! لقد تكلمت بغباوة فاضرع إلى الله أن يغفرلي (برنابا ٧٠: ١ - ٧). وأراد المسيح أن يخرج بطرس فشفع له التلاميذ ثم هدَّده ثانياً إلّا يكرر مقالته الكافرة هذه (برنابا ٨: ١١).

وعلماء الإنجيل أيضاً يزيفون موقف بطرس الإيماني: يقول «مستر فلك» و «الدكتور كود» و «برنستس»: وهو المقلب بالمرشد الفاضل في لسان «جويل»: أن بطرس رئيس الحواريين غالطٌ فيما كتبه وجاهل بالإنجيل وقد ضل عن الإيمان الصحيح بعد نزول روح القدس، لا فحسب بل ويصرح «جان كالوين»: أن بطرس ابتدع في الكنيسة بدعاً جارفة وأخاف المسيحية بها، واستلب منها حريتها وجعل التوفيق المسيحي تحت رجليه».

أجل: وكما يعتبر المسيح ﷺ من يظنه إلهاً أو ابنه، يعتبره من المجانين: «... فلما عرفوه أخذوا يصرخون: مرحباً بك يا إلهنا! وأخذوا

يسجدون له كما يسجدون للّه، فتفّس الصعداء وقال: انصرفوا عني أيها المجانين، لأني أخشى أن تفتح الأرض فاها وتبتلعني وإياكم لكلامكم الممقوت. لذلك ارتاع الشعب وطفقوا يبكون» (برنابا ٩٢: ١٩ـ ٢٠)

ويشهد على عبوديته الأرض والسماء قائلًا: أشهد أمام السماء، وأشهد كل شيءٍ على الأرض: أني بريءٌ من كل ما قد قلتم، لأني إنسان مولود من امرأة فانية بشرية وعرضة لحكم الله، مكابد شقاء الأكل والمنام وشقاء البرد والحرّ كسائر البشر. لذلك متى جاء الله ليدين يكون كلامي كحسامٍ يخترق كلَّ من يؤمن بأني أعظم من إنسان (برنابا ٩٣: ١٠ـ ١١ و ٩٤: ١ـ ٣).

ويعتبر من يدعوه إلهاً ضالًا مستحقاً للمقت: «إنكم قد ضللتم ضلالًا عظيماً أيها الإسرائيليون، لأنكم دعوتموني إلهكم وأنا إنسان. وإني أخشى لهذا أن ينزِّل الله بالمدينة المقدسة وباءً شديداً مسلِّماً إيّاها لاستعباد الغرباء. لعن الله الشيطان الذي أغراكم بهذا ألف لعنة!» (برنابا ٩٢: ٢ـ ٤):

والقول الفصل في حق المسيحعليه السلام هنا أنه لم يدّعِ الألوهية لنفسه وتساويه مع الإله بالذات والجوهر قط، ولا يوجد في الكتب المقدسة ما يمكن أن يستدل به على هذه الدعوى صريحاً أو ظاهراً إلا بعض التشابهات القابلة للتأويل كمثل «أنا والآب واحد» (لو ١٠: ٣٠)، حيث يحتمل وحدة الإتجاه في الدعوة: أن دعوة المسيح تمثِّل دعوة الآب أي الخالق ...

هل إن هناك تصاريح في الإنجيل حول التثليث:

الأسقف: إذاً فماذا نصنع بتصاريح الإنجيل حول التثليث وكما تقول (الرسالة الأولى ليوحنا. ٥: ٦ـ ٨) هذا هو الذي أتى بماء ودم يسوع المسيح. لا بالماء فقط بال بالماء والدم.

والروح هو الذي يشهد لأن الروح هو الحق. فإن الذين يشهدون (في السماء) هم ثلاثة (الآب والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد. والذين يشهدون في الأرض هم ثلاثة) الروح والماء والدم والثلاثة هم واحد.

المناظر: كلا! فإنَّ ما بين الهلالين: الأب ... ـ إلى ـ هم ثلاثة) لا يوجد في أقدم النسخ، وكما تصرح بذلك الترجمة العربية من اللغة اليونانية ـ التي هي مدار النقل في كتابنا، فإن في التنبيه الموجود أول الكتاب هكذا تصريح: «والهلالان ( ) يدلان على أن الكلمات التي بينهما ليس لها وجود في أقدم النسخ وأصحها».[١]

فتصريحة التثليث هناك إلحاقية مقحمة زيدت بأيدي المثلثين وكما يقول بذلك كبار المحققين من علماء الإنجيل مثل كريسباج وشولز وهورن لمفسر الإنجيلي الكبير، رغم تعصبه في الحفاظ على الأناجيلحيث يقول: هذه الجملة إلحاقية «يجب حذفها عن الإنجيل، وتبعه جامعوا تفسير هنيري، وإسكات، وآدم كلارك، ثم إكستان وهو من أعلم علماء التثليث ومرجعهم حتى الآن لا ينقل هذه العبارة في رسالاته العشر التي كتبها حول هذه الرسالة، رغم أنه ممن أسَّس التثليث، إذ ذاك فلم تكن هذه العبارة في الإنجيل حتى القرن الرابع، زمن اكستائن.

أجل إنَّه تكلّف في إثبات الثالوث، في مناظرته مع فرقة ايرين المنكرين للتثليث، تكلَّفه في الآية (٨)، فكتب في هامش هذه الآية: أن المعنى من الماء هو الأب والدم هو الابن والروح هو روح القدس.

---

١ . ميزات هذه النسخة كما يلي: الكتاب المقدس اي كتب العهد القديم والجديد ـ تعاريف عمومية نظارت جليلة ٦ شباط سنة ٢٢١ تاريخ لو و ٤٧٩ و ١٦٨٧ نومرولي رخصتامه سيله طبع اولنمشدر ٢٨١. Bible zndft.Ref وقد ترجم من اللغة اليونانية ـ طبع في المطبعة الأمريكانية في بيروت، سنة ١٩٠٦.

فلو كانت تلك العبارة: الأب والكلمة والروح القدس: موجودة في زمنه وإن كان في نسخة مجهولة ساقطة، لكان يستند اليها لصراحتها، دون أن يضطر إلى ذلك التأويل البارد.

وممن يصرح بالإلحاق القس الدكتور فندر الالماني[١] ويكتب المفسر الشهير هورن ١٢ صحيفة في التفتيش عن هذه الجملة، وقد لخصها جامعوا تفسير هنري وإسكات كالتالي: «الأدلة المثبتة لكونها إلحاقية ما يلي»:

١- لا توجد هذه العبارة في النسخ اليونانية قبل القرن ١٦، فهي إذاً ألحقت في هذا القرن.

٢- لا توجد في المطبوعات الأولى ثم نراها بعدها.

٣- لا توجد في شيءٍ من التراجم إلا اللَّاتينية قليلًا.

٤- لم يستدل بها أحد من القدماء والمؤرخين الكنسيين.

٥- زعماء بروتستانت الروحيون هم بين مُسقِط لهذه العبارة ومبقٍ لها بضميمة علامة الشك والتزييف.

الأسقف: لنفرض أنها كذب ملحق، فماذا نصنع بالتصريحة التالية في (يو ١: ٥) «في البدء كان الكلمة والكلمة كان عندالله وكان الكلمة الله. هذا كان في البدء عند الله. كل شيءٍ به كان وبغيره لم يكن شيءٌ مما كان. فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس. والنور يضيء في الظلمة والظلمة لم تدركه».

حيث تعبّر أن الكلمة هو الله وفيه كانت الحياة، إذن فالله والمسيح والروح القدس المعبر عنه بالحياة هم أقانيم ثلاثة في واحد، وواحد في ثلاثة!

المناظر: هب أن هذه أصيلة غير إلحاقية، فمن قال لكم إنّ الكلمة هنا هو المسيح ـ وليس هو كلمة التكوين! وكما في القرآن: ﴿إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول

١. مؤلف كتاب ميزان الحق.

له كن فيكون﴾ [يس: ٨٢]، والقول وهو الكلمة هنا يرمز إلى نفاذ أمره تعالى في إبداعه وخلقه ..

وهذه الكلمة لها جهتان: ١ ـ جهة القدرة الفعلية ٢ ـ القدرة الذاتية، فمن الجهة الأولى كانت الكلمة عند الله، حيث الإرادة الفعلية صادرة عن ذاته وليست هي ذاته، ومن الجهة الثانية وهي القدرة الذاتية الناشئة عنها القدرة الفعلية والكلمة التكوينية ـ من هذه الجهة ـ الكلمة ذات الله بما أن صفاته الذاتية هي عين ذاته تعالى وكذلك أمر الحياة في الكلمة.

فهناك للّٰه تعالى صفات ذاتية من الحياة والعلم والقدرة هي عين ذاته، وهذه الأسماء تعابير عن شمول الذات للكمالات التي تليق به تعالى دون أن يكون المحكى بها أموراً ثلاثة: جواهر أو غيرها، كما في خرافة التثليث.[1]

ثم صفات الفعل وهي التي تعتبر بحساب الخلق بالنسبة له تعالى ـ كالخالق والرازق وغيرهما ـ وهذه أيضاً تنشعب عن صفات الذات دون استقلال وكيان مستقل عنها، وصفات الذات كالذات حيث هما تعبيران عن واحد مجرد بحقيقة التجرد والوحدة، هذه لا تعتبر فيها نسبته بفعله تعالى خلقاً ورزقاً وما إليهما.

إذاً فالمعني من قول يوحنا «في البدء كان الكلمة» أي القدرة الذاتية وهي عين ذاته، «الكلمة كان عندالله» أي القدرة الفعلية، و«كان الكلمة الله أي أن القدرة الفعلية ناشئة عن القدرة الذاتية التي هي عين ذاته تعالى فهي الله، «هذا كان في البدء عند الله» أي أن القدرة الفعلية الحادثة لها بدءٌ ومنشأٌ فهي كانت عندالله إعتباراً بالقدرة الذاتية «كل شيءٍ به كان» أي بإرادته وقدرته، «فيه كانت الحياة» أي أن القدرة الفعلية منشأ الحياة الحادثة في الخلق، فمنشأهما القدرة والحياة والعلم الذاتية، فلا منشأ ولا مُنشيءَ إذاً إلّا الله سبحانه تعالى عما يشركون.

---

١ . للبحث عن وحدة الذات وعينيتها لصفات الذات موضع آخر ـ راجع كتابنا حوار بين الإلهين والماديين، قسم التوحيد.

طالب انجيلي: أرجو يا أستاذ أن تشرح لنا مختلف العقائد المسيحية حول الإله في نظر القرآن لكي نكون على بصيرة في البحوث والعقلية هنا وهناك.

مختلف العقائد المسيحية في نظر القرآن

١- المثلّثون:

المناظر: أجل: إن منكم المثلثين كما يقول تعالى: ... ﴿إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروحٌ منه فآمنوا بالله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم إنما الله إله واحد سبحانه أنى يكون له ولدٌ له ما في السموات وما في الأرض وكفى بالله وكيلا﴾ [نساء، ١٧١].

٢- المريميون:

ومنكم المريميون: ﴿وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم ءأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله ...﴾ [المائدة، ١١٦].

الأسقف: كلَّا! فليس من مذهبنا ألوهية مريم وقد يكفي هذا تنديداً بالقرآن أن ينسب إلينا ما لا أثر له في النصرانية!

الحداد: ليس في التثليث الإنجيلي من ذكر لمريم أُم المسيح، لا ذكر لها فيه على الإطلاق وهي ثالث ثلاثة في القرآن![1]

الثالوث المريمي:

المناظر: إن له أثراً، لا في الإنجيل، وإنما هو في النصرانية، فقد ذهب إليه طائفة منهم:

فقد تصرّح الكنيسة الكاثوليكية كالتالي: «كما أن المسيح لم يبق بشراً كذلك مريم أمه لم تبق من النساء بل انقلبت (وينوسة) أي إلهة».

---

١. ص ٢٦٥، الحوار الاسلامي المسيحي.

لذلك تراهم كثيراً ما يحذفون أسماء الله مثل «يَهُوَة» من كتب المزامير ويثبتون مكانها اسم مريم، كقوله «احمدوا الله يا أولاد» فالكاثوليك لأجل إظهار عبوديتهم لمريم طووا هذا من الزبور وبدّلوه إلى: احمدوا مريم يا أولاد.

وهذه الكنيسة كلّما صُلّي فيها مرة واحدة بالصلاة الربّانية (أبانا الذي في السموات) يصلّى فيها بالصلاة المريمية عشرون مرة[١] ويقول جرجيس صال الإنجليزي في كتابه مقالة في الإسلام، عندما يذكر بدع النصارى: من ذلك بدعةٌ كان أصحابها يقولون بألوهية العذراء مريم يعبدونها كأنما هي الله، ويقرّبون لها أقراصاً مضفورة من الرّقاق يقال لها «كُلّيرُس» وبها سمّي أصحاب هذه البدعة «كُلّيريين»، وهذه المقالة بألوهية مريم كان يقول بها بعض أساقفة المجمع النيقاوي، حيث كانوا يزعمون أنّ مع الله الأب إلهين: هما عيسى ومريم، ومن هذا كانوا يُدعون المريميين، وكان بعضهم يذهب إلى أنها تجردّت عن الطبيعة البشرية وتألهت وليس هذا ببعيد عن مذهب قومٍ من نصارى عصرنا قد فسدت عقيدتهم حتى صاروا يدعونها تكملة الثالوث، كأنما الثالوث ناقصٌ لولاها، وقد أنكر القرآن هذا الشطط لما فيه من الشرك، ثم اتخذه محمد ذريعة للطعن في عقيدة التثليث.[٢]

ويذكر «ابيفان»[٣] بدعة عربية يسميها «الكليرين» من «كُلّيرس» قرص خبز من طحين الشعير ـ كانت تتعاطاها بعض نساء العرب النصارى ـ فيقدّمن تلك الأقراص قرابين عبادة لأمّ المسيح، على مثال ما كانت تقدّمه نساء العرب الجاهليات للإلهة اللات.

---

١ . عن الأب عبد الأحد داوود الآشوري العراقي في كتابه الإنجيل والصليب.

٢ . ص ٦٧ـ ٦٨ وهذا الكتاب ألفه جرجس صال رداً على الإسلام ونقله هاشم العربي إلى العربية.

٣ . الفلسطيني ق.م. في كتابه: الشامل في الهرطقات.

والمجمع المسكوني الثالث عام ٤٣١ يلقب مريم «أم الله» ـ أليس هذا دليلًا على أنهم كانوا يؤلّهون المسيح وأمه من دون الله ﴿ءَأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله﴾ [مائدة: ١١٦].

تثليث مريمي يستبدلون فيه روح القدس بمريم ﷺ وسلم:

وفي اللاهوت العقائدي[١] «أن مريم هي حقاً أم الله، تقول الكنيسة في قانون الرسل بأن ابن الله «ولد من مريم العذراء» فهي أم الله من حيث هي أم ابن الله».

وليت شعري كيف تستلزم الأمومة بالنسبة للابن أن تكون أماً للأب أيضاً إلا أن يعتبر الابن أباً! ...

٣- مؤلّهو المسيح:

ثم منكم الموحّدون في ألوهية المسيح ناسين إله الأب وروح القدس ومريم، تذكرون في ذكرياتكم أنه الإله المخلص المنجي المتجسّد: ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم ...﴾ [المائدة: ٧٢]، ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة﴾ [المائدة: ٧٣].

هذا وكما تعتبر المسيحية مريم أم الله حتى الآن من جرّاء المجمع المسكوني الثالث عام ٤٣١ ـ ولقد رأيت في جونية تمثالًا لمريم في كنيسة جونية يسمونها والدة الإله ـ رغم الحداد القائل: إن تأليه المسيح لم يقل به أحدمن المسيحيين على الإطلاق ولا تأليه في المسيحية، وإن تأليه مخلوق مع الله شرك وكفر، فليته حصّل على هذه التصريحات، أو على الأقل رأى هيكل والدة الإله! في بلده الذي نشأ فيه «لبنان».

---

١. ج ٢، ص ١٠٨، لمؤلفه لو دويغ اوث.

٤- الموحدون وقليل ماهم:

ومنكم المخلصون في توحيد الله تعالى كمثل برنابا ذلك الحواري القديس العظيم الذي تُرِكَ إنجيله وراء المسيحية ظهريّاً، أن جاء بالحقّ وصدّق المرسلين في سنَّة التوحيد ورفضا الإختلافات البولصية في التثليث.

وكذلك كل من نحا نحو برنابا من الحواريين وأتباعهم ومنهم الثلثان الموحدون المضطهدون في المجلس النيقاوي، الذين قضي عليهم بالسلطة الجبارة الثالوثية من جراء السلطة الوثنية من قسطنطين الوثني.

ولقد نرى بين الأقاويل الثلاثة الأولى أن إله الأب تجسّد عن اللاهوت فصار هو المسيح كما في التصاريح التالية:

إن المسيح ابن الله (مت ٣: ١٧) أول مواليده (عب ١: ٩) هو الله الكلمة (يو ١: ١) والرب (كما كرّر في الأناجيل كلها) والأزلي (عب ٩: ١٤).

وقصة تجسُّد أقنوم الأب وصيرورته إبناً، هذه أيضاً كالتثليث، من اختلافات الذين كفروا من قبل! «يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنَّى يؤفكون» (٩: ٣٠).

الأسقف: كلَّا ـ حيث الأساس في بنوَّة المسيح وألوهيَّته هو ما يختص به من الخوارق، فالنقطة الرئيسية في ذلك هو المسيح، لا الذين كفروا من قبل ـ كلَّا!

المناظر: كيف لا وقد سجّل لنا التاريخ أن التبنِّي أيضاً كالتثليث مما كان يعتنقه الوثنيون من قبل؟

المضاهاة تامة بين تجسُّد الإله في المسيحية والوثنيات العتيقة:

الله وابنه: تجسُّد الإله وتولّده عند الوثنيين:

يقول **دوان**:[١] ومن عقائد الوثنيين القدماء قولهم بتجسّد أحد الآلهة ونزوله وسكنه معهم، وقد ورد ذكر ذلك على أنواع كثيرة من التصوّرات والروايات الشرقية.

١. في ص ١١٢ من كتابه.

ولم يزل كرشنة حتى هذه الساعة الإله المحبوب عند نساء الهنود، والفرقة التي تحترمه مشغوفة بعبادته، وقد نشروا تعاليم يتمسكون بها أشد التمسك وهي:

إن كرشنة يخالف كلّ الآلهة التي تجسّدت، لأنها لم يكن فيها إلا جزءٌ من الألوهية، أما كرشنة فهو نفس الإله «فشنو» ظهر بالناسوت.

ويقول «ألن»:[1] أما كرشنة فهو أعظم من كافة الآلهة التي تجسَّدت ويمتاز عنهم كثيراً لأنه لم يكن في أولئك إلّا جزءٌ قليل من الألوهية ـ أما هو: أي كرشنة: فإنه الإله فشنو، ظهر بالناسوت.

وقال «توماس موريس»:[2] والهنديون يعظّمون بلادهم، لأنه ولد فيها الإله فشنو بالناسوت.

وقال دوان:[3] الهنود يقولون: إنَّ كرشنة هو ابن العذراء النقية الطاهرة «ديفاكي» ويدعونها والدة الإله.

وفي: «كافات بورون»، الكتاب الهندي، أن كرشنة قال: سأتجسد في «متواربيت يادوا» وأخرج من رحم «ديفاكي» أولد وأموت، وقد حان الوقت لإظهار قوتي وتخليص الأرض من حِملها.

وفي «فوشنوا بورانا» الكتاب المقدس للهنود: قد مجد الإلهة ديفاكي التي حملت برحمها الإله ذا العينين الحند قوقيتين: مخلص العالم، ومن ذا الذي يستطيع النظر إلى وجه ديفاكي بسبب النور المضيء وكل من ينظر إلى نورها يختل شعوره.

والإلهة التي لا يراها الناس تمجّدها مُذ حلَّ بها «فشنو» فالإله فشنو أصل الشجرة العمومية لا تدركه أفهام الآلهة ولا الجن ولا الحكماء ولا الناس في الحاضر والمستقبل، كما وأنها لم تدركه في الماضي.

---

١ . في كتابه الهند، ص ٣٩٧. Allen. Ancientand Modern

٢ . عن الهند، ج ٣، ص ٤٥.

٣ . في كتابه، ص ١٣٥.

والمعبود «برهمة» وكافة الآلهة التي ليس لها ابتداء وانتهاء تكرّمت بخلاص الأرض من حِملها الثقيل رحمة منها بإرسال «فشنو» إلى «ديفاكي» وولادته منها، كأنه ولَدها وتقمّصه بكرشنة الذي هو نفس برهمة وانه لسرّ عجيب، كيف أنّ الإله تكيّف بجسد الإنسان.

وفي الكتاب «البيهقيقات جيتا» أن الإله كرشنة، قال لتلميذه «ارجون»: «و أنت يا ارجون الذي بداعي ثقتك اعترفت بألوهية ولادتي، انضمّ إليَّ وادخل فيَّ».

وقال: أنا الواحد العظيم، أثبت وجودي بقدرتي وعندما تقلّ الفضائل وتكثر الرذائل في العالم أبيّن نفسي وأظهر من جيل فجيل لحفظ البارّ وهلاك الشقي وإعادة الفضيلة إلى الكون.

وقال: إن الجهال لا يعترفون بلاهوتيتي وبأنني رب كل شيء، ويحتقرونني بالناسوت متكلّمين على الشر والخبث والمكر فيطبائعهم ...

قال دوان:[1] والإله «بوذا» المولود من العذراء «مايا» الذي يعبده بوذّيوا الهند وغيرهم، يقولون عنه: إنه ترك الفردوس ونزل إلى الأرض وظهر بالناسوت رحمة بالناس كي ينقذهم من الآثام ويرشدهم صراطاً مستقيماً، ويحمل أوزارهم ويفديهم مما يستحقونه من العذاب بأخذه عنهم وما يستحقونه من القصاص.

وفي «فوتيهنك» الكتاب الصيني ما نصه: ولما عزم الإله «بوذا» على النزول من السماء إلى الأرض ليولد عليها، نادى ملائكة السماء وسكان الأرض قائلًا:

يا أيها الأموات زيّنوا أرضكم، لأن: «بوذيشو مهتو» العظيم سينزل عما قريب من «توسيا» ويولد بينكم، فأعدُّوا كأسين لوقت ظهوره.

ويقولون أيضاً: أما الرحم الذي يحل به الإله بوذا ليتجسد، إنما هو كوعاء وضعت فيه ذخيرة، وليس أحد من البشر كون الحمل به كما كان ببوذا، لأنه يحل فيه بغير إفزار... ولما حملته «بهامايا» لم تعد تشتهي رجلًا وعاشت عذراء.

---

١. في كتابه المذكور سابقاً، ج ١، ص ٣٢٦ و ٣٢٧.

وقال هوك:[1] أحد المبشرين الإفرنسيين عند تكلمُّه عن بوذا ما نصه: والبوذيون يعدّونه إلهاً متجسداً أي أنه إله ظهر بالناسوت، أتى إلى هذا العالم ليعلّم الناس ويرشدهم ويفيدهم ويبيّن لهم طريق السلام.

وقال بنصون:[2] يقول البوذيون: إن ولادة بوذا كانت هكذا:

لما تجسّد «كوتاما بوذا» نزلت قوة إلهة تدعى روح القدس على العذراء «مايا» وكان نزولها على شكل فيل أبيض.

و«التيكاسيون» البوذيون يقولون: إن معنى الفيل الأبيض الحكمة والقوة، ويقول بوذيّوا الصين في كتبهم: إن روح القدس وهو «شينك شين» نزل على العذراء مايا.

وقال «فركوصون»:[3] والبوذيّون يصوّرون «مايا» نائمة، وقد نظرت في منامها أن فيلًا أبيض أتى ودخل في جنبها اليمين، ويرتّلون لها تراتيل: بأنها مملوءة رحمة، وأنها ملكة السماء، ومزيلة الأحزان، وأن ابنها بوذا محيي الأموات، ورجاء الأمم، وناشر السلام، ومايا الملكة ستضع غلاماً قدُّوساً حكيماً يستفيد منه كل ذي جسد ويحكم العالم».

وهؤلاء الوثنيون ومَن إليهم كانت لهم عقائد متشابهة في تولُّد الإله في الناسوت واليكم نماذج منهم كالتالي: إله سكان سيام ولد من «كودوم» و «هوروس» مخلّص المصريين من العذراء «إيزيس» وهو المنبثق من «عامون»، ومن أبناء الآلهة عند الونانيين: «هرقل» ولد من «الكمين» ملكة «تبيس» و «باخوص»: إله آخر لهم ولد من «سيميل» إبنة «كدموس» ومثله «أمفيون» ولد من «أنثيوب»

---

١. في كتاب رحلته، ج ١، ص ٣٢٦ و ٣٢٧

٢. في كتابه المسيح الملاك، ص ١٠ و ٤٠ و ٥٢

٣. في كتابه: الشجرة والأفعى. Fergusson /_ Treeandser pentworship

إبنة الملك «نيستيوس» ويدَّعون أن «برومسيوس» إله اتحد لاهوته بناسوته، فهو ذو نشأتين: إلهية وجسدية في جسم واحد، وهو إنسان وإله، حقيقيان في وقت واحد.

ومن آلهتهم «بيريسيوس» ولد من العذراء «دانية» بنت «اكريسيوس». و «عطارد» من «أطلس» و «بولوهو» من «لاتونا».

وكذلك كان الرومانيون حيث ألَّهوا «روميلوس» من العذراء و«اسيلفيا» إلى غير ذلك.

... فهذا وذياك وأضرابها من التصاريح التي سجَّلها التاريخ، شهود صدق على تسرُّب الكثير من البذور الوثنية في التعاليم المسيحية بأيدي الجهل والعناد إلى حيث أصبحت المسيحية كأنها ترجمان للوثنيات العتيقة، كما ويندد بها القرآن في هذه المضاهاة الكافرة: ﴿يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنّى يؤفكون﴾ [التوبة، ٣٠].

هذا فيما يلي مختلف العقائد المسيحية بشأن الله في وحدته وثالوثه وما بينهما من برزخ، ننقلها عن «مختصر في علم اللاهوت العقائدي».[١]

* * *

البدع المضادة للتثليث! وتحديدات الكنيسة التعليمية:

S١٠١ البدع:

مذهب المونار خيانية: Monarchianisme

«منذ نهاية القرن الأول قام مبتدعون متهوِّدون قيرنثوس والإبيونيون، يدعون إلى التوحيد المشدَّد والأقنوم الواحد، فأنكروا ألوهية المسيح (القديس ايريناوس في

١. تأليف لو دويغ اوث. نقله إلى العربية الأب جرجس الماردني. ج ١ ص ٣٧

كتابه ضد المبتدعين) (١: ٢٦) وفي نهاية القرن الثانيقامت البدعة المونار خيانية تُعلِّم أنه ليس في الله إلّا أقنوم واحد (ترتليانوس في كتابه ضد بركساس: ٣) وهذه البدعة تقسم تبعاً لموقفها من شخص المسيح إلى مذهبين:

(أ) **المونار خيانية الديناميكية أو المتبنية،** Dynemikueou Adoptioniste تعلِّم: أن المسيح إنسان مادي بسيط ولد بطريقة فائقة الطبيعة من الروح القدس، ومن مريم العذراء، وقد حباه الله، يوم اعتماده وبنوع خاص، القوة الإلهية وتبنّاه.

وأهم القائلين بهذه البدعة «تاودوتس الدبّاغ» البيزنطي، الذي أدخل تعاليمه روما حوالي سنة ١٩٠ ففصله عن الكنيسة البابا القديس فكتور الأول (١٨٩-١٩٨)، بولس السميصاتي مطران انطاكايا، الذي حكم عليه كمبتدع وخلعه مجمع انطاكيا المنعقد سنة ٢٦٨، وفوتينوس أسقف سرميوم الذي خلعه مجمع انعقد في سرميوم سنة ٣٥١.

(ب) **المونار خيانية الباتريباسية أو المودالية،** Patripassien ovmodeliste تعترف بألوهية المسيح وفي الوقت ذاته بوحدة الاقنوم في الله، وذلك في تعليمها بأن الأب هو الذي تجسّد وتعذّب في يسوع المسيح، وأهم أئمة هذه البدعة «نواتس الازميري» من إزمير، الذي كتب ضده هييو ليتس وبركسياس (Praceas) الذي حاربه «ترتليانوس وسباليوس (Sabellius)» الذي مدَّ تعليمه إلى الروح القدس ـ فعلَّم: أن فيَّ أقنوماً واحداً وأدواراً ثلاثة (Prosore) تُقابل الأنواع الثلاثة التي بها أظهر الله نفسه، فالله الذي هو اقنوم واحد أظهر نفسه في خلقه العالم على أنه الآب، وفي عمل الفداء على أنه الإبن، وفي عمل التدبير على أنه الروح القدس، وقد طُرد البابا القديس كلِّيستوس (٢١٧ - ٢٢٢) هذا المبتدع من الجماعة المسيحية، وانبرى يحارب هذه البدعة أسقف الإسكندرية القديس «ديونسيوس» الكبير- ثم حرمها كبدعة عقائدية البابا القديس «ديونسيوس» (٢٥٩ - ٢٦٨) (٤٨ - ٥١).

٢- مذهب عدم المساواة: Subord inationtime

يسلِّم هذا المذهب على خلاف سابقه بثلاثة أقانيم في الله، إلا أنه ينكر على الأقنوم الثاني والأقنوم الثالث مساواتهما للأب بالجوهر وبالتالي بالألوهية الحقة.

(أ) المذهب الآريوسي:

نسبة إلى الكاهن الإسكندري آريوس (T ٣٣٦) الذي كان يعلِّم بأن الكلمة (Logos) ليس من الأزل ولم يولد من الأب بل هو خليفة الآب، خرج من العدم قبل سائر الخلق كلها، فهو ليس مساوياً للأب في جوهره، ومنها نعتوا بالأنوميين، بل هو خاضع للتغير وقابل للتطور، وليس هو الله بالمعنى الخاص الحقيقي، بل بالمعنى النسبي فقط، إذ تبناه الله بسابق نظره إلى استحقاقاته، وقد حُرِّمت هذه البدعة في المجمع النيقاوي المسكوني الأول (٣٢٥) الذي وضع قانوناً للإيمان يعترف فيه بأن يسوع المسيح هو إبن الله المولود من جوهر الآب، وبالتالي يعلن حقيقة ألوهيته ومساواته للأب في الجوهر (D ٥٤).

وقد وقف الآريوسيون المعتدلون (Semi _ Ariens) موقفاً وسطاً بين الآريين المتشددين (الأنوميون) وحماة مجمع نيقية (الأوموسيون) فرفضوا كلمة مساوٍ للأب في الجوهر، لاعتقادهم بأنها تنّم عن مذهب سياليوس، إلا أنهم سلَّموا بأن الكلمة هو شبيه بالأب (ومنها نعتوا بالأوميين) شبه به في كل شيءٍ، أو شبيه به في جوهره ولهذا دعوا بإسم أوميوسيون.

(ب) المذهب المكدونيائي:

نشأ من الأريوسية المعتدلة فرعٌ لها هو شيعة Pneumatomaques (بنفما توماك، أي أعداء الروح القدس) التي ينسبونها منذ أواخر القرن الرابع، وربما عن خطأ ـ إلى مكدونيوس: أسقف القسطنطنية الآريوسي المعتدل (عزل عام ٣٦٠ وتوفي قبل ٣٦٤ هـ) وهذه البدعة أطلقت مذهب عدم المساواة عدم الروح القدس أيضاً، معلنة أياه بالاستناد إلى عبرانيين ١: ١٤ خليقة وروحاً للخدمة كالملائكة، وقد قام ضد دعاة

هذه البدعة القديس أثناسيوس والكبادوقيون الثلاثة (القديس باسيليوس والقديس غريغوريوس النريزي القديس غريغوريوس نيصص) وديديميس الإسكندري، فدافعوا عن ألوهية الروح القدس وعن وحدة جوهره مع الأب والإبن، وقد حرّمت هذه البدعة في مجمع عقد في الإسكندرية (٣٦٢) برئاسة القديس أثناسيوس - وفي مجمع القسطنطنية المسكوني الثاني (٣١٨) وفي مجمع عقد في روما (٣٨٢) برئاسة البابا القديس داماسيوس (٧٤D ـ ٨٢)، وقد أضاف مجمع القسطنطنية إلى قانون إيمان نيقية فقرة خطيرة يعلن فيها ألوهية الروح القدس إعلاناً هو على الأقل غير مباشر، وينسب إليه الصفات الإلهية: «نؤمن ... بالروح القدس، الرب المحيي المنبثق من الأب، الذي هو مع الأب والابن يسجد به ويمجد، الناطق بالأنبياء».

٣- مذهب التأليه الثلاثي: Tritheisme

(أ) إن يوحنا فيلوبونس Philoponus (T ٥٦٥)

الشارح المسيحي لارسطو، قد اعتبر الطبيعة والشخص واحداً، وبذلك وقع في بدعة الطبيعة الواحدة في المسيح، وفي بدعة الثلاثي في الثالوث، وهو يرى أن الاقانيم الإلهية الثلاثة هي أفراد ثلاثة من الألوهية، كما أن رجالاً ثلاثة هم أفراد ثلاثة من البشرية، وهكذا وضع وحدة الجوهر النوعية موضع وحدة الجوهر العددية.

(ب) إن روسلين ده كومبيان Roscelin Compieqne، (المتوفى حوالى ١١٢٠)

كان يعلّم تبعاً لوجهة نظره الإسمية (Nominoliste) القائلة بأن الفرد وحده له صفة الوجود، بأن الاقانيم الثلاثة هي ثلاثة أفراد موجودين وجوداً منفرداً، ومتحدين اتحاداً أدبياً بواسطة اتفاق إرادتهم وقدرتهم، كما قد تكون عليه ثلاث نفوس بشرية أو ثلاثة ملائكة، وقد حارب القديس انسلموس كنتربري هذا التعليم، وهو من مجمع عقد في مدينة سواسون Sosissons (١٠٩٢).

(ج) كان جيلبرت ده پواتيه Gilbert de poitie ps (T ١١٥٤)

يرى على ما رماه به أعداؤه (القديس برندوس) أن هناك فرقاً حقيقياً بين الله واللاهوت، وبالتالي بين الأقانيم الإلهية والجوهر الإلهي، بحيث أن الله أصبح أربعة (الأقانيم الثلاثة + اللاهوت) أن ما نُسب إلى جيلبرت من ضلال مما يكاد لا يظهر في كتبه، قد أدين في مجمع عقد في ريمس (Reims) (١١٤٨) بحضور البابا أوجينيوس الثالث (D ٣٨٩) وما يلي.

(د) **وكان الأباتي يواكيم ده فلور** Uoachim de Flore (T **١٢٠٢**)

ينظر إلى وحدة الاقانيم الثلاثة الإلهية كإلى وحدة جماعية، وقد أدان المجمع اللاتراني الرابع هذا التعليم ووافق رسمياً على تعليم خصمه بطرس لومبارد (D ٤٣١) وما يلي.

(هـ) **وكان انتون غونتر** Gunther (T **١٨٤٣**)

يعلِّم ان المطلق يتحقق بذاته في تطور تحقيق ذاتي وجودي بواسطة تعاقب ثلاثي: قضية، ونقيضها ولا تأليف منهما، بذلك يتثلث الجوهر الالهي فتتصل الجواهر الثلاثة أحدها بالآخر عن طريق الوعي وتؤلف هكذا وحدة صورية.

٤- البروتستانية:

طعن لوثر فى الإصطلاحات التي نعبِّر بها عن التثليث، إلا أنه حافظ على الإيمان بالثالوث، ومع ذلك فإن مبدأ الحكم الشخصي الذي نادى به أدَّى أخيراً إلى إنكار عقيدة الثالوث.

إن مذهب السوسينية (Sosinia nisme) (بالنسبة إلى فوستوس سوزِّيني Fausus Sozzini (T ١٦٠٤) قد اعتنق عن الله فكرة التوحيد إلى أقصى حدٍّ بحيث لا تسمح بأقانيم الهيه، وقد نظر إلى المسيح على أنه انسان محض، وإلى الروح القدس على أنه قوة إلهية «لا شخصية».

أما علم اللاهوت الراسيونالي المعاصر فإنه كثيراً ما يحافظ على الإصطلاحات والتعابير الثالوثية التقليدية، إلا أنه لا يرى في الأقانيم الثلاثة سوى تشخيص لصفات إلهية كالقدرة و الحكمة والجودة، ويرى هرنك أن الإيمان المسيحي في الثالوث ليس إلا وليد الجدل الذي قام به المسيحية واليهودية، فكان أن إكتفوا بعبارة «الله والمسيح» رداً على عبارة «الله وموسى» ثم أضافوا إليها فيما بعد: «الروح القدس» ...!

هذه العقائد التي تعتبر برزخاً بين التوحيد الخالص والتثليث الخالص. قد رميت بأنها بدع جارفة، لأنها تختلف عن تناقض توحيد التثليث، واقتنعت بالبعض من الخرافات والإنحرافات الجارفة في التوحيد، ولقد نرى ألوان الوثنية الثالوثية في كافة ألوان العقيدة الإلهيّة بين المسيحيين والإنجيليين!

جذور الإسلام والمسيحية:

عبد المسيح الكندي:[1] مهلًا يا شيخ! حاش المسيحية من ذياك المضاهاة الضئيلة الخاطئة، وإنها لشريعة فذّة قائمة على سوقها كما تبناها المسيح ورسله القديسون، فلا الثالوث ولا بنوّة المسيح للّه، ليس شيءٍ منهما من رواسب الوثنيات العتيقة، ولو أن المشابهة بذاتها اقتضت كون اللاحق من جرّاء السابق، لكان العهدان هما من ينابيع الإسلام، على تدخُّل فيهما وتصرفٍ بزيادة ونقصان حتى أصبحا على شاكلة كتاب فذٍّ تسمونه القرآن!

المناظر: أول ما يؤخذ عليكم أنه لولا أن المشابهة التامة تقتضي كون اللاحق من جرّاء السابق، فما هذا الإصرار في مؤلّفكم ينابيع الإسلام، أن ينابيعه هما العهدان وما إلهما من أسفار الوحي وغير الوحي؟

---

١. مؤلف ينابيع الإسلام في الرد على الإسلام.

حينذاك ينهدم عليكم بنيانكم الذي بنيتم في ينابيعكم، ويخرُّ عليكم السقف من فوقكم، فاسترجعوا عن هذه الفرية البيِّنة على نبي الإسلام وتوبوا إلى الله ...!

ثم الحل كالتالي:

إن الكفر ملّة واحدة كالإيمان، فكلٌّ على شاكلة ما يلائمه وإن اختلف عنه في جزئيات يسيرة.

فالتشاريع الإلهية متناسقة متشابهة في الجذور والشاكلة الأصلية، لأنها من عند إله واحد، وكذلك التشاريع الباطلة الإبليسية.

ومن أهم الأصول التي اتفقت فيه كلمة الإلهين هي كلمة التوحيد، فلم يُرسَل رسولٌ إلا للدعوة إليها والتضحية في سبيلها.

ومن أهم المميزات في التشاريع الباطلة هو الشرك، فليس بين الموحِّدين والمشركين سِمَة مايزة أجلى من توحيد الإله هناك والشرك به هنا، فإذ قد نرى صفوف أهل الحق متسقة على توحيد الحق من ناحية، ثم الأجيال الوثنية القديمة منذ القرون الأولى مكِّبين على تعدّد الإله وخرافة الثالوث والبنوَّه، على مختلف تعابيرهم في سماته وتشكلاته، وهذه هي في ناحية أخرى مضادة للأولى، حينذاك لا يريبنا شك أن الثالوث والبنوَّة وما إليهما، كل ذلك استجرار للجذور الوثنية، فالكفر ملّة واحدة، إذ لا يمكن أن يكون التثليث في الوثنيين كفراً وزندقة، وهو بعينه في المسيحية حق التوحيدكماله! ولا أنه فيهما جميعاً حق، كلا: إلا كونه خرافة وثنية أينما حلت.

وأخرياً لو كان القرآن من ينبوع العهدين فلماذا يندِّد بهما في جذور عريقة فيهما يعتبرها من اختلافات الشياطين؟ كلَّا!: إن التشاريع الحقة كلها من عند الله العزيز الحكيم، و لا اختلاف فيها جذرياً، إلا في جزئيّات صورية حسب المصالح التي يراعيها الشارع الأقدس الإلهي، ومن أهمها إبتلاء العباد وتمحيصهم: ﴿لكلّ جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ولو شاء الله لجعلكم أمة

واحـدة ولكـن ليبلـوكم فـي ماءاتـاكم فاسـتبقوا الخيـرات إلـي الله مـرجعكم جميعـاً فينبّئكُم بما كنتم فيه تختلفون﴾ [مائده، ٤٨] ...

ذلك: وقد أسلفنا القول الفصل في حكمة اختلاف الشرائع[١] مع أن الدين واحـدٌ وهو توحيد الله تعالى والتسليم له وحده لا شريك له.

اعتراف انجيلي: أن هناك اختلافات في العقائد المسيحية:

كيف تنكرون أن هناك بـدعاً اختلقتهـا الكنـائس رغـم التعـاليم المشـرقة المسـيحية، فإليكم شاهداً منكم كمثل سائر الشهود الذين ذكرناهم من ذي قبل: يقول جـرجيس صال الانجليزي:[٢] «إذا أنعمنا النظر فيما كتبـه مؤرخـون الكنيسـة منـذ القـرن الثالـث للميلاد، ألفينـا حـال الأُمّـة النصـرانية لـذلك العهـد بعيـداً جـداً عمـا وصـفها بعـض المصنفين، فلم تكـن مؤيـدة بالنعمـة الفعّالـة، والغيـرة والتقـوى راسـخة علـى أسـاس التعليم الصحيح وعلى الإتحاد وثبات الإيمان.

فقد كان رعاتها مشتغلين بالمطابع الشخصية، يتخذون العويص مـن مسـائل الـدين ذريعة للمشاجرات والمماحكات، وقد انقسموا فيها إلـى فـرق وبـدع لا يحصـرها عـدٌّ، ونفوا من صدورهم ما ندب إليـه الإنجيـل مـن الموادعـة والمحبـة والمواسـاة، وعـدلوا إلى المناوءات والضغائن وسائر أنواع المفاسد، حتى أنهم بينمـا كـانوا يتمـاحكون فـي أوهامهم في الدين أضاعوا جوهر الدين نفسه، وكادت مشاجراتهم فيه تستأصله بتةً.

ومعظـم مـا ننكـره الآن علـى بعـض مشـاجراتهم مـن باطـل العقائـد والفسـاد إنمـا نشـأ وتأصـل فـي تلـك الأعصـر المظلمـة، فعـاد بـالنفع علـى الإسـلام وأعـان على انتشاره.

---

١ . في القسم الأول من هذه السلسلة المقارنية ـ المقارنات.

٢ . في كتابه مقالة في الإسلام نقله من الإنجليزية إلى العربية هاشم العربي ط ١٨٩١، يذكر كلامـه هـذا فـيبيـان مـا استفاده محمد من تونر النصرانية في إنشاء دينه.

ونخصُّ من تلك العقائد بالذكر عبادة القديسين والصور، فإنها كانت قد بلغت وقتئذٍ مبلغاً يفوق كل ما نراه اليوم عند بعض فرق النصارى!

أما الكنيسة الشرقية، فإنها أصبحت بعد انفضاض المجمع النيقاوي مرتبكة بمناقشات لا تكاد تنقضي، وانتقض حبلها بمماحكات «الأريوسيين» و «الناظرة» و «اليعقوبية» وغيرهم من أهل البدع.

ثم أصحاب المكانة منهم في قصر الملك كان كل واحد منهم يختص نفراً من قوّاد الجيس أو من أصحاب الخطط يكون له عليهم الولاء، ويتقوى بهم، وبذلك صارت المناصب تنال بالرشى، والنصفة تباع وتشترى جهاراً.

أما الكنيسة الغربية فقد كان فيها من تهالك «داماسوس»[١] و «أورسكينوس» في المشاحة على منصب الأسقفية ـ أي أسقفية روما ـ ما أفضى إلى احتدام نار الفتنة وسفك الدماء بين حزبيها، حتى أن الوالي لما رأى أنه لا قِبَل له بقمع هذا الشّره انصرف على المدينة وترك المتنازعين وشأنهما، وكان الفوز بعد ذلك لداماسوس.

قيل استحرَّ القتل في الناس في هذه النازلة حتى بلغ عدد القتلى في كنيسة «سنكنيوس» وحدها مائة وسبعة وثلاثين في يوم واحد.

وكان أكثر ما تنشأ هذه المناقشات عن القياصرة أنفسهم ـ ولا سيما القيصر قسطنطيوس ـ فإنه إذ لم يقدر أن يميِّز بين صحيح الدين المسيحي وخرافات العجائز، ربَك الدين بكثير من المسائل الخلافية بدلًا من أن يلمَّ شعث أهل الخلاف فيه، فأسعر بذلك نار مشاحنات عديدة كلما خمدت أضرمها بغيرها مما لا نهاية له.

ثم ازدادت هذه الحال سوءاً على عهد «يوستنيانوس» فإنه لم يؤثر أن يقصر في الغيرة على الدين عن أساقفة القرن الخامس والسادس حتى كان إذا قضى بقتل من يخالفه في المذهب لا يرى أنه جاء شيئاً فرياً.

---

١ . Damase البابا القديس ٣٦٦ ـ ٣٨٤. اسباني عهد إلى القديس ايرونيموس بترجمة الكتاب المقدس الترجمة المعروفة بالعافية (Vvlgate) على أيامه عقد المجمع القسطنطيني (٣٨١).

هذا ما كان عليه حال النصرانية في غير بلاد العرب، وهي أيضاً اشتهرت منذ القديم بكثرة البدع!!.

... وفيما صرح به جرجس صال من انتشاء عبودية القديسين والصور تصديق للقرآن: ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلّا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلّا هو سبحانه عما يشركون﴾ [التوبة، ٣١].

كلمة شاملة: يقول «جان ديون يورت الإنكليزي»:[١] نتيجة لمساعى «نيوتن وكيبون وبورس» ثبت أن قصة التثليث إلحاقية لا أصل إلهامي لها إطلاقاً، ويعترف كامت أن النسخ العتيقة الأولى خلوٌ من هذه الخرافة الجارفة!.

الطالب الإنجيلي: شكراً يا أستاذ وألف شكر، رجاء أن تستعرض لنا شرحاً فصلًا من القرآن في جذور التبّني «ابن الله».

فندر ـ بُست ـ باطر ـ الأسقف: ... أجل وبعد ذاك ـ عندما تم النقل، في ذكريات التاريخ والقرآن والعهدين، إذ ذاك يحين حين المناظرة العقلية حول الثالوث المقدس، فنظرة حتى حين، لنعلم أيُنا الحاكمون وأيُّ الفريقين أحق، فهناك نقتفي حكم العقل، سواء أوافق النقل أم خالفه.

المناظر: نعم: التبني في القرآن وجذوره الوثنية: وبعد ذاك يحين حين التكلمة، لأدلتنا العقلية حول استحالة التثليث وتجسُّد اللاهوت، فَنِظرة إلى حين:

جذور التبني الإلهي العارم في نظر القرآن:

١ ـ ﴿وقالوا اتخذ الله ولداً سبحانه بل له ما في السموات والأرض كل له قانتون * بديع السموات والأرض وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون﴾ [البقرة، ١١٦ـ ١١٧].

وقد اعتنق هذه الخرافة أن الله اتخذ ولداً اعتنقها الوثنيون بادىء ذي بدءٍ وقد يقضي القرآن على أصولها الوهمية:

---

١. في كتابه: عذر التقصير أمام محمد ﷺ

فمنها أنَّ من يتخذ الولد وليس له ولا منه، فإنما يتخذه أنساً عن وحدته ويداً لنصرته، ومتراساً لبأسه، وعوناً في بؤسه، وعزّاً قبال أقرانه، وأخيراً: وارثاً يرثه بعد موته، فيكون استمراراً لشخصيته، وتعالى الله عن كل ذلك علوّاً كبيراً، حيث إنما من آيات الفقر والزوال والعجز: ﴿بل له ما في السموات والأرض كل له قانتون ...﴾ [البقرة: ١١٦]، ﴿وما ينبغي للرّحمن أن يتخذ ولداً﴾ [مريم: ٩٢]: لمكان رحمانيته وهي الخلاقية العامة، وإنما يتخذ من لا يجد أو يحتاج: ﴿لو أراد الله أن يتخذ ولداً ـ على فرض المحال ـ لاصطفى مما يخلق ما يشاء ـ لا أن يتخذ على سبيل المجاز والإدعاء ـ سبحانه هو الله الواحد القهّار﴾ [الزمر: ٤]، فلا يتخذ ولداً حتى يكون له ثانياً ووارثاً يخرجه عن وحدته: ﴿قالوا اتخذ الله ولداً سبحانه هو الغني له ما في السموات وما في الأرض إن عندكم من سلطان بهذا أتقولون على الله ما لا تعلمون﴾ [يونس: ٦٨]، ﴿وقل الحمد للّهالذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبّره تكبيراً﴾ [الاسراء: ١١١].

٢ ـ ومن أوهام الوثنين أنه تعالى اصطفى واتخذ من عباده الصالحين المكرمين ولداً له ـ سبحانه ـ كما يصطفي أحدنا بعض أصدقائه المخلصين، ويتخذه ولداً، تكريماً له وتمييزاً عن غيره.

وآي الذكر الحكيم تندد بهذه الخرافة قائلة: ﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون * لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعلون * يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلّا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون * ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين﴾ [الأنبياء: ٢٦ ـ ٢٩].

ذلك: اعتباراً بأن كمال العبودية والزلفى لا يقتضي الخروج عن ذلّ العبودية إلى عزّ النبوَّة أو الربوبية: ﴿إن كل من في السّموات والأرض إلّا آتي الرّحمن عبداً * لقد أحصاهم وعدّهم عداً * وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً﴾ [مريم: ٩٣ ـ ٩٥].

فكلما ازداد العبد عبودية ازداد كمالًا في التذلل لربه، وخشية وتخضعاً وافتقاراً وانقطاعاً اليه، لا ترفُّعاً عنه أو وصولًا إلى منزلته ومحتده أو وسطاً بينه وبين عبيده:

لا عبد ولا رب ولا ابن! كلّا! إلّا الزلفى والرضا من الرب تبارك وتعالى.

فلو أن كمال العبودية اقتضى الترفع إلى النبوّة لكان محمد ﷺ أول الأبناء لأنه أول العابدين: ﴿قل إن كان للرّحمن ولد فأنا أول العابدين﴾ [الزخرف: ٨١].

أجل إنه أول العابدين، إلى حيث ينهاه ربه نهي إشفاق عن بالغ إغراقه في العبادة: ﴿طه * ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى. إلّا تذكرة لمن يخشى * تنزيلًا ممن خلق الأرض والسموات العلى﴾ [طه: ١ ـ ٤]، ذلك حينما قام في عبادته تعظيماً لربه حتى تورمت قدماه، فنهاه عن ذلك رحمة منه وإشفاقاً عليه.

فلا الرب يحتاج إلى اتخاذ الولد من خلقه ولا العبد يحق له الترفع عن العبودية بعبادته.

٣ ـ ومن الأوهام أن العبد إذا فَعَل فِعْل الرب وقد يعجز عنه العباد، وولد من غير أب، فليكن هذا وذاك آية اختصاصه من بين العباد، فليكن ابناً للّه، لا عبداً كسائر العبيد، ولذلك إعتنقت المسيحية خرافة بنوّة المسيح: أن أحيى الموتى وأبرأ الأكمه والأبرص، وأن وُلد من غير أب!

والقرآن يندِّد بهذه الأكذوبة الكافرة قائلًا: ﴿إنّ مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون﴾ [آل‌عمران: ٥٩]، فلو أن الولادة من غير أب اقتضت بنوّة المولود للخالق، فبالأحرى لو كانت من غير أب ولا أم كما في آدم، أو أن يعتبر أرقى من الابن وأعلى، كالأخ والأب!

وكما أنَّ اليهود اعتبروا عزيزاً من أبناء الله، لأنه أحيى التوراة بعد حرقه ومحقه، فليكن موسى أخاً للّه، حيث بعثه الله بالتوراة بادىء ذي بدء، فالسابقون هم الأولون.

وقد يجمع القرآن التنديد بهما قائلًا: ﴿وقالت اليهود عزيز ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون﴾ [التوبة: ٣٠].

فـ ﴿لو أراد الله أن يتخذ ولداً (الشيء من المصالح وحاشاه!) لاصطفى مما يخلق ما يشاء (لا ما تشاؤون، فليس أمره في اصطفائه بأيدي عباده) سبحانه هو الله الواحد القهار﴾ [الزمر: ٤].

٤ ـ وبعد هذه الرواسب الوثنية آل أمرها إلى أن بعض هؤلاء العباد المكرمين يرثون سلطانه، فهم أولياؤه من الذلّ وشركاؤه في الملك ووزراؤه في الحكم؛ سبحانه وتعالى عما يشركون علواً كبيراً: ﴿وقل الحمد للّه الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له وليّ من الذل وكبّره تكبيراً﴾ [الإسراء: ١١١].

كما نسبوا إلى المسيح أنه الأزلي والربّ، وبه خلق الله الخلق و ...

٥ ـ ثم ركزت فيهم تلكم الخرافات، ظلمات بعضها فوق بعض، فرانت على قلوبهم أن تجاوزوا عن اتخاذ الولد، إلى التّقوّل: إن المسيح تولّد من ربه ولادة حقيقة، وإن الله ولده بتنزله عن اللاهوت، أو انفصال جزءٍ منه فهو ولده: وجعلوه له من عباده جزءاً وبينه وبين الجنة والإنس نسباً: ﴿ألا إنهم من إفكهم ليقولون ولد الله وإنهم لكاذبون﴾ [الصافات: ١٥١ - ١٥٢]، متجاوزين عن اتخاذ الولد إلى أنه ولّد على الحقيقة: ﴿وجعلوا له من عباده جزءاً إن الإنسان لكفور مبين﴾ [الزخرف: ١٥]، ﴿وجعلوا بينه وبين الجنة نسباًلقد علمت الجنة إنّهم لمحضرون * سبحان الله عما يصفون * إلّا عباد الله المخلصين﴾ [الصافات: ١٥٨ - ١٦٠]، ﴿وجعلوا له شركاء الجنَّ وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون * بديع السّموات والأرض أنّى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيءٍ وهو بكل شيءٍ عليم * ذلكم الله ربكم لا إله إلّا هو خالق كل شيءٍ فاعبدوه وهو على كل شيءٍ وكيل * لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير﴾ [الأنعام: ١٠٠ - ١٠٣].

٦ ـ ثم نمت هذه الخرافات في اتخاذ الولد ثم الولادة الحقيقة ثم صيرورة الوالد ولداً، فربت في أهل الإنجيل إلى خرافة الأقانيم ثم ألوهية المسيح حيث يعتبرون الإبن أباً فيحقيقته وتجوهره وإنما الإختلاف بالإعتبار!!

الطلاب الانجيليون الحضور ونفر من ـ القسيسين: شكراً لك يا أستاذ حيث تدلّنا إلى الحق دون تعصب ولجاج إلا حجاجاً ومجادلة بالتي هي أحس، فنحن معكم في مسيرنا إلى الله ولكي نجتمع على الحق ونسد ثغر الخلافات والتعصبات الجاهلة.

* * *

ختام للبحث النقلى حول التثليث

قِران بين تثليث المسيحية والذى يندِّد به القرآن

حوار مع الاستاذ الحداد في كتابه: الحوار الاسلامي المسيحي:[1]

الحداد: مقالات القرآن في الثلاثة ليست بالتثليث المسيحي، إن السيد المسيح قبل إرتفاعه إلى السماء أوصى رسله الحواريين، قال: «لقد أوتيت كل سلطان في السماء على الأرض * فاذهبوا وتلمذوا لي جميع الأمم * وعمِّدوهم باسم الأب والابن والروح القدس، وعلِّموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به * وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر» (متى ٢٨: ١٨– ٢٠).

... والوحي الإنجيلي كلُّه، في العهد الجديد كله، يردِّد هذا التثليث في التوحيد الخالص، والمسيحية تقول به من بعده جيلًا بعد جيل ...

وليس التثليث الذي يكفِّره القرآن بالتثليث الذي يشهد به الإنجيل:

١ ـ فهل في هذا التثليث الإنجيلي من ذكر لمريم أمِّ المسيح؟ لا ذكر لها فيه على الإطلاق وهي ثالث ثلاثة في القرآن.

٢ ـ إن روح القدس في القرآن (النحل، ١٠٢)، هو جبريل الذي نزَّل القرآن (البقرة، ٩٧) فليس هو الروح القدس في ذات الله بحسب إنجيل متى (٢٨: ١٩)، فإن كان روح القدس جبريل فليس من ذكر لجبريل على الإطلاق في التثليث المسيحي.

---

١ . هنا نختصر مقال الحداد في ناحيتين ١- نأتي بواحد جامع مما يكرره بالعشرات. ٢- نأتي بما يهمنا ويهمه في صميم البحث، وقد بحث حول التثليث الصحيح والباطل طوال الصفحات ٢٥٢ – ٢٩٧.

٣ ـ إن القرآن يكفّر تأليه المسيح من حيث هو ابن مريم، ولكنه يشهد أيضاً بأن المسيح هو أيضاً ﴿كلمته ألقاها إلى مريم وروح منه﴾ [النساء ١٧١]، فهو كلمة الله وروح منه في ذاته تعالى قبل إلقائه إلى مريم، فهذا تعريف الإبن في لغة الإنجيل، فالمسيح هو الإبن ابن الله، ليس من حيث هو إبن مريم، بل من حيث هو ﴿كلمة أالقاها إلى مريم وروح منه﴾، فهي بنوة نطقية روحية في ذات الله قبل الإلقاء إلى مريم، فهي أسمى من المخلوق وفي ذات الخالق.

فليس المسيح ابن الله على طريقة الإستيلاد من «صاحبة» هذا كفر محض، بل على طريق الصدور في الوجود الإلهي من ذات الله في ذات الله ـ بصفة كونه ﴿كلمته وروح منه﴾ في كامل التجريد والتنزيه، فليس إذن التثليث الذي يكفره القرآن بالتثليث الذي تقول به المسيحية عن الإنجيل.

٤ ـ إن الله تعالى هو «الأب» بحسب الإنجيل والمسيحية، وأبوَّة الله هي في ذاته، من ذاته، لذاته، إنها روحية نطقية، يصدر فيها كلمة الله من ذاته صدور الإبن عن أبيه في عالم المخلوق، على طريق المقابلة، لا على طريق المطابقة، فهي أبوَّة وولادة وبنوَّة في مطلق الذات الإلهية فوق المحسوس والمخلوق، من قبل المكان والزمان، فوق الخليقة والخلق، منذ الأزل، في ذاته تعالى، فهو الأب بدون أدنى صلة بالمخلوق على الإطلاق.

الأب = الخالق ـ لا الوالد:

المناظر: يظهر بإتقان أن الأساس الأول والأخير في التثليث الإنجيلي هو مقالة المسيح في نقل متى «عمّدوهم باسم الأب والإبن والروح القدس».

ثم المبشرون ومن جملتهم الحداد يفرسون الأب بالأب = الوالد، ثم يجعلون الإبن هنا ابن الله الوالد، ولكنهم إذا انتبهوا في لفظه الأب ـ بالمدِّ ـ علموا أنه الخالق لا الوالد، إنه بالمدّ أصل يوناني بمعنى الخالق، وقد حافظ عليها ـ حرفياً ـ

المثلثون، لكي ينجرفوا بها إلى أبّوة الله للمسيح دون رعاية لما يعطيه المدُّ من معنى.

هب إن الأب ممدوداً عربية، فهل إنما بمعنى الوالد، هل يوجد هناك أي كتاب في اللغة نالعربية يفسر بالأب وبالوالد، كلّا! وإنها يونانية بمعنى الخالق.

إذاً يخرُّ عليهم سقف التثليث وبنوة المسيح للّه، يخرُّ عليهم من فوقهم، ومن بعد ذلك يأتي قرن الإبن والروح بالخالق شاهداً على أنهما من خلق الله، لا من جوهر ذاته، سبحانه و تعالى عما يشركون.

وأما التثليث الذي يكفِّره القرآن فهو الذي تعتنق به المسيحية لا الإنجيل، حيث لا نجد فيه نصاً ولا ظاهراً في التثليث، بل هناك الآيات الوفيرة مستنكرة له ولسائر ما ينافي التوحيد الحق كما مضت وتأتي.

ثم نجد في التثليث المسيحي كل عقائد التثليث، بين شاذ ومشهور وأشهر، والقرآن لا يخص تكفير عقيدة التثليث بالبعض منها، والمشهور دون بعض، وإنما يقضي على كل ما ينافي التوحيد الحقيقي، من التثنية والتثليث والتربيع وما إليه من عقائد شركية تجعل غير الله شريكاً له في ذاته أو صفاته أو قريناً له.

كما يشير إلى ذلك إشارة لطيفة موجزة بقوله ﴿لم يلد ولم يُولد﴾ ليس هو والداً بما للوالد من معنى ـ ناسوتياً ولاهوتياً ـ، ولا هو ولدٌ لأي والد كذلك، فخرافة ولادة النطق الذاتي عن الذات ولادة في الأزل، هذه يكذبها العقل والدين، لمكان المناقصة بين الولادة والأزلية في نظر العقل، ثم نفي الولادة مهما كانت في نظر الدين ﴿لم يلد ولم يولد﴾.

فالولادة الجسمية منفية حيث لم تكن للّه صاحبة ولا له جسم، وكذلك الروحية بكل احتمالاتها، فإنها ﴿لم يلد ولم يولد﴾ بكافة معاني الوالدية والمولودية ــ وتوحيد القرآن لا يحتمل من محتملات التثليث أياً كان، رغم ما يهواه الحداد: أن القرآن يصدق توحيد التثليث الإنجيلي ــ فلا

الإنجيل الأب والابن والروح القدس ثالوثاً واحداً، ولا القرآن يصدقه أياً كان.

يحاول الحداد ليفتري على القرآن هذا الانحراف الإنجراف، وليغسل درون التثليث بتدنيس القرآن، لا لحجة إلا بحجة أن القرآن يعتبر المسيح كلمة من الله وروحاً منه، فالحداد يعتبر الكلمة هي النطق الروحي الذاتي المولود عن الذات أزلًا، مولوداً غير مخلوق، «جمعاً بين النقيضن!» ويعتبر الروح من الله أن المسيح روح من جوهر الذات الإلهية، كل هذا، جرُّ الجمل بشعرة وليُسأل: فأين الإله الأب ثم الإله الروح القدس؟

ثم الكلمة من الله والروح من الله كيف صارت جزءاً من ذات الله، رغم أدلة العقل أن الله تعالى لا جزءَ له ولا من صفاته الذاتية، والنقل القائل ﴿ليس كمثله شيءٍ﴾ ... ثم كيف يحتِّم الحداد أن ﴿مِن﴾ هنا وهناك في ﴿كلمة منه - روح منه﴾ تبعيضية، حتى تكون الكلمة و الروح بعضاً من ذاته تعالى أو صفاته الذاتية، والأدلة القاطعة تعارضه!

لا: بل إنها ﴿من﴾ صدورية: صدور الخلق من الخالق، لا صدور الأشياء من معادنها ومصادرها المماثلة لها، وكأن الحداد يصدق أنها صدورية، ولكنه يأوّلها بالصدور عن الذات، حال أن يصادر عن الذات - لو أمكن - أياً كان، فكيف يعتبره ولداً صادراً عن ذات الأب منذ الأزل، أو ولداً غير مولود، ومولوداً غير مخلوق، أي مخلوقاً غير مخلوق؟!

وأخيراً لو كان ﴿وروح منه﴾ يعني جزء الذات الصادر منه منذ الأزل، الكلمة الروحية النطقية، لجرى ذلك في آدم الأول أيضاً ﴿فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين﴾ [الحجر: ٢٩]، وفي كافة أبنائه أيضاً: ﴿ثم سوّاه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلًا ما تشكرون﴾ [السجدة: ٩]، وبينهما كافة النبين: ﴿يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده

لينـذر يـوم الـتلاق﴾ [الغافر.١٥]، وكافـة المـؤمنين: ﴿أولئـك كتـب فـي قلـوبهم الإيمـان وأيـدهم بـروح منـه﴾ [مجادلـة.٢٢]، ويخـص بـين النبيـين خـاتمهم محمـدﷺ: ﴿و كذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا﴾ [الشورى.٥٢].

فإما أن يلتزم ببنـوة وألوهيـة كافـة بنـي آدم! أو يرجـع إلـى تفسير «و روح منـه» الصحيح: أن الله اختص من بين ذوي الأرواح بني آدم بـروح عاليـة، فأضـافها إلـى نفسه المقدسة إضافة تشريفية، كلّاً حسب منزلته:

مـن: بنـي آدم بصـورة عامـة تمتـاز عـن غيـرهم مـن ذوي الأرواح (٣٢: ٩) إلـى المؤمنين الذين يمتازون عن كافة بني آدم (٤٠: ١٥) وإلـى المسيح الـذي يمتـاز عـن الكثير من النبيين (٤: ١٧١) ثم إلى خاتم النبيين الذي يمتـاز علـى كافـة الخلـق، مـن الملائكة والجنة والناس أجمعين (٤٢: ٥٢).

وتصـديق تميـزه عـنهم بهـذه الميـزة الراقيـة، نجـده فـي آيـة التصـديق: ﴿و إذ أخـذ الله ميثـاق النبيـين لمـا آتيـتكم مـن كتـاب وحكمـة ثـم جـاءكم رسـول مصـدق لمـا معكـم لتـؤمننّ بـه ولتنصـرنّه قـال ءَأقـررتم وأخـذتم علـى ذلـك إصـري قـالوا أقررنـا قـال فاشـهدوا وأنـا معكـم مـن الشـاهدين﴾ [آل‌عمران.٨١]، حيـث يعتبـر كافـة النبيـين كأنهم من أمة خاتم النبيين، يجب عليهم أن يؤمنوا به قبل مجيئه.

وحصيلة الحوار مع الحـداد أنـه يغـالط ويناقض فـي كلامـه: يغـالط فـي خلـط عقيـدة الثـالوث المسـيحي بـالإنجيلي، رغـم البـون الشاسـع بينهمـا، ويناقض فـي الجمع بين الواحد والثلاث، وفي الجمع بين الولادة وعدم الخلـق بمعنـى الأزليـة: في المسيح «مولود غير مخلوق ـ مولود ولد منذ الأزل».

لـذلك يضـرب بسـوط جبـار علـى آيـات الله البينـات فـي القـرآن، التـي تنـدِّد بالثالوث المسيحي، أنه ليس من عقيدة الإنجيل، ثم يحاول موافقة القرآن للثـالوث الإنجيلي في وريقات، في مكررات بالعشرات العشرات!

* * *

الدكتور فندر الآلماني: مهلًا أيها الإخوان: يا طلاب الحقيقة، ويا شيخنا! فلا يكفينا النقل لثالوثنا الأقدس، تعالوا نتكلم، نتساءل فيه عقلياً، فلا كفاية في النقل ما لم يصدّقه العقل ..

المناظر: أجل، وذلك ما كنا نبغيه، فلله الحمد أن هداكم وسوف يزيدكم هدىً بنور العقل، رغم ما بدأتم به من: أن الثالوث وراثة عتيقة رشيقة من الإنجيليين الأقدمين، والحال تضطرُّكم السوابق السوء، المظلمة الوثنية من ثالوثكم، أن تبحثوا عنه عقلياً! فنحن معكم آنذاك كما كنا من ذي قبل، متحرّرين عن التقاليد العمياء ...

* * *

«بحوث عقلية حول الثالوث والبنوة»

مفروضات الأقانيم: العقلية:

أجل- وماذا تعنون ب: الإله الواحد ذي أقانيم ثلاثة؟

١- فهل إنّ هذه الأقانيم من مقوِّمات وأجزاء الإله الواحد!

٢- أو أنها ظهورات مختلفة لذاته في صفات ثلاث؟

٣- أو مخلوقات ثلاثة واحداً بعد واحد؟

٤- أو أنها تبدُّلات لذات واحدة إلى ذوات ثلاث، مقارنة أو على التوالي وهي:
إما بتجافي الذات عن كينونتها، ثم حدوث تلكم الأقانيم؟

٥- أو بقاء الذات على حالتها الأولى مع تبدُّلها بهذه الذوات؟

٦- أو أن المسيح مركّب من لاهوت الإله والناسوت البشري وقد تبادلا كالتالي:

إله أمشاج:

تبدُّل اللاهوت الإلهي إلى الناسوت البشري والناسوت البشري إلى اللاهوت الإلهي، فصار- هما مع الروح القدس واحداً: واحدٌ وثلاث = ثلاث وواحد!!!

فروض النبوة:

ثم ما معنى تولّد المسيح منه أو أنه ابنه؟

١ ـ فهل هو بمعنى انفصال النطفة ارجولية والروح عن ذاته تعالى واستقرارهما في رحم مريم البتول ـ فتولّد المسيح؟ ـ وهو بهذا الإعتبار ابن الله كأمثالنا من آبائنا؟

٢ ـ أم بتنزُّل الإله عن لاهوت الألوهية والتجرّد ـ بتمامه ـ إلى ناسوت الجسم؟ وذلك بتجافي الإله المجرَّد عن كينئنته المجرَّدة اللَّانهائية، ثم اختلاق جسمٍ فيه الروح و هو المسيح؟

٣ ـ أو بقائه على لاهوت التجرُّد واللانهاية ـ مع تبدّله إلى الناسوت؟.

٤ ـ أم بحلول اللَّاهوت في الناسوت لكي يكون جسم المسيح متولداً من رحم البشر، و روحه هو الإله اللاهوتي، فهو ابن الإنسان بالاعتبار الأول وابن الله على الإعتبار الثاني؟

٥ ـ أم لا ذا ولا ذاك وذياك، وإنما المعني من بنوّة المسيح، أنه اتخذه ولداً تشريفاً وتفضيلاً له على من سواه ـ دون ألوهية للمسيح ولا لروح القدس، وإنما الله هو الأول ثم المسيح وروح القدس هما من خلقه الشرفاء؟!

فندر: ماذا علينا إذا اعتبرنا كل هذه الفروض في ثالوثنا الأقدس وابن الله الوحيد، أن الكل حق، رغم غموضها ورموزها:

عباراتنا شتّى وحسنك واحد وكلّ إلى ذاك الجمال يشير

طالب إنجيلي: مه يا أُستاذ! فهل نسيتم أو استغفلتم ما تفضّل علينا الشيخ العلامة من ذي قبل، عند بداية البحث عن الثالوث: أن المحال محال أينما حلّ ـ وكثير من هذه الفروض مستحيلة متناقضة في أنفسها، فضلًا عن الجمع بينها في عقيدة الثالوث، أتناقضاً في تناقضات!؟؟

فندر: نعتبر الفرض الأول في الأقانيم، ثم مه؟

المناظر: لازمة البيِّن تركّب الإله من أجزاء، والتركّب آية الحدوث، فهلّا يمتنع حدوث الأزلي وأزلية الحادث وهما في طريق النقيض؟

فندر: وعلى الثاني؟

المناظر: حينذاك، فهذه الظهورات في تلكم الصفات كما يقوله البراهمة:

إن ذلـك الإلـه المجـرّد الأزلـي لمـا أراد أن يتجلّـى ويخلـق الخلـق، إتخـذ أولًا صـفة الفعـل، و تصـوّر بصـورة شـخص مـذكّر وهـو الأب، ثـم زاد فـي فعلـه فاتصـف بصـفة ثانيـة وجوديـة فصـار الإبـن، ثـم انقلـب بصـفة ثالثـة تبعيـة فصـار روح القـدس، فهـم آنـذاك: برهمـا. فشـنو. سـيفا - وأنـتم تعبـرون عـنهم بــ: «الأب والمسيح وروح القدس».

ولازم هذا الفرض حدوث جميع هذه الأقانيم المختلفة، وحاش للّـه أن يحـدث لذاته أو صفاته شيءٌ بعد أن لم يكن ذلك الشيء، وهو الأزلي إطلاقاً!

وحاش للمجـرد اللانهـائي أن يتجلّـى فـي الجسـم، أو يكـون متنـاقض الـذات، بوحدته في تعدده وتعدده في وحدته.

أجـل: إلا أن تعتبـرو هـؤلاء الـذين تسـمونهم أقـانيم الإلـه: أنهـم مـن مخلوقاتـه الأولين كسائر خلقه: أنّهم خلقُـه، دون تجـلٍ ذاتـي أو وصـفي لـه تعـالى فـيهم، إلا خلقاً وإضافة إشراقية.

... ثـم علـى الفـرض الثالـث، إن كانـت هـذه الظهـورات كمـا يقـول البوذيـون سـبحانه وتعـالى عمـا يشـركون: أن الإلـه الأزلـي: «العقـل الأبـدي» صـدر عنـه واحـد، ثـم صـدر عـن هـذا الواحـد ثـانٍ، وعـن الثـاني ثالـث، ثـم صـدرت الكائنات عن هؤلاء الثلاثة.

حينـذاك فهـو شـرك فـي الخالقيـة، فـلا ألوهيـة ولا أزليـة علـى الفـرض لهـؤلاء الثلاثة، حيث خلقهـم الإلـه الأزلـي، فكيـف اشـتركوا معـه فـي الخلـق أو اختصـوا بدونه وقد خلقهم ولم يكونوا شيئاً؟

ثـم علـى الرابـع وهـو تجـافي الـذات وخلـوُّه عـن كينونتـه التجرديـة اللانهائـة، ثـم حـدوث هـؤلاء الثلاثـة مقارنـة أو علـى التـوالي، ففيـه اسـتحالة زوال الأزلـي الأول، ثـم اسـتحالة حـدوث شـيءٍ بعـد انعدامـه، دون أيـة علـة، حيـث لا تحتمـل عليّـة الزائـل، ولا أزليـة وألوهيـة الحـادث، إذا كـان مخلوقـاً

للإلـه قبـل انعدامـه أو بنفسـه، حيـث يسـتلزم اسـتحالة أواسـتحالتين علـى الحالتين!

وعلى الخامس: وهو بقاء الذات في حين تبدلها بهذه الذوات الثلاث، فهـو مـن الجمع بين المتناضين: أن يكون الشيء نفسَه وغيرَه في حالـة واحـدة وهـذا سـلبٌ للشيء عن نفسه!

والسادس: فيه حكـم علـى اللاهـوت الأزلـي اللّـا متغيّـر بالحـدوث والتغيـر: أن تبدّل بغير ذاته! ثم حكم على الناسوت الحـادث أنـه تبـدّل إلـى اللاهـوت الأزلـي! وتباين الأزلية والحدوث أحكم قاض على هذا الفرض، فاقض ما أنت قاض.

ولقد ترون أن شيئاً من هذه الفروض الستة في التثليـث لا يوافـق العقـل، وهـي برمتها تناقض في تناقض.

وحصيلة البحث أن أُكذوبة الأقانيم ساقطة من ناحيتين:

١ ـ أنها من الخرافات الوثنية العتيقة.

٢ ـ أنها من المناقضات البيّنة ... فلا حجة فيها لعاقل ولا كرامة، فأنّى تؤفكون!

الـدكتور بـاطر: إنمـا الهـدف الرئيسـي مـن الثـالوث هـو بنـوة المسـيح، فألوهيته فأنّى تصرفون!

طالب الإنجيلي: يا أستاذ! هـل هـذا إلا فرعـاً مـن جـذور الثـالوث الـذي أبطلـه العقل والنقل فأنّي تترفون؟

طالب آخر: لا ضير إذا تفضّل شيخنا العلّامة بالبحث عـن المحـتملات الخمسـة في النبوَّة أيضاً ولتكمل الحجة وله الشكر المتواصل.

المناظر: الفرض الأول وهو انفصال عن الإله الأب، إن كان بمعنى خلق النطفة كما في سائر الخلق فيقتضي بنوّة الخلق أجمعين من غير اختصاص بالمسيح، وإن كان بمعنى الولادة عن ذاته تعالى بتأويل أن النطفة والروح من أجزاء ذاتـه تعـالى، فيقتضي تركُّب ذاته من روح وجسم مركَّبين، ثم نقصانهما بانفصال جـزءٍ عـن كـل

واحد منهما وهذا نقصان في نقصان وإمكان في إمكان، فلا تمام ولا ألوهية ولا أزلية لا للأب ولا للإبن!

باطر: الصحيح هو الفرض الثاني: أن الأب نزل من لاهوت الألوهية إلى الناسوت كما عليه الآباء عبر القرون.

المناظر: ان كان هذا التّنزّل بتجافي الذات وخلوّها عن لاهوتها فيرد عليه ما أورد على الرابع من فروض الثالوث[١] وإن كان ببقاء الذات على اللاهوت بعد نزوله إلى الناسوت كما في الفرض الثالث من فروض التبني، ذلك إما بتأويل حلولها في ناسوت الجسم، كما عن البراهمة، أو بقائه على تجرده مع تبدّل الذات، فهذا من إجتماع النقيضين كما في الفرض الخامس من الثالوث.

ثم على الأول يلزم تحيّز اللامتناهي المجرد فى الجسم المتناهي المحدود، ولا يتيسر ذلك إلا بتجافي اللامحدود عن كينونته إطلاقاً، أو عن لا محدوديته، أو اجتماع المحدود و اللامحدود في ذات واحدة. وكل ذلك بيّن الإستحالة!

باطر: فالفرض الرابع ...؟

المناظر: وهو أن جسم الإبن متولّد من البشر وروحه من الإله بتأويل حلوله بذاته في جثمان المسيح في رحم مريم البتول ثم تولده عنها، وحينذاك فلا إله غير المسيح، فكيف تقولون: الأب والإبن!

على أن حلول المجرَّد ولا سيما اللامحدود في الجسم ـ وكل جسم محدود ـ ذلك بيِّن الإستحالة، حيث الحالُّ في المحدود جسمٌ ومحدودٌ لتحدُّده بحدود الجسم، فيُحكم عليه بحكمه لا محالة.

أدلة عقلية على إمكان الثالوث!

---

١ . وهو استحالة انعدام الأزلي وهو اللاهوت، ثم استحالة حدوث النطفة والروح الناسوتيين من دون اية علّة والمفروض انعدام ما يصلح للعليّة.

بولس الراهب أسقف صيدا الانطاكي:[١] إنّا معشر النصارى نعتقد في الله أنه واحد بالذات مثلث بالصفات التي نسميها أباً وإبناً وروحاً قدساً، نريد بذلك تصحيح القول: إنه تعالى شيء حيٌّ ناطق، فالشيء الذي هو عندنا الذات هو الأب، أي أن الذات الإلهية وطبيعته كلها في الأب، والنطق هو الإبن، والحياة هي الروح القدس، والثلاث الصفات هي الإله الواحد الذي لا يتبعّض ولا يتجزأ، فلا هو ثلاثة بمعنى ما هو واحد ـ أي: ليس هو ثلاث ذوات بل هو ذات واحدة، ولا هو واحد بمعنى ما هو ثلاثة، أي ليس هو صفة واحدة بل ثلاث صفات.

وقد نرى الشمس المخلوقة توصف بثلاث صفات جوهريات لا مستعارات، فيقال: قرص الشمس، ضوء الشمس، سخونة الشمس، وكلّ صفة من الثلاث الصفات حافظة لخاصّتها بلا اختلاط ولا تفريق ولا تبعيض ولا تجزؤ.

فالقرص والدٌ للضوء، والضوء مولود من القرص، والسخونة منبعثة من القرص مستقرة في الضوء، والثلاث الصفات شمس واحدة وليست ثلاث شموس، وإن كان قد يقال لكل صفة منها شمس، وإذا كان هذا المجرى يجري في الشمس المخلوقة ففي خالق الشمس ألطف وأفضل!

ثمَّ الإبن الأزلي الذي هو النطق تجسَّد إنساناً كاملًا من الروح القدس من السيدة مريم بال انتقال عن اللاهوت ولا انفصال عن الذات، كما أن كلام الإنسان المولود من عقله يصير كتاباً فيسير إلى بلدةٍ مّا فيتخرَّق الكتاب أو يُحرق، فمن حيث الورقة والمداد يدخل عليه التَّخريق والحريق، ومن حيث الكلام غير داخل عليه عرض، بل هو ثابت في العقل الوالد له بلا انفصال والكتاب واحد.

---

١ . يقوله جواباً عن إيراد الشيخ أبو السرور التنيسي الرقام ـ يشرح فيه عقيدة النصارى في التثليث ـ نقله عن الأب لويس شيخو اليسوعي في كتابه المقالات الدينية، ط ١٩٠٦ بيروت.

كذلك نقول: إن السيد المسيح من حيث هو كلمة الله: قديمٌ أزليّ، ومن حيث هو ابن السيدة مريم: هو محدّث زمني، ففعل المعجز بالطبيعة الإلهة، وأظهر العجز بالطبيعة البشرية، والفعلان للسيد المسيح الواحد.

وأما قولنا إن السيد المسيح إلهٌ فلأنّ اللطيف إذا اتحد بالكثيف غلب اسم اللطيف على الكثيف، كما يغلب اسم النار على الحطب، فلا يقال نار حطب، بل يقال نار!

وأما الولادة: فليست إلا ولادة لطيفة بغير مباضعة ولا تناسل، بل هي مثل ولادة العقل للنطق، وولادة قرص الشمس للضوء، وإلى هذا المعنى ننحو في قولنا: أباً وابناً، والحمدالله على ما أنعم علينا به من المعرفة بتوحيد جوهره وتثليث أقانيمه التى هي الأب والإبن والروح القدس ...

المناظر: هذه النظرية الأخيرة للكنائس يذكرها أسقف صيدا وفيها من تناقضات وما يكذبه العقل ما يلي:

ظاهر قوله: واحدٌ بالذات مثلّث بالصفات، أنه تعالى ذات واحدة وله صفات ثلاث، ثم قوله: أي أنه شيءٌ حيّ ناطق فالشيءُ، عندنا هو الذات، فيه: اعتبار الذات هى الصفة الاولى لنفسه أى أنيه شىءٌ، حال أن الشينية لنفس الشيء ليست صفة حقيقية له، حيث الوصف ما يلازم الذات إطلاقاً أو يعرضه، ولا معنى لكون الذات وصفاً لنفسها، فإنما الصفة للذات هنا في زعمة هو الحيّ الناطق.

فقد حصر صفات الذات في الحياة والتكلم، فأين العلم وأين القدره؟ حال أن التكلم أيضاً من صفات الفعل؟ فلم تبق من صفات الذات إلا واحدة هي الحياة، فالله عندهم هو الشيء الحي فحسب، حال أن له صفتين ذاتيّتين أخريين هما العلم والقدرة - وهذه الثلاث الصفات ليست عارضة على الذات حتى يكون هناك تعددٌ، بل هي عين الذات كينونةً وحقيقة، فالحياة والعلم والقدرة كلها تعبيرات عن ذات بسيطة واحدة، وليست الصفات الثلاث إلا تعبير اللغات وتحبيرها، تدلنا

على ذات واحدة بسيطة ـ دون أن تزيد عليها صفة أو صفات، بل إن الذات مجمع كافة الكمالات كما يناسب وقدسيته، دون تركب وحدود وعروض واجزاء.[١]

ثم الأسقف يكرر القول: أنه واحد وثلاث باعتبارين: واحد باعتبار الذات وثلاث من حيث الصفات، حال أنه لم يأت بشيءٍ من صفات إلا واحدة هي الحياة، وإلا صفة أخرى فعليّة هو التكلم، وأما الشيئية فهي الذات بعينها.

وأما تمثيله بالشمس، أن لها ثلاث صفات جوهريات، فهو تمثيل للأقانيم بغير مثالها، حيث الشمس ليست ذاتاً مجرّدة بسيطة غير متجزّئة، فلا تُشبَّه بذات الله، ثم إن صفاتها الثلاث ـ التي يعتبرها القرص والضوء والسخونة ـ ليست إلا اثنتين، اعتباراً أن القرص ذاتها، لا صفة ثالثة لذاتها.

ثم القرص والدٌ للسخونة والضوء، فكلما ولدت من ذاتها شيئاً فشيئاً نقصت الذات كذالك، حتى تفنى لقيامتها، فالشمس وإن كانت واحدة من حيث الجرم إلا أنها مركّبة من ملايين الأجزاء، تتبدل دوماً إلى عنصري النور والسخونة وغيرهما، وهما ظاهرتان متولدتا من ذات القرص، فالشمس باعتبار مواليدها وإن لم تكن ثلاث شموس إلّا أنّها دوماً ثلاث ذوات أي أنّها مركبة من عناصر مختلفة، تتولد عنها شيئاً فشيئاً، حتى تفنى الذات، فلا وحدة وبساطة حقيقة فيها، وهي في الحقيقة مركّبة الذات من الجرم والنور والسخونة، وإن شئت فقل: هي الجرم منبثقاً عنه النور والسخونة ولادةً عن الجرم، فهما في الجرم بمادّتهما في غير صورتهما، وحينذاك فكيف تعتبر الشمس مثالاً لتقريب التوحيد في التثليث وبينهما هذا البون الشاسع؟!

ثم المستفاد من هذا التمثيل: أنه يريد اعتبار الإبن والروح القدس متولدين من الذات كالسخونة والضوء من الشمس، إذاً فهما ولدان حادثان والذات والدٌ أزلي، حيث الولادة ليست إلا حدوث الولد عن الوالد بعد أن لم يكن، فكيف يقول: الإبن

١. لقد فصلنا البحث عن وحدة الذات مع الصفات الذاتية في كتابنا: حوار بين الإلهين والماديين.

الأزلي والروح الأزلية؟ ثم كيف يختص أحدهما بالابن والثاني بالروح حال أنهما في النبوّة سواء، وكما يُستأنس من تمثيله؟!

أجل: إلا أن يريد حدوث الصورة النوعية للعنصر لا أصل الذات التي هي ذات الأب، بلا اختلاف، كالفحم والرماد المتولدين من الحطب إذا أضرم بالنار، حيث المتولد هنا في الصورة النوعية للفحم والرماد، لا أصل المادة، فإنها كانت في الصورة النوعية الحطبية ثم تبدلت رماداً ودخاناً ...

إلا أن هذا الاعتبار ينافي وقوله: «أن الإبن الأزلي هو النطق تجسَّد إنساناً كاملا من الروح القدس، ومن السيدة مريم، بلا انتقال عن اللاهوت ولا انفصال عن الذات».

ثم اعتباره: أن السيد المسيح من حيث هو كلمة الله قديم أزلي، ومن حيث هو ابن السيدة مريم هو محدث زمني.

يرد عليه: أن الإبن لم ينتقل على الفرض عن لاهوت الأب، فكيف حل في رحم مريم البتول، وماذا حلَّ فيه والتحم وصار إنساناً؟ حال أن المدعى كون المسيح إلٰهاً بروحه وبشراً بجسمه، فهل انتقل لاهوت الأب بتمامه في الجسم أو ببعضه، أو لم ينتقل شيءٌ منه قط، فعلى الأخير ليس المسيح إبناً من حيث الروح لفرض عدم الإنتقال، وعلى الأول لم يبق هناك أبٌ حيث انتقل بتمامه إلى الجسم، وعلى الثاني: فبعض الأب أبٌ وبعضه ابن، كالحطب والرماد، حيث إنه لو لم يحرق الحطب لم يكن هناك رمادٌ منه ولا جزءٌ، ولو احترق بعضه انتقل هذا البعض إلى صورة الرماد وبقي الآخر حطباً، ولو احترق الكل لم يبق من الحطب شيءٌ إلا منتقلًا إلى الرماد.

فالأسقف بولس في كلامه على طوله، قد يعتبر الذات صفة لنفسه، ثم هناك وصفان آخران متولدان عن الذات، ولكن أحدهما ابن والآخر روح، رغم أنهما في الولادة سواءٌ، ثم يعتبر المسيح ابناً بلا انتقال عن اللاهوت، حال أن البنوّة هي

الولادة والإنتقال، وما لم ينتقل جزءٌ من الأب إلى صورة أخرى لم يكن هناك ابن ... ولو كان هناك انتقال لأستلزم ذلك تحيُّز اللامتناهي وهو اللاهوت، في المتناهي وهو الجسم، ولو كان الإنتقال لجزءٍ من اللاهوت لزم تجزُّؤ اللّاهوت، سبحانه وتعالى عما يصفون.

ثم لهذا الأسقف مقالات أخرى تضاهي ما سلف مثل قوله «ربٌّ واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد» حال أن الروح أيضا ابن كما ذكره قبل ذلك: «المولود من الأب قبل كل الدهور مولود غير مصنوع مساوٍ للأب في الجوهر» رغم أن المولودية عين المصنوعية، وقوله «الإبن الأزلي» رغم أن الولادة تناقض الأزليّة!!! ...

وعلى أية حال لا يأتي الأسقف الإنطاكي طوال كلامه بشيءٍ بيِّن حتى عند نفسه إلا تناقضات ـ ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ـ ونحن عند سرد فروض التثليث والتبنّي شرحنا الحال عن استحالتها.

التداخل الثالوثي:

لوديغ اوت:[١] أعلن المجمع الفلورنسي مع القديس «فلجانسيوس» في مرسومه إلى اليعاقبة (١٤٤١) ما يلي: «أن الأب، بسبب هذه الوحدة، هو كلياً في الإبن وكلياً في الروح القدس، والإبن هو كليا في الأب وكلياً في الروح القدس، والروح القدس هو كلياً في الأب و كلياً في الابن» (D.٧٠٤) فالإبن يشهد أن الأب فيه وهو في الأب (يوحنا ١٠: ٣٣):

«أنا والأب واحد» ويوحنا (١٠: ٣٨): «آمنوا أني أنا في الأب وأن الأب فيّ، وإلا فآمنوا من أجل الأعمال عينها». انظر يوحنا (١٤: ٩) وما يلي (١٧: ٢١) ونجد في (١كور ٢: ١٠) و ما يلي: أن الروح القدس هو في الأب والابن.

---

١ . في كتابه مختصر في علم اللاهوت العقائدي، ص ١٠٤.

المناظر: إن نفس الحلول دليل التعدد والتغاير بين الثلاثة، حيث الشيء لا يحلُّ في نفس ذاته ـ ثم حلول أقنوم الأب = الخالق على تجرده ولاهوته اللانهائي ـ في الإبن المتولد منه، أو الروح المنبثق منه على حد تعبير «أوت» هذا نفسه تناقض بيِّن أياً كان:

١ـ أن يصبح اللّاهوت غير المتناهي محدوداً، إذ حلَّ في الأقنومين: الإبن والروح، فهذا انقلاب الأزلي حادثاً، وانقلاب الشيء إلى مباينه كلياً.

٢ـ أن يبقى على محدوديته في حلوله القاضي بمحدوديته، فهذا جمع بين الحدّ واللاحدّ!

حوار آخر مع الحداد في التوحيد التثليث:

الحداد:[1] التثليث الانجيلي من صُلب التوحيد، إنه تفسير منزَّل في الإنجيل لحياة الحيّ القيوم في ذاته الصمدانية، يقول المسيحيون المؤمنون به: إن «كلمة الله» كما حدَّه الإنجيل بحسب يوحنا هو «اللوغس» من ذاته في ذاته لذاته، فليس هو كلام الله الصادر عنه في الخلق أو في الوحي والتنزيل، ونطق الله الذاتي في ذات الله يصدر عن الله صدور النطق عن العقل في المخلوق، وهو يتسلسل من ذات الله، في ذات الله، كما يصدر الإبن عن والده في عالم المخلوق، مع كامل التجريد والتنزيه.

وروح القدس على الإضافة إلى «القدس» الذي هو الله، أو الروح القدس على الصفة حيث «القدس» كناية عن التجريد والتنزيه والتشبيه، به يتميز روح الله عن كل روح مخلوق.

---

١. ص ٦٢٣ من كتابه القرآن دعوة نصرانية.

فالله ونطقه الذاتي وروحه أو حبه الذاتي، في تثليث صفات ذاتية أو صلات كيانية، لا هي عين الذات ولا هي غيرها، هو ما يسمّونه بلغة شعبية: «الأب والابن والروح القدس، الإله الواحد الأحد».

المناظر: نفس التعبير «الأب والابن والروح القدس» على حد تعبير متى (٢٨: ١٩)، هذا يدلنا على تنزُّه ذاته تعالى عن الإصدار الولادي للإبن والروح، وإنما هو إصدار خلقي، حيث الأب يعني: الخالق ـ لا الوالد، وليت شعري كيف لا يشعر الحداد وسائر المثلثين أن الآب بالمدّ، يختلف عن الأب دون مدٍّ، فإن الآب ـ كلمة يونانية أحتفظ عليها في الترجمات العربية ليًّا وإمالة من شاكلة هذه الكلمة إلى المعني من شاكلة الأب «الآب = الأب = الوالد» ولكن الكاذب ناسٍ، فهم نسوا أن يسقطوا المدَّ من الآب، فخسر هنالك المبطلون.

ثم قوله الأخير نتاجاً عن بحثه الفلسفي الثالوثي: لا هي عين الذات ولا هي غيرها، هذا تناقض بيّن: أن يصبح وصفان للذات الأحدي محطَّ السلب والإيجاب: «لا هي عين الذات ولا هي غيرها!» إذاً فليست هناك صفات، إذ الصفة الإلهية يستحيل إن يُسلب عنها الذاتية ومقابلها.

ثم الحكم على أنها ليست عن الذات ينتج أنها مخلوق الذات، فكيف تقرن بالذات في الإلهية وتعتبر مع الذات إلهاً واحداً في جوهر واحد.

والتعميد باسم الآب والابن والروح القدس، لو صدقناه ولم نقل أنه مقحَم في الإنجيل، هذا لا يحكم بألوهية الإبن والروح، بل بالأحرى يحكم هذا القرن بأنهما مخلوقان حيث قورنا بالآب «الخالق» والخالق لا يقرن إلا بمخلوقه، فالتعميد باسمهما لقد استهما لا لألوهيتهما، ولكننا لا نصدق هكذا تعميد ضال: أن يقرن الله بخلقه، فلا إله إلّا هو ولا قوة إلا به!

وعلى أية حال إننا لا نجد في محاولات المتفلسفين من المسيحيين لتحقيق الثالوث، لا نجد إلا تناقضات وكما يكرر زميلهم الحداد «توحيد التثليث» «التنزيه

في التشبيه والتشبيه في التنزيه» «التجسيد في التجريد والتجريد في التجسيد» وكل هذه التعابير في معنى واحد هي: الصحيح في الغلط والغلط في الصحيح - أو - النقيض في النقيض!!!

النبوة التشريفية للمسيح:

الأسقف: أحسن الفروض هو الخامس وقد يرتضيه العقل والمثقفون من علماء الإنجيل، فلنا أن نعتبر المسيح ابن الله من جهة التشريف، لا إلهاً ولا ولداً له على الحقيقة - كلا - إلا ابناً على سبيل التشريف والكرامة، حيث اختصه بخلقه من غير أبٍ، فهو خالقه حيث خلقه، وأبوه، لأنه قام مقام أبيه في خلق نطفته دون وساطةً الأب.

هذا وكما يخاطب بعض الأعاظم من يريد إبانته بالمنزلة والزلفى، عن غيره، يخاطبه: إبني!

الطلاب الإنجيليون: هذا، ولعلَّه الفرض الذي نتمكن من تعقله وتصديقه بين الفروض السالفة!

المناظر: وهذا، أيضاً لا يناسب وساحة الألوهية وإن اختلف عن الفروض الأُخَر في الاستحالة بعض الإختلاف، فتلك عشرة كاملة يُقضى عليها عقلًا ونقلًا.

الأسقف: ألستم تقولون: إن إبراهيم خليل الله ومحمداً ﷺ حبيب الله، لكرامتهما على الله، فليكن المسيح أيضاً ابن الله كرامة وتشريفاً!

المناظر: إن الخلة والحب في الخليل وفي الرسول الأعظم ﷺ حقيقتان دون مجاز وتهكم، حيث الخليل من الخلة وهي الفقر وقد كان الخليل فقيراً إلى ربه منقطعاً إليه عمَّن سواه، متعففاً معرضاً مستغنياً، وشاهداً على ذلك ما ابتلاه ربه بكلمات فأتمهن، كما أمر أن يذبح فلذة كبده إسماعيل، أن رأى في المنام أنه يذبحه، وحينما رُمي بالمنجنيق في النار فبعث الله إليه جبرائيل قائلاً: أدرك

عبدي، فأدركه في الهواء، فقال له: كلفني ما بدا لك فقال: حسبي الله ونعم الوكيل، إني لا أسأل غيره ولا حاجة لي إلا إليه، فسمّاه لذلك خليله، أي فقيره المنقطع إليه، كأنه خلّ فيه من شدة انقطاعه إلى الله تعالى.

وكذلك محمد ﷺ حيث لم يحب سوى الله وكان في الزلفى من ربه قاب قوسين أو أدنى، فهو حبيب الله لا يحب سواه.

فهذه الألقاب لهؤلاء الأخلّاء المحبين، إنما هي لتحقق معانيها فيهم، لا جزافاً وتهكماً! ثم التجوّز في الألقاب التكريمية أيضاً لا يجوز إلا فيما لا تستحيل حقيقتها، كما قد يخاطب أحدنا من يريد إعظامه وإكرامه: أبي ـ عمي ـ شيخي ـ أخي ـ إبني ... حيث الكل ممكن بالنسبة لكل أحد لإمكانهم أجمعين دون رب العالمين، حيث تستحيل حقيقة هذه الإضافات من خلقه إليه ومنه تعالى إليهم.

فكما يستحيل التكريم في خطابه تعالى لأحدٍ من خلقه أن يقول: يا شيخي ـ خالقي ـ رازقي ـ عمي ـ أبي ـ أُمي ... كذلك يا ابني! وما إلى ذلك من المحال.

أجل ـ وكما يستحيل أن يلد الخالق، كذلك التجوز في تسمية أحدٍ من خلقه ولداً أو ابناً.

الأسقف: إذاً فكيف يُسمى المسيح في القرآن والإنجيل روح الله، فليكن روحه تعالى حالّاً فيه، فلو أنتم تكذبون الإنجيل، فهل إن قرآنكم أيضاً يأتي بذلك الزور، وفيه تصاريح بالغة أنه روح الله؟

هل أن المسيح روح الله؟

المناظر: أجل، إنه روح من الله ـ لا روح الله ـ لا بتأويل أن روحه سبحانه حل فيه وأنه روحه تماماً، لاستحالته ذاتياً، ولأن القرآن يصرح هكذا بالنسبة لآدم وذريته أيضاً: ﴿ونفخ فيه من روحه﴾ [سجده. ٩]، ﴿ونفخت فيه من روحي﴾

[الحجر، ٢٩]، كما صرّح للمسيح: ﴿فنفخنا فيها من روحنا﴾ [الانبياء، ٩١]، ﴿فيه من روحنا﴾ [التحريم، ١٢].

فالمعني: أن الله تعالى اصطفى روح آدم وذريته من بين الأرواح، واصطفى روح المسيح كذلك بين طائفة من المصطفين، فالإضافة إذ ذاك تشريفية، كبيت الله وعبدالله وخلق الله ...

وأخيراً هناك في التوراة شاهد صدق يشهد لهذا التفسير قائلًا: فقال الله: لن تسكن روحي في الإنسان إلى الأبد، لأنه لحم ... (تك ٦: ٣).

حيث يُحيل سَكَن روحه تعالى في الإنسان لأنه لحم، وحلول المجرَّد غير المتناهي في الجسم المتناهي جمع بين النقيضين كما سلف.

فلا عزة ولا كرامة للعباد فوق العبودية! ثم لا اختصاص للمسيح بين الأنبياء في ولادته ولا نبوّته ولا معاجيزه، لكي يستوجب مزيد التكريم بالتبني، على فرض إمكانه.

فما مثَله في الولادة إلا كمثَل آدم، أو أدون منه، حيث خلق من غير أب وأم: ﴿إنما مثل عيسى عندالله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون﴾ [آل‌عمران، ٥٩].

ثم ما نبوته إلا كسائر النبوات في الأولي العزم من الرسل، أو أدون من بعضهم، من الذين بعثوا بشرائع فذة مترامية الأطراف كمثل موسى ومحمد ﷺ ولم يؤمر المسيح ﷺ إلا بالدعوة إلى تلك الشرائع قائلًا: ما جئت لأنقض الناموس بل لأحققه ولأكمله...

وما معاجيزه ـ ومن أهمها إحياء الموتى ـ إلا كما أحيي إبراهيم ﷺ الطّير الأربع، وكما أحيى موسى قاتل بني إسرائيل في قصة البقرة ...

ثم إن معجزات الأنبياء أمثالٌ في أنها من أفعال الله تعالى، يظهرها الله على أيديهم حجةً لهم، وإن اختلفت في صورها، بحسب الظروف والمصالح الخاصة والإبتلاءات المختلفة.

إني ذاهب الى أبي ... أبي:

فنـدر ـ بسـت ـ بـاطر و ...: فمـاذا نصـنع بقـول المسـيح: إنـي ذاهـب إلـى أبـي؟ (يوحنا ٢٠: ١٧).

المناظر: أجـل ـ وفيـه زيـادة: وأبـيكم، وحينـذاك فـلا اختصـاص للمسـيح فـي أنـه ابـن الله، حيـث يعتبـر أمتـه أيضـاً ـ علـى زعمكـم ـ أبنـاء الله، وكمـا فـي نصـوص القـرآن تنديـداً بكـم ﴿وقالـت اليهـود والنصـارى نحـن أبنـاء الله وأحبـاؤه﴾ ... [المائدة. ١٨].

أبي أو آبي = آدم أو خالقي:

إلّـا أنـه لـم يقصـد مـن أبـي وأبـيكم ربـه تعـالى، وإنمـا يقصـد آبـاؤه الأنبيـاء آدم ونـوح وإبـراهيمﷺ ولكـن المحـرِّفين حرَّفـوا ذلـك إلـى خرافـة البنـوَّة، سـبحانه وتعالى عما يصفون.

وشـاهداً علـى ذلـك قولـه بعـد ذاك: وإلهـي وإلهكـم، والمقابلـة بـين الأب والإلـه تـدلّنا علـى اختلافهمـا: (يوحنـا ٢٠: ١٧)... وقـولي لهـم: إنـي أصـعد إلـى أبـي وأبيكم وإلهي وإلهكم ...

وأياً كان فهذه تصريحة المسيح أن له إلهاً، فليكن هو عبده لا مثله في الألوهيـة، إنه أعظم من المسيح وكما في تصريحة أخرى: لأن آبـي أعظـم منـي (يوحنـا ٢٩: ١٤)، فليكن الأب هنا وكلما يذكر هو الخالق.

الأسقف: إذا ذاك فماذا نصـنع بلفـظ الأب المتكـرِّر فـي مائـة ... المواضـع فـي الإنجيل، حيث يعتبر المسيح الإله أباً لنفسه فهو ولده! بأي معنى أمكن، فـلا محيـد ولا محيص لنا عـن الإعتـراف ببنـوة المسـيح، حيـث التحريـف لا يمكـن فـي هـذه التصاريح الوفيرة!!!

الأب = الخالق، الأب = الوالد:

المناظر: الأب في العربية هو الوالد فيستلزم ولداً، ولكنه في اللغة اليونانية بالمدّ يختلف معناه عنه اختلافاً شاسعاً حيث يراد منه الخالق والفاطر. وكذلك لفظه لإضافة المدّ (آب على وزن ناب) ولكن الكنيسة الإنجيلية تجعل الوالد مكان الأب أو ثبتها من دون مدٍ (آب) في التراجم العربية، وترجمتها بـ: پدر ـ في الفارسية ـ وفاذر، وفادر في الإنجيليزية والآلمانية، ليًّا بألسنتهم وتحريفاً للكلمة عن معناها وطعناً في الدين!

لذلك لا نرى ـ أو شذّ ما نرى ـ ترجمة عن الأناجيل تجعل الخالق أو الفاطر بدل الآب، ونحن نسأل الكنائس: هل أن الأب «اليونانية» أصبحت عربية لكي تفسّر بتفسيرها هنا وهناك في جميع ما استعلمت هي فيه؟ ولكن كلمة محمد المتكررة في العهد العتيق تبقى على عبريته، ثم لا يُعنى منها معناها العبري أيضاً، رغم إشارتها إلى محمد الإسلام، فأنّى تؤفكون، ثم أنّى تصرفون!

وإذا اتضحت هذه الحقيقة الناصعة فبإمكاننا أن نفسّر كلام المسيح المتقدِّم أيضاً: إني ذاهب إلى آبي وآبيكم وإلهي وإلهكم، بأن الأب والإله كليهما يعبِّران عن الله تعالى، إلا أن الأول هو الله في صفة الخالقية، والثاني من حيث الألوهية!.

ثم إن الذي دسَّ في فكر الكنيسة فكرة الأبوّة والبنوّة الإلهية السقيمة هو الخصّي الكوسج المصري خادم الرهبان «اوريغين»[١] وهذا عندما شرح آيات البنوّة، قال:

«حقيقته أنه من عين جنس الآب: الله» أي باعتبار أن مريم أمّه، فهو من عين جنس الإنسان أو مساوٍ له، وباعتبار أن الله أبوه فهو من عين جنسه ـ مساوٍ لجنس الله ـ وحاشاه!

١. Origeuns و هو راهب أعزب عالم عارف باللغات عاش في العصر الثاني للميلاد ترجم كتب التوراة إلى ست لغات و كان له تأليف كثيرة و كان من الممكن عدّه من أكبر معلمي الكنيسة الأعزة، لأنه هوالذي كشف عن ولادة المسيح الأزلية!

وهذه عبارة «هو موسيون» أي: واحدي الجوهر أن من عين الجوهر، وهي التي أصرَّ عليها مثلثوا نيقية وأثبتوها في دفتر اعتقادات العيسوية! فإنّى يؤفكون!

﴿يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتّبعوا أهواءَ قومٍ قد ضلّوا مِن قبل وأضلّوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل﴾ [المائدة، ٧٧]، ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كِذباً أو كذّب بآياته إنه لا يفلح الظالمون﴾ [الانعام، ٢١]. فـ ﴿يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلّا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولّوا فقولوا اشهدوا بأنّا مسلمون﴾ [آل‌عمران، ٦٤].

فـ لا تقولوا: ثلاثة ـ ولا: ثالث ثلاثة ـ ولا: أن المسيح هو الله أو ابن الله!: ﴿وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرَّم الله عليه الجنة﴾ [المائدة، ٧٢] ... ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالثة وما من إله إلا إله وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسَّنَّ الذين كفروا منهم عذاب أليم﴾ [المائدة، ٧٣].

يا أصحابي الروحيين! تعالوا إلى التوحيد الدين، وإنما الأصل الرئيسي في دين توحيد الله تعالى كما تطابق فيه العقل والنقل ...

الطلاب الإنجيليون ونفر من علمائهم: أجل إنه يسعنا بعدما شرحت لنا أن ننكر الحق فتعساً لقومٍ اختلقوا هذه الخرافات ومسُّوا من كرامة الوحي الإنجيلي، ولعلَّ الله يهدينا إلى سواء السبيل ...

ورجاء من الأستاذ استعراض نماذج من التوحيد القرآني وله الشكر المتواصل ...

نماذج من التوحيد في نظر القرآن وأهله:

المناظر: أجل وللتعرف على التوحيد في قول فصل يراجع موسوعتنا الخاصة به[١] إليكم منها نماذج قيمة:

* * *

١. حوار بين الإلهيين والماديين في إثبات الصانع وتوحيده بصورة التساؤل والمناظرة

سورة الإخلاص وكلمته

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُل هُوَ الله أحَدُ * الله الصَّمَدُ * لَم يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أحَدٌ﴾.

وأخصر كلمة في التوحيد هي كلمة الإخلاص: لا إله إلا الله.

﴿الرَّحمن الرحيم﴾ [البقرة، ١٦٣]، ﴿الحيّ القيوم﴾ [البقرة، ٢٥٥]، ﴿العزيز الحكيم﴾ [آل عمران، ٦]، ﴿خالق كل شيءٍ﴾ [الرعد، ١٦]، ﴿له الأسماء الحسنى﴾ [طه، ٨]، ﴿رب العرش العظيم﴾ [النمل، ٢٦]، ﴿وسع كل شيءٍ علماً﴾ [طه، ٩٨]، ﴿فادعوه مخلصين له الدين﴾ [الغافر، ٦٥]، ﴿ هو يحيي ويميت ربكم ورب آبائكم الأولين﴾ [الدخان، ٨]، ﴿عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم * الملك ـ القدوس ـ السلام ـ المؤمن ـ المهيمن ـ العزيز ـ الجبار ـ المتكبر * هو الخالق البارىء المصوّر ـ له الأسماء الحسنى ـ يسبح له ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم﴾ [الحشر، ٢٢ ـ ٢٤].

﴿ذلكم الله ربكم خالق كل شيء لا إله إلا هو فأنّى تؤفكون﴾ [غافر، ٦٢].

فكلمة التوحيد القيمة تجمع بين النفي والإثبات: نفي الألوهية بما لها من ميِّزات ذاتاً وصفاتٍ وأفعالاً، نفيها على الكل نفياً باتاً مستغرقاً كل كائن أياً كان.

ثم إثبات الألوهية بما لها من شؤون الوحدة: في الذات وفي الصفات، في الخالقية، وفي الأزلية، في التجرد والمعبودية وفي ... تثبتها على وجه الحصر الحقيقي في ذات واحدة سرمدية قيومية: لا إله إلا هو الرحمن الرحيم، تثبت الألوهية بما يقارن كلمة التوحيد كما سلف في آيات: إنه:

واحدٌ في كونه: رحماناً، رحيماً، حيًّاً، قيّوماً، عزيزاً، حكيماً، خالقاً، عليماً محيياً، مميتاً، مَلِكاً، قدوساً، سلاماً، مؤمناً، مهيمناً، جباراً، متكبراً، له العرش وله الأسماء الحسنى ..

أجل إنها ليست إلا له لا سواه: من مَلِك أو نبيّ أو ...

ثم قولاً فصلاً في تفسير كلمة الإخلاص هو سورة الإخلاص، تجيب على طلب قادة الأحزاب[1] مشركاً وثنوياً وثالوثياً و ... بكلمة واحدة:

﴿**قل هو**﴾: لا يشار إليه بإشارة الحاضر: هذا وذاك وذلك، إشارة إلى المحسوس بأية حاسة مدركة، وإنما يرمز إليه تعالى وتقدس بما يشار به إلى الغائب: «هو».

هو الغيب عن الحواس والأوهام والعقول «لا يُحَسُّ ولا يُمسُّ ولا يُجسُّ ولا يدرك بالحواس الخمس».[2]

فـ ﴿**هو**﴾: إشارة إلى غائب لا كسائر الغُيَّب الذين يرجى حضورهم وإدراكهم، بل هو الغائب إطلاقاً لا يظهر بذاته، لا ـ إلا بآياته: آفاقيةً وأنفسيةً، غائب عن كل بصر وبصيرة:

﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير﴾ [الأنعام: ١٠٣]، ﴿ولا يحيطون به علماً﴾ [طه: ١١٠]، ﴿ألا إنه بكل شيءٍ محيط﴾ [فصلت: ٥٤]، و ﴿ليس كمثله شيءٌ وهو السميع البصير﴾ [الشورى: ١١]».

---

١ . كما في الدر المنثور: أتى اتاه ﷺ قادة الأحزاب الخمسة يسألوه عن ربه: ما هو؟

٢ . كما في رواية إسلامية.

﴿قل هو﴾: إسم يَرمز إلى مسمىً يُرمز اليه دون إشارة عقلية ولا حسية، ولا يُعرف إلّا:

أنه شيءٌ لا كالأشياء: خارج عن الحدين: حد الإبطال وحد التشبيه.

لا يُرى ولن يُرَ، طيلة النشآت وعَبْر المقامات بكافة الدرجات، إلا أن يُعرف دون إحاطة، أنَّه مباين للعالم والعالم يباينه، لأنه خلقه وفعله.

﴿هو الله﴾ ...: **الله**: من أَلِه ـ حيث أَلِهَ الخلق عن درك مائيته، والإحاطة بكيفيته: (الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام) كلّا! لا يُحسّ ولا يوهم ـ لا ـ بل هو مُبدع الأوهام وخالق الحواس (الإمام جعفر بن محمد عليه السلام).

وحيث عجز الخلق عن اكتناه ذاته، وسكنوا إليه وفزعوا إلى ساحته.[1]

الله: هو المعبود الحق (أَله: عبد[2]) لا معبود سواه، فاعبدوه مخلصين له الدين دون من سواه.

﴿هو الله أحد﴾:

أحديُّ الهوية، أحديّ الألوهية كالتالي:

١ـ أحدي الذات إذ لا جزءَ له، بل هو مجرد في حقيقة معناه.

٢ـ أحدي الصفات، إذا لا تزيد صفاته على ذاته، بل هي تعبيرات شتَّى عن ذات واحدة مجردة غير مركبة، حتى من ذات وصفات، والتركّب آية الحاجة، والحاجة آية الحدوث، فهو واحد لا تزيد صفاته على ذاته، لا جوهراً على ذات، ولا معنىً زائداً على ذات، ولا أيّ شيءٍ ـ غير ذاته ـ على ذاته.

٣ـ أحديّ الأزلية، فلا أزلي سواه، فكلُّ مَن سواه معلَّلٌ إلا هو، كلُّ خلقه وهو خالقهم.

---

١. أَلِه بالكسر جاء بمعنى ـ تحير ـ عجز ـ سكن ـ فزع ـ أولع.

٢. هذا معناه بفتح العين.

٤ـ أحدي في الخالقية ﴿هل من خالق غير الله﴾ [فاطر. ٣]، ﴿قل الله خالق كل شيءٍ هو الواحد القهار﴾ [الرعد. ١٦].

٥ـ أحدي في صفاته وذاته بمعنى ألّا شبيه له ولا نظير ﴿ليس كمثله شيءٍ﴾ [الشورى. ١١]، لا يشبه شيئاً ولا يشبهه شيء.

٦ـ أحدي في المعبودية، لا معبود سواه: ﴿فادعوا الله مخلصين له الدين﴾ [الغافر. ١٤]، ﴿إن الحكم إلا للّهأمر ألا تعبدوا إلا إياه﴾ [يوسف. ٤٠].

... فذلكم الله ربكم إله الا هو، في أية مرتبة من مدارج ومعاني حديته وألوهيته، فلا أحد غيره كما هو، فإن الخلق مركب أياً كان: ﴿ومن كل شيءٍ خلقنا زوجين لعلكم تذكّرون * ففرّوا إلى الله إني لكم منه نذير مبين﴾ [الذاريات. ٤٩ ـ ٥٠].

أحد لا بتأويل عدد، ولا عن عدد، ولا بعدد، لم يكن كثيراً ثم توحّد، ولن يكثر عن وحدته، فوحدته تختلف عن سائر الوحدات في خلقه وبينهما بون شاسع، فكل واحدٍ من الخلق كثير من ذوي جنسه أو في ذاته، أو يمكن تعدده أو كان متعدداً فتوحّد، ولكن وحدته تعالى ليست عن عدد، إذ يمتنع تعدُّده أزلًا وأبداً.

والأحد لا يدخل في باب العدد، فلا يقال: أحدٌ اثنان ... بخلاف واحد، فلا يدخل ربنا في باب الأعداد لأحديته.

فالوحدة العددية وكذا النوعية منتفيتان عنه تعالى، لأحديته الحقيقية أن لا ثاني له ولا مثيل.

والوحدة من شِبَه المخلوقين، والوحدة الذاتية وما إليهما من حقيقة الوحدة، بمعنى عدم الإنقسام في الوجود وفي العقل والوهم، هذه من خواصه تعالى، فهو واحدٌ توحَّد بالتوحيد في علوٍّ توحيده.

فهو واحد في ذاته وصفاته، أحدي فيهما دون تركب، واحدٌ عن مثيل: مِن وَلَدٍ وكُفوٍ وشريكٍ وخالقٍ وقديمٍ وأزلي سواه: ﴿إن كل من في السموات

والأرض إلا آتي الرحمن عبداً * لقد أحصاهم وعدَّهم عداً * وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً﴾ [مريم، ٩٣- ٩٥].

﴿الله الصمد﴾:

لا جوف له في ذاته بتركب، ولا في صفاته بزيادتها على ذاته، أو نقصها عن غاية الكمال، فلا يخلقه الزمان، ولا يتجدد له كمال بعد نقصان، لانتهاء سيادته وكماله، بمعنى ألّا نهاية لذاته وكمالاته ...

﴿لم يلد ولم يولد ولم يكن له كُفُواً أحد﴾:

... نفي التوليد والولادة ونفي الكفو عنه تعالى، هذا قولٌ فصل في صمديته، فإن الذي لا جوف له ولا أجزاء كيف تنفصل عنه أجزاء، سواء أكانت مادية أم مجردة، إلا بتأويل تركبُّه وأنه جسم، سبحانه عن صفات المحدَّثين.

والذي انتهت سيادته دون نقص، فما حاجته إلى كفوٍ يماثله فيعاضده أو يضاده، فليس له نِدٌ ولا ضِدٌ.

أجل إنه ﴿لم يلد﴾: «لم يخرج منه شيءٌ كثيف كالولد وسائر الأشياء الكثيفة التي تخرج من المخلوقين، ولا شيءٌ لطيف كالنَفس، ولا تتشعَّب منه البَدَوات كالسِنة والنوم الخَطِرة والهمِّ والحزن والبهجة والضحك والبكاء والخوف والرجاء والرغبة والسأمة والجوع والشبع، تعالى عن أن يخرج منه شيء أو أن يتولد منه شيء كثيف أو لطيف.

﴿ولم يولد﴾: لم يتولد من شيءٍ ولم يخرج من شيءٌ كما تخرج الأشياء الكثيفة من عناصرها، كالشيء من الشيء، والدابة من الدابة، والنبات من الأرض، والماء من الينابيع، و الثمار من الأشجار.

ولا كما يخرج الأشياء اللطيفة من مراكزها: كالبصر من العين، والسمع من الأذن، والشم من الأنف، والذوق من الفم، والكلام من اللسان، والمعرفة والتمييز من القلب، وكالنار من الحجر.

لا: بل هو الله الصّمد الذي لا من شيءٍ، ولا في شيءٍ، ولا على شيءٍ، مُبدعُ الأشياء وخالقها، ومنشيء الأشياء بقدرته، يتلاشى ما خلق للفناء بمشيئته، ويبقى ما خلق للبقاء بعلمه.

فذلكم الله الصمد الذي لم يلد ولم يولد، عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال ﴿ولم يكن له كفواً أحد﴾ (الإمام الحسين بن علي ﷺ).[١]

(إذاً فليس إله الأب إلهاً، لأنه وَلَد، ولا إله الإبن لأنه وُلد، فسبحانه سبحانه من إله يلد فيكون موروثاً هالكا، ولم يولد فيكون في العز مشاركاً).

... ثم هناك آيات أخرى في مختلف شؤون التوحيد زهاء ربع القرآن الكريم.

طلاب إسرائيليون إنجيليون: لك الشكر المتواصل يا أستاذ! وألف شكر، أن هديتنا في معرفة الله إلى جوٍّ مشرقٍ من أضواء الحكمة العالية الحكيمة، وأخيراً نرجو من سماحتكم استعراض مناظرة عريقة طيبة حول فداء الصليب وسر التجسُّد، ولكي نكون على بصيرة من أمرنا في معرفة صميم الفداء، حقه من باطله ...

المناظر: وإليكم البحث والمقارنة بحق الفداء والصلب:

وحقاً أقول: إن البون شاسع بين معبود النصرانية بل وعامة الإلهيين، إن النصرانية تُقيم التثليث والثالوث مقام التوحيد والوحدانية، وتستعيض عن المساواة والأخوة والعدالة الصارمة الكافلة لتأمين السعادة الحقيقية بين الناس على الأرض، تستعيض عنها بالعفو والمغفرة الحاصلة من مصلوب متخيَّل، عن النَّبي العام الممتاز بتأسيس السلام والمسالمة على الأرض، بالإله المتجسِّد المقتول مصلوباً محقَّراً، فاقض ما أنت قاض!

* * *

١. رواه الصدوق في التوحيد بالإسناد عنه ﷺ.

سر التجسد والفداء المسيحي

جذور التجسد والفداء الصليبي:

جذور التجسد والفداء الوثنية:

التجسد والفداء قضاء حاسم على الشرائع الإلهية:

الأب فرنسيس فربية:[1] «... إن التجسد لفظ يدل على اتحاد أقنوم كلمة الله بالطبيعة البشرية، وهو اتحادٌ فريدٌ من نوعه، عجيب في تحقيقه، مستمر إلى الأبد، هذه العقيدة هي من أشد العقائد الإيمانية رسوخاً في المسيحية، وقد أصبحت على تتابع الأجيال تراثاً عزيزاً في الفكر المسيحي ... فإن التجسد يعبِّر أحسن تعبير عن تواضع كلمة الله الذي تنازل وأخذ طبيعتنا البشرية ... وهذا تفسير روحي لا نرفضه، وقد نادى به الآباء، وخاصة القديس بونافنتورا (ص ١١)، فكيف نعتزل عما مزج أرواحنا وقلوبنا منذ البداية حتى الآن عبر القرون الطائلة المسيحية؟ أجل، لقد اتخذ الله جسد الإنسان ليخلِّص به الإنسان، ثم لأنه يعبِّر تعبيراً قوياً عن حقيقة جسد المسيح، وأخيراً لأن الجسد كان مصدر الخطيئة، فوجب أن يكون مصدر الخلاص أيضاً، والقديس أغسطينوس يُجمل هذه الأسباب جميعها في عبارة لطيفة حيث يقول:

«لقد أعماك الجسد فسوف يشفيك الجسد، جاء المسيح في الجسد ليطفىء فيك شهوة الجسد، فهذا هو الإتحاد الفريد والعجيب الذي تمَّ بين الطبيعتين: الإلهية الإنسانية، في أقنوم واحد: هو أقنوم الكلمة: إبن الله» (ص ٢٥).

---

١. في كتابه التجسد نقله إلى العربية بتصرف فيه الأب لويس ابادير، من منشورات المكتب المعادي.

المناظر: ... نحن على ما بدأنا من التحري عن الدين الحق ... وحينذاك نقضي على الأسس التي أسستها الوثنية من قبل، وتدخلت في أسفار الوحي وفي عقائد أهل الكتاب، و ساحة المسيح والأنبياء بريئة عن تكلم التفكيرات الإلحادية المباينة للعقل والدين، فما لنا إذا ذاك وأقاويل الأقدمين؟ فإننا حينما نقارن بين الكتب الثلاثة لا نهدف إلا الحصول على الدين الحق والشريعة الأخيرة الخالدة... والقضاء على ما تسرّب إلى الكتب المقدسة وترسّب فيها من أضغاث أحلام وخرافات أوهام... وإن مضت عليها قرون طائلة و صدّقتها أجيال دون أي برهان إلا تقاليد عمياء جاهلة، فإليكم المقارنات بين الأصول العقائدية في الشرائع الثلاث ... حينذاك فسؤالًا واحداً عن القسيس وسائر العلماء الحضور الإنجيليين وأتباع الكنيسة:

ما هي الأصول المسيحية؟

مقارنات في الأصول بين الكتب الثلاثة:

عرض العقائد المسيحية من علمائها:

القيسيس والعلماء: هي، الإيمان بالتثليث، وأن أقنوم الابن التحم في رحم مريم البتول وتجسّد، فاتحد الأب والإبن في المسيح كما يقول الشيخ ناصف اليازجي الانجيلي:

نحن النصارى آل‌عيسى المنتمي — حسب التأنس بالبتولة مريم
فهو الإله ابن الإله و روحه — فثلاثةٌ في واحد لم تقسم
للآب لاهوت ابنه وكذا ابنه — وكذا هما والروح تحت تقنّم
كالشمس يظهر جرمها بشعاعها — وبجرِّها والكل شمس واعلم

يقول: الفرنسيكاني الشهير يوحنا دون سكوت وأتباعه:

لن غاية التجسّد الأولى والأساسية ليست تجديد البشريه وعلاجها من الخطيئة ..

إنما هو تتويج الخليقة بالكلمة المتجسد، لأنه هو: بكر كل خليقة، وها هي أسباب التجسّد كما يلي:

١- إن الله كلّي الحكمة والحكم، يتوخى الترتيب في كل ما يعمله فهو يعمل أولًا من أجل الخير، ثم إذا حدث شرّ فإنه يصلح هذا الشر، وعليه لابد أن يكون الله الحكيم قد أراد أولًا تتويج الخليفة، وإسعادها بالمسيح، ثم تأتي في المرتبة الثانية فكرة تجديد البشرية و فدائها.

٢- إن التجسد يعتبر أكمل من الفداء بالنسبة للنتائج، وليس من الحكمة إذن أن يخضع الأكمل لما هو دونه كمالًا ... فلا يمكن أن يكون التجسد إذن من أجل الفداء ... وإما فكرة التجسد كانت مرتَّبة لغاية أولى أساسية هي: تمجيد الله وإسعاد الخليقة، دون أن تنفي مع ذلك الغاية الثانية أي الفداء.

٣- لو سلمنا أن التجسّد كان أساساً لأجل الفداء لأضحى التجسد وليد صدفة وحدثاً عارضا، وليس من تدبير الإله الأزلي... وحاش أن يكون التجسد الذي يعتبر من أجلِّ الأعمال التي صنعها الله وليد صدفة.[1]

الأسقف: فأساس عقيدتنا أن أبوينا الأولين (آدم وحواء) لما كانا في جنة عدن فوسوس لهما إبليس الذي كان في شكل الحية وأغراهما فأكلا من الشجرة المحرمة عليهما، فلما عصيا ربهما طُرد وأُخرجا من الجنة المذكورة، وكانت نتجة شؤم العصيان أن وُصم جميع النوع البشري بالذنب المغروس وهكذا كان نسل آدم المتسم بهذا الذنب مستحقاً لعذاب نار جهنم الأبدي، فالعدالة الإلهية حكمت على مجموع النوع الآدمي الذي تعدَّى حدود الشريعة، بالهلاك الأبدي ولكن... رأفة الله وإحسانه اقتضيا تخليصه وتبرئته، فالجاني الذي خرق قانون العدالة بارتكابه الجريمة يجب عليه ان يرتق الخرق الذي أحدثه، فكذلك كانعلى على

١. نقله عن الأب فرنسيس فربية في التجسد، ص ١٤٠- ١٤١.

النوع البشري أيضاً أن يقدّم ترضيه للقانون الإلهي، فالجاني المحكوم عليه بالموت يمكنه أن يحصل على رضا الشريعة بتقديم دم نفسه بالذات أو بفداء من غيره بدلًا عن نفسه... وإذا كان هلاك بني آدم قانونياً وشرعياً، فإن الرحمة الإلهية أوجدت لخلاصهم علاجاً قانونياً أيضاً ... أي أن الله سمح بتضحية كلمته المسيح على الصليب كفارة عنهم، وها هي ذي آيات الإنجيل تؤيد هذه البيانات قائلة:

«إنه هكذا أحب الله العالم حتى أعطى ابنه الوحيد لكي لا يهلك من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية (يوحنا ٣: ١٦) بل وجدتم خلاصاً بفداء الحمل الخالص من العيب والدنس، يعني بالدم الثمين للمسيح» (بطرس ١: ١٩).

أجل، إن التدبير الإلهي اقتضى أن يتجسد في الناسوت ويتولد بجسم بشري من رحم مريم، ثم يفدي ويضحي بنفسه بالموت الصليبي لكي يتحمل ذنوب عباده ولعناتهم ويدخل جحيم النار ويعذّب، كل ذلك رحمة لهم وبدلًا عنهم، فالراعي الصالح من يبذل نفسه للخراف ...

التغطيس

ثم من عقائدنا نحن المسيحيين التغطيس والإقرار بالذنوب للقسيس، فلا ينجو أحد من العذاب ولا يدخل الجنّة إلا أن يعتنق الثالوث والصلب والفداءو يغطس ويقرّ بذنوبه عند القيس، هذا وليس إلّا ...

الكاردينال منغ الانكليزي[1]

... أجل «وان آدم كان نائباً عن ذريته فأخذ الله عليه العهد والميثاق فكنثه بمعصيته فنقضته ذريته لنيابته عنهم ودليلًا عليه قرآنكم ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم﴾ ... [الأعراف، ١٧٢]

١. في كتابه المسمى كهنوت الأبدية، Theit ernalp risthood

أي أخذ ذرية آدم من ظهره، لدلالة الروايات على ذلك كما يروي الترمذي وغيره: خطىءآدم فخطئت ذريته، فنيابة آدم عن ذريته هي حقيقة مقررة عند المسلمين، والحديث ناطق بأن ذريته أخطأوا بخطيئة فجحد آدم فجحدت ذريته ونسي آدم و نسيت ذريته».

المناظر: كلا: فإن هناك تصاريح القرآن المتوفرة: ﴿ألَّا تزر وازرة وزر أخرى * وأن ليس للإنسان إلا ما سعى * وأن سعيه سوف يُرى﴾ [النجم: ٣٨ ـ ٤٠]، ولا صلة لآية الميثاق بالبحث الحاضر حيث المأخوذ منه الميثاق فيها ـ ذرية بني آدم ـ لا ذرية آدم ﴿من بني آدم من ظهورهم ذريتهم﴾ «لا من آدم»... ثم لا حجة في الروايات التي لا توافق القرآن.

ولو كان المأخوذ عليهم الميثاق هم ذرية آدم نفسه فذلك أيضاً لا يدل إلا على أن الله أخذ ميثاق التوحيد على آدم وذريته ...

وأما نيابته عنهم في الميثاق أو نقضه فعجيب! ... فمن هذا الذي وكل آدم في قبول الميثاق وفي نقضه عن ذريته؟ حتى يُعتبر عصياناً لهم، فهم عاصون قبل أن يولدوا وبعده؟؟؟... إنهم جعلوا الله ظالماً منتقماً مغفلًا حقوداً يظلم الناس بالجملة وعلى مدى الأجيال البشرية لا لذنب ارتكبوه ـ هم ـ إنما لأن آدم أكل من الشجرة الممنوعة، فحكم عليهم بالعذاب الأبدي، دون أن تكون لهم يد في الخطيئة المزعومة، وبعد هذا الحكم الفادح يندم على حكمه فيحب العالم ويخفف الجزاء فيبذل ابنه الوحيد كفارة عن ظلمه، لكيلا يهلك كل من يؤمن به، وجميع هذه المبالغات مخالفة لصفات الله وعدله وربوبيته في حكمه إدانة البشر قبل أن يُخلقوا.

الأسقف: هذه أصولنا فما هي الأصول الإسلامية لكي نقارن بينهما؟

* * *

عرض لأصول الدين الإسلامي

المناظر: هي التوحيد الخالص والمعاد، وتصديق الأنبياء أجمع ولا سيما نبينا محمدﷺ، وهذه هي النواحي الرئيسية الإيمانية، ثم هناك فروع أصلية نسميها بفروع الدين، وهي الأنظمة العملية التي تلحق الموازين العقائدية، فلا ينجو أحد إلّا بالإيمان والعمل الصالح ﴿ألّا تزر وازرة وزر أخرى * وأن ليس للإنسان ألّا ما سعى * وأن سعيه سوف يُرى﴾ وهناك أصول ثانوية نسميها بأصول المذهب ... كالعدل والإمامة، فالعدل فرع التوحيد والإمامة فرع النبوّة، وقد نأتي على تفصيلها عند مقارنتها ... وبما فصلنا من البحوث العقلية والنقلية تبين فساد الأصل الأول من أصولكم وهو الثالوث والبنوّة، وإذا نظرتم بعين العقل والحرية التوحيد القرآني أحرى ما يجب أن يعتنقه كل دِّين يتحرى الحق ...

الصليب والفداء في قسطاس الحق... :

وقبل كب بحث في هذا الأصل الثاني من أصولكم نقول كلمة واحدة: هي... إن قصة صلب ابن الله وفدائه ودخوله الجحيم، كل ذلك من جرّاء العقائد الوثنية، كالثالوث والتبنّي، و قد نشبت بأيدي الضلالة والجهالة في الشريعة المقدسة العيسوية على صاحبها آلاف السلام والتحية.

الطلاب والإنجيليون: هاه يا أستاذ! ... وَي كأن المسيحية اليوم ترجمة عن الوثنيات العتيقة ... فيا ذلّاه ... وكيف ذاك وأنّى هو؟ إستعرض لنا جذور الصلب والفداء من الأصول القديمة قبل المسيح لنسير على بصيرة مما نعتنق.

الصلب والفداء في الوثنية العتيقة... :

المناظر: قال دوان[١] إن تصوُّر الخلاص بواسطة تقديم أحد الآلهة ذبيحة فداءٍ عن الخطيئة، قديم العهد جداً عند الهنود الوثنيين وغيرهم، وذكر هذه التقدمة عند الهنود لعصر الفديك[٢] وكتاب «الركفدا» ... يمثّل الآلهة يقدمون (بروشا) وهو الذكر الأول: قرباناً ويعدّونه مساوياً للخالق ... وجاء في كتاب «التزيا برهما» ما نصه: وسيِّد المخلوقات «برجاباتي» قدم نفسه ذبيحة للآلهة.

وفي كتاب «استباتا برهما» ما نصه: والعالم لهذه الذبيحة (بروشاميدا) أي ضحية الذكر الأولى، يصير كل شيءٍ.

وقال **هوك**:[٣] ويعتقد الهنود الوثنيون بتجسد أحد الآلهة وتقديم نفسه ذبيحة فداء عن الخطيئة.

وقال مورنيور ليمس:[٤] ويعتقد الهنود الوثنيون بالخطيئة الأصلية... ومما يدل على ذلك ما جاء في تضرعاتهم التي يتوسلون بها بعد «الكياتري» وهي: إني مذنب ومرتكب الخطيئة، وطبيعتي شريرة وحملتني أمّي بالإثم فخلصني يا ذا العين الحندقوقية! يا مخلص الخاطئين! يا مزيل الآثام والذنوب! ...

وقال **دوان**: ... ويعتقد الهنود بأن «كريشنا» (المولود البكر الذي هو نفس الإله «فشنو» و الذي لا ابتداء ولا انتهاء له على رأيهم) تحرَّك حَنْواً لكي يخلّص الأرض من ثقل حملها، فأتاها وخلَّص الإنسان بتقديم نفسه ذبيحة عنه.

---

١ . في كتابه، ص ١٨١ـ ١٨٢.

٢ . vedic منه فيدا وفيد vid ـ vida معناه العلم بالدينيات وهي كتابات شعرية وترنيمات للهنود مؤلفة من اربع كتب وقد كتبت قبل المسيح بألف سنة.

٣ . في كتابه رحلة هوك، ج ١، ص ٣٢٦.

٤ . الهنود، ص ٣٦.

وقال القس جورج كوكس:[١] وتصف الهنود كرشنا بالبطل الوديع المملوء لاهوتاً قدَّم شخصه ذبيحة ويقولون: «إن عمله هذا لا يقدر عليه أحد سواه».

وقال المسيو كوينيو[٢] ... يذكر الهنود موت كرشنا بأشكالٍ متعددة أهمها: أنه مات معلقاً على شجرة سُمِّر بها بضربة حربة.

وقد صوَّر الراهب «جورجيوس». الإله «أندرا» الذي يعبده أهالي «النيبال» مصلوباً، كما يصورونه يوم عيدهم الذي يقع في شهر آب.

وجاء في ترنيمة «لبوذا»: عاينت الإضطهاد والامتهان والسجن والموت والقتل بصبر وحب عظيم لجلب السعادة للناس، وسامحت المسيئين إليك. ويدعون بوذا: الطبيب العظيم مخلص العالم والممسوح والمسيح المولود الوحيد! وأنه قدَّم نفسه ذبيحة ليكفِّر آثام البشر ويجعلهم وُرَثاء ملكوت السَّموات، وبولادته ترك كافة مجده في العالم ليخلص الناس من الشقاء والعذاب كما نذر.

وقال «بيل»[٣]

قال «بوجانا»: سأتخذ جسداً ناسوتياً وأنزل فأولَد بين الناس لأمنحهم السّلام وراحة الجسد، وأزيل أحزان وأتراح العالم، وإن عملي هذا لا أبغي به اكتساب شيءٍ من الغنى والسرور.

وقال «لبي هوك»:[٤] إن بوذا بنظر البوذيين إنسان وإله معاً، وأنه تجسَّد بالناسوت في هذا العالم ليهدي الناس ويفديهم ويبيّن لهم طريق الإيمان.

١ . في كتاب الديانات القديمة (Ancient faiths)

٢ . نقلًا عن كتاب لاندي ـ الاثار المسيحية.

٣ . في كتاب تاريخ بوذا، ص ٣٢.
Beal_the Romantic Legend of Saki Buddha from Chinese Sanakrit

٤ . في كتابه رحلة هوك.

وقال «**مكس مولر**»:[١] البوذيون يزعمون: أن بوذا قال: «دعوا كل الآثام التي ارتكبت في هذا العالم تقع عليَّ لكي يخلص العالم».

وقال «**دوان**»: كان الفداء بواسطة التألم والموت لمخلِّص الهى قديم العهد جداً عند الصينيين كتبهم المقدسة المدعو «يبكنيك» يقول عن «تيان» أنه القدوس الواحد، وأنه سيعيد الكون إلى البر ويعمل ويتألم كثيراً ولابد له من اجتياز تيار عظيم تدخل أمواجه إلى نفسه، فالقدوس «تيان» لأجل الناس يموت لكي يخلِّص الصالح، وهو واحد مع الله منذ الأزل قبل كل شيءٍ.

وقال «**موري**»:[٢] يحترم المصريون «أوزيريس» ويعدونه أعظم مثال لتقديم النفس ذبيحة ليأنس الناس الحياة.

وقال «**دوان**»:[٣] نقلاً عن «السر ولكنسون»: إن تألم وموت أوزيريس هما السر العظيم في ديانة المصريين، وبعض آثار هذه العقيدة ظاهر في ديانات الأمم، ويعدون «أوزيريس» الصلاح الإلهي، وجالب الفكر الصالح، وكيفية ظهوره على الأرض وموته وقيامه من بين الأموات، وأنه سيكون ديَّان الأموات في اليوم الأخير، وهذه: تشابه آلهة الهنود ويُدعى «اتيس»، الوالد الوحيد المخلص، وقد كان يعبده «الفريجّيون»، (وهم سكان آسيا الصغرى) ويمثلونه برجل مقيّد على شجرة وتحت رجليه حمل شبيه «أبولو» الذي كان يعبده «الميلتيون»، فإنهم يقولون: إنه مات بالجسد، وإنه حكيم عمل العجائب، قد قَبَضَ عليه جنود الكلدانيين وقتلوه وسمروه لكي يزداد تألماً، وإنه صلب، لأجل خلاصهم.

والسوريون يقولون: إن «تموز» إلاله المولود البكر من عذراء، تألم من أجل الناس ويدعونه المخلّص والفادي المصلوب.

---

١ . في كتابه: تاريخ الآداب السنسكريتية، ص ٨٠ ...
erutar etiLtirksna StneicnAfoy rotsiH - relluM

٢ . في كتاب: الخرافات ص ٣٨٤. Murraym Avvaloem Ythology

٣ . في ص ١٩٠ من كتابه.

ورواية صلب «القراسيوس» الهائلة، التي كتبها «أسيوس» في «أثينا» قبل المسيح بخمسمائة عام، هي أقدم شعر باقٍ إلى هذا الحين بخصوص الصلب.

وقان دوان[١]

وكان الوثنيون يدعون بوخص ابن المشتري من العذراء المخلص الإبن الوحيد الذبيح حامل الخطايا الفادي، وكانوا يقولون: لما كثر الشر في الأرض طلب «بندورا» وتوسل إلى المشتري سيد الآلهة لكي يأتي ويخلّص الناس من الآثام والخطايا، فاستجاب المشتري لهم وجعل ابنه مخلّصاً للمذنبين في العالم، وتعهَّد بوخص الفادي بتحرير الأرض عن الأوزار، وأنه سيعبده الناس ويرتلون التسابيح تمجيداً لاسمه، ومن أجل هذا العمل حلَّ الإله المشترى بـ «سميل» العذراء البديعة، فحملت ودعيت والدة الإله، وقال «بوخص» الفادي للأمم: أنا مرشدكم وحاميكم وفاديكم، أنا الألف والاميكا.

نزول أبناء الألهة المتجسدين إلى الجحيم؟:

كذلك ويعتقد الوثنيون: أن آلهتهم المتجسدين نزلوا إلى الجحيم بعد قتلهم أو صلبهم ليخلصوا الأموات: كمثل كرشنة، زورستر، أدونيس، باخوس، هرقل، عطارد، بالدور، كوتز لكوتل، وغيرهم من الآلهة المتجسدين المصلوبين، نزلوا بعد صلبهم وموتهم إلى الجحيم، ليخلصوا الأموات، فهم خلصوا الأحياء عن الذنوب بصلبهم وخلصوا الأموات المعذبين بنزولهم إلى الجحيم لكي تكمل الفداء.

مقارنة الصلب والفداء: الوثنيين والإنجيليين:

وخرافة الصليب والفداء والدخول في الجحيم عند الإنجيليين ترجمان من ذاك وذياك على سواءٍ كالنصوص التالية الإنجيلية.

---

١. في كتابه المذكور سابقاً.

الصليب الإنجيلي:

(بطرس ٣: ١٧- ١٩) «لأن تألمكم إن شاءت مشيئة الله وأنتم صانعون خيراً أفضل منه و أنتم صانعون شراً. فذن المسيح أيضاً تألم مرة واحدة من أجل الخطايا، البار من أجل الأثمة. لكي يقرّبنا إلى الله مماتاً في الجسد، ولكن يحيى في الروح الذي فيه أيضاً ذهب ليكرز للأرواح التي في السجن».

وهذه الخرافية تشترك في التصريح بها كتب العهد الجديد على اختلافات مهمة متناقضة في ذوات أنفسها من حيث كيفية الصلب، ولا صلة للبحث الحاضر بها، إلّا في أصل الصلب، وإليكم نماذج منها كالتالي: (٣ غلا ٣: ١٣: ١٤) المسيح إفتدانا من لعنة الناموس، إذ صار لعنة لأجلنا لأنه مكتوب: ملعون كل مَن عُلِّق بخشبة. لتصير بركة إبراهيم للأمم في المسيح يسوع لننال بالإيمان موعد الروح».

ملعون من علِّق على خشبة!:

وكتابة اللعنة في (تث ٢١: ٢٢- ٢٣) التي يشير إليها بولص كما يلي: «وإذا كان على إنسان خطيئة حقها الموت فقتل وعلّقته على خشبة. فلا تبت جثته على الخشبة، بل تدفنه في ذلك اليوم. لأن المعلّق ملعون من الله. فلا تنجس أرضك التي يعطيك الرب إلهك نصيباً».

فهذا بولص يصرخ ويصرّح: أن المسيح افتدى أمته من لعنة الناموس، إذ صار لعنة لأجلهم، فلعنه الله تعالى (وحاشاه) بدلًا عن عصاة أمته بالصليب.

إنه يجعل عيسى المسيح عليه السلام يتحمّل وزر المعتنقين بثالوثه وصليبه وفدائه، استيجاءً من الوثنيات العتيقة، واستجلاباً للسذّج العوام لكي يصدّقوه أن بدّل صعوبة التشاريع العملية بسهولة هذه العقيدة الوثنية الخرافية، ومثّل روح الله بمثال وحيد في ميادين التضحية أن ضحّى لأجل نسخ الشرائع العملية.

نسخ التشاريع العملية حسب المزاعم البولصية:

هنا يؤكد بولص بالغ التأكيد: أن شريعة العمل لا تكفي تطهيراً من الذنوب، وإنما هو الإيمان بسرّى الفداء والثالوث قائلًا: «الشريعة الموسوية غير واجبة على المسيحيين، لأنهم تحت التوفيق[١] وتلكم الشرائع نسخت بعد صعود المسيح[٢] والمسيح حصر الشريعة في حب الله: (إله الأقانيم) و حب الجار كما تحب نفسك».[٣]

ويبالغ في التَّنديد بمن يقيِّد نفسه بأعمال الناموس، أي: ما فرضه الله من الأعمال البدنية في شريعة موسى عليه السلام.

ويخاطبهم بالأغبياء: «أهكذا أنتم أغبياء. أبعد ما ابتدأتم بالروح تكمِّلون الآن بالجسد، هذا المقدار احتملتم عبثاً إن كان عبثاً. فالذي يمنحكم الروح ويعمل قوَّات فيكم أبأعمال الناموس أم بخبر الإيمان؟ إذن الذين هم من الإيمان يتباركون مع إبراهيم المؤمن.

لأن جميع الذين هم من أعمال الناموس هم تحت لعنة، لأنه مكتوب: ملعون كل من يثبت في جميع ما هو مكتوب في كتاب الناموس ليعمل به. ولكن أن ليس أحد يتبرر بالناموس عند الله فظاهر، لأن البار الإيمان يحيا ولكن الناموس ليس من الإيمان.

«المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنة لأجلنا» (غلا صح ٣).

فبولص لا يعتبر للعمل بالناموس منزلة إلّا اللعنة، ولا يعدُّه من الإيمان، بل يعتبر الإيمان السبب الأصل ـ دون شرط العمل للخلاص! ...

---

١ . روم ٤: ١٤ـ ١٥ و ٧: ٤ و ٦ـ وـ غلا ٣: ١٣ و ٢٥ و ٥ و ١٨
٢ . غلا ٣: ٢٤ـ وـ افس ٢: ١٥ـ وـ عب ٩: ١٠
٣ . متى ٢٢: ٣٧ـ ٤٠

هذا مع التصريح من التوراة كما وأشار إليه: «ملعون من لا يقيم كلمات هذا الناموس ليعمل بها ويقول جميع الشعب آمين» (تث ٢٧: ٢٦).

فقد يجعل بولص العمل بالناموس موجباً للعنة وعدم التوفيق، رغم أن التوراة يعتبر التارك للناموس ملعوناً ولا تكتفي بمجرد الإيمان!

تصاريح المسيح حول فرض الناموس مع الأبد:

والمسيح يصرح: «لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء. ما جئت لأنقض بل لأكمل. فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى وعلّم الناس هكذا يُدعى أصغر في ملكوت السّموات. وأما من عمل وعلم، فهذا يدعى عظيماً في ملكوت السّموات» (متى ٥: ٧- ١٩).

واسم بولص يعني الصغير، فقد وافق اسمُه إثمه أن نقض وصايا الناموس وكما أخير به السيّد المسيح عليه السلام.

هذا: وكما يجيب عن سؤال يوحنا: «يا معلم لنغتسل كما أمر الله على لسان موسى»؟

يجيب قائلاً: تظنون أني جئت لأبطل الشريعة والأنبياء. الحق أقول لكم: لعمر الله إني لم آت لأبطلها ولكن لأحفظها، لأن كل نبيّ حفظ شريعة الله وكُلّ ما تكلم الله به على لسان الأنبياء الآخرين، لعمر الله الذي تقف نفسي في حضرته لا يمكن أن يكون مرضياً للّه من يخالف أقل وصاياه ولكنه يكون الأصغر في ملكوت الله، بل لا يكون له نصيب هناك. وأقول لكم أيضاً إنه لا يمكن مخالفة حرف واحد من الشريعة الله إلّا باجتراح أكبر الآثام» (برنابا ٣٨: ١- ٨).

كما ويصرّح أيضاً: أن العمل بالناموس هو الشرط الأصيل للحياة الأبدية: «و إذا ناموسيٌ قام يجرّبه قائلًا: يا معلم! ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية؟ فقال له ما هو مكتوب في الناموس» (لوقا ١٠: ٢٥- ٢٦).

والحق إن عيسى لم يخطر بخَلَده الشريف إنشاء دين جديد، بل وقد استحاله بناتاً لنفسه، فالدين المسيحي الأصلي لم يغير شيئاً مما هو مدوّن في وحي التوراة الأصلية، بل إنه جاء مؤيداً له وداعياً إلى اتباعه محذِّراً مَن عرج عنه واتخذ سبيلًا أخرى، أجل إلّا في جزئيات حرِّم في شريعة التوراة عقوبة على اليهود وكما يقول القرآن: ﴿ولأحلَّ لكم بعض الذي حرِّم عليكم﴾ [آل عمران: ٥٠].

﴿وعلى الذين هادوا حرَّمنا كل ذي ظُفُر ومن البقر والغنم حرَّمنا عليهم شحومها إلّا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم وإنا لصادقون﴾ [الأنعام: ١٤٦]. ﴿فبظلم من الذين هادوا حرَّمنا عليهم طيبات أحلَّت لهم وبصدِّهم عن سبيل الله كثيراً * وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل وأعتدنا للكافرين منهم عذاباً أليماً﴾ [النساء: ١٦٠- ١٦١].

ومما لا يريبه شك: أن العقوبة على أُمة بما ظلموا لا تعدوا إلى أُمة أُخرى، فقضيَّة العدل الإلهي تحليل أمثال هذه المحرمات الإسرائيلية على أُمة المسيح عليه السلام ومَن بعدهم.

فرغم هذه الحقيقة الناصعة أخذ بولص يعادي ويعاند الشريعة التي شرعها الله تعالى للخلاص إلى حدٍّ يعتبرها أسراً «الآن تحرَّرنا من الشريعة» (روم ٧- ٦).

أجل يحاربها ويعتبرها السبب الوحيد للخطيئة: «ما دامت الشريعة قائمة فالخطيئة ترتكب ولكن المسيح أبطل الشريعة فبطل ارتكاب الخطيئة، ما دام الأمر باقياً فالوظيفة بالطبع ثابتة، وحينما يرتفع الأمر تُلغى الوظيفة (روم- غلا ٢- ١١) «بالشريعة تُعرف الخطيئة» (روم ٣: ٢٠). وأخيراً يستنتج من هذه الأقاويل الزور: أن الشريعة سبب الموت والشقاوة ... قائلًا: «فوجدت الوصيّة التي للحياة هي نفسها للموت» (روم ٧: ٧- ١٢) «أنامت الشريعة بالشريعة» (غلا ٢- ١٩).

هذا وذاك! رغم تصاريح العهد العتيق: أن الشريعة هي الخلاص والراحة والخروج عن أسر الشيطان كالتالي:

التوارة ولزوم الحفاظ على الناموس:

«طوبى للرجل الذي لم يسلك في مشورة الأشرار وفي طريق الخطاة لم يقف. وفي مجلس المستهزئين لم يجلس. لكن في ناموس الرب مسرَّته وفي ناموسه يلهج نهاراً وليلاً.

فيكون كشجرة مغروسة عند مجاري المياه التي تعطيي ثمرها في أوانه. وورقها لا يذبل، كُلّ ما يصنعه ينجح» (مزمور ١:١- ٣) «علَّمني يا رب طريق فرائضك فأحفظها إلى النهاية. فهِّمني فالأحظ شريعتك وأحفظها بكل قلبي. درِّبني في سبيل وصاياك، لأني به سررت ... في طريقك أحيني ... لأن أحلامك طيبة. هأنذا قد إشتهيت وصاياك بعد ذلك أحيني» (مزمور ١١٩: ٣٣- ٤٠) وكذلك المزامير: (٤٧- ٥٥- ٦٢- ٩٢- ١٦٤) ... تعتبر الشريعة حياة وخلاصاً ونوراً رغم البدع البولصية الخاطئة!

لعنة الله على ناقضي شريعة الناموس:

فقد والله إن بولص يعاند الرب في تشاريعه المقدسة، ويشارك إبليس في القضاء عليها بصوفيته العارمة الكافرة؟ أجل وإنه يعارض الكتب المقدسة: العهدين ـ بكل وقاحة وشراسة ـ ألا فالعنوه لعنه الله وكل معاند لأنبياء الله!

هذا ومن المؤسف أن علماء الإنجيل تركوا وصايا موسى والمسيح وسائر النبيين، ورائهم ظهرياً، واقتفوا البدع الوثنية البولصية. وفيما يلي نماذج من أنظارهم الخاطئة:

علماء الإنجيل وسر الفداء تفسيراً لأقاويل بولص:

يقول الدكتور القس فندر الآلماني: إن المسيح لُعِن من أجلنا بالموت الصليبي[١] ويقول الدكتور همند في شرح الآية (غلا ٢: ٢٠) وصُلبت مع المسيح وأنا الآن حيٌّ

١. في كتابه ميزان الحق.

لكنني لست أنا بحيٍّ بل إن المسيح هو الحيُّ فيَّ، وما نلت الآن من الحياة الجسمانية فهو متعلق بالإيمان بابن الله الذي أحبسني موسى- ...

وقال في شرح الآية «٢١»: «استعمل هذا العتق لأجل ذلك ولا أعتمد في النجاة على شريعة موسى، ولا أفهم أن أحكام موسى ضرورية، لأنه يجعل إنجيل المسيح كأنه بلا فائدة».

وقال الدكتور وت بي: «و لو كان كذا فاشترى النجاة بموته ما كان ضرورياً وما كان في موته حُسنٌ ما».

وقال باهل: لو كانت شريعة اليهود تعصمنا وتُنجينا فأية ضرورية كانت لموت المسيح، ولو كانت الشريعة جزءاً لنجاتنا فلا كيون موت المسيح لها كافياً.

وفي تفسير درچردمينت قول دين استان هوب: «نُسخ رسومات الشريعة بموت عيسى وشيوع إنجيله».

وقال لوطر[١]

لا نسمع من موسى ولا ننظر إليه، لأنه كان لليهود فقط، ولا علاقة له بنا في شيءٍ مًا.

وقال في كتاب آخر له: نحن لا نسلم موسى ولا توراته، لأنه عدوٌّ عيسى ... إنه أُستاذ الجلادين ... ولا علاقة للأحكام العشرة بالمسيحيين ... لنُخرج هذه الأحكام ليزول كل بدعة حينئذٍ، لأنها منابع البدعات بأسرها؟

وقال تلميذه اسلي بيس: هذه الأحكام العشرة لا تعلَّم في الكنائس.

وفرقة «انتي نومنس» وهم من اتباع «اسلي بيس» ويعتقدون أن التوراة ليس بلائق أن يُعتقد أنه كلام الله، وكانوا يقولون: إن أحداً لو كان زانياً أو فاجراً أو مرتكباً ذنوباً أُخَر، فهو في سبيل النجاة البتة وإن غرق في العصيان بل في قعره، وهو يؤمن: فهو مسرور: والذين يعرفون أنفسهم في هذه الأحكام الشعرة فعلاقتهم بالشيطان صلب هؤلاء بموسى.

---

١. في ص ٤٠ (من ج ٣) كتابه نقله عنه وارد كاتلك، ص ٣٨.

ويقول «برتراند رسل»[1]

«... وأخيراً أرسل الإله الأسمى إبنه ليحل مؤقتاً في جسم يسوع الإنساع كي يحرر العالم من تعاليم موسى الخاطئة».

وهناك نفرٌ آخر من علماء الإنجيل يصرحون: أن كتابات موسى ليست إلهامية كما يقول هورن[2] نقلًا عن إكهارن[3] أن علماء جرمن لا يصدقون أن التوراة إلهامية، ثم يقول[4] إن: سلر، داتيه، روزن، ملر، دكتور، جدس، هؤلاء صرحوا: أنه لم يُلهم إلى موسى شيءٌ، وإنما جمع أسفاره الخمسة من الروايات المشهورة في عهده، وهذا الرأي تلقته علماء جرمن اليوم بالقبول وانتشر بينهم، وإن «يوسيبيس» وغيره من كبار المحققين قالوا: إن موسى كتب سر التكوين حينما كان راعي الغنم وهو في بيت شعيب أبي زوجته.

هذه طرف من التجاسرات على موسى عليه السلام بنسخ أحكامه أو إنكار نبوته وما جاء به، على عيسى عليه السلام أيضاً أنه لُعِن بدل المذنبين، وكلّها ناشئة من اختلاق بولص وليس له أي سناد إلّا زَعْمَ نص التوراة: «وإذا كان على الإنسان خطيئة حقها الموت فقتل وعلق على خشبة، فلا تبت جثته على الخشبة بل تدفنه في ذلك اليوم، لأن المعلق ملعون من الله» (تث ٢١: ٢٢ - ٢٣) حال أن هذه الآية تحكم على الذي يُقتل بخطيئة يستحق بها القتل، تحكم عليه أنه ملعون، لا أن كل مصلوب ملعون، فبولص مختلق سر الفداء بلعنة الناموس يجعل المسيح مستحقاً للصلب بخطيئة، ثم يجعله ملعوناً بصلبه وخطيئة، لكي يتحمل بزعمه خطايا المؤمنين به، بلعنة على لعنة، ظلمات بعضها فوق بعض.

---

١ . الفيلسوف الانكليزي العظيم المعاصر في كتابه عن تاريخ الفلسفية الغربية.

٢ . المفسر الشهير الانجيلي في ج ٢، ص ٧٩٨، من تفسيره.

٣ . وهو من علماء جرمن.

٤ . في ص ٨١٨، من تفسيره، ج ٢.

الفداء الناري بعد الصلب:

ثم إنهم لم يكتفوا بلعنة الناموس من سر الفداء للمسيح ﷺ، بل زعموا أنه بعد صلبه دخل النار وعذِّب فيها بدلًا عمن يستحقها، وليخلِّص مَن فيها، كما في تصاريح العهد الجديد التالية.

تكملة الفداء- دخول الفادي في الجحيم وعذابه!:

«سبق وتكلم عن قيامة المسيح أنه لم يترك نفسه في الهاوية ولا رأى جسده فساداً» (١ ع ٢: ٣١) ومثله في (كو ٢: ٣١) و (فيليب: ٤)... «فإن المسيح أيضاً تألم مرة واحدة من أجل الخطايا، البارّ من أجل الأثمة، لكي يقربنا إلى الله، مماتاً في الجسد، ولكن مُحي في الروح الذي فيه أيضاً، ذهب ليكرز للأرواح التي في السجن» (بطرس ٣: ١٧- ١٩).

محادثة جهنمية بين مسيح الإنجيل والشياطين!:

وفي إنجيل نيكوديموس الإصحاح - (١٥: ١٧) أنه دارت بينه وبين الشياطين محادثة في الجحيم وخلص من فيها من النساء والأطفال والرجال، وكذلك في كتاب صلاة النصارى (ط ٣: ١٦ م) وإعتقاد الحواريين (ص ٦) وقتيقيسمون (ص ٦٠. ٦٤. ٧٥. ٧٦):

أن المسيح دخل الجحيم بعد صلبه، والقديسان: أكليمنضس الإسكندري وأوريجانس[١] يعتبرون ذلك من بشارات الإنجيل.

والقديس كريستوم (٣٤٧ م) «يعتبر منكري هذه البشارة الإنجيلية كافراً».

---

١ . هما من أكبر الأساتذة في كنيسة الاسكندرية في القرون الأولى المسيحية و اكليمنضس استاذاوريجانس و وفاته ٢١٤ م كما ان اوريجانس، مات ١٥٤ م.

مسيح الإنجيل دخل الجحيم وعذّب!

وهذا كما في (١ ع ٢: ٣١- و بط ٣: ١٧- ١٩) ومكاشفات فيلبس.[١]

ويقول القس مارطيروس في توجيه عذابه في الجحيم: «لمَّا نزل ربنا المسيح من اللَّاهوت إلى الناسوت، ولبس الجثمان البشري، لذلك كان ولابد أن يتحمل جميع العوارض البشرية ولأجله دخل جحيم النار وعذِّب فيها وخلَّص أهلها منها، ولا تحتاج هذه العقيدة إلى برهان».

ويقول القس يوسف ولف: «أجل إنه عُذب ولا ريب فيه ولا عيب».

ويقول فخر الإسلام في كتابه أنيس الأعلام[٢] جرت لي مناظرة مع باطر، وسألته عن ذلك فأجابني بكل صراحة: «إن المسيح دخل الجحيم وعذِّب بدلًا منا».[٣]

وفي اللَّاهوت العقائدي[٤] «نزل المسيح بعد موته إلى الجحيم بنفسه المنفصلة عن جسده، الجحيم هو مقرُّ نفوس الأبرار الذين ماتوا قبل يسوع المسيح (جحيم الآباء) ويتضمن قانون الرسل في أحدث صيغة له (القرن الخامس) هذه العبارة: «و نزل إلى الجحيم» وكذلك قانون (euicumque) (٤٠D) والمجمع اللاتراني الرابع (١٢١٥) يعلن بأكثر دقة «و نزل إلى الجحيم»... لكن بنفسه (D ٤٢٩ انظر ٣٨٥).

لا صلة لعقيدة نزول المسيح إلى الجحيم بالأساطير الوثنية، كما يزعم مذهب الراسيونالسم، بل يرتبط بوحي العهد القديم في ما يختص من الوجود بين الموت والقيامة توجد فيها النفوس المنفصلة عن جسمها في الجحيم.

ويقول يسوع ملمِّحاً إلى مكوثه في الجحيم فيما بين موته وقيامته: «مثلما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال، كذلك يكون ابن الإنسان في قلب

---

١. تأليف فيلبس كود الونس ١٦٦٩؛ في رومية الكبرى ط بسلوقيت.

٢. كان قسيساً كبيراً انجيلياً فأسم والف كتابه هذا رداً على المسيحية وكثيراً ما ننقل عنه في مختلف بحوثنا كالكثير مما هنا.

٣. الجملة السالفة من ولف أيضاً كانت في مناظرة بينه وبين فخر الإسلام (رحمة الله تعالى).

٤. تأليف لوديغ اوث، ج ٢، ص ١٠١.

الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال (متى ١٢: ٤٠) وكلمة «في قلب الأرض» لا تعني القبر، بل الجحيم الذي كانوا يتصورونه في جوف الأرض، وهذا التفسير يوحيه إلينا نص سفر يونان ٢: ٣ «من جوف الجحيم» المقابل لنصنا هذا، وكذلك ميل العهد القديم إلى القول بأن نقطة انطلاق القيامة ستكون في الجحيم مقر النفوس المنفصلة عن الجسد.

والقديس بولس مكوث المسيح في الجحيم (روم ١٠: ٦- ٧):

والتقليد يجمع على القول بنزول المسيح إلى الجحيم، كما القديس أغناطيوس الإنطاكي وايريناوس يصرحان بذلك، والقديس أوغسطينوس يمثِّل إيمان الكنيسة جمعاء بقوله: «من يمكنه إنكار نزول المسيح إلى الجحيم سوى غير المؤمن (رسالة ١٢٤- ٢: ٣) والكتب المنتحلة أيضاً تشهد على إيمان الكنيسة بنزول المسيح إلى الجحيم».

وغاية هذا النزول إلى الجحيم على ما يقول علماء اللَّاهوت عامة، تخليص الأبرار منه وتخصيصهم بثمار الفداء، أي إشراكهم في الرؤية الطوباوية (انظر القديس توما ٣- ٥٢: ٥. التعليم المسيحي الروماني ١- ٦: ٦)».

آلهة الوثنيين في الجحيم:

هذا وكما دخل في جحيم النار آلهة الوثنيين بعد صلبهم، دخلوها ليخلصوا الأموات عنها: كمثل «كرشنه» منجي الهنود، فإنه دخل النار قبل صعوده إلى السماء.

و«أودنيس» ابن العذراء و «باخوص» و «هرقل» و «بالدور» و «عطارد» «كوتزلكوتل».

إذاً فمسيح الإنجيل الناري ترجمة عن آلهة الوثنيين الذين أصبحت تكملة تضحيتهم دخول النار الأبرار، ويكأن الأبرار إنما هم أهل للنار! ...

فهذه شذرات من خرافات أوهام حول الصليب وسر الفداء رغم مناقضتها النقل والعقل.

الطلاب الإنجيليون: ما هو النقل الذي يناقض سر الفداء، من الإنجيل والعهد العتيق ومن علماء الإنجيل.

تناقض النقل الإنجيلي والعلماء في سر الفداء والصليب:

«كلكم تشكّون فيّ في هذه الليلة: قالها المسيح مخاطباً للحواريين ليلة الصلب» (متى ٢٦: ٣١- و- مرقس ١٤: ٢٧)، وهذا الشكّ سواء أكان في صلبه أم في الإيمان به يكفي شاهداً لإبطال شهادتهم في أناجيلهم: أنه صُلب بشخصه ضحيةً للذنوب، أم لإبطال جميع شهاداتهم في كتاباتهم، ومنها شهادة الصلب، ونحن إذ نرأف بأهل الإنجيل نحمل هذا الشك على خصوص قصة الصلب وهي من أهم القصص التي وروها عن تلكم الليلة، فلا يُعلم إذن أن المصلوب هو المسيح أم غيره؟

ومن مقالات المسيح ﷺ: أن أيدي اليهود لم تمسَّه، وكما في (يوحنا ٧: ٣٢- ٣٤) ...

فأرسل الفريسيون ورؤساء الكهنة خداماً ليمسكوه. فقال لهم يسوع أنا معكم زماناً يسيراً بعدُ ثم أمضي إلى الذي أرسلني ستطلبونني ولا تجدونني وحيث أكون أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا» كما وهنا تصريحه في دانيال تكذّب فرية الصلب قائلة: وِ أحريَ هشا بوميم ثيشيم ووُشيمِ يكارت ماشيحَ ...» (دانيال ٩: ٣٧) أي: «و بعد اثنين وستين أسبوعاً ينقطع المسيح ويختفي ...» وغير خفي أنه لا يعبِّر عن الموت الصليبي بالانقطاع والاختفاء عن الناس، فإنّه ليس إلّا تعبيراً عن صعوده إلى السماء حياً واختفائه عن أعينهم واختفاء أمره عنهم كما سبق عنه ﷺ: «كلكم تشكّون فيّ في هذه الليلة».

إذاً فإما أن نصدق موسى والمسيح في عدم صلبه، وأن أيدي اليهود لم تمسَّه، أو نكذبهما تصديقاً لليهود والنصارى أنه صلب تحت ضغط اليهود!

إستنكار الصليب بين علماء الإنجيل:

العلماء العباقرة المسيحيون يستنكرون خرافة العذاب الصليبي!!

وفِرَق شتى يُزيفون كذلك هذه الأوهام ... وهناك طوائف من أهل الإنجيل مَن لم يصدقوا بوجه من الوجوه أن المسيح سُمِّرَ ومات على الصليب، حتى استخفوا بالصلب والصليب، ومنهم من يذكرهم موسيهيم[1] في تاريخه كما يلي:

الساطرينوسيون، الكاربوكراتيون، المركبونيون، البارديسيانيون، التاتبانيسيون، المانيسيون، البارسكاليونيون، البوليسيون، الدوسيتية، الموسيونية، الغلنطانيائية.

وهناك شهادات نفر من علماء الإنجيل كما يلي:

قال الموسيو اردوارسيوس،[2] إن القرآن ينقل قتل عيسى وصلبه ويقول بأنه أُلقي شبهه على غيره، فغلط اليهود فيه وظنوا أنهم قتلوه، وما قاله القرآن موجود عند طوائف نصرانية، منهم مباسيليديون كانوا يعتقدون أن عيسى (و هو ذاهب لمحل الصلب) ألقي شبحه على «سيمون السرياني» تماماً، وألقى شبح سيمون عليه، ثم أخفى نفسه ليضحك على مضطهديه اليهود الغالطين.

ومنهم السيرنثيون: فإنهم قرروا أن أحد الحواريين صلب بدل عيسى، وقد عثر على فصلٍ من كتاب الحواريين وإذا كلامه نفس كلام الباسليديين.

ومنهم التاتيانوسيون: أتباع تاتيانوس تلميذ يوستينوس الشهيد.

قال فوتيوس: إنه قرأ كتاباً يسمى: «رحلة الرسل» فيه أخبار بطرس ويوحنا وأندراوس و توما وبولس، ومما قرر فيه: «أن المسيح لم يُصلب ولكن صُلب غيره، وقد ضحك بذلك من صالبيه، وأن مجامعهم الأولى قد حرَّمت قراءة الكتب التي

---

١ . هو الاستاذ الشهير الذي كان يدرس في مدارس اللاهوت الانجيلية.

٢ . أحد اعضاء الانسيتوري الفرنسي في باريس المشهور بمعارضة المسلمين في كتابه عقيدة المسلمين في بعض المسائل النصرانية، ص ٤٩.

تخالف الأناجيل الأربعة والرسائل التي اعتمدتها، فصار أتباعهم يحرقون تلك الكتب، وإننا نرى ما سلم منها كإنجيل برنابا: نراه ينكر الصلب وقفاً للقرآن».

تناقض الأناجيل في رواية الصلب:

ومما يوهن خرافة الصلب التناقضات التالية فيها بين الأناجيل:

حامل الصليب: في متى ومرقس ولوقا: أن حامله «سمعان القيرواني» وفي يوحنا أنه هو المسيح نفسه.

شراب المصلوب: في متى أنهم أعطوه خلًا ممزوجاً بمرٍّ، ومرقس: أنه كان خمراً بمرٍّ.

الإقتراع على ثيابه: في متى ومرقس ولوقا أنهم اقتسموا ثيابه واقترعوا عليها، وفي يوحنا أن المقسوم عليهم أربعة، اقترعوا على قميصه فحسب.

ما كتب فوق رأسه: في متى: جعلوا فوق رأسه مكتوبة كالتالي: هذا هو يسوع ملك اليهود، ثم يصرح لوقا أنها كانت بأحرف يونانية ورومانية وعبرانية، ويوحنا: أنها باللاتينية عوض الرومانية.

رفيق المصلوب: في متى ومرقس أنهما كانا لصّين، ولوقا: أنهما كانا من المذنبين، ويوحنا لم يذكر جريمتهما.

المستهزئين بالمصلوب: في متى ومرقس ولوقا: استهزأ به المارون ورؤساء الكهنة والكتبة والشيوخ واللصان اللذان كانا معه بقولهم: خلَّص آخرين، وأما نفسه فما يقدر أن يخلصها، وفي يوحنا أنهم قالوا: السلام عليكم يا ملك اليهود، رغم أنه كان حاضراً وقت الصلب ولكنه لا يذكر شيئاً مما كتبه الثلاثة!.

دعاء المصلوب: في لوقا: قول المسيح «يا أبتاه اغفر لهم، لأنهم لا يعلمون ما يفعلون»، والثلاثة الآخرون لم يذكروها، رغم وعد لوقا بداية إنجيله أنه لا يكتب شيئاً إلّا بعد تأكده ممن شاهدوا: أي الثلاثة الآخرين، ورغم أنها ضربة قاضية على

النصرانية، إذ إن معنى هذه الدعاء: أن المسيح ليس بيده من الأمر شيءً، وأنه لم يُصلب فداءً عن الخطيئة، إذ يُعتبر الصلب خطأً من فاعليه، والفداء عن الخطيئة على حد تعبيرهم من أهم الأصول المسيحية!

صرخة المصلوب: في متى ومرقس أن المصلوب صرخ مرَّتين، وفي لوقا مرة واحدة، و يوحنا يكذب الثلاثة: أنه لم يصرخ.

أخر كلام المصلوب: في يوحنا أنه قال: يا أبتاه في يديك أستودع روحي، ومتى ورقس أنه: إلهي إلهي لماذا تركتني.

وقد صرّح إنجيل القديس برنابا باسم الذي صُلب بدل عيسى أنه يهوذا.

وقال «الموسيوارتست ذي يونسن الآلماني»[1] ما معناه:

إن جميع ما يختص بمسائل الصلب والفداء هو من مبتكرات ومخترعات بولص ومن شابهه من الذين لم يروا المسيح، لا من أُصول النصرانية الأصلية.

وقال «ملمن»:[2] «إن تنفيذ الحكم كان في وقت الغلس وإسدال الظلام، فيستنتج من ذلك إمكان استبدال المسيح بأحد المجرمين الذين كانوا في سجون القدس منتظرين حكم القتل عليهم، كما اعتقد بعض الطوائف وصدَّقهم القرآن».

وبالجملة فإن أغلب الشعوب الشرقية قبل الإسلام رفضت قبول مسألة الصلب والقتل، حتى قال الباسيليوس الباسيليدي: إن نفس حادثة القيامة ـ قيام المسيح بعد الصلب ـ هي من ضمن البراهين الدالة على عدم حصول الصلب على ذات المسيح، ومعلوم أن نصارى سوريا هم الذين وقعت هذه الحادثة بينهم، فهم أقرب الناس إلى العلم بحقيقتها، وكذلك من جاورهم من نصارى المصريين وغيرهم لحصول الجوار وقرب المسافة.

---

١ . في ج ١، من تاريخ الديانة النصرانية.

٢ . في كتابه الإسلام اي النصرانية الحق، ص ١٤٢.

شبهات أخرى مسيحية حول صلب المسيح:

المصلوب لم يمت على الصليب: يُروى عن بعض المدققين من علماء أُوروبا الأحرار، و كذا الذين يسّمون «المسيحيين العقليين» أن الذي صُلب (مهما كان مسيحياً أم غيره) لم يمت، بل أُغمي عليه ولُفَّ باللفائف ووضع في ذلك الناووس، أفاق وألقى اللفائف، حتى إذا جاء الذين رفعوا الحجر لافتقاده خرج واختفى عن الناس، حتى لا يعلم به أعداؤه.

ومن براهينهم: أن المصلوب لم يجرح منه إلّا كفّاه ورجلاه، وهي ليست من المقاتل، ولم يمكث معلقاً إلّا ثلاث ساعات، وكان يمكن أن يعيش على هذه الصفة عدة أيام، وأنه لما جرح بالحربة خرج منه دمٌ وماءٌ، والميت لا يخرج منه ذلك، بل قالوا: إن ذلك لم يكن صلباً تاماً.

ومن الشاهد على شيوع هذا الرأي ما جاء في: «ذخيرة الألباب في بيان الكتاب، ص ٦٣٥» كالتالي: للكفرة والجاحدين في تكذيب تلك المعجزة مذاهب شتى ... فمنهم من استفزتهم مع «بهردواك وبولس غتلب» حماقة الجهل ووساوس الكفر، إلى أن قالوا: إن يسوع نزل عن الصليب حياً ودفن في القبر حياً.

يهوذا شبيه المسيح!:

واتفقت النصارى على أن يهوذا الأسخريوطي هو الذي دلَّ على يسوع المسيح، وكان رجلًا عامياً من بلدة «خريوت» في أرض بهوذا، تبع المسيح وصار من خواص أتباعه وحوارييه الإثنى عشر، ومن الغريب أن يهوذا كان يشبه المسحى فى خلقه كما نقل (جورج سايل) الإنكليزي في ترجمته للقرآن المجيد، فيما علَّقه على سورة آلعمران، نقل وعزا هذا القول إلى «السيرنثيين والكربوكراتيين» من أقدم فرق

النصارى، الذين أنكروا صلب المسيح وصرّحوا: بأن الذي صُلب هو يهوذا الذي كان يشبهه شبهاً تاماً».

والنصارى مجمعون: أن يهوذا فقِد بعد قصة الصلب، حيث افتقدوه وما وجدوه، لكنهم حفاظاً على أُكذوبة صلب المسيح وجّهوا فَقْدَ يهوذا كالتالي:

أن يهوذا أسف وندم على ما كان من إسلامه المسيح إلى اليهود، حتى حمله ذلك على بخع نفسه: (الإنتحار) فذهب إلى حقل وخنق نفسه فيه (متى ٢٧: ٣ ـ ١٠) أو عقل نفسه في ذلك الحقل (أعمال: ١٨).

وهذه هي من الخلافات والشكوك الوفيرة في قصة الصلب بين علماء الإنجيل أنفسهم:

١ـ أن المسيح لم يصلب وإنما صُلب يهوذا الملقى عليه شبه المسيح.

٢ـ يهوذا كان شبيه المسيح خَلقياً.

٣ـ أن المسيح صُلب ولم يمت على الصليب.

٤ـ أنه صُلب ومات على الصليب.

ولا يعتمد القول الرابع على عماد وثيق، إلّا اختلاق بولص وأتباعه الذين ضيّعوا المسيح بتشاريعه المقدسة.

وشاهد صدق إنجيلي ـ من برنابا القديس أول تلاميذ المسيح ـ على عدم صلبه عليه السلام ما يلي:

برنابا والصليب:

«فاعلم يا برنابا: أنه لأجل هذا يجب عليَّ التحفظ وسيبيعني أحد تلاميذي بثلاثين قطعة من نقود وعليه فإني على يقين من أن مَن يبيعني يقتَل باسمي، لأن الله سيصعدني من الأرض وسيتغير منظر الخائن حتى يظنه كل

أحد إياي، ومع ذلك فإنه لما يموت شرَّ ميتة أمكث في ذلك العار زمناً طويلًا في العالم ... ولكن متى جاء «محمد» رسول الله المقدس تُزال عني هذه الوصمة وسيفعل الله هذا، لأني اعترفت بحقيقة مسيّا الذي سيعطيني هذا الجزاء، أي أن أعرف أني حيّ وأني بريءٌ من وصمة تلك الميتة (برنابا: ١١٢: ١٣ـ ١٨) و(٢٢٠: ٩ـ ٢٠). ودخل يهوذا بعنف إلى الغرفة التي أُصعد منها يسوع. وكان التلاميذ كلّهم نياماً فأتى الله العجيب بأمر عجيب، فتغيَّر يهوذا في النطق وفي الوجه فصار شبهاً بيسوع حتى أننا اعتقدنا أنه يسوع.

أما هو فبعد أن أيقظنا أخذ يفتش لينظر أن كان المعلم، لذلك تعجّبنا وأجبنا: أنت يا سيِّد هو معلمنا. أنسيتنا الآن؟

أما هو فقال مبتسماً: هل أنتم أغبياء حتى لا تعرفون يهوذا الأسخريوطي؟.

وبينما كان يقول هذا دخلت الجنود وألقوا أيديهم على يهوذا، لأنه كان شبيهاً بيسوع من كل وجه (برنابا ٢١٦: ١ـ ٩).

أما يسوع فوجده الذي يكتب ويعقوب ويوحنا. فقالوا وهم باكون: يا معلم لماذا هربت منا؟ فلقد طلبناك ونحن حُزانى، بل إن التلاميذ كلهم طلبوك باكين. فأجاب يسوع: إنما هربت لأني علمت أن جيشاً من الشياطين يهيىء لي ما سترونه بعد برهة وجيزة، فسيقوم عليَّ رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب وسيطلبون أمراً من الحاكم الروماني بقتلي، لأنهم يخافون أن أغتصب ملك إسرائيل. وعلاوة على هذا فإن واحداً من تلاميذي يبيعني ويسلمني كما بيع يوسف إلى مصر. ولكن الله العادل سيوثقه كما يقول النبي داود:[١] من نصب فخاً لأخيه وقع فيه. ولكن الله سيخلصني من أيديهم وسينقلني من العالم. فخالف التلاميذ الثلاثة. ولكن يسوع عزّاهم قائلًا: لا تخافوا، لأنه لا يسلمني أحد منكم. فكان لهم بهذا شيءٌ من العزاء (برنابا ١٣٩: ١ـ ١٠).

---

١. مز، ٩: ١٥ـ ٥٧: ٦

ثم يبيّن كيفية تعذيب يهوذا ظناً أنه المسيح وصلبه بأفظع صورة وأهونها. وشهود صدق آخرين من سائر الأناجيل على أنه لم يُصلب حيث لم تمسّه أيدي اليهود ولم يروه ولم يعرفوه ـ كالتالي ـ :

تصريحة بولص: رغم أنه مختلق الصلب، في (عب ف ٧): «الذي في أيام جسده، إذ قدم بصراخ شديد ودموع وطلبات وتضرعات للقادر أن يخلصه من الموت وسمع له من أجل تقواه».

ولا شكّ في أن المسيح لم يطلب من الله تعالى نفي الموت عنه إطلاقاً، إنما الموت الصليبي المخزي، إذ لا ثالث بينهما.

وفي غلاطية: «أنتم الذين رُسم يسوع المسيح بينكم مصلوباً» حيث يعني أن صلبه رسم عندكم لا حقيقة ... وتفضيحاً لما اختلق من ذي قبل من خرافة الصلب.

وفي يوحنا، ص ١٨: «إن الذين قبضوا عليه في بستان بوادي الأردن وقد خرج إليهم المسيح. حين قرعوا الباب وقال لهم: مَن تريدون؟ فقالوا يسوع ـ وقد لزم أعينهم عن معرفته ويهوذا واقف ولم يفُه بكلمة ولا إشاره، فسألوه ثانية وأعاد عليهم الجواب».

وهذا دليل ما صرّح به القرآن ﴿ولكن شبّه لهم﴾، إذ كيف لا يعرفون شخصه وهو على صورته الأصلية وقد نشأ بين أظهرهم وهم أعرف الناس به!

وقد روى نظير ذلك لوقا: إن المسيح أمسك أعين رفقته في الطريق وأعين تلاميذه في الجيل وعلى ساحل البحر أيضاً فلم يعرفوه، وحتى مريم ظنته البستاني.

فإذا كان بإمكانه إخفاء نفسه عن أمّه وتلاميذه، فهّلا يتمكن من إخفائه عن أعدائه رغم وجوبه عليه حفاظاً على نفسه وذوداً عن كرامته؟.

سر الإستنكار المؤكد على الصليب:

الأسقف: ما هذا الإصرار المتكرر والبحوث المفصَّلة حول الصليب، وما هو إلّا كحادثة تاريخية، ونحن إذ نريد توحيد الدين فلا يهمنا أصلِبَ المسيح أم لم يصلب، ولا يهمنا كذلك ما إليه من البحوث الجزئية!

المناظر: أجل ولكننا لا نبحث هكذا عن قصة الصلب اعتباراً أنها كحادثة تاريخية جزئية، وإما نطيل الكلام والنقض والإبرام حولها، لأنها تحتوي على نقض التشاريع العلمية وأمثال ذلك من المختلقات، فالهدف الرئيسي هنا إنما هو سرُّ الفداء الصليبي لا نفس الصليب فحسب، وسرّ الفداء كما مرّت تفاصيله من العهد الجديد وكثير من معتنقيه، ننقده كالتالي:

مخازي سر الفداء:

١- إن الإنسان شرير ومذنب في ذاته، لأن أبويه عصيا.

٢- و إله الأب لم ير وبداً لتخليص البشر من الذنوب إلّا أن يضحي بنفسه فداءً عن خطاياهم فنزل من اللّاهوت وتولَّد في الناسوت، فصار مسيحاً، فصلب بناسوته واحتمل لعنة الناموس من عباده.

٣- هذا الفداء خلص البشرية عن التقيد بالتشاريع العملية فما عليهم، إذ ذاك إلّا الإيمان بالثالوث وسر الفداء ليس إلّا.

٤- إن هذا الفادي العظيم دخل بعد صلبه الجحيم تتميماً للفداء، لكي يذوق حر النار بدل المذنبيين وقد ذاق وحاشاه، هذا وما إليها من نتائج سر الفداء.

ولذلك يحق للمسيح ﵇ أن يبكي دماً ويصرخ هنا وهناك ويستبشر أن رسول الإسلام ﷺ يزيل عنه هذه الوصمات المخزية، ويحق للقرآن بهيمنته على ما قبله كتب أن ينزِّه ساحة هذا الرسول العظيم عن تكلم الوصمات الإلحادية قائلاً:

القرآن والصليب:

﴿... وبكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً ❁ وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول‌الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبّه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلّا اتباع الظنّ وما قتلوه يقيناً ❁ بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيماً ❁ وإن من أهل الكتاب إلّا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً﴾ [النساء، ١٥٦- ١٥٩].

حوار مع الحداد بشأن الصليب:

الحداد: ... آن للقوم أن يختلصوا من هذه الخرافة التي ينقضها العقل ولا تستند إلى النقل، فلا يعني قوله ﴿شبه لهم﴾ قصة الشبه بل «خيل إليهم» كما يقول أصح العارفين في لغة القرآن الزمخشري، فإن فلسفة القرآن وعلم الكلام والتفسير الصحيح تنقض نقضاً مبرماً تلك الأسطورة الخيفة.[1]

المناظر: كيفهما كان المعني من ﴿شبه لهم﴾، فالآية تكفِّر مقالة قتل المسيح أولاً ﴿ويكفرهم ... وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول‌الله﴾ ثم تنفي القتل والصلب ثانياً ﴿وما قتلوه وما صلبوه﴾ وأخيراً يستدرك من خطإهم الفاحش في عقدة القتل والصلب ﴿ولكن شبِّه لهم﴾.

فأقل التقدير من معنى ﴿شبّه لهم﴾ أنهم مشتبهون في عقيدة القتل والصلب، سواء أكان فاعل شبِّه هو المقتول بدل المسيح حيث شبه بالمسيح ـ أم هو المسيح ـ حيث شبه أمره عليهم فظنوا أنهم قتلوه أم لا فاعل له إلّا قوله لهم حيث اشتبهوا بأمره، ثم نقول لا تخرج شبه لهم هذه عن أمور، مع الحفاظ على أنه لم يقتل ولم يصلب:

١- إن المصلوب كان هو المسيح وهم اشتبهوا في أمره.

---

١. ص ١٩٣ مدخل إلى الحوار الإسلامي المسيحي

٢ـ إن المصلوب كان غير المسيح «يهوذا الأسخريوطي» دون أن تتغير صورة يهوذا.

٣ـ إن المصلوب كان غير المسيح «يهوذا الأسخريوطي» وقد تبدلت صورته إلى شاكلة المسيح.

فالأوّل خلاف نص الآية حيث تنفي صلب المسيح وتخطئهم في عقيدة الصلب أنهم مشتبهون.

والثاني ينتج أنهم اشتبهوا في أمره دون أن تتغير صورته، فهم في شبهة من أمر يهوذا، وهذا ينافي نص الآية: أنهم اشتبهوا في أمر المسيح، وينافي الحسّ أيضاً أن كيف رأوا يهوذا على الصلب دون تغير لصورته وبعد ذلك اشتبه لهم أمره؟

إذاً فالثالث هو المتعيِّن: أن سبب اشتباه أمر المسيح عليهم هو تصوُّر يهوذا المصلوب بصورة المسيح، فزعموا أنه المصلوب.

فالحداد سواء رجع إلى تفسير أصلح العارفين ـ في زعمه ـ في لغة القرآن! أم غيره، لا يستطيع أن يتخلص عن هذه النتيجة ـ حيث الآية ـ ﴿ولكن شبه لهم﴾ كيفما فسِّرت إنما تعني ما نعنيه ونحن نعني ما تعنيه صورة طبق الأصل ـ رغم أن الحداد يعاني أن تعني خلاف نصها وفق ما يهواه ـ وكلا!

الحداد:[١] فكيفما كان ففي إلقاء شبهه على الغير إشكالات:

المناظر: إذاً فاليأس عن تأويل الآية واشخط مخالفة النقل القرآني لقصة الشبه عن مقالك الأول: «ولا تستند إلى النقل» «والتفسير الصحيح تنقض نقضاً مبرماً تلك الأسطورة» اشخطها واحصر المشكلة في العقل كما تزعمه حتى نأتي عليها أيضاً.

الحداد: الإشكال الأول: أنّه إن جاز أن يُقال: إن الله تعالى يُلقي شبه إنسان على إنسان آخر، فهذا يفتح باب السفسطة، وأيضاً يفضي إلى القدح في التواتر، ففتح هذا الباب أوله سفسطة وآخره إبطال النبوات بالكلية.

١. ص ١٩٢، مدخل إلى الحوار الإسلامي المسيحي.

المناظر: إنما السفسطة والقدح في التواتر وإبطال النبوات، هذه كلها نتائج القول: إن الله يلقي شبه كل إنسان على غيره ـ أو صورة كل نبي على غيره نبياً كان أم سواه ـ ونحن ولا أيٌّ أحد لا يقول بذلك، وإنما نقول حسب صريح القرآن: إن شبه المسيح أُلقي على يهوذا لحكمة اقتضته: هي أن يرفع اليهود أيديهم عن المسيح ويصلبوا يهوذا بدله، وأن يُمكروا بهذا المكر الإلهي كما مكروا ـ جزاء وفاقاً ـ ﴿ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين﴾.

وتبدُّل الصورة هكذا لا يُعرف عبر التواريخ إلّا قصّة المسيح ويهوذا، معجزة إلهية ترفع محتد المسيح ومنزلته وتخذل اليهود.

هذا بالنسبة لليهود الذين عزموا على صلبه، ثم لا يحق لغيرهم ولا سيما النصارى أن يشتبهوا في أمره، حيث التصاريح الوفيرة دلّتنا على حادثة تبدُّل الصورة، كما ويصرح المسيح ليلة الصلب «كلكم تشكُّون فيَّ في هذه الليلة» (متى ٢٦: ٣١) (مرقس ١٤: ٢٧) «إن أيدي لم تمسّه».

ويصرِّح دانيال قبل الحادثة: «بعد اثنين وسبعين أسبوعاً ينقطع المسيح ويختفي» (دانيال ٩: ٢٧).

وكسائر التصاريح التي أسقطت عن الأناجيل الحالية وقد بقي الكثير منها في إنجيل برنابا، كما ويصدقها القرآن ﴿ولكن شبّه لهم﴾ هذه التصاريح التي تدلنا على أن المصلوب لم يكن هو المسيح رغم أنه كان يشبهه، فأين السفسطة والقدح في التواتر وأين إبطال النبوات؟!

الحداد: والإشكال الثاني: أن الله أيده بروح القدس ـ جبريل ـ فهل عجز هنا عن تأييده؟ وهو كان قادراً على إحياء الموتى، فهل عجز عن حماية نفسه؟.

المناظر: لولا مواصلة التأييد لم ينجوا ولم يُرفع إلى السماء حيّاً سالماً، فإنما أُلقي شبهه على عدوِّه الذي سلّمه: «يهوذا الأسخريوطي» جزاءً وفاقاً.

فهل ترى يا صاحبي أن في الجمع بين رفعه حيّاً دون أن يُصلب، وبين إلقاء شبهه على عدوّه ليُصلب بدله هل ترى في ذلك من تقصير وعجز من روح القدس أم في الله الذي أيّده به؟ ـ أم قوة ورحمة؟

عجباً منك كيف ترى ذلك عجزاً من المسيح ومن الروح، ثم تلتزم صلب المسيح؟

أفهل كان عاجزاً أن يدفع عن نفسه؟ أو أن الروح انفصل عنه حينذاك؟ فأي الحادثين أكثر وقعاً في ضعف المسيح والروح؟ صعوده الي السماء حيّاً وابتلاءه عدوّه؟ أم صلبه والاستهزاء به ومهانته وإهانته، فاقضِ ما أنت قاض.

الحداد: والإشكال الثالث: أنه تعالى كان قادراً على تخلصه برفعه إلى السماء فما الفائدة بإلقاء شبهه على غيره، وهل فيه إلاّ إلقاء مسكين في القتل من غير فائدة إليه.

المناظر: أجل كان قادراً وخلصه ورفعه إلى السماء حيّاً سالماً، والفائدة بإلقاء هو الجزاء الوفاق ليهوذا إذ سلّمه، ولليهود حيث مكروا فمكر الله والله خير الماكرين.

الحداد: والإشكال الرابع: إلقاء الشبه على غيره أن اعتقدوا (اليهود) أن هذا الغير هو عيسى، مع أنه ما كان عيسى، فهذا كان إلقاءً لهم في الجهل والتلبيس وهو لا يليق بحكمة الله.

المناظر: ... إنه يليق بحكمة العدل الحكيم المنتقم بما مكروا ومكر الله والله خير الماكرين: أنهم عملوا وسعوا وخاب سعيهم، فكان عذاباً فوق العذاب.

الحداد: والإشكال الخامس: أن النصارى واليهود على كثرتهم في مشارق الأرض ومغاربها وشدة محبتهم للمسيح وغلوهم في أمره (أو شدة بغض اليهود له) شاهدوه مقتولًا مصلوباً، فلو أنكرنا ذلك كان طعناً فيما ثبت بالتواتر، والطعن بالتواتر بوجب الطعن في نبوّة محمد وعيسى وسائر الأنبياء.

المناظر: هل إن هذه الكثرة من الطائفتين كانوا حضوراً حين الصلب ليشاهدوا المسيح مصلوباً حتى يُعتبر إخبارهم تواتراً؟ ماذا تقول يا حداد؟ أقولًا دون أي تفكير حتى يصبح خلاف البديهة، يا صاحبي بدِّل عقلك وحافظ على كرامة الحوار والحجاج!

لنفرض أنه تواتر، ولكنه لا ينتهي إلّا إلى عدد قليل ـ أو كثير ـ شاهدوا المسيح مصلوباً، و لكن الله تعالى، والمسيح نفسه، وكتابات الوحي تصرِّح: أن المصلوب لم يكن هو المسيح، وإنما أُلقي عليه شبه المسيح، فهل يصح في رأيك أن يُطرح الخبر الإلهي والرسولي و يصدَّق ما ليس له حجة إلّا الحسّ الخاطيء؟

ثم أخيراً إن الطعن بهذا التواتر ـ المزعوم ـ هو من لوازم تصديق محمد ﷺ والمسيح ﷺ حيث أخبراً: أن المصلوب لم يكن هو المسيح ﴿وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبّه لهم﴾ و «إن أيدي اليهود لا تمسُّني».

الحداد: والإشكال السادس ألّا يقدر المشبوه به أن يدافع عن نفسه أنه ليس بعيسى؟ والمتواتر أنه فعل، ولو ذكر ذلك لاشتهر عند الخلف هذا المعنى فلما لم يوجد شيءٌ من ذلك علمنا أن الأمر ليس على ما ذكرتم.

المناظر: أجل ـ لا يقدر ولكنه فعل كما تنقلونه بالتواتر ـ أنه فعل: دافع عن نفسه أنه ليس عيسى، ولكنه ما أثَّر لمكان المشابهة، فالدفاع عن النفس شيءٌ والتأثير شيءٌ آخر، فعدم تأثير الدفاع لا يدل على عدم الدفاع.

ثم نقول: هب أنه كان مسيحاً ودافع عن نفسه أنه ليس هو المسيح، أفلا يدل نفس هذا الدفاع المواتر أنه لم يكن هو المسيح ـ لو التزمتم بصدق المسيح ـ فصدق المسيح في مقاله: إنه ليس هو، يستلزم أن المصلوب لم يكن هو المسيح.

وأخيراً: هب أن المشبوه لا يقدر أن يدافع عن نفسه للشبه، فكيف دافع عن نفسه ـ إلّا أننا نقول: الغريق يتشبث بكل حشيش، إنه لم يكن هو المسيح ـ ولم

يدر المسكين أن شبه المسيح ألقي عليه ـ فلما هاجموه أخذ يصرخ: لست أنا المسيح ... فما هو الإشكال العقلي هنا؟

فهذه هي الإشكالات الستة العقلية التي يقضي عليها العقل ـ دون ريب ـ إنها لا تدل إلّا على خفة عقل المستدل وولعه فيما يهواه وإن عارض العقل، فقبحاً لتخريج ليس إلّا تهريجاً، أنه يريد جرَّ الجمل بشعرة، ولكننا لم نجد له حتى الشعرة!

هل هناك تناقض بين آية النساء وآيات التوفي؟:

الحداد: آية النساء تنفي القتل والصلب لا الموت، إنها تصرح ﴿وما قتلوه وما صلبوه ... وما قتلوه يقيناً. بل رفعه الله إليه﴾ (١٥٧٤: ـ ١٥٨) وظاهر آية مريم (٢٣) أنه مات قبل رفعه.[1]

المناظر: الحداد بعد يأسه من قتل المسيح وصلبه يريد أن يميته أخيراً، لأنه أقرب إلى هواه، فينفي أولًا دلالة آية النساء على عدم موت المسيح ثم يثبته بآية مريم، حال أن آية النساء تنفي موته حتى الآن، وحتى يؤمن به كافة أهل الكتاب: ﴿وإن من أهل الكتاب إلّا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً﴾ [النساء، ١٥٩].

فتصديق هذه الآية يستلزم تصديق حياة المسيح حتى الآن وحتى يؤمن به كافة أهل الكتاب، والتاريخ لا يسجل لنا طيلة القرون المسيحية أن كافة أهل الكتاب ـ ولا حتى المسيحيين ـ آمنوا كلهم بالمسيح، إذاً فآية النساء تجمع في نفيها بين القتل والصلب والموت ـ والموت عبارة عن سلب الحياة إطلاقا ـ قتلًا أو صلباً أو حرقاً أو حنقاً أو بأية وسيلة أُخرى تقضي على الحياة.

ثم آية مريم تنقل مقالة المسيح حين وُلد ﴿ويوم أموت ...﴾ دون تعيين ليوم الموت، إلّا أنه يموت ليومٍ مّا، والجمع بينها وبين آية النساء أن المسيح ما حان حتى الآن حين موته، ونحن لا نقول: إن المسيح لن يموت أبداً، حتى تُعارضنا آية مريم، إنما

---

١. ص ١٩٩ـ ٢٠٠، مدخل إلى الحوار الإسلامي المسيحي.

نقول حسب آية النساء إنه لم يمت منذ ولادته حتى الآن، وحسب آية مريم مع النظر إلى آى موته في النساء أنه سوف يموت بعد أن آمن به كافة أهل الكتاب.

الموت والتوفي:

وأما قصة آيات توفيه، وأنها تعارض عدم موته ـ في زعم الحداد ـ فهي لا توجد إلّا في آيتين:[1] ﴿إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلَّي ومطهرك من الذين كفروا﴾ [النساء، ٥٥]، ﴿فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم﴾ [مائده، ١١٧].

فالتوفي مهما كان مشتركاً بين الموت والنوم: ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها﴾ [الزمر، ٤٢] وبين الأخذ وافياً حياً أو ميتاً ﴿حتى يتوفاهن الموت﴾ [النساء، ١٥]، حيث الموت لا يُميت بل يأخذ، فهذا الإشتراك والإشتباه يرتفع على ضوء القرائن القاطعة أن المسيح لم يمت حتى الآن ولن يموت إلّا بعد أن يؤمن به اهل الكتاب كافة، فما بال الحداد يعاني الفحص عن آيات التوفي والوفاة لكي يبغي سبيلًا إلى هواه: أن المسيح مات قبل رفعه، وكلًّا!

إذاً فآيات النساء ومريم وآل‌عمران والمائدة وما إليها شركاء في نفي القتل والصلب والموت عن المسيح حتى الآن، ولسوف نوافيكم في نبإ فصل عن صميم الحبث.

خرافة لعنة الناموس من جراًء الصلب:

وقد يندد القرآن بخرافة أن المسيح حمل لعنة الناموس وذنوب أُمته بصلبه قائلًا:

حقيقة ناصعة في كتابات الوحي:

﴿أم لم ينبأً بما في صحف موسى * وإبراهيم الذي وفّى * ألا تزر وازرة وزر أخرى * وأن ليس للإنسان إلّا ما سعى * وأن سعيه سوف يُرى * ثم يجزاه الجزاء الأوفى * وأنَّ

١. تحت عنوان أين المسيح، ص ١٨٤.

إلى ربك المنتهى﴾ [النجم. ٣٦ - ٤٢]، ﴿إن هذا لفي الصحف الأولى * صحف إبراهيم وموسى﴾ [الأعلى. ١٨ - ١٩]. ومما نُبِّيءَ به من هذه الحقيقة الناصعة ما في:

(حزقيال ١٨: ١ - ٢٤) النفس التي تخطيء هي تموت ٥ والذي سلك في فرائضي وحفظ أحكامي ليعمل بالحق فهو بارٌّ حياة يحيا ٩ وإن ولد ابناً رأى جميع خطايا أبيه ... ولم يفعل مثلها ١٤ وسلك في فرائضي، فإنه لا يموت بإثم أبيه ١٧ وأما أبوه فهوذا بموت بإثمه ١٨ وأنتم تقولون ... لماذا لا يحمل الإبن من إثم الأب ١٩ وأما الإبن فقد فعل حقاً وعدلًا حفظ جميع فرائضي وعمل بها فحياةً يحيا ٢٠ النفس التي تخطيء هي تموت. الإبن لا يحمل من إثم الأب والأب لا يحمل من إثم الإبن. برّ البار يكون وشر الشّرير عليه يكون.

وفي (تث ٢٤: ١٦) «لا يقتل الآباء عن الأولاد ولا يقتل الأولاد عن الآباء كل إنسان بخطيئة يُقتل»، حينذاك فلا تحمل ولد آدم الأول إثمه، لكي يُحكم عليهم أنهم عصاة بما عصى أبوهم، فلا يحمل أحد إثم غيره، قريباً أم بعيداً، ﴿فلا تزر وزارة وزر أُخرى وأن ليس للإنسان إلّا ما سعى ...﴾

فقد يزيِّف نزول الإله من اللَّاهوت إلى الناسوت وتولده فيه، وهذه خرافة كما مرّت إليها الإشارة من تصاريح القرآن، وقد يحكم القرآن على هذه الخرافات حول نسخ التشاريع العملية بأن الإيمان لا يُنجي صاحبه إلّا قريناً بالعمل الصالح، بل هو مقدمة لصالح الأعمال، والذنوب المتواردة تذيب الإيمان كما يذوب الثلج بحرِّ النار، فلا نجد آية من الذكر الحكيم تأمرنا بالإيمان إلّا قريناً بالعمل الصالح أي الذي يلائم الإيمان ويناسبه، وإليكم نموذجاً منهما: سورة العصر: ... ﴿والعصر * إنّ الإنسان لفي خسر * إلّا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾.

فلا ينجو الإنسان من خسارته المحيطة به إلّا أن يبني بناية حياته الدنيوية على قوائم أربع:

١- الإيمان بالله واليوم الآخر وبأنبيائه وبما جاؤوا به.

٢- الإلتزام بالتشاريع العمليّة ليلَ نهار.

٣- التواصي والتأمر بالحق، عقائدياً وعملياً.

٤- التواصي بالصبر وهو التقوى عما يجب اتقاؤه، فهو التناهي عن المنكر في ناحيتي العقيدة والعمل.

فالجملة القول في سرّ الفداء، أنها مس لكرامة رب العالمين، ورسوله العظيم المسيح عيسى ابن مريم ﵇ ومسٌّ لكرامة التشاريع العملية والأحكام العشرة، وهي النواميس العريقة في التوراة، وبالأخير معارضة لحكم العقل.

عودٌ على بدء في أركان سر الفداء:

ومهما يكن من شيءٍ فمن قال لكم: إن عصيان آدم وزوجته ينشب ويرسب في ذوات ذريته؟ وفيهم الأنبياء والأولياء المعصومون، لا ترسُّباً يمكن الفرار عنه بالتوبة وترك السيئات وعمل الصالحات، بل هو إلى حيث لا يقدر الرب أيضاً أن يعفو عنه إلّا أن يضحي بنفسه دون عبادة تضحية صليبية ملعونة، فيتحمل بذلك لعناتهم السالفة وما تعتريهم في المستقبل، وإلّا، وبالأخير، أن يذوق بنفسه وبال أمرهم في الجحيم؟ فيا لهذا الإله ظلماً أن يحمِّل ذنب آدم على ذريته، ويا له عجزاً بعد ظلمه أن لا يستطيع تطهيرهم والعفو عنهم إلّا بأن يعذِّب نفسه لكي يطهرهم بذلك، ويا له حمقاً أن يلعن نفسه لكي لا يُعلن عبيده، ويا له عاراً ودماراً أن يذوق حرَّ ناره التي أعدَّها للعاصين من عباده، ويدمِّر نفسه ويذلها لكي يقضي على التشاريع التي شرعها لصالحهم، فياله ضلالًا ما أفحشه! حيث يضحي لنسخ أحكامه وهو الذي سنها وأرسل أنبياءه لتطبيقها! أجل إنكم أصحابنا الإنجيليين، إذ تريدون تفضيل المسيح على سائر الأنبياء من ناحية، تمسُّون من كرامته وتخرجونه عن سننهم العريقة الخالدة من ناحية أُخرى، ومن هذه السنن:

السُّنة الرسالية في رسل الله:

١- إنهم الدعاة إلى الله والضحايا في سبيله لنشر دينه وتطبيق تشاريعه ورفع أعلام الحق وتدمير الباطل ...

٢- إنهم ضحايا الحق في النواحي العقائدية والعملية ...

٣- إنهم المصطفون الأخيار الأبرار. قادة الحق والتّقى والسابقون في كل خير ..

لكنهم - بالرغم من هذا وذاك - تعتبرون مسيحكم ملعوناً من الله تحمَّل بشخصه لعنات الناموس، وأنتم المفترون عليه أنه: ترك التشاريع العملية، فملعون وأي ملعون، حيث يجمع كافة اللعنات على عاتقه ... لماذا؟ لكي يخلِّص البشرية عن العمل بأحكام الله، وهذا بعينه من عمليات الشيطان التخريبية، حيث يخطوا خطواته الضالة نحو ترك الشرائع ونقضها!

فوادلّاه: إذ تعتبرون المسيح شيطاناً، يختزن عنده اللعنات ويضحِّي في سبيل نقض الشرائع ثم يخصُّ النجاة، لا بالعقيدة والعمل الصالحين، ولا بالعقيدة الصالحة، بل بأن تعتنق البشرية عقيدة الثالوث والفداء الصليبى وما إليها، من الوثنيات العتيقة السالفة، ونحن إذ نرأف بالمسيح، ذلك النبي العظيم، بدافع الإيمان بالله وأنبيائه، ونذود عن ساحة قدسه تلكم الوصمات الوثنية الإلحادية، حينذاك نلعن كل من يلعنه ويعتبره شيطاناً يضحِّي في سبيل محو الشريعة، وندعوهم إلى حق العقيدة وحق العمل، إلى كتاب يذود عن ساحة المسيح تلكم الوصمات الكافرة ألا وهو القرآن الحكيم:

كافة الأنظمة ترفض الإباحية اللّاقانونية وتحمُل آثام تاركي القوانين ...:

فكل عاقل يعلم أن تحمُّل آثام الناس وتحريرهم فما يشتهون هو من الأخطاء والمخازي، لا ترتضيه أية حكومة ظالمة جبارة - فضلًا عن الحكام المصلحين

العدول ـ حيث ان رغد العيش في حياة الدنيا في نظر العقل والدين لا يتيسَّر إلّا برباط الإيمان بالله وتطبيق الأنظمة العملية الفردية والجماعية، فالإيمان بالمقنن والقانون لا يجدي نفعاً، ولا يدفع ضراً، إلّا على ضوء تطبيق القانون، فكيف يُعتبر الزعيم الذي يتحمَّل آثام نقض القانون عن رعيته، يعتبر زعيماً صالحاً، وقد أفسد على حُكمه وحكومته، وعلى شعبه ورعيته، ثم كيف تستجُّر اللعنةُ على المسيح رحمةً للعاصيين الملعونين!

أجل إن للمعصومين الأطهار عن الذنوب والأقذار أن يشفعوا لمن يرتضيه الله تعالى ﴿ولا يشفعون إلّا لمن ارتضى﴾ ولكن الملعون الذي هو رهين لعنه وعذابه، كيف يشفع للملعونين، لا لشيءٍ، إلّا لأنه ملعون من الله، فليت شعري كيف توجِد تلكم الظلماتُ النورَ، وتحصل الصرد بالحرور؟ أم كيف يتحمّل الإنسان ـ وهو آثم في ذاته ـ يتحمل آثام سائر الناس وهو عاجز عن تحمُّل آثامه الشخصية ... كلَّا إن هذه إلّا كلمة الكفر والجنون من الذين كفروا ... ﴿وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم وما هم بحاملين من خطاياهم من شيءٍ إنهم لكاذبون. وليحملنَّ أثقالهم وأثقالًا مع أثقالهم وليُسألن يوم القيامة عما كانوا يفترون﴾ [عنكبوت. ١٢-١٣].

فمن يدعي أنه يحمل خطايا الخاطئين ويحرّرهم فيما يخطئون ويُطلقهم عن أسر التكاليف ويجعلهم إباحيين، إنَّ هذا مفترٍ على الله، وإنه يحمل أثقاله وأثقالًا أخرى كأمثاله، أن حرّرهم في خطاياهم بهذه الفرية الزور والغرور، أجل إنه رئيس المفسدين الضالين حيث يضلّ الناس عقائدياً وعملياً ويفسد عليهم حياتهم الإنسانية إلى حياة بهيمية همجية جهنمية.

فإذا كان كل من يقول بعقيدة الصليب والتثليث ينجو من عذاب الآخرة ـ كيفما كانت أخلاقه وأعماله ـ لزم من ذلك أن يكون أهلها إباحيين، وأن يكون الشرير المبطل الذي يعتدي على أموال الناس وأنفسهم وأعراضهم أهل الملكوت الأعلى، لا يعذَّب على معاصيه ومخازيه ولا يجازى عليها بشيءٍ!، وناهيك بهذه

الإباحية الشريرة مفسدة للبشرية، أكثر وأشرّ من الإباحية الوثنية ـ فإنهم في شرورهم لا يأملون الملكوت كما لا يخافون عذاباً.

اما الإباحيون المسيحيون فهم يرجون تجارة لن تبور، برأس مال هو: عقيدة الصليب و التثليث، مهما كانت أعمالهم شريرة!

ألا فالعنوا بولص لاعن المسيح ومعذّبه ...:

وإنني لأعجب وآسى على أصحابي الإنجيليين كيف يبتهجون أن يلقّبوا المسيح بالراعي الصالح، اعتباراً: أن الرّاعي الصالح من يضحّي نفسه لأجل خلاص رعيته ـ حال أن هذه التضحية ليست رعاية، وإنما هي جنون وشيطنة ونقض لأحكام الله وهمجية جهنمية ـ.

فتعساً لبولص ألدّ أعداء المسيح، وبؤساً له! ألا فارحموا أيها الأصحاب الإنجيليون، إرحموا المسيح بلعن بولص، ذلك المفتري الكذاب أن مَثَّل المسيح مثال الشياطين المفسدين، في اختلافاته وبدعه الهدّامة لسرّ الفداء، لا لشيءٍ إلّا ليفسد على المسيح تعاليمه النيِّرة، وينسخ النواميس العشرة والتشريعات العملية في التوراة والإنجيل، والتي اعتبرها المسيح ثابتة، ولعن من عمل بخلافها قائلًا: «فمن نقض هذه الوصايا الصغرى وعلَّم الناس هكذا يُدعى أصغر في ملكوت السموات. وأما من عمل وعلم فهذا يدعى عظيماً في ملكوت السَّموات» (متى ٥: ١٨ـ ١٩).

أجل وإن بولص ومعناه الصغير- صغير في ملكوت السَّموات- و أصغر في لسان المسيح أن نقض وصاياه هكذا بكل شراسة ووقاحة.

للّه أنت أيها المسيح يا قدوس الرّب! كيف تكشف عن الغيب وتخبر بعمل واسم بولص عدوّك الدود الضاري بعمله، حيث نسخ ونقض تلكم الوصايا، وباسمه «بولص» ومعناه الصغير .. اللهمَّ فالعنه كما لعنه عيسى وموسى عليهما السلام في تصاريح متوفرة من الكتابيين ...

هذه الوصايا البولصية تحت نقاب سرّ الفداء- كلها- استجرارات للعقائد الوثنية العتيقة كما سلف وقد ربطها إلى المسيحية برابطين:

١- خرافة الصَّلب.

٢- آية من التوراة هي: وإذا كان على الإنسان خطيئة حقُّها الموت فقتل وعلقته على خشبة. فلا تبت جثته على الخشبة بل تدفنه في ذلك اليوم ولأن المعلق ملعون من الله فلا تنجِّس أرضك التي يعطيك الرب إلهك نصيباً (تث ٢١: ٢٢- ٢٣).

وعلى فرض تحقق الصلب ـ رغم ما سلف ـ فهذه الآية لا تمت بصلة لسرِّ الفداء حيث لا تحكم على المصلوب باللعنة الإلهية لأجل صلبه، وإنما تحكم بلعن المصلوب إذا صلب بخطيئته، فمن لَعَنات الله على هذا الخاطىء الذي يستحق الموت عذابُ الصليب، لا أن الصلب بنفسه يستجرُّ لعناً من الله، وإنما هو عذابُ من لعنه الله بخطيئته فصُلِبَ لذلك، إذاً فالآية تدلنا على عكس ما يهواه بولص ـ وحاش المسيح من هذه الفرية الظالمة ـ تدل على أن المسيح صلب بخطيئته التي استوجب بها الصلب ـ لو صدقنا أكذوبه صلبه ـ فلعنه الله وصُلب لذلك، وهو ينجِّس الأرض لو بقي على خشبة الصليب ـ حيث اللعنة الإلهية ـ وإنما يبقى عليها من صُلِب دون أية خطيئة ...؟

هذا وأنا أعتذر من الأصحاب الحضور أن فسَّرت الآية على فرية بولص، فأنا معكم ومع كل من يسمع أو يبصر مقالتنا ـ نحن جميعاً نلعن بولص والمؤمنين به كما نلعن إبليس، حيث نال من ساحة المسيح القدوس ما لم ينله أي شيطان رجيم من أيِّ نبيٍّ كريم ـ ولا غيره، اللهمَّ العنه عدد الليل والنهار وقطر السماء والبحار ما دامت السَّموات والأرض ... ما نجم في السماء نجم.

ثم أخيراً، ما هي الصلة بين صلب المسيح ونسخ الناموس: الأحكام العشرة الأصلية في التوراة، فهل إن الله إذا أراد نسخ شريعة من شرائعه أو حكمٍ من أحكامه، أيضطر لذلك أن يلعن ويقتل نفسه؟ إذ ذاك فلم يقتل ويلعن نفسه في نسخ الشرائع

السالفة ببعض أحكامها ... فيا لهذه الأغلوطة العجيبة من المخازي ... يالها كيف لا يوجد فيها أيُّ أمرٍ مستقيم أو نظر قويم ... فبعداً وسحقاً لقوم لا يعقلون.

سر الإستهتار في الإنجيليين:

إن سر الفداء الصليبي كما اختلقه بولص، هو السر في استحلال المحرمات وترك الفرائض بين المسيحيين، فلا يالون بالزنا وشرب الخمر والقمار والملاهي وأكل لحم الخنزير وسائر المحرمات، رغم أن العهدين متوافقان في تحريمها كما تأتي عند مقارناتها!

هل يحمِّل القرآن ظلم الظالم على غيره!:

الأسقف: قد ينجم في النظر من طائفتين في آي القرآن أنه:

قد يحمل غير الظالم ظلم غيره أو ينتفع من عدله وكما يقول: ﴿احشروا الذين ظلموا و أزواجهم وما كانوا يعبدون * من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم﴾ [الصافات، ٢٢-٢٣].

فلنفرض أن هؤلاء الظالمين بظلمهم يُهدون إلى صراط الجحيم، فما بال أزواجهم يعذبون كمثلهم؟ - ولا تزر وازرة وزر أُخرى - فإن كانت أزواجهم كمثلهم في الظلم، فقد تشملهن عموم: ﴿الذين ظلموا﴾، وإن كن غير ظالمات فما بالهن يُعذبن كأزواجهن الظالمين!

المناظر: هذه الآية لا تعني من الأزواج ما تعنون، وإنما هم قرناء الظالمين الذين اتبعوهم في غيِّهم وظلمهم، كما وقد يعتبرهم إخوانهم لوحدة الإتجاه: ﴿وإخوانهم يمدُّونهم في الغيِّ ثم لا يقصرون﴾ [الأعراف، ٢٠٢]، ﴿لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم ...﴾ [آل عمران، ١٥٦]، ﴿ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا﴾ [حشر، ١١].

والزوج لغوياً هو القرين، وقد يختلف المعنى من الزوجية حسب اختلاف القرائن:

فلكلّ شيءٍ زوج حيث المادة يستحيل انفرادها عن أي قرين ماديّ، فلولا التركُّب فيها لم تكن مادة ولا موجوداً: ﴿ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلم تذكَّرون﴾ [الذاريات: ٤٩]، ﴿سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون﴾ [يس: ٣٦] ... فهذه زوجية اعتباراً بالذاتية المادية.

وقد تعتبر الزوجية للمشاكلة الصورية: ﴿هذا فليذوقوه حميم وغسّاق * وآخر من شكله أزواج﴾ [ص: ٥٧- ٥٨]، ﴿وأنزل من السماء ماءً فاخرجنا به أزواجاً من نبات شتى﴾ [طه: ٥٣].

وثالثة تُعتبر للمشاكلة العقائدية والعملية ـ على سواء ـ أو اتباعاً للرؤساء، ومن الثاني آيتنا هذه ﴿احشروا الذين ظلموا وأزواجهم﴾ ...

ورابعة تعتبر من حيث النكاح واللقاح: ﴿خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج ...﴾ [الزمر: ٦].

وإذا كانت الزوجية بين هذه المعاني الأربعة فكيف تحتّمون في الآية: ﴿احشروا..﴾ أنها الأخيرة، لكي تأتي بمشكلة: أن تزر وازرة وزر أخرى، ضد الآية أنها لا تزر؟!

الأسقف: أجل، فلا لكم أيضاً أن تحتِموا كون المعني هنا الزوجية بمعنى القِران والإتباع في العقيدة والعمل.

المناظر: هب إنه ليس هناك قرينة تدلنا على ما ندّعي، فالآية، على أية حال لا تأتي شاهدة لما تزعمون.

إلّا أن هناك قرائن صريحة ترشدنا إلى هذا المعنى من الزوجية وكما يقول عن هؤلاء وأزواجهم المهديين إلى صراط الجحيم: ﴿وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون * قالوا بل لم يكونوا مؤمنين * وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قولًا طاغين *

فحق علينا قول ربنا إنّا لذائقون * فأغوينا كم إنا كنا غاوين. فإنهم يومئذ في العذاب مشتركون * إنا كذلك نفعل بالمجرمين﴾ [الصافات، ٢٧، ٢٩- ٣٤].

يتبين هنا بكل وضوح وصراحة: أن هؤلاء الأزواج أتباع هؤلاء الظالمين في ظلمهم، ولقد كانوا يأتونهم في إضلالهم ـ عن اليمين ـ عما يظنه الساذج غير المؤمن حقاً من الدين، فاعتذر التابعون: أننا إنما ظللنا بما شبّه لنا الباطل بالحق، قال المضلون: بل لم تكونوا مؤمنين، حيث المؤمن صامد بعلمه وإيمانه لا يزلُّ عن الحق ولا يظلُّ ...

فالأزواج هنا إنما هم أتباع الظالمين مهما كانوا أزواجهم في النكاح أيضاً أم لا.

كما أن أزواج أهل الجنة أيضاً أتباعهم في التقى: ﴿ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون﴾ [زخرف، ٧٠]، ﴿هم وأزواجهم في ضلالٍ على الآرائك متكئون﴾ [يس، ٥٦].

وإذ ذاك يتبين المعني من الأهل أيضاً في قوله تعالى: ﴿فأمّا من أُوتي كتابه بيمينه * فسوف يحاسب حساباً يسيراً * وينقلب إلى أهله مسروراً﴾ [انشقاق، ٧- ٩] ... فإنهم من له أهلية اللحاق بأصحاب اليمين، سواء أكانوا من أهليهم نسبياً أو سببيّاً ـ أم من أتباعهم في الناحية الإيمانية ـ كيف لا والأهلية غير الإيمانية منتفية في النشأتين ـ ففي الأولى كما لابن نوح: ﴿إنَّه ليس من أهلك إنّه عمل غير صالح﴾ [هود، ٤٦]، وفي الآخرة: ﴿فلا أنساب بينهم يومئذٍ ولا يتساءلون﴾ [مؤمنون، ١٠١]، فإذ لا أنساب يومئذ فبالأحرى لا تنفع الصلة السببية كالزوجية.

إذ ذاك فالأهل الذين ينقلب أصحاب اليمين إليهم مسرورين، إما أنهم كل مناسب لهم و تابع في الإيمان، أو أهاليهم الذين يضاهونهم في الإيمان.

ثم الحساب لا يخصُّ الرجال لكي يلتحق أصحاب اليمين منهم بأهليهم، بل يعم النساء، وهن أيضاً يلتحقن بأهلهن من أزواجهن، والشرط الأصيل في هذا الإلتحاق والجزاء الوفاق هو المضاهاة في الإيمان، أو أن الأهل يتبع الأصل حيث يشفع فيهم فيُشفَّع، على الشفاعة الآتية، فالقول إن: ﴿من أوتي كتابه بيمينه ... ينقلب

إلى أهله﴾ ـ المراد من المنقلب والمنقلب إليه ـ من أصحاب اليمين وأهاليهم ـ المراد ما يعم قبيلي الرجال والنساء فيهما ـ .

إذاً القرآن لا يعتبر الجزاء جزافاً هملًا ـ إلّا جزاء وفاقاً ـ ﴿ألّا تزر وازرة وزر أخرى * أن ليس للإنسان إلّا ما سعى﴾!

أين المسيح!؟:

الأسقف: ما هي نظرية القرآن في المسيح؟ هل إنه مات كسائر الأموات أم حيٌّ صعد إلى السماء؟ دون أن يذوق الموت أو القتل؟

المناظر: إن المسيح لم يقتل ولم يصلب ولم يمت حتى الآن وحتى يؤمن به أهل الكتاب أجمعون!

الأسقف: كلّا، إنه ميِّت في نظر القرآن حيث الآيات [النساء، ١٥٦-١٥٨]، تنفي عنه القتل والصلب، ثم الآيات [آل‌عمران، ٥٥] و [مائده، ١١٧] فيها تصاريح بيِنة أن الله توفَّاه، وهذه مناقضة لنظرية الإنجيل أنه حيّ حتى الآن إلى أن ينزل كما صعد:

الموت أو التوفي؟:

المناظر: كلّا: حيث أن آيات التوفي لا تعني بعينه كما سبق بل الأخذ وافياً كما هو معناه لغوياً، ودليلًا عليه إسناده إلى الموت: ﴿فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت﴾ [النساء، ١٥]، والموت لا يُميت، فليكن التوفي غير الموت، أي حتى يأخذهن الموت من هذه الحياة، إذاً فهو الأخذ، وكذلك إطلاقه على المنام: ﴿والله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأُخرى إلى أجل مسمّى﴾ [الزمر، ٤٢].

فإمساك الأنفس وإرسالها ليس إلّا بعد أخذها، فالتوفي في الموت وفي المنام ليس إلّا الأخذ وافياً: أخذ الروح بتمامه في الموت، وأخذه من الناحية الحيوية

الإختيارية في المنام، فكلاهما أخذٌ للروح وافياً كلٌ بحسبه، وإطلاق التوفي على الإماتة هناك وفي أمثال قوله تعالى: ﴿والله خلقكم ثم يتوفاكم﴾ [النحل، ٧٠]، ﴿توفَّني مسلماً وألحقني بالصالحين﴾ [يوسف، ١٠١]، ﴿وإما نرينَك الذي نعدهم أو نتوفينك فإلينا مرجعهم﴾ [يونس، ٤٦]، ﴿حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرِّطون﴾ [الأنعام، ٦١] ...:

كل ذلك لا يخرج عن معنى الأخذ، وإنما أطلق التوفي بدل الإماتة لدفع شبهة دخلت في قلوب الكثير: أن الموت فناءٌ ليس بعده بقاء ـ فلا نشر ولا حشر، فإنما يضلّ الإنسان بموته في الأرض، فدفعاً لذلك يذكرّهم أن الله، وملائكته الموكَّلين يأخذون الأنفس حين موتها فلا تضلُّ الأنفس، وكذلك الأبدان وإن تمزَّقت وتفرقت هنا وهناك، ولكنها لا تضل عن علمه، تعالى، بل هي في أخذه وفي قبضته دون محيد ومحيص وكما يقول: ﴿وقالوا ضللنا في الأرض أإنّا لفي خلق جديد بل هم بلقاء ربهم كافرون يتوفاكم ملك الموت الذي وُكِّل بكم ثم إلى ربكم ترجعون﴾ [سجده، ١٠-١١]، لئن ضللتم في الدرض عن أعين الخلق فلا تضلون عن عين الله وقدرته فهو الذي يأخذكم وملائكته الموكلون، ثم يوم القيامة إلى ربكم ترجعون، فيحازبكم بما كنت تعملون:[1]

ثم إذا كان التوفي هو الأخذ الوافي فهو في المنام بمعنى أخذ الروح أخذاً برزخياً ـ لا إطلاقاً ـ وفي الموت أخذها كاملًا ـ وفي الأحياء، أخذهم عما يصيبهم من الأذى ـ

---

١ . متعلق التوفي إما أنه مجموع الروح والبدن.

١ـ توفياً عن الدنيا إلى البرزخ ـ بالموت.

٢ـ أو توفياً من أخطار الدنيا وتوقياً عنها بتخليص الشخص ونقله إلى مكان آخر من الدنيا.

٣ـ أو ان متعلقه الروح بتمامه حيث يؤخذ وافياً عن البدن.

٤ـ أو انه من الجهة الحيوية الإختيارية كما في النوم.

ولم يستعمل التوفي في شيء من هذه الموارد ـ في الموت ـ إلا فيما يلازم الموت ويقارنه أحياناً كالأول والثالث ـ ولما كان متعلق التوفي المسيح ـ هو المسيح تماماً ـ لا روحه أو جسمه، فحسب ﴿إني متوفيك﴾ لا روحك أو ... وكذلك متعلق الرفع ﴿ورافعك إليّ﴾ = لذلك لم يكن توفيه إلا أخذه تماماً عن جمع الظالمين، ولا رفعه إلا رفعه تماماً وافياً إلى السماء.

وكما في المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام حيث وعده الله أن يتوفّاه ويرفعه إليه ويطهِّره من الذين كفروا: ﴿فلما أحسَّ عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله ءامنا بالله وأشهد بأنّا مسلمون * ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين * وإذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلَّي ومطهِّرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتَّبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ثم إليَّ مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون﴾ [آل عمران: ٥٢ـ ٥٥].

فلقد مكر اليهود بالمسيح إذ هجموا عليه يريدون أخذه وصلبه، ومكر الله حيث ألقى شبهه على ماكره يهوذا، وتوفّى مسيحه عن جمع اليهود الظالمين الكافرين به، ورفعه حيّاً، إلى سمائه ومحل رحمته، أجل: أخذه عن جمعهم وافياً، دون أن يصيبه منهم أذى أو أية مهانة وإهانة.

فرفع المسيح عليه السلام لم يكن بعد صلبه ـ وحاشاه ـ ولا بعد موته، بل رفعه الله حيّاً سالماً، و إن زعمت اليهود ونفرٌ من الحواريين أنه صلب، ولم يكن إلّا شبهةً لا علماً، كما صرَّح به المسيح عليه السلام: «كلّكم تشكُّون فيَّ في هذه الليلة»، قالها ليلة الصلب للحواريين (متى ٢٦: ٣١)، (مرقس ١٤: ٢٧)، موافقاً لتصريحة قيِّمة من الذكر الحكيم: ﴿وبكفرهم قولهم على مريم بهتاناً عظيماً * وقولهم إنّا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول‌الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبِّه لهم وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلّا اتّباع الظن وما قتلوه يقيناً * بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيماً﴾ [النساء: ١٥٦ـ ١٥٨].

هذه تصريحة من الذكر الحكيم: ﴿إنَّ الذين اختلفوا فيه لفي شك منه﴾، وكما في تصريحة المسيح: «كلّكم تشكّون فيَّ في هذه الليلة».

حيث الشّك هنا ليس شكاً في محتد المسيح من الألوهية والبشرية، ولا في الإيمان به، ولا في أي شيءٍ آخر فيه، إلّا اختفائه عنهم في تلك الليلة: هل كان بالصلب، أم بصعوده إلى السماء حياً أم ميتاً.

فإن الحواريين ككلٌ لم يشكوا في المسيح من الجهات الاولى دون ريب، ولا سيما في ليلة الصلب إلّا في صلبه. فإذا كانت أنا جيلهم ـ لا تزال ـ ناطقة بأن المسيح أخبر: أن تلاميذه - و هم أعرف الناس به - يشكّون فيه في ذلك الوقت، فهل يستغرب اشتباه غيرهم وشك مَن دونهم ومَن بعدهم في أمره، وقد صارت قصته رواية تاريخية منقطعة الإسناد.

أجل: «إن أيدي اليهود لم تمسّه» وإنه ﷺ اختفى عن أبصارهم دون قتل وصلب، كما في تصريحة دانيال: «بعد اثنين وسبعين أسبوعاً ينقطع المسيح ويختفي» (دانيال ٩: ٢٧).

... ينقطع عن أعدائه اليهود وعن أنصاره الحواريين، بما يرفعه الله إليه، ويختفي عن أبصارهم بما يبتعد عنهم مكاناً، حيث الإختفاء تفسير وبيان للإنقطاع هنا، ولا يُسمّى الموت اختفاء، قتلًا أو صلباً أو موتاً حتف الأنف، إنما يُسمى الكلَّ باسمه الخاص في مذهب الفصاحة .... فلم يقتل ولم يصلب ولم يمت: ﴿بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيماً﴾.

بعزّته رفعه خرقاً للعادة، وبحكمته خلّصه عن بأس اليهود، لكيلا ينزل هكذا هتك وقتل ومهانة على مسيحه، حيث إن الصلب حينذاك كان لأهون المجرمين وأذلّهم عند الرومانيين ولا سيما ذلك الصلب المهين: ﴿وإن من أهل الكتاب إلّا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً﴾ [النساء، ١٥٩].

وهذه الآية لا تشذُّ فرداً من أهل الكتاب ـ اليهود والنصارى ـ إلّا وتبشر أنه سيؤمن بالمسيح قبل موته أي المسيح، ولا يسجّل لنا التاريخ هذا الإجماع الإيماني من أهل الكتابين، بل ولا من أهل الإنجيل أيضاً، أن يؤمنوا المسيح كما

يجب، فلِتحقق هذه البشارة المهمة مستقبلاً لم يأت حتى الآن، والنصوص الإسلامية تخبرنا بنزول المسيح من السماء يوم قيام قائمنا الهدي ﷺ الذي به يملأ الله الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً و جوراً، ويقتدي ويؤمن به المسيح كما آمن به من قبل، لذلك فإيمان أهل الكتاب المسيح إذ ذاك إيمان منهم بقائمنا أيضاً وإسلامهم كذلك، وقد يأتيكم نبأه الفصل عند البشارات.

الأسقف: ... عند موته ـ يعني: عند موت كل أحدٍ من الكتابيين ـ فلا يموت كتابي: يهودي أو مسيحي، إلاّ ليؤمنن بالمسيح قبيل موته، رغم كفره به طوال حياته، وفي ذلك إرغام اليهود ـ الذين قتلوه وصلبوه ـ: أنكم تُلجأون إلى الإيمان بالمسيح قبل أن تموتوا، إذاً فالآية لا تدل على حياة المسيح حتى الآن ...

المناظر: ... ولا على موته إلى الآن لو صح هذا الإحتمال واحتملته الآية، فأحرى أن يُشك في موته دون أن يدَّعى أنه مات، إلاّ أن لنا شواهد لفظيه ومعنوية تدلنا على أن ضمير الغائب في ﴿موته﴾ يعني المسيح ﷺ.

١- إن مرجع الضمير على الأوَّل محذوف ﴿وإن أحدٌ من﴾ وأبعد منه على الثاني، الأقرب المذكور يمنع الأبعد المحذوف في مذهب الفصاحة، فليكن ﴿قبل موته﴾ في معنى قبل موت المسيح ﷺ.

٢- إن الضمائر المفردة في هذه الآيات: ﴿قتلوه ـ صلبوه ـ شبِّه ـ فيه ـ منه ـ ما قتلوه ـ رفعه ـ به ـ يكون﴾ كل هذه الضمائر التسعة مستترةً وظاهرةً ترجع إلى المسيح ﷺ، فاختصاص ضمير ﴿موته﴾ بغيره لا ترتضيه الفصاحة وسرد الضمائر ورَد فيها للمسيح ﷺ.

٣- إن المسيح هو محور الكلام في هذه الآيات أولّا وأخيراً، فلترجع إليه الضمائر المفردة، ما لم تقم قرينة تصرفها إلى غيره (ع).

٤- إن المسيح يُعتبر شهيداً على أهل الكتاب ما دام فيهم، ثم الله شهيد عليهم بعد موته: ﴿ما قلت لهم إلّا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنتُ عليهم شهيداً ما دمتُ فيهم فلما توفيتني كنتَ أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد﴾.

وذيل سورة النساء يعتبره شهيداً يوم القيامة على كافة المؤمنين به قبل موته: ﴿ويوم القيامة يكون عليهم (على الذين آمنوا به ...) شهيداً﴾، إذاً فليكن حيّاً عندما يؤمن به كافة أهل الكتاب، وإلّا أصبحت شهادته على الكل شهادةً خاطئة لقوله: ﴿وكنتُ عليهم شهيداً ما دمتُ فيهم﴾ والشهادة يوم القيامة ـ بمعنى إلقاءها ـ إنما هي من جرّاء الشهادة يوم الدنيا تلقّياً لها، فما لم تُتلقَّ الشهادة لم تُلقَ.

وليس المعني من كافة أهل الكتاب كلّهم دون استثناء، حيث اليهود قبل بعثة المسيح لم يكونوا ليؤمنوا به، أإيماناً به قبل رسالته وبعثته؟!

وإنما هو إيمان أهل الكتاب كلهم لزمان واحد في المستقبل، حيث يؤمنون به بعد ما ينزل من السماء قبل أن يموت، فهو إذ شهد إيمانهم وتلقّاه، يشهد لهم يوم القيامة ولكل من آمن به طيلة حياته ومقامه.

٥- إن إيمان كافة أهل الكتاب بالمسيح قبل أن يموتوا ليس إلّا إيماناً اضطرارياً غير مقبول منهم، فلو كان مقبولًا فما هذه التنديدات الشديدة بكفرهم: اليهود وكثير من النصارى الذين ضلوا فيه، والإيمان الإضطراري منفيٌّ في دار التكليف قبل الموت: ﴿ولو شاء ربك لآمن مَن في الأرض كلهم جميعاً﴾ [يونس: ٩٩].

وتأكُّد إيمانهم ﴿ليؤمنن به﴾ وشهادة المسيح على إيمانهم يوم القيامة، هما يشهدان على صحة إيمانهم، فليكن إيمانهم لزمنٍ ما قبل موت المسيح عليه السلام وإلّا تنافى والتنديد بهم لكفرهم المتواصل.

٦- إن الأنسب لإرغام أنوف هؤلاء الكفرة المكذبين، والتبشير للمؤمنين، أن يقلِّب عليهم كيدهم زعم قتله والكفر به، أنهم سيؤمنون به قبل أن يموت إيماناً صحيحاً مقبولًا، إذ لا يتعلّق بإيمانهم الإضطراري قبل موتهم ـ لو صحّ ـ ولا

بشهادته عليهم في هكذا إيمان، لا يتعلق بهذا أو ذاك غرضٌ صحيح، فماذا تنفعهم أو تضرهم شهادة المسيح عليهم بهكذا إيمان لا يُقبل منهم؟

٧- ﴿وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة﴾ هذه وما إليها من آيات تدلنا على أن جمّاً من أهل الكتاب وسواهم لا يؤمنون بالمسيح إلى يوم القيامة، وهذا ينافي وإيمانهم جميعاً قبل موتهم بالمسيح - أياً كان الإيمان -.

فهذه شهود صدق على أن المعني بالضمير في ﴿قبل موته﴾ هو المسيح، وسيؤمن به كافة أهل الكتاب قبل أن يموت لزمن واحد، لا كافة أهل الكتاب طيلة القرون، حيث ينافي الواقع الخارجي الملموس، ولا مواصلة الإيمان إلى يوم القيامة حيث تنفيها آيات أُخرى، تأمَّل تجد الصواب.

وفي الأحاديث الإسلامية تصريحات على هكذا تفسير.[1]

الأسقف: حياة المسيح منذ ولادته حتى الآن تنافي ورسالة محمدﷺ، فإنه من أولي العزم من الرُّسل، فلا يأتي في زمنه رسول آخر ينسخ شريعته، أنسخا لشريعته وهو حي؟

المناظر: لا ضير في نسخ شريعته بعد انتهاء أمدها، وأنه رفع إلى السماء وانفصل عن أُمته، فهو الآن - وكما كان - باقٍ على منزلته الرسولية - بكاملها - إلّا شأن الدعوة والتبليغ، لأنه ليس في أُمته، كما أن الرُّسل الذين قضوا نحبهم وهم الآن أحياء في البرزخ عند ربهم يرزقون، هؤلاء باقون على منزلتهم الرسولية إلّا الدعوة وإلّا حكم شرائعهم لو جاءت بعدهم شريعة.

---

١. كما في نور الثقلين ج ١ ص ٤٧٣ شهر بن حوشب يسأله الحجاج: يا شهر! آية في كتاب الله قد أعيتني. قال: أيها الأمير! أيّة آية هي؟ فقال: قوله «وإن من أهل الكتاب إلّا ليومنن به قبل موته» والله أني لأمرّ باليهودي والنصراني فتضرب عنقه ثم أرمقه بعيني فما أراه يحرِّك شفيته حتى يخمد فقلت: أصلح الله الأمير ليس على ما تأوّلت. قال: كيف هو؟ قلت: إن عيسى ينزل قبل يوم القيامة إلى الدنيا فلا يبقى أهل ملة يهودى ولا غيره إلا آمن به قبل موته ويصلي وخلف المهدى ﷺ قال: ويحك! أنّى لك هذا! ومن أين جئت به؟ فقلت: حدثني به محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالبﷺ، فقال: جئت والله بها من عين صافية.

فالمسيح الآن يُعتبر من أُمة محمد ﷺ يعمل بتشاريعه، مع الحفاظ على منزلته الرسولية، ولا منافاة بينها وبين نسخ شريعته والتزامه بالشريعة الأخيرة الخالدة، كما ويصبح زمن قيام القائم المهدي عليه السلام وخلفاء الرسول الأعظم ﷺ من أنصار المهدي عليه السلام ـ كما في رواياتنا المتظافرة[1] ـ.

فالمسيح حيٌ في السماء يرزق: في بعض الأنجم الصالحة للحياة في جنة عالية سماوية، وقد يستأنس أنه في جنة آدم السماوية، التي أخرج عنها وأهبط إلى الأرض، يستأنس ذلك من قول المسيح عليه السلام لأُمّه: «و قولي: إنه أصعد إلى أبي وأبيّكم وإلهي وإلهكم» (يوحنا ٢٠: ١٧)، حيث يخبر أمّه الزكية الطاهرة مريم البتول عليها السلام، لتبشر الحواريين أنه يصعد إلى أبيه وأبيهم، وهو آدم عليه السلام[2] أي إلى جنته التي كان فيها مذ خلق «وإلهي وإلهكم» أي أصعد إلى رحمة الله وبركاته الخالصة عن هذه الجماعات الضالة الكافرة، وهذا بعينه تفسير الآية: ﴿بل رفعه الله إليه﴾ فإنه رفع إلى السماء، و﴿إليه﴾ هنا ليست للإتجاه المكاني حيث لا مكان له تعالى، وإنما هو اتجاه في المكانة والمنزلة كما في قوله تعالى: ﴿ومَن عنده لا يستكبرون عن عبادته﴾ [الأنبياء: ١٩].

وحاصل البحث: أنه لا تعارض بين آية النساء وسائر الآيات التي تعني توفي المسيح عليه السلام، لنلجأ هنا إلى مبدء الناسخ والمنسوخ: أن آية النساء

---

١ . في الدر المنثور، ج ٢، ص ٢٤٢، قال رسول‌الله ﷺ: «يوشك أن ينزل فيكم ابن مريم حَكماً عدلًا يقتل الدجال ويقتل الخنزير ويكسر الصليب ويضع الجزية ويفيض المال وتكون الجسدة واحدة للّرب العالمين، واقرأوا إن شئتم: ﴿وإن من أهل الكتاب إلّا ليؤمنن به قبل موته﴾ موت عيسى ابن مريم».

وفيه عن ابن عباس في الآية قال: خروج عيسى ابن مريم. وقال: قبل موت عيسى وقال: إنّه سيدرك أُناس من أهل الكتاب حتى يبعث عيسى سيؤمنون به.

وفيه أيضاً عن محمد ابن الحنفية بن أميرالمؤمنين عليه السلام: «أنه رفع إلى السماء وهو نازل قبل أن تقوم الساعة، فلا يبقى يهودي ولا نصراني إلّا آمن به».

وفيه أيضاً عن قتادة: إذا نزل (المسيح) آمنت به الأديان كلها: عن ابن زيد والحسن: قبل موت عيسى، والله إنه الآن حي عند الله ولكن إذا نزل آمنوا به أجمعون.

٢ . لو كان الأب دون مد حيث الأب ممدوداً بمعنى الخالق في اللغة اليونانية والنسخ المعتبرة من التراجم‌العربية تذكر الأب ممدوداً كما أسلفناه في ختام البحث عن التثليث.

نَسخت سائر آيات القرآن في وفاة المسيح، بل بينها كما التلاؤم يفسر بعضها بعضاً، ولا يقول بالنسخ في أمثال هذه الموارد إلّا كل منسوخ عقله، ولا يفتريه علينا إلّا كل معتوه، وكما أتعب الأُستاذ حداد نفسه في وريقات[1] زخرفها بمغالطات وقد قضينا عليها قبل حين.

* * *

غفران الذنوب من أسرار الفداء الإنجيلية!

عود على بدء:

الأسقف: إن لسر الفداء فرعاً نص به المسيح وهو غفران الذنوب لمن اعترف بها عند القسيس، وهذا يثبت أننا تحت التوفيق أكثر وأكثر منكم، وأن شريعة العمل لم تُنسخ عندنا إطلاقاً ... وإنما النسخ لعقوبات المختلفين بسبب الغفران.

المناظر: هذا الفرع أيضاً كأصله على سواء، فسواءٌ أكان هناك أحكام يذنب المختلف عنها ثم يغفرها القسيس كما يريد! أم يكون التخلف عنها تخلفاً وذنباً، لكن ضحّى المسيح بنفسه لنسخها، فالنسخ هو النسخ في المنتوج!

«غفران الذنوب بالخمر والفطير والعشاء الرباني»:

الأسقف: كيف لا وقد منحنا المسيح حق غفران الذنوب قائلًا لتلاميذه في ظهوره الأول بعد صلبه: سلام لكم. كما أرسلني الأب أُرسلكم أنا. ولما قال هذا نفخ وقال لهم: إقبلوا الروح القدس، من غفرتم خطاياه تُغفر له، ومن أمسكتم خطاياه أُمسِكت (يوحنا ٢٠: ٢١- ٢٣).

---

١. في ص ١٩٢- ٢٠٥، مدخل إلى الحوار الإسلامي المسيحي.

المناظر: لنفرض أنه ﷺ قال هكذا رغم فساده كما يأتي، إلّا أنه خاص بالتلاميذ، لا كل قسيس.

الأسقف: لكن المسيح حبانا لحمه ودمه أيضاً، نأكلهما فنصير كمثله مسيحاً نغفر الذنوب.

وكما يقول: «وفيما هم يأكلون أخذ يسوع الخبز وبارك وكسر وأعطى التلاميذ وقال خذوا، كلوا، هذا هو جسدي. وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلًا: إشربوا منها كلكم، لأن هذا دمي الذي للعهد الجديد، الذي يُسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا. وأقول لكم: إني من الآن لا أشرب من نتاج الكرمة هذا إلى ذلك اليوم حينما أشربه معكم جديداً في ملكوت آبي» (مت ٢٦: ٢٦ - ٢٩) وفي معناه (أقر ١١: ٢٣ - ٢٩) و (أقر ١٠: ١٦ - ١٧).

القس بيشاب لينظن:[١] أجل هذا هو العهد والرباط المقدس الذي يشارك بيننا وبين الأب والإبن كما في (١ يوحنا ١: ٤٠٣) الذي رأيناه وسمعناه نخبركم به لكي يكون لكم أيضاً شركة معنا. وأما شركتنا نحن فهي مع الأب ومع ابنه يسوع المسيح. ونكتب إليكم هذا لكي يكون فرحكم كاملاً» «كذلك وبالأحرى شركتنا مع أجناد الملائكة الكروبيين» (عب ١٢: ٢٢) أ فليس كأس البركة الذي نتبرك به شركة في دمه؟ أليس الفطير الذي نكسره ونأكله شركة في بدنه (أقر ١٠: ١٦) أجل إنه عشاء الرب (أقر ١١: ٢٠) إذاً فالعشاء الرباني المسيحي أعظم نعمة منَّ بها علينا المسيح، فلسنا بعدئذٍ كشخص واحد مسيحي أو نفر من المؤمنين المسيحيين في أصبهان أو طهران أو غيرهما، كلّا! بل نحن المتحدون مع كنيسة النجاة في جميع الأدوار مع الناجين أجمعين، نحن جزءٌ من الملأ الأعلى الكروبيين.

---

١. في كتابه العشاء الرباني.

مهرجان العشاء الرباني:

إن مهرجان العشاء وضيافتها يحضرها المسيح بنفسه كصاحب البيت، إنَّ الخبز والخمر في العشاء علامتان ظاهريتان، والأصل الباطني فيهما هما دمالمسيح وجسده، وهما بطريق قدسي دمه وجسده لأرواحنا، أجل إننا نشارك المسيح إذاك في دمه وجسده، ودمه يطهّرنا من ذنوبنا (ايوحنا ١: ٧ ـ ٩) هذا العهد المقدس يذكّرنا بتجسم المسيح وصلبه وقيامه ورجوعه إلينا في ملكوت عزه، نحن بوساطة المسيح هكذا نصير أبناء الله، فكلُّنا من إنكليزي وإيراني وأمريكي ويهودي[١] وغيرهم واحد في المسيح ـ وأبناء الله ـ نحن ورثة الله والمسيح.

إنني بعد التبرك من العشاء عضو من المسيح، وحينذاك يستجاب دعوة المسيح للكنيسة «أنا فيهم وأنت فيَّ» أي أنا في الناس والله فيَّ، والنتيجة أن الله في الناس كما هو فيّ.[٢]

الصلب المتواتر المسيحي في العشاء الرباني!:

المناظر: عجباً لكم: أفما تكفيكم خرافه الصلب وسر الفداء بما فيها من مسٍّ فضيح لكرامة الرب ومسيحه وأحكامه وما في ذلك من المناقضات ... أفما تكفيكم هذه؟ حتى أصبحتم تصلبون المسيح وتقتلونه ثانيه وثالثة وإلى غير نهاية: عدد القسيسين المتبركين بالعشاء الرباني، تصلبونه بشاكلة يستحي من ذكرها للسان، ولكي ترثونه في غفران الذنوب، فهو صُلِب لأول مرة، في زعمكم، فداءً عن الذنوب، ثم أنتم تشربون دمه وتأكلون جسمه وتقتلونه هكذا مرة أُخرى وعلى العكس من تضحيته! لكي تنوبوا عنه في تطهير العباد عن الذنوب! تشربون الخمر مع الفطير، وقد تنص

---

١ ـ عجب من مسيح الإنجيل كيف يتحد فيه أعداؤه اليهود الالداء ليغفر لهم كما يغفر للمريدين.

٢ ـ هذه نماذج من مختلف مواضيع كتاب العشاء الرباني، تأليف بيشاب لينظن.

التصريحات القيمة الكتابية على حرمة الخمر! تشربونها مع لكي يصير المسيح جزءاً لكم وتصيروا جزءه! أفلا تفكرون ما يؤول إليه أمر هذا العشاء، وأنه كما يقول المسيح عليه السلام: «أفلا تفهمون بعد أكل كلما يدخل الفم يمضي إلى الجوف ويندفع إلى المخرج» (متى ١٥: ١٧).

أفٍّ لكم ولما تصنعون وتختلفون، وما تعبِّرون به عن مسيح الرب، ذلك الرسول القدوس العظيم! فقبحاً لكم وبؤساً! تجعلون المسيح هكذا: ملعوناً في البداية وقاذورة وبولاً للقسيسين في النهاية، ولكي تستلبوا عنه رحمة الغفران، رغم أنه لم يكن له ذلك فضلًا عمن سواه، حيث القرآن يندد بكم في تصاريح أن اتخذتم أحباركم ورهبانكم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم: ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم﴾ [توبه. ٣١]، و ادعيتهم أنكم أبناء الله وأحباؤه ﴿وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممَّن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولِلّه ملك السَّموات والأرض وما بينهما وإليه المصير﴾ [مائده. ١٨].

شاكلة العشاء الرباني في الكنيسة:

هكذا سنّة العشاء في الكنائس المسيحية كما ينقله لنا قسيس كبير في رده على أهل الصليب:[1] «إن القسيس يأمر خادمه أن يعجن له فطيرة من سميد صاف ويخبزها ويأتي بالخبز مع زجاجة خمر إلى الكنيسة، فيأمر القسيس بضرب الناقوس لكي تجتمع النصارى لصلواتهم، فإذا وقفوا صفّاً يصب شيئاً من الخمر في كأس من فضة ويجعل تلك الفطيرة في منديل نظيف، ثم يتقدم أمام الصفوف ويستقبل المشرق ويأخذ الفطيرة في يده ويقرأ عليها ما نصه:

١. تحفة الاريب في الرد على اهل الصليب.

عيسى المسيح في ليلة أخذته اليهود أخذ الخبز بيده المباركة، ورفع عينيه نحو السماء، إلى القادر على كل شيءٍ، بعد التمجيد الواجب، فكسرها وأطعم الحواريين كسرة كسرة وقال لهم: كلوا هذا جسدي، وحين يتم القسيس كلامه ذك يسجد لتلك الفطيرة زعماً منه أنه جسد عيسى وأنه ابن الله، ويقول في سجوده يخاطب الفطيرة:

«أنت عيسى إله السَّموات والأرض، أنت الذي تجسّدت في بطن مريم، أنت ابن الله المولود قبل العوالم كلها، أنت من أجلك أن تخلصنا من أيدي الشياطين، أنت الذي جالس إلى يمين أبيك في السماء، نسألك أن تغفر لي ولأمتك التي خلصتها بدمك كذا و كذا» وبعدئذ يظهر تلك الفطيرة للحاضرين فيخرون لها ساجدين، ثم يأخذ كأس الخمر و يقول: «إلهنا المسيح أخذ قبل موته كأس الخمر وأعطاه للحواريين قائلًا: إشربوا هذا دمي»، ثم يسجد للكأس ويُريه للنصارى فيسجدون كذلك، ثم يأكل الفطيرة ويشرب ذلك الخمر ويقرأ ما تيسر من الإنجيل ثم يدعو فيتفرقون.

حينذاك يصير القسيس كأنه المسيح إبن الله غافر الذنوب حيث أكل لحمه ودمه، وقد تزعم النصارى أن كل ذنب يغفره القسيس فإنَّه مغفور عند الله فيغفر القسيس من شاء بما شاء من الأموال بدلًا عن غفرانه» ...

وليت شعري أي حق للقسيس، حتى وللمسيح أيضاً، أن يغفر ذنوب العباد! فهل إن له ولاية على الله لكي يغفر للمذنبين من عباده كيف يشاء؟ حال أن حق الغفران يختص بمن عُصي دون سواه، وإن كانت له ولاية عليه، فما للقسيس وغفران الذنوب! ولا سيما هكذا غفران الذي يخلّف الإباحية المطلقة، إنهم يزعمون أن القسيس يصير نفس المسيح ثم إلهاً، لذلك فله حق غفران الذنوب لأنه الله ...!؟!

ءَإله بما شرب الخمر بالفطير! وَيْ كأن الله دنُّ الخمر وحانوت الفطير؟

إذاً فالتشاريع العملية منوطة بمشينة القسيسين يعاملونها بما يشتهون من الأموال، فليس تشريعها إلّا لعبة تلعب بها الأيدي وتلهو بما الأهواء، ويُتجر بها في أسواق الغفران!

يغفر القسيس ذنوب المذنبيين لا لشيءٍ، إلّا لأنه شرب الخمر رغم حرمتها في العهدين و في سائر التشاريع الإلهية، ويزعم أنها دم المسيح حلَّ فيعروقه فأخذ يغفر بشرب الحرام، كما وخلص المسيح عباد الله عن أسر التكاليف الإلهية، لأنه لُعن بالعذاب الصليبي! فأصبح اقتراف الآثام ترفيعاً لشأن فاعلها إلى مرتب الربوبية ومغفرة الذنوب، حال أنه لا يحق ذلك لأقرب عباد الله وأطوعم وأزكاهم، فكيف بالملعونين العصاة الطغاة؟

نوْحُ دامٍ على المسيح المظلوم عليه السلام:

فإلينا نبكي على المسيح دماً: إلينا ... إلينا! يا أول المظلومين المحطَّمين، تالله لقد نالت أُمتك من ساحتك ما لم تَنَله أيَّة أمة ظالمة من نبيِّها! دعوك إلهاً رغم أنك رسوله الداعي إليه، وحسبوك محتمِلًا بصلبك ذنوب العباد ونسخ أحكام الله، تضاد الله وأنبياءه في سر الفداء، وتزرع بذوره الإباحية المطلقة والهمجية البهيمية الجهنمية في أراضي القلوب، لا فحسب، بل وحسبوا دمك خمراً كأنك رُضعت بالخمر وانتشأت بها! ثم توصي تلاميذك أن يشربوا الخمرة تبقية لذكراك، يشربونها مع الفطير كأنهما دمك وجثمانك، فيصبحوا كأنهم أنت! يغفرون الذنوب ويهبون الخطايا كما أنت ـ في زعمهم ـ وكما الله يغفر دون سواه! رغمَ زعمهم، فقد قتلوك وصلبوك ـ بدء ختم ـ شر قتلة! ففي البدء حمَّلوك لعنات و آثام الملعونين، بعد أن

اعتبروك مصلوباً بخطاياك[١] وأدخلوك نار الجحيم، ثم لا يزالون يأكلونك وهم يعلمون ماذا يرجع المأكول والمشروب! وإلى مَ يتحول الطعام، وكما تندد بذاك الجهال الطغام: أفلا تفهمون بعد أن كل ما يدخل الفم يمضي إلى الجوف ويندفع إلى المخرج (متى ١٥: ١٧) فعليكم نقيم التعازي ونبكي لك دماً، نقرنك في تعازينا بالحسين المظلوم ونلعن الظالمين لكم إلى يوم الدين، آمين رب العالمين: ﴿ولا تحسبن الله غافلًا عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار﴾.

الكاثوليك الكنائسيون، والبروتستانت الإنجيليون:
فاجعة هي من أكبر الفجائع:

إن كنيسة الكاثوليك قد فقهت منذ البدء حقيقة الكتب المسماة بالإنجيل وكنه شأنها، فهي تعترف بأن الكتب الإنجيلية الموجودة في عالم النصرانية لا تحتوي على جميع الوحي والإلهامات النازلة على المسيح، ومن ثم تعتقد هذه الكنيسة أن قسماً من تعاليم المسيح مندرج في السفر المسمى بالإنجيل بصورة الوحي، والقسم الآخر عهد به إلى التلاميذ «الحواريين» ثم فوَّض بالتسلسل منهم إلى الكنيسة، فهي تعتقد أن كاهن رومية الأعظم هو خليفة المسيح والمفسِّر الوحيد للكتب المقدسة، والأخبار والنبوّات الإلهية، ويقتنع بأن حل المسائل وفصل المشاكل الحادثة سواء أكانت في حق الإنجيل، أو في حق الدين المسيحي يعود إليه وحده، لذلك كان ملجأ الدين المسيحي ومستنده في نظر الكاثوليك هو الحبر الأعظم ـ البابا ـ.

---

١. كما يستدلون عليه بالآية التوراتية: وإذا كان على إنسان خطيئة حقها الموت فقتل وعلقته على خشبة، فلا تبت جثته على الخشبة بل تدفن في ذلك اليوم، لأن المعلق ملعون من الله، فلا تنجس أرضك التي يعطيك الرب الهك نصيباً (تث ٢١: ٢٢ ـ ٢٣).

ولكن المذاهب المسيحية الأُخرى كمثل البروتستانت لا تقبل خلافة المسيح بهذه الصورة، ولا يعرفون لأنفسهم مستنداً غير الكتب المقدسة، ويحق لهم ذلك حيث الحبر ومَن فوقه ليسوا بأنبياء مشرِّعين، ولا يحق لهم اختلاق أحكام تنافي وتصاريح الكتب المقدسة، وإنما ذلك حق الشارع الإلهي، يوحيه إلى أنبيائه الكرام عليهم السلام.

وصفوه القول هنا ألّا حكم للإنجيل في نظر الكاثوليك، وأيّة حاجة إلى الكتب المقدسة لقومٍ يعتقدون أن كل ما قررهحبر رومية الأعظم الجالس على كرسي الخلافة البطرسية، وإن كل ما حكم به فيهما يعود إلى الأحكام والأخلاق العيسوية، فهو قطعي تجب طاعته؟ لأنه قد وُهب من عندالله تعالى صفة العصمة! إذاً فبيده جعل الحكام وغفران الذنوب وهو خليفة الله حتى فيما لم يخلّف عنه المسيح كتشريع الأحكام، حيث أنه كان رسول الله صلى الله عليه وآله لا شارعاً للتشاريع، وقد أصبح البابا في كل دور شارعاً كما يهوى، وغافراً للذنوب كما يريديشتهي.

فأصبحت التشاريع الإلهية لعبة سياسية تلعب بها أيدي السلطات البابوية بكل جرأةانطلاقه.

من أين بدأ الغفران الإنجيلي بخيرة القسيس:

بدأ من المجامع الإنجيلية العشرين[1] (المخترعة لبدع جارفة بزعم أن الروح القدس أوحى إليهم) هو الثاني عشر سنة ١٢١٥، وفي هذا المجمع ثبتت الإستحالة (أي استحالة لاهوت الأب إلى الناسوت) والغفرانات ...

وقد أخذ البابا «ليون» العاشر - ١٥١٣ - يصدر أوراق الغفران للمعترفين بالذنوب، وكانت تُباع هذه الأوراق في «ويتمبرغ» وهي مدينة كان «لوثيروس»

---

١. مبدأ هذه المجامع هو المجمع النيقاوي ٣٢٥ - وآخرها هو المنعقد في رومية ١٨٦٤ - ولا يزال مفتوحاً - وقد مرت تفاصيل هذه المجامع في البيئة الانجيلية عبر القرون المسيحة في الجزء الأول من هذه السلسلة المقارنية: المقارنات.

مدرِّساً فيها على يد راهب «دومنيكي» يُقال له «تتزل» وفيما يلي صورة ورق الغفران بتوقيع تتزل:

سند الغفران الإنجيلي:

«ربنا يسوع المسيح يا فلان... ويملك باستحقاقات الإله الكلية القداسة، وأنا بالسلطان الرسولي المعطى لي أحلُّك من جميع القصاصات والأحكام والطائلات الكنيسية التي استوجبتها، وأيضاً من جميع التفريطات والخطايا والذنوب التي ارتكبتَها، مهما كانت عظيمة وفظيعة ومن كل علة، ولئن كانت محفوظة لأبينا الأقدس البابا والكرسي الرسولي، وأمحو جميع أقدار الفجر وكل علامات الملامة التي ربما جلبتَها على نفسك في هذه الفرصة، وأرفع أنواع القصاص التي كنتَ ملزماً بمكابدتها في المطهر، وأردُّك حديثاً إلى الشركة في أسرار الكنيسة، وأقرنك في شركة القديسين، وأردُّك ثانية إلى الطهارة والبرِّ اللذيْن كانا لك عند معموديَّتك، حتى أنه في ساعة الموت يغلق أمامك الباب الذي يدخل منه الخطاة إلى محل العذاب والعقاب، ويفتح الباب الذي يؤدي إلى فردوس الفرح، وإن لم تمت سنين طويلة فهذه النعمة تبقى غير متغيِّرة حتى تأتي ساعتك الأخيرة، باسم الأب والإبن والروح القدس الإله الواحد ـ آمين ـ الأخ يوحنا تتزل قد أمضى ذلك بيده».

ويُقال: «إن لوثريوس[١] عندما كان يريد أن يسمع اعترافات بعض الناس حسب قواعد التقليديين، كانوا يأبون القيام بها بناءً على كونهم اشتروا رخصة عفي بها

١. مرتينوس لوثريوس هو القس البروتستاني الذي أخذ يرفض أوراق الغفران لما ذكر فانعقد المجمع التاسع عشر في تريدنتوس من ١٥٤٢ إلى ١٥٦٣، وكانت مقاصدة إيضاح العقائد الرومانية والرد على الآراء البروتستانية التي شرع بها وقتئذ مرتينوس لوثريوس وفي المنجد لوثرمارتين Luther (١٥٤٦ ـ ١٤٨٣) زعيم الإصلاح في ألمانيا من رهبانية الاوغسطينيين، انفصل على الكنيسة في شأن الغفرانات وسلطة الباباالتبتل وإكرام القديسين والنذور الرهبانية والمطهر والقداس، نقل التوراة إلى الآلمانية باسلوب بديع فأصحبت ترجمته من آيات النثر الآلماني.

عنهم، فأخذ حينذاك يرفض هذه الأوراق شيئاً فشيئاً لمقاومة جميع تعاليم الكنيسة الرومانية وتقليداتها المنافية لروح الكتاب المقدس».[١]

نظرية القرآن في الغفران:

الطلاب الإنجيليون: ما هي نظرية القرآن في قصة الغفران؟

المناظر: التصاريح المتوفرة القرآنية تخص المغفرة بالله ليس إلّا، على شروط خاصّة تستعرضها دون ستار، فلاترى المغفرة ولا الشفاعة لغير الله اللهمّ إلّا بإذنه. ففي خصوص الشفاعة دون الغفران: ﴿ومن يغفر الذنوب إلّا الله﴾ [آل‌عمران، ١٣٥]، ﴿ولِلَّه ملك السموات والأرض يغفر لمن يشاء ويعذّب من يشاء﴾ [فتح، ١٤] ...

هذا وإن لاستغفار الرسول مدخلًا لغفران ذنوب المستغفرين بإذن الله حيث يشفع باستغفاره، لا أنه يغفر: ﴿وما أرسلنا من رسول إلّا ليُطاع بإذن الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً﴾ [نساء، ٦٤]، فليس للرسول ولا عليه إلّا البلاغ، لا الغفران لحساب والتأييد والرزق وما إليها من مختصات الربوبية. ﴿فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب﴾ [رعد، ٤٠]، ﴿فذكّر إنما أنت مذكر * لست عليهم بمصيطر﴾ [غاشية، ٢١ - ٢٢]، ﴿ليس لك من الأمر شيءٌ أو يتوب عليهم أو يعذّبهم فإنهم ظالمون﴾ [آل‌عمران، ١٢٨]، ﴿ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين﴾ [اعراف، ٥٤]، ﴿فما أرسلناك عليهم حفيظاً﴾ [نساء، ٨٠].

ذلك، وينفي عنه أيضاً هداية العباد إلّا إراءة طريقها بإذن الله: ﴿والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾ [بقره، ٢١٣]، ﴿إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾ [قصص، ٥٦].

فيا أصحابي لا تسوّوا الرب بالمربوب ولا العبد بالمعبود فإن ذلك يعترف به أهل الجحيم بعد إذ خلوها: ﴿تالله إن كنا لفي ضلال مبين * إذ نسوّيكم بربّ

١. نقل عن حياة السيد المسيح لفاروق الدملوجي.

العالمين﴾ [شعراء. ٩٧– ٩٨]، ﴿يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألّا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا إشهدوا بأنّا مسلمون﴾ [آل‌عمران. ٦٤]، ﴿ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوّة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله ولكن كونوا ربّانيّين بما كنتم تُعلّمون الكتاب بما كنتم تدرسون * ولا يأمركم أن تتّخذوا الملائكة والنبيين أرباباً أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون﴾ [آل‌عمران. ٧٩ – ٨٠]، ﴿وقالت اليهودُ عزيزٌ ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قوهلهم بأفواهم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنّى يؤفكون. اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم و ما أُمروا إلّا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلّا هو سبحانه عما يشركون﴾ [توبه. ٣٠– ٣١].

* * *

ضحايا الإسلام

القسيس: إذا كانت التضحية والفداء لغفران الذنوب خرافة وثنية وخطوة من خطوات الشيطان، فما بال طائفة من المسلمين يعتبرون ضحايا الطفّ مع الإمام الشهيد الحسين أنهم ضحايا الذنوب، ضحّوا للمذنبيين من الأُمّة لكي يشفعوا لهم ويطهّروهم عن درن الذنوب، لذلك نسمع بلاغهم المتكرر ـ ليل نهار ـ: مَن بكى أو أبكى أو تباكى وجبت له الجنة، كأن الحسين صالَحَ التشاريع الإلامية بالبكاء على مصائبه بما استشهد، فلا يُبالي الباكي عليه أحسن أو أساء فإن مصيره الجنة إن بكى على أية حال، ومن هذه المقالات:

حبُّ عليٍّ حسنة لا تضر معها سيئة ... وما إليها من أقاويل، وهي تضاهي سرّ الفداء الصليبي فما لكم كيف تحكمون!.

المناظر: إننا حسب الأُصول الإسلامية لا نعتبر التضحيات الحقّة من ضحايا الطف وسواهم من المسلمين الأولين: الأنصار والمهاجرين ومَن إليهم، لا نعتبرهم إلّا ضحايا العقيدة والعمل الإسلاميين، فلا نفسّر قيام الحسين عليه السلام إلّا بأنه قضاءٌ على الباطل وإقامة الحق وتحكيمٌ للتشاريع الخالدة الإسلامية، ولكي يتنبّه المسلمون أن كيف يجب التضحية في سبيل الحق فلا يكتفوا بالنّية والإيمان، فليعلموا: أن ليس للإنسان إلّا ما سعى، فحسين الإسلام إنما أريق دمه لتقوى به

شجرة التقوى، رغم مسيح الإنجيل البولصي الفادي الشرائع العملية وتحرر الناس عنها، حيث يفعلون ما يشتهون.

فهذه تصاريح القرآن المتوفرة التي قرنت الإيمان بالعمل دون فكاك، فلا نرى النجاة إلّا بهما: «فمن يعمل مثقال ذرَّة خيراً يره. ومن يعمل مثقال ذرَّة شراً يره﴾ [زلزله، ٧ - ٨]، «يوم تجد كلُّ نفس ما عملت من خير مُحضراً وما عملت من سوء تود لو أنَّ بينها وبينه أمداً بعيداً﴾ [آل‌عمران، ٣٠]. إذ ذاك فكل حديث لا يلائم هذا الأصل القرآني نعتبره اختلافاً أو نأوِّله إلى ما يلائم النصوص القرآنية، فالقرآن هو الميزان الوحيد للرد والقبول ليس إلّا.

أجل إن لضحايا الحق ـ المعصومين منهم ـ أن يشفعوا للمذنبين، لكن لا كما يريدون، بل: ﴿ولا يشفعون إلّا لمَن ارتضى﴾ [انبياء، ٢٨] و: ﴿إلَّا من أذن له الرّحمن ورضي له قولًا﴾ [طه، ١٠٩]، ﴿مَن ذا الذي يشفع عنده إلّا بإذنه﴾ [بقره، ٢٥٥].

إذاً فلا مضاهاة بين الفداءين: الإسلامي والمسيحي.

ولا بين الغفرانين.

خلاصة في المقارنة بين الغفران والشفاعة في نظر المسيحية والإسلام:

الكنيسة الإنجيلية تُحيل الشفاعة والغفران، إلَّا كما يلي:

١- «إن الله لا يخلِّص أحداً من جهنم (الهلاك الأبدي) بدون شفيع.

٢- إن نوع البَشر مفتقر بصورة قطعية ومطلقة إلى شفيع.

٣- يجب أن يكون الشفيع المطلق إلهاً تاماً وإنساناً تاماً.

٤- إن المسيح صار فدية عن الخطايا، أن لُعن بعذاب الصلب عنَّا.

٥- الكنيسة تأمر بالاعتقاد: أن الرهبان المأمورين بإجراء الأسرار السبعة هم أيضاً شفعاء مطلقون، وأن لا خلاص ولا نجاة أبداً بدون الراهب، وتُتِّم بأن شفاعة الكهنة والرهبان شرط قطعي، لأنهم جالسون على يمين المسيح.

تصريح الكنيسة: ما لم يعمِّدك قسيسك، وما لم يضع لقمة من قربان القديس في فمك، وما لم يدلِّكك عندما تموت بدهن الزيتون:

فإن شئت كن كريماً ومقرِّباً للفقراء كإبراهيم، وصبوراً ثابتاً كأيوب، وحكيماً سليماً كموسى، وعالماً حكيماً كسليمان، وزاهداً كريماً كالمسيح، ... كل ذلك عبث وهباءٌ ... ما لم يعمِّدك قسيسك، ويضع لقمة من القربان في فمك».[1]

هذا وذاك ما يعتنقه المسيحيون ـ رغم ألّا غفران ولا شفاعة إلّا من الله وبإذن الله ـ و إليكم النص من القرآن والعهدين في ذلك:

توافق النص من القرآن والعهدين

في التوحيد وحصر الشفاعة وغفران الذنوب في: الإله الواحد: رغم التعارض من ناحية أخرى من العهدين ...

... ﴿الله لا إله إلّا هو﴾ ... ﴿قل هو الله أحد﴾ ... ﴿شهد الله أنه لا إله إلّا هو ...﴾.

... فلا توجد صفحة من الذكر الحكيم إلّا وفيها وفرٌ بالغ من نصوص التوحيد، وكذلك العهدان في الآي غير المحرّفة منها التي تخلّصت من أيدي الجهل والزور، يصرحان: «أنا الله إلهك ... فلا يكن لك آلهة أُخرى تجاهي ... (خروج: ٢-٥) أنا هو الله وليس غيري مخلِّص (أشعيا: ٤٣:١١) ليس لك شبيه في الآلهة يا الله ولا مثل أعمالك ... أنت الله وحدك (مزمور ٨٥) إني أنا الله وليس آخر وليس مثلي (اشعيا ٤٦: ٨-١٠) وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك: أنت الإله الحقيقي وحدك ... والآن مجِّدني أيها الأب (الخالق) (يوحنا ١٧:٣-٥) ... يكون الرَّب وحده واسمه وحده (زكريا ١٤: ٩) أنظروا الآن أنا أنا هو و ليس إله معي» (تث ٣٢: ٣٩).

---

١. بين الهلالين منقول بلفظه مختصراً عن كتاب الإنجيل والصليب للقسيس الأب عبد الأحد داود الآشوري العراقي- استبصر وكتب كتابه هذا رداً على المسيحية- (رحمه الله تعالى)

الله لا يُرى: و هناك أيضاً تصاريح متوفِّرة أنَّ الله تعالى لا يُرى: الله لم يره أحدٌ فقط (يوحنا ١: ١٨) ولا يقدر أحدأن يراه (اتيموثاوس ٦: ١٦).

الله ليس له مكان: و ليس له مكان (اشعيا ٦٦: ١-٢) (اع٧: ٤٨).

الله لا يُعبد إلّا هو: و لا يُعبد إلّا هو ومَن عبَد غيره يُقتل (خروج ٢٠: ٣٤) (تث ١٣ و ١٨). ولا يقدر أحد أن يخدم سيدين (متى ٤: ٢٦):

وهناك أيضاً شهود صدق على عبودية المسيح وبشريته:[1] أنه إنسان نبي (لوقا ٢٤: ١٩) وليس أحد صالحاً إلّا إله واحد وهو الله (متى ١٩: ١٧) وأما ذلك اليوم فلا يعلم أحد به ولا الملائكة ولا الإبن إلّا الأب (أي الخالق)[2] (لوقا ٥: ١٤ و ٤: ١٢).

الروح ليس له لحم وعظام:

وهو القائل ما أصدقه: أنظروا يدي ورجلي، فإن الروح ليس له لحم وعظام كما ترون لي (٢٤: ٣٦) أنا لا أقدر أن افعل من نفسي شيئاً (يوحنا: ٥: ٣٠).

قال الله لن تسكن روحي في الإنسان إلى الأبد، لأنه لحم (تك ٦: ٣).

هـذا وذاك ..رغم آيات أُخرى تناقض تلكم الآيات البيِّنات، حيث تمكّنه وتجسّمه وتمثّله بخلقه كما مضت قبل ذلك وفيما يلي منها نماذج أخرى:

يقول الإنجيل عن المسيح ما يناقض شهاداته السالفة: أنا والآب واحد: (يو: ١٠: ٣٠) الأب فيَّ وأنا فيه (يو ١٠: ٣٨) ألستَ تؤمن أني أنا في الأب والآب فيَّ لكنَّ الأب الحالّ فيَّ هو يعمل الأعمال (يو ١٤: ١٠) حتى ذلك اليوم تعلمون أنّي أنا في آبي

---

١ . كما فيما يلي: (يوا: ٥١ و ٤: ٦ و ٣: ٢٤ و ٤: ٣٤ و ٤٤ و ١٩ و ٥: ١٩ و ٢٤ و ٣٠ و ٤٤ و ٦: ١٤ و ٢٨ و ٢٩ و ٤٤ و ٧: ١٦ و ١٨ و ٢٨ و ٣٣ و ٤٠ و ٨: ٢٦ و ٢٨ و ١١: ٤١ و ١٢: ٢٧.

و هو ابن الإنسان: (متى ٨: ٢٠) و(٩: ٦) و(١٦: ١٣ و ٢٧) و(١٧: ٩ و ١٢ و ٢٢- و ١٨: ١١- و ١٩: ٢٨- و ٢٠: ١٨ و ٢٠).

٢ . قد حققنا أن الأب بالمدّ هو بمعنى الفاطر و الخالق و الابن المقرون به أحياناً لا يراد منه ابنه، بل ابن الإنسان الذي خلقه الأب دون أب.

وأنتم فيَّ وأنا فيكم (يو ١٤: ٢٠) كما أنك أيها الأب فيَّ وأنا فيك ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا ليؤمن العالم أنك أرسلتني (يو ١٧: ٢١ و ٢٣).

والتوراة تثبت له الراس (اشعيا ٥٩: ١٧) والشَعر (دانيال ٧: ١٩) والدم (١ خ ٢٠: ٢٨) والفرج (زبور ٢: ٧) وأن له مكاناً [١] !!!.

القرآن والشفاعة:

﴿مَن ذا الذي يشفع عنده إلّا بإذنه﴾... ﴿قل للّه الشفاعة جميعاً...﴾.

وكذلك في العهدين: «أنا الربُّ- هذا اسمي ومجدي- لا أعطيه لآخر» (اشعيا ٤٢: ٨) أنا الرب وليس غيري مخلِّص .. أنا هو وولا منقذ من يديَّ أفعل ومَن يَرُدُّ (اشعياء ٤٣: ١١- ١٣) هو ذا الله خلاصي فأطمئن ولا أرتعب، لأن يهوه قوتي وترنيمي وقد صار لي خلاصاً (اشعيا ١٢: ٢). «انظروا الآن. أنا أنا هو وليس إله معي. أنا أُميت وأحيي.

سحقت وأنا أشفي وليس من يدي مخلّص» (تث ٣٢: ٣٩).

القرآن وغفران الذنوب:

﴿ومَن يغفر الذنوب إلّا الله﴾ [آل‌عمران: ١٣٥]، ﴿وللّه ملك السّموات والأرض يغفر لمن يشاء ويعذّب من يشاء﴾ [فتح: ١٤]، ﴿قل إنّما أنا بشر مثلكم يوحى إلّي أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملًا صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً﴾ [كهف: ١١٠].

أجل، وإن كان لاستغفار الرسول المذنبين دخلًا في غفران الله وكما يقول: ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله

---

١. كما في (خروج ٢٥: ٨: ٢٩: ٤٥- ٤٦) الاعداد ٥: ٣ و ٣٥: ٣٤) (وتث ٢٦: ١٥ و ٢ صموئيل ٧: ٥- ٦) (و ١ ملوك ٨: ٣٠ و ٣٢ و ٣٤ و ٣٦ و ٣٩ و ٤٥ و ٤٩) وزبور (٩: ١١ و ١٠: ٤ و ٢٥: ٨ و ٦٧: ١٦؛ و ٧٣: ٢ و ٧٥: ١: ٩٨٢ و ١٢٤: ٢١) ويونيل (٣: ١٧ و ٢١) و زكريا ٨: ٣ ومتى (٥: ٤٥ و ٤٨ و ٦: ١ و ٩ و ١٤ و ٣٦) ٧: ١١- ٢١ و ١٠: ٣٢- ٣٣ و ١٢: ٥٠ و ١٥: ١٣ و ١٦: ١٧ و ١٨، ١٠ و ١٤ و ١٩ و ٣٥- ٢٢: ٩ و ٢٢

تواباً رحيماً﴾ [نساء، ٦٤]، فإن للرسول أن يستغفر لا أن يغفر، فهو يُشفَّع في الغفران بإذن ربه، لا أنه يغفر، ولن يقبل الله استغفاره بغير إذنه: ﴿سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ...﴾ [منافقون، ٦].

و في الزبور: «قلباً نقياً أخلق فيَّ يا الله وروحاً مستقيماً جدِّد في داخلي. لا تطرحني من قدَّام وجهك القدوس لا تنزعه مني. ردَّ لي بهجة خلاصك وبروح منتدية اعضدني.

فأعلِّم الأثمَه طرقك والخطاة إليك يرجعون» (٥١: ١٠- ١٣) ومثله (اشعياء ١: ١٨) وفي (لوقا ٥: ٢١) ...».

من يقدر أن يغفر الخطايا إلّا الله وحده[1]

حدُّ الشفاعة في نظر القرآن:

الأسقف: هل يرى القرآن حداً للشفاعة والغفران أم يسمح ذلك لكل عاصٍ ومن كل أحد؟

المناظر: إن هناك شروطاً جمّه للشفاعة والغفران وقد تقررها آي الذكر الحكيم كما يلي.

نماذج من حدود الشفاعة والغفران في نظر القرآن:

طلاب إنجيليون: للّهأنت يا أُستاذ: أن شرَّفتنا باستعراض نظرية القرآن في حدود الشفاعة والغفران... تالله إننا لنرى أنواراً طيِّبة تتلألأ من بحوثكم القيِّمة على ضوء القرآن!

---

١. هذا ما اعترض به اليهود على مسيح الانجيل عند قوله: أيها الإنسان مغفورة لك خطاياك فقالوا من هذا الذي يتكلم بتجاديف. من يقدر أن يغفر الخطايا إلا الله (لوقا: ٢٠- ٢١). وإنما نقلناه اعتباراً أنه ينقل عقيدة اليهود الثابتة التي استوحوها من نصوص العهد العتيق

الحداد: لقد رأينا أنه بحسب القرآن لا شفيع في يوم الدين إلّا الملائكة المقرَّبون ضمن حدود وقيود، فلا شفاعة في نص القرآن لرسول إلّا المسيح، فقد جاء وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين «آل عمران، ٤٥» والوجاهة في الدنيا وفي الآخرة الشفاعة، شهادة المسيح في يوم الدين ليست على أُمته بل هي شفاعة لهم لغلوّهم في أمره ﴿... وكنتعليهم شهيداً ما دمت فيهم ...﴾ [مائده، ١١٧].[١]

المناظر: لا سِناد للحداد طيلة كلامه حول انحصار الوجاهة والشفاعة بالمسيح إلّا الآيتين [آل‌عمران، ٤ و ٥: ١١٧] ـ حال أن الأولى إنما تُدخله في الوجهاء يوم الدنيا والآخرة ﴿وجيهاً...﴾ لا «أنه الوجيه فحسب» ـ هذا دون أن تخص الوجاهة به، أو تعتبر وجاهته أفضل الوجاهات في الوجهاء!

ثم الثانية لا تجعله شفيعاً، بل شهيداً، لا في الآخرة، بل في الدنيا ﴿ما دمت فيهم﴾ ثم لا لهم بل عليهم ﴿عليهم شهيداً﴾ أي حاضراً لديهم أراقب عقائدهم وأعمالهم وأتَلقّى كلَّ ذلك، لا شهيداً عليهم يوم الآخرة.

إذاً لا نجد آية تعتبر المسيح شفيعاً يوم الدين فضلًا عن حصر الشفاعة فيه ـ أجل إننا نستوحي له مقام الشفاعة ضمن الشفعاء من أنه وجيه في الآخرة، والقرآن يثبت للوجهاء على شروط تالية- بعد ما تنفيها إطلاقاً.

فهنالك آيات بيِّنات تعطي قاعدة كلية أن لا شفاعة إطلاقاً، وآيات أُخرى تثبتها بعض الإثبات على شروط في الشافع والمشفَّع له، وظروف الشفاعة.

فقد تقول: ﴿واتقوا يوماً لا تَجزي نفسٌ عن نفسٍ شيئاً ولا يُقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عَدل ولا هم ينصرون﴾ [بقره، ٤٨]، ﴿لا يُقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة﴾ [بقره، ١٢٣]، ﴿يوم لا بيع فيه ولا خلَّة ولا شفاعة﴾ [بقره، ٢٥٤]، ﴿فما تنفعهم شفاعة الشافعين﴾ [مدثر، ٤٨].

---

١. اختصار من كلامه على طوله ص ١٨٤ ـ ١٨٥ الحوار الإسلامي المسيحي

ثم هناك قاعدة عامة تثبت الشفاعة بإذن الله، فللشافع أن يَشفَع وللمشفوع له أن يُشفَّع له على شروط فيهما: ﴿يومئذ لا تنفع الشفاعة إلّا مَن أذن له الرّحمن ورضي له قولًا. يعمل ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علماً﴾ [طه، ١٠٩- ١١٠]، بإذن الله للشافع وللمشفوع له ﴿ولا تنفع الشفاعة إلّا لمن أذن له﴾ [سبأ، ٢٣]، ﴿وكم مِن ملك في السّموات لا تغني شفاعتهم شيئاً إلّا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى﴾ [نجم، ٢٦]، ﴿يوم نحشر المتقين إلى الرّحمن وفداً. ونسوق المجرمين إلى جهنم ورداً * لا يملكون الشفاعة إلّا مَن اتخذ عند الرّحمن عهداً﴾ [مريم، ٨٥- ٨٧]، ﴿ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلّا من شهد بالحق وهم يعلمون﴾ [زخرف، ٨٦]. ﴿من ذا الذي يشفع عنده إلّا بإذنه﴾ [بقره، ٢٥٥]، ﴿وقالوا اتخذ الرّحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون * لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون * يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلّا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون﴾ [أنبياء، ٢٦- ٢٨].

ثم أخيراً يربط رباط الشفاعات من الشافعين ويخصه بالله تعالى: ﴿قل للّه الشفاعة جميعاً له ملك السّموات والأرض ثم إليه ترجعون﴾ [زمر، ٤٤]، أجل إنه لا شفاعة، ولا تُقبل من أي شفيع إلّا بإذن الله تعالى، ولا يقبلها الله إلّا لمن: ارتضاه الله، ارتضى دينه وطاعته، أن كان يواظب عليها ويستغفر ربه ويلوم نفسه إذا أخطأ ويندم على ما فعل، وجملة القول هنا هو الرضوى: «أي من ارتضى الله دينه وهو من ساءته سيئته وحسّنته حسنته» لا الظالم المصرّ على ظلمه وغيّه، غير النادم عما يفعل، فلا يملك المجرم شفاعة الشافعين إلّا إذا اتخذ عند الرّحمن عهداً، وهو عهد العبودية له تعالى: ﴿ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين * وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم * ولقد أضل منكم جِبِلًّا كثيراً أفلم تكونوا تعقلون﴾ [يس، ٦٠- ٦٢]، فمن يعبدو يطيع غير الله لا يملك الشفاعة يوم القيامة ولا تقبل توبته هناك ولا يغفر له:

﴿إن الله لا يغفر أن يُشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ [نساء، ١١٦]، فالعابد المطيع للّه الذي سنته في حياة التكليف توحيد الله في العبادة والطاعة، هذا يملك الشفاعة أن يُشفع له فيما أذنب أحياناً، وهذا ممن يرضى الله له قوله في اعتذاره عما أخطأ دون المشرك والعاصي غير النادم.

وكذلك لا تقبل الشفاعة إلّا ممن ﴿أذن له الرّحمان ورضي له قولاً﴾ ومن يرضى عنه الرب، ومن شهد بالحق وهم يعلمون ...

فحدود الشافعين والمشفَّع لهم والشفاعة، هذه ليست إلّا بإذن الله، فهو الشافع على أية حال، إما بشفاعة الشافعين من الملائكة والنبيين وسائر الأولياء المكرمين، أم سائر الشفعاء: كاجتناب كبائر المنهيات والفواحش والإثم: ﴿إن تجتنبوا كبائر ما تُنهون عنه نكفّر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلًا كريماً﴾ [نساء، ٣١]، ﴿والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون﴾ [شورى، ٣٧]، ﴿... ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى * الذين يجتنبون كبائر الإثم والفحواش إلّا اللمم إن ربك واسع المغفرة هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجِنَّة في بطون أمهاتكم فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن أتقى﴾ [نجم، ٣١ - ٣٢].

وكزيادة الحسنات الكبرى مثل الصّلاة وما إليها فإنهن يُذهبن السيئات: ﴿وأقم الصّلاة طرفي الهار وزُلَفاً من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين﴾ [هود، ١١٤] والإذهاب هنا بين دفع ورفع كما: ﴿إن الصّلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾ [عنكبوت، ٤٥] فهي دافعة رادعة عن فعل السيئات ورافعة لها.

ومن الحسنات ما ترفع السيئات بعد حصولها، بل وقد يبدّل الله سيئاتهم حسنات:

﴿إلّا من تاب وآمن وعمل عملًا صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً * ومن تاب وعمل صالحاً فإنه يتوب إلى الله متاباً﴾ [الفرقان، ٧٠ - ٧١] و من

الحسنات المذهبة للسيئات، دفعاً ورفعاً، التوبة والإستغفار على ما يلي من الشروط:

شروط التوبة في نظر القرآن:

ثم للتوبة عن الذنب مراحل ثلاث:

١- توبة الرب على عبده أي رجوعه عليه بالرحمة أن يوفقه للتوبة.

٢- توبة العبد إلى ربه بالاعتذار عما أخطأ.

٣- توبة الرب على العبد التائب، أي رحمته عليه بالمغفرة وقبول التوبة.

فليست التوبة إلّا الرجوع، وحيث إن الذنب حجاب وبُعد بين العبد وربه، لذلك فإن الغفران يحتاج إلى عناية ورحمة من الرب إلى عبده لتشمله الرحمة بعد انقطاعها عنه بالعصيان، تشمله أن يوفَّق للتوبة، ثم يرجع إلى ربه بالإعتذار، ثم يتوب الله عليه بقبول توبته: ﴿ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم﴾ [٩: ١١٨] فهذه هي التوبة الأولى من الرب، ثم توبة العبد إلى ربه بهذه التوبة الإلهية: ﴿ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى﴾ [طه. ١٢٢] وهذه هي التوبة الثانية وهي من الله بمعنى قبول توبة العبد، فقد تحتف توبة العبد بتوبتين من الله، من قبل ومن بعد، ومن الناس من لا يوفِّقه الله للتوبة لعظم طغيانه ورين قلبه، ولأنه لا يميل إلى التوبة، بل يزيد خطأً ويسوِّف الإعتذار حتى ينساه: ﴿كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾ [مطففين. ١٤] ﴿فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم﴾ [صف. ٥] ﴿بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأُولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ [بقره. ٨١].

فمن شروط التوبة الأولى الإلهية رجوع العبد إلى ربه وندمه العاجل واتجاه قلبه إليه تعالى، ثم من شروط توبة الله على عبده بعد توبته إلى ربه أن تكون توبة العبد نَصُوحاً: ﴿يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً عسى ربكم أن يكفِّر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ [تحريم. ٨] والنَّصوح هو المبالغ في

النصح، فلتكن التوبة ناصحة بالنسبة لما عصى وما بعده، لما عصى: ندماً عليه واعتذاراً إلى ربه منه، ولما يعده: عزماً ألا يكرِّره شخصياً ولا نوعياً.

وليست التوبة هي الإستغفار فحسب بل هي تِلْوَهُ وناتجة عنه، فليبدأ المذنب أولًا بالإستغفار، ثم يتوب إلى الله توبةً نصوحاً: ﴿و أن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتّعكم متاعاً حسناً﴾ [هود، ٣] ﴿واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه إن ربي رحيم ودود﴾ [هود، ٩٠].

وليس الإستغفار قول «أستغفرالله ربي» فحسب، بل هو عمل: طلب الغفر، وإنما يتحقق هذا الطلب بتجديد الإيمان وبالعمل الصالح وبإصلاح ما أفسده بالعصيان: ﴿ومن تاب وعمل صالحاً فإنه يتوب إلى الله متاباً﴾ [الفرقان، ٧١]، ﴿فمن تاب من بعد ظلمهأصلح فإنَّ الله يتوب عليه﴾ [مائده، ٣٩]، ﴿و إني لغفار لمن تاب وعمل صالحاً ثم اهتدى﴾ [طه، ٨٢] ... ﴿إلَّا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم﴾ [آل‌عمران، ٨٩]، ﴿إلَّا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم للّهفأولئك مع المؤمنين﴾ [نساء، ١٤٦].

فالتوبه مشروطة بالجبران بتجديد الإيمان الذي يكدَّر بالعصيان، وبالعمل الصالح جبراناً لما عصى وبإصلاح ما مضى كما يستطيع: فـ ﴿إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأُولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليماً حكيماً. وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفّار أولئك أعتدنا لهم عذاباً أليماً﴾ [نساء، ١٧- ١٨]

...

يُحتِّم الله على نفسه قبول التوبة ممن عمل السوء بجهالة، لا جهل في الحكم أو الموضوع، بل بجهالة: عن شهوة وغفلة، لا علماً وعناداً وهتكاً لستر الربوبية، ثم يتوب من قريب، لا من يتورَّط في السيئات ولا يتوب ويندم إلّا عند حضور الموت قولًا بلفظه:

إنـي تبـت الآن، خوفـاً مـن بـأس الله، لا إيمانـاً ونـدماً علـى مـا فعـل، ولا الـذين يموتون وهم كفار...

وهناك متوسطون بين هذين: ﴿وآخرون مُرجون لأمر الله إما يعذِّبهم وإما يتوب عليهم﴾ [توبه. ١٠٦]، يتوب علهيم إن شاء إذا تابوا وأخلصوا في توبتهم وأصلحوا، وإن كان من بعيد وكانت ذنوبهم على علم، ويعذبهم إن شاء، إن لم يتوبوا كما يحق أو لم يأتوا بما يكفِّر عنهم من سيئاتهم: كاجتناب كبائر ما ينهون عنه [نساء. ٣١] والإتيان بكبائر الحسنات [هود. ١١٤] و... أن تكون الدعامة الأولى والأخيرة في حياتهم تقوى الله عن كل صغيرهكبيرة: ﴿إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً ويكفِّر عنكم سيئاتكم﴾ [أنفال. ٢٩] وأن يؤمنوا بالله ويعملوا صالحاً: ﴿ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً يكفِّر عنه سيئاته﴾ [تغابن. ٩] وأن يهاجروا في سبيل الله بإيمانهم: ﴿فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لأُكفِّرن عنهم سيئاتهم ولأُدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثواباً من عند الله والله عنده حسن الثواب﴾ [آلعمران. ١٩٥].

هذا وذاك شذرات من شروط الغفران: غفران السيئات والصغائر، وأما الكبائر فغفرآنهامشروط بالتوبة النصوح وبالإصلاح والجبران وبالإيمان بعد كدر وكفر العصيان ...

لا دون أي شرط إلّا مشيئة القسيس، لأنه أكل الفطير وشرب الخمر وصار كأنه المسيح، يغفر عامة الخطايا دون أي شرط ورهن روحي صالح إلّا رهن الأموال التي بها تشترى الجنّة وتباع وتكفِّر بها عن النار!

بين الخوف والرجاء؟

ثم على العبد كائناً من كان ـ في الدنيا ـ أن يكون بين الخوف والرجاء، إذ ينحو إلى ربه، وإن عصى ما عصى، خائفاً عما أذنب، وراجياً إلى رحمة ربه: ﴿إن رحمة الله

قريبٌ من المحسنين﴾ [أعراف. ٥٦]، وعليه أن تتساوى كفتا ميزان خوفه ورجائه، لا تربو إحداهما على الأُخرى، فيهلك بالعصيان إذا أيس وقنط من رحمة ربه، أو إذا رجاه دون خوف:

﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً .. وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون﴾ [زمر. ٥٣- ٥٤] ﴿و أدعوه خوفاً وطمعاً إن رحمة الله قريب من المحسنين﴾ [أعراف. ٥٦].

فعلى العبد أن يخاف من ذنوبه كما يرجو الغفران، فيخاف ربه كما يرجوه ويرجوه كما يخافه، فلا ينهمك ويتورط في العصيان، لأنه يحتمّ على نفسه العذاب، أو على ربه الرّحمة والمغفرة دون حساب.

طالب إنجيلي: هل يوجد في العهدين تجويز الشفاعة لأنبياء الله، أن يشفعوا للمذنبين كما في تصريحات القرآن، المقدسة؟

الشفاعة في التوراة:

المناظر: أجل ولكنه ليس كما يناسب ساحة الرب، فقد يصرّح في [خروج ٣٢: ٧- ١٤] أن الله تعالى ندم على الشر الذي قال أنه يفعله بشعبه حيث عبدوا العجل: «فقال الرب لموسى إذهب إنزل، لأنه قد فسد شعبك الذي أصعدته من أرض مصر.

زاغوا سريعاً من الطريق الذي أوصيتهم به. صنعوا لهم عجلاً مسبوكاً وسجدوا له وذبحوا له وقالوا هذه آلهتك يا إسرائيل... وقال:... فالآن أتركني ليحمى غضبي عليهم أفنيهم ... فتضرَّع موسى أمام الرب إلهه قائلًا: ... إرجع عن حموِّ غضبك وإندم على الشر بشعبك ... فندم الرب على الشر الذي قال إنه يفعله بشعبه».

و جملة القول هنا أن موسى تشفَّع فيمن عبدوا العجل فقبل الله شفاعته، ولكنه سبحانه، و تعالى حاشاه عن الندم وفعل الشر، وإنما غفر لهم عما أراد بهم من غضبه جزاءَ ما عصوا ... لا دون شرط، بل وأمرهم آنذاك أن يقتلوا أنفسهم، هؤلاء

الذين عبدوا العجل، كما يقول القرآن: ﴿وإذ قال موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم إنه هو التوَّاب الرحيم﴾ [بقره، ٥٤] فلقد كانت شروط التوبة إذ ذاك أشد منها في الإسلام، على اشتراكهما: أنّ هناك شروطاً روحية وعملية إصلاحية.

و من شفاعة موسى «حين كان الشعب كأنهم يشتكون شراً في أذني الرب فحمي غضبه. فاشتعلت فيهم نار الرب وأحرقت في طرف المحلَّة. فصرخ الشعب إلى موسى فصلَّى موسى إلى الرب فخمدت النار» [عد ١١: ١- ٣].

الطالب الإنجيلي: هل إن برنابا في إنجيله يوافق نظرية التوبة والغفران كما في القرآن أو العهدين؟.

المناظر: هو والقرآن على نهج مستقيم واحد وكما يقول:

التوبة والغفران في إنجيل برنابا:

«... إن التوبة عكس الحياة الشريرة، لأنه يجب أن تنقلب كل حاسة إلى عكس ما صنعت وهي تركب الخطيئة، فيجب النوح عوضاً عن المسرة. والبكاء عوضاً عن الضحك. والصوم عوضاً عن البطر. والسهر عوضاً عن النوم. والعمل عوضاً عن البطالة. والعفَّة عوضاً عن الشهوة. وليتحول الفضول إلى صلاة. والجَشَع إلى تصدُّق. حينئذٍ أجاب الذي يكتب. ولكن لو سئلوا كيف يجب أن ننوح؟ وكيف يجب أن نبكي؟ وكيف يجب أن نصوم؟ وكيف يجب أن ننشط؟ وكيف يجب أن نبقى أعفَّاء؟ وكيف يجب أن نصلّي ونتصدق؟ فأيُ جواب يعطون؟ فكيف يحسنون القيام بالعقوبة البدنية إذا لم يعرفوا كيف يتوبون؟ أجاب يسوع: لقد أحسنت السؤال يا برنابا! وأريد أن أجيب على كل ذلك بالتفصيل إن شاء. أما اليوم فإني أكلمك في التوبة على وجه عام وما أقوله لواحد أقوله للجميع. فاعلم إذاً أن التوبة يجب أن تفعل أكثر من كل شيءٍ، لمجرَّد محبة الله وإلَّا كانت عبثاً. وإني أكلِّمكم بالتمثيل:

كل بناء إذا أزيل أساسه تساقط خراباً. أصحيح هذا؟ فأجاب التلاميذ: إنه لصحيح، فقال حينئذٍ يسوع: إن أساس خلاصنا هو الله الذي لا خلاص بدونه.

فلما أخطأ الإنسان خسر أساس خلاصه. لذلك وجب الإبتداء بالأساس... [برنابا ١٠١: ١- ١٧].

أجل وهذا برنابا يستعرض تعاليم المسيح حول حصر الغفران وقبول التوبة، حصرهما بالله تعالى دون من سواه، وإن كان المسيح ومَن فوقه، كذلك ويحصر كل عطية بالله دون أن يرى نفسه مستقلًا في جنبه:

«١١ ولما انتهى يسوع من العبادة نزل من الجبل مع تلاميذه ١٢ والتقى بعشرة برص صرخوا من بعيد: يا يسوع بن داود إرحمنا، ١٣ فدعاهم يسوع إلى قربه وقال لهم: ماذا تريدوان مني أيها الإخوة؟ ١٤ فصرخوا جميعهم: أعطنا الصحة ١٥ أجاب يسوع أيها الأغبياء أفقدتم عقلكم حتى تقولوا: أعطنا الصحة ١٦، ألا ترون أني إنسان نظيركم ١٧ أدعوا إلهنا الذي خلقكم وهو القدير الرحيم يشفكم ١٨، فأجاب البرص وبدموع: إننا نعلم أنك إنسان نظيرنا ١٩ ولكنك قدوس الله ونبيٌ الرب فصلٍّ للّهليشفينا (برنابا ٩: ١١- ١٩).

يا أصحابي هذا وذاك نماذج من نظرات القرآن والعهدين حول الشفاعة والغفران بشروطهما والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

الطلاب الإنجيليون: شكراً لك يا أُستاذ بالآلاف أن هديتنا بإن الله إلى الحق المنير، فثمَّ مه يا أُستاذ ولكي يتمّ لنا نورنا والله يهدي إليه من ينيب!

* * *

مقارنات في المعاد

أصحابي الروحيين الإنجيليين! ما هي نظرية العهدين بالنسبة للمعاد وحشر الأجساد؟ وهل إن فيهما وتفاصيل لكيفية الحشر والحساب والجنة والنار؟؟؟

الأسقف: أجل فيهما إشارات وتصريحات حول المعاد - يوم الدينونة.

المناظر: في الأناجيل فحسب أم وفي العهد العتيق أيضاً؟

ربي: كيف لا وهو الأصل في الشريعة الإسرائيلية؟!

المناظر: إننى لأقترح على علماء العهدين الحضور إستعراض ما فيهما - بالنسبة للمعاد - وطبيعة الحال قاضية بلزوم توفر الآيات فيما يختص بالمعاد - كما هي بالنسبة للمبدأ - حيث إن المبدأ والمعاد هما من أهم الأُصول الدينية، وعليهما تبتني التشاريع والنبوات، ويوم المعاد هو الضامن الأصيل لإجراء الأحكام الإلهية.

ربي: أجل إنّ أصل المعاد من أُصولنا المسلمة، فلا حاجة بنا إلى البحث عنه، فإن الملّيين متفقون فيه دون خلاف، ونحن إنما نبحث فيما نختلف فيه، في أصله أو كيفيته.

التوراة لا تعتقد المعاد ..:

المناظر: أجل فما هي الآيات الدالة عليه في العهد العتيق ...؟ ما هي؟ وإنني لأظنكم كغيركم من علماء التوراة، لا تجدون فيها نصوصاً بالنسبة ليوم القيامة وأحوالها وأهوالها!!!.

أجل، إن اليهودية تجعل ـ على الأكثر ـ الثروة والمال ظالتها التي تنشدها ليل نهار، لذلك نجد التوراة قد زهدت في ذكر الحياة الأُخروية وأهملت أمر القيامة التي هي حقيقة دينية معترف بها، وقد اتخذت الثروة والمال أساساً لها في الترغيب والتخويف، فالطاعة فيها تزيد الحنطة والخمر والزيت، والضلال يقللها.

و على أية حال فلا نجد في التوراة ذكرى القيامة وثوابها وعقابها، وإن إهمال هذه الذكرى الهامة، الضامنة للتبشير والإنذار، إهمالها في التوراة الرائجة حتى في ظروف الوعد والوعيد ثم تبديل ذكر المعاد بأهواله، بالتوعيد بالأمراض الردئية والقحط والذلة، ذلك كاد أن يكون تعليماً بأنه لا حقيقة للحياة بعد الموت والجزاء بالإعمال فيها.

و لعله أو أنه لأجل هذا الإهمال نبت فرقة من اليهود يسمّون الصدوقيين ينكرون القيامة بكل صراحة كما جاء ذكرهم هكذا في العهد الجديد.

إهمال المعاد في العهدين:

وكان مؤلفي العهد العتيق أجمعوا على إهمال ذكرى المعاد، ولكي يتخلصوا عن يوم الدينونة من أصله كما تخلصت النصارى عنه بمزاعم الصلب والفداء والغفران على سواء.

... وإننا بعد التفتيش التام نجد في البعض من أسفار العتيق الأحدث عهداً كـ «كتاب دانيال وأشعيا وأيوب» نجدها شذت عن هذه الغفلة العامدة فتذكر قصة

القيامة لكثير من الموتى الراقدين [دانيال ١٢: ١- ٢] وأن الروح يبقى بعد الموت [أيوب ١٩: ٢٦] وشبه الكلام على القيامة في أشعيا [٢٦: ١٩].

ومهما يكن من شيءٍ فالتوراة التي هي الأصل في كتابات العهد العتيق خلوٌ عن ذكرى المعاد، فلا تُجبر بهذه الإشارات غير الصريحة ولا الكافية عن هذه الهامة الكبرى!

طالب إسرائيلي: أُستاذ ليتك تستعرض ذكريات المعاد من هذه الكتب الثلاث على الأقل ولك الشكر.

المناظر: أجل وإن كانت لا تغنى عن إهمال الكتاب الإمام! التوراة.

ذكري المعاد في أشعيا ودانيال:

ففي أشعياء [٢٦: ١٨- ١٩] «لم نصنع خلاصاً في الأرض ولم يسقط سكان المسكونة.

تحيا أمواتك. تقوم الجثث. استيقظوا ترنموا بإسكان التراب، لأن ظلك ظل أعشاب والأرض تسقط الأخيلة».

وفي (دانيال ١٢: ١- ٤) وفي ذلك الوقت يقوم ميخائيل الرئيس العظيم القائم لبني شعبك ويكون زمان ضيق لم يكن منذ كانت أمّة إلى ذلك الوقت. وفي ذلك الوقت يُنجى شعبك كل من يوجد مكتوباً في السفر. وكثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون. هؤلاء إلى الحياة الأبدية وهؤلاء إلى العار للإزدراء الأبدي. والفاهمون يضيئون كضياء الجلد. والذين ردّوا كثيرين إلى البر كالكواكب إلى أبد الدهور. وأما أنت يا دانيال فاخف الكلام واختم السفر إلى وقت النهاية. كثيرون يتصفَّحونه والمعرفة تزداد».

الطالب الإسرائيلي: هاه! وهذه بشارة تامة لذكرى يوم الدينونة، فماذا نبغ بعد؟؟

المناظر: كلا ولا إشارة، حيث القيامة يوم الجمع لا تشذُّ أحداً إلّا ويحيى لها للدينونة، وفي الآية «٢» استيقاظ الكثيرين من الراقدين لا الكل، وفي الآية «٤» التصريح بإخفاء هذه البشارة رغم أن بشارة يوم الدينونة من الفرض الدائم ليل نهار، من المبشرين المنذرين!.

الطالب الإسرائيلي: كيف والآيات تصرح: أن هذه الحياة ستكون أبدية وهي لا تناسب إلّا حياة الدينونة.

المناظر: إذاً ففيها تناقض بيِّن، فإن كانت هي حياة القيامة فكيف تختص بالكثيرين دون الكل، ثم كيف يُؤمر النبي دانيال بإخفائها؟.

الطالب الإسرائيلي: إذاً فما هو المعنيُّ منها؟.

حياة الرجعة في التوراة:

المناظر: إنني أعتبرها حياة الرجعة: رجعة الكثيرين من الأموات لليوم الأخير: آخر الزمان من الحياة الدنيا، يقوم فيه قائم الحق بقية الله الذي ينتظره كافة الأُمم، وإن كانت تختلف الرغبات في أنه من هو؟ موسى أو المسيح أو المهدي من آل محمد ﷺ ؟ وقد يأتيكم نبأه الفصل في فصله الخاص به إن شاء الله تعالى.[١]

ذكرى المعاد في أيوب:

ثم وفي (أيوب ١٩: ٢٥ - ٢٧): «أما أنا فقد علمت أن وليّي حي والآخر على الأرض يقوم. وبعد أن يفنى جلدي هذا وبدون جسدي أرى الله. الذي أراه أنا لنفسي وعيناي تنظرات ليس آخر إلى ذلك تتوق كليتي في جوفي».

فهذه الإشارة الثلاث هي تمام ما يوجد في العهد العتيق بالنسبة ليوم الدينونة، على أن هذه الأخيرة لا تشير إلى الجزاء عند رؤية الله! بعد الموت، والوسطى تشير

١ . وكما فصلنا القول فيه في كتابنا: رسول الإسلام في الكتب السماوية.

إلى رجعة الأموات يوم القيامة الوسطى- قيام القائم بالحق- و الأولى أيضاً تكتفي بقيام الجثث، أما لماذا هذا القيام وتلك الرؤية؟ فلا تصريح ولا إشارة!.

يهودية والحكمة:

في يهوديت (١٦: ٢٠-٢١): «يثأر الله لإسرائيل من أعدائه ويفتقدهم يوم الدين، فيجعل لحومهم للنار والدود لكي يحترقوا ويتألموا إلى الأبد» انظر أشعياء (٦٦: ٢٤).

وفي الحكمة «٤: ١٩»: «سيكون المنافقون عاراً بين الأموات مدى الدهور» «و يكونون في العذاب وذكرهم يهلك» «انظر ٣: ١٠، ٦: ٥ وما يلي».

هذا: إلّا أن يهودية لا تعتبره إسرائيل ولا أهل الذنجيل من الكتب المقبولة الإلهامية- و آيتها مع ذلك لا تنبيء إلّا عن انتصار الله لإسرائيل، كأنه ليس له عباد إلّا إياهم، وكذلك الحكمة- و كون المنافقين عاراً بين الأموات لا يستلزم العذاب الجسماني.

إذاً فالعهد العتيق برُمّته خلوٌ عن الإنذار بيوم الجزاء، إلّا لحياة ما بعد الموت فحسب.

ربّي: إذاً فلا تنكرون أن في العهد العتيق إشارةً إلى الحياة بعد الموت والعاقل تكفيه الإشارة، فما هذا التحامل العارم على كتب الأنبياء؟.

المناظر: إذاً فاليهود لم يكونوا عقلاء قبل نزول هذه الآيات بعد إذ أنزلت التوراة بزمن طائل، فلم ينزل عليهم آي المعاد! ثم لا كفاية في هذه الإشارات لأي عاقل، فإنها قاصرات الدلالة وحتى في الإشارة، وأخيراً كيف يُكتفى بالإشارة فيما لا ينفع التصريح به ما لم يُكرَّر بشتى الصور، فمالكم كيف تحكمون؟.

فيا لمؤلفي العهد العتيق مراماً ما أبعدهم عن الحق! كيف خانوا الأنبياء فأسقطوا التبشيرات والإنذارات المتواترة ليوم الدينونة عن التوراة، دون إبقاءٍ لنصٍ في ذلك ولا واحدٍ، كالجحيم لا تُبقي ولا تذر، لوّاحة للبشر!!!.

... أجل: وإنني بصفتي باحثاً متتبعاً عن العهدين، طالما فتشتهما ولم أجد شيئاً حول المعاد إلّا إشارات قليلة في العهد الجديد لا يُكتفى بها في مثل هذا الأصل العريق الديني، و لا شكّ أنه كان هناك تصريحات وفيرة ولا سيما في العهد العتيق، لعبت بها أيدي التحريف، ولعلّ السرّ هنا هو سرٌّ الفداء.

فبعد أن تحمّل المسيح لعنات وذنوب أُمته، إذ ذاك لم يبق لوجود النار أثر، حيث قَضي على التشاريع وعلى لعناتها في دار اللعنة، ولكن إن قضي على اللعنة فما للثواب أيضاً يُقضى عليه؟ اللهمَّ إلّا المصالحة على أنه لا ذا ولا ذاك، لا نار قضيةً للفداء ولا جنة حيث لا ثواب.

طلاب إنجيليون: عجباً من العهد العتيق وألف عجب! أن كيف لا يوجد فيه قصة المعاد و يوم الحساب! فهل تعقل شريعة بلا حساب ولا جزاء يوم القيامة؟ على أن اليهود كانوا أحوج إلى التحذير عن يوم الدينونة لتصلُّبهم في الشهوات والماديات أكثر من كل أمّة، فواغوثاه من التوراة إذ خلت عن أهم أصل من أصول الديانات الإلهية، حال أنها تأتي بالبحث عن كل رطب ويابس: عن التواريخ الأُمم وأسماء الأشخاص وما إلى ذلك، مما لا يمتّ بصلة للدعوة الدينية!.

الدكتور بُست: أجل إن أفكار اليهود بالنسبة لجهنم والعذاب غير معلومة وغاية ما يرونه أن هناك أمكنة مكروهة تحت الأرض فيها نسيان وسكوت.

ربي: كلّا: بل إن هناك نصوصاً جليّة عن «شيول» أي الهاوية، وهي محل الأموات وهي معروفة بالعمق (تث ٣٢: ٢٢) و (أيوب ١٧: ١٦) و (مز ٦٩: ١٥) و (اش ٣١: ١٠) (مكا ١: ١٨ و ٢٠: ٣٠)، أبوابها غلقة (ام ١: ١٢) و (اش ٥: ١٤) وهي مظلمة و محلٌّ النسيان (مز ٨٨: ١٢) ولا يأتي إليها الرب الإله (جا ٩: ١٠) وأن الإنسان فيها مستريح (أيوب ٣: ١٣- ٢٠).

إن الهاوية في العهد العتيق كما تُطلق على محل العذاب، كذلك تُطلق على محل الأمن والراحة للمؤمنين العدول إلى أن يتفقّدهم رب العالمين (ايوب ١٤).

الدكتور بست: وبما أن العبرانيين ليس لهم اعتقاد جازم وصريح بالنسبة لقيامة العدول و حياتهم الأبدية، لذلك يعتبرون الهاوية محل قبل النفس دون إحساس ولا حركة ولا رجاء لها، ورغم ذاك فإن الأناجيل فيها ذكريات كثيرة من النار والجحيم!.

المناظر: ومع ذلك كله لم تأت هذه النصوص بشيءٍ إلّا أن هناك أعماقاً مغلقة، ومحالًا للنسيان دون إحساس ولا حركة ولا رجاء، وهي مشتركة بين الأخيار والأشرار، فأين الجنة وأين النار، وأين الحساب في دار القرار؟ أفلا نعجب من العهد العتيق وهو كتاب ضخم فيه أسفار منسوبة إلى أنبياء الله، ثم لا يوجد فيها من هذا الأصل الديني الأصيل إلّا هذه الجملات المجملة أو الباطلة في نفسها، كما يأتي عند البحث عن نظرية القرآن في الحياة بعد الموت!.

و بعدئذٍ لا يحق لبوست أن يندِّد بربي وسائر اليهود وإن كان الجحيم مذكورة في أناجيله بكثرة، لأن جحيم الأناجيل لا تعذِّب إلّا المسيح الفادي لخلاص أهلها وسائر المعذبين، ولكن التوراة لا ذنب لها هنا إلّا عدم ذكرها للجحيم دون أن تعذِّب فيها أنبياء الله تعالى.

تصريحات الإنجيل حول المعاد:

نجد في الأناجيل تعبيرات عن القيامة كالتالي:

هذا كدينونة جهنم (متى ١٢: ٣٢) والنار الأبدية (مت ٢٤: ٤١ و مت ١٨: ٨) والعذاب الأبدي (متى ٢: ٤٦) والهلاك الأبدي (٢ تسالونيكي ١: ٩) ونار لا تطفأ (متى ٣: ١٢ مرقس ٩: ٤٢) أو جهنم حيث الدود لا يموت والنار لا تطفأ (مرقس ٩: ٤٦) وأن دخان عذابهم يصعد إلى دهر الدهور (رؤيا يوحنا ١٤: ١١ و ١٩: ٣) انظر رؤيا يوحنا (٢٠: ١٠) قيامة الدينونة والحياة (يوحنا ٥: ٢٨ و ٢٩) والعالم الآتي (مت ١٢: ٣٢) ويوم الدين (مت ١٢: ٢٧) وأبواب الجحيم (مت ١٦: ١٨) والجزاء (مت ١٦: ٢٧) واليوم الأخير (يوحنا ٦: ٢٩ و ٤٠ و ٥٤)

وقيام الأموات (اتس ٤: ١٦- ١٧) وفي انقضاء العالم يخرج الملائكة ويُفرزون الأشرار من بين الأبرار ويطرحونهم في أتون النار (مت ١٣: ٤٩ و ٥٠) وإنَّ الصالحين أصحاب اليمين يرثون الملكوت المعدّ لهم منذ تأسيس العالم، أصحاب الشمال الملاعين يذهبون إلى النار الأبدية المعدَّة لإبليس وملائكته (مت ٢٥: ٣٤ و ٤١) ولا تضطرب قلوبكم وأنتم مؤمنون بالله فآمنوا بي في آبي منازل كثيرة وإلّا كنتُ قلت لكم أنا ماضٍ لأعدَّ لكم مكاناً (يو ١٤: ١ و ١- ٣) والعصاة يمضون ويطرحون في جهنم النار التي لا تُطفأ حيث دودهم لا يموت والنار لا تُطف (مر ٩: ٤٣- ٤٩) وأن جسدهم يُلقى في جهنم أتون النار الأبدية (مت ٥. ٢٩- ٣٠ و ١٨: ٢٨) و ...

هذا وكما يأتي القول الفصل في نقدها ومقارنتها مع معاد القرآن، وإنني بعد التصفُّح التام في الأناجيل الأربعة لم أجد تصريحات بالنسبة للمعاد إلّا هذه، ودلالات أخرى كبراهين على ثبوت المعاد، ولكنّها مزيّفة، وفي نفس الوقت مناقضة مع تصاريح أُخرى في جهات شتى كما يأتي.

الأسقف: وبهذه التصريحات تمتاز أناجيلنا عن التوراة، فنحن نعتقد أن هناك بعد الموت حياة وعالماً آتياً ودينونة وجزاءً!.

المناظر: كيف يُكتفى بهذا القليل العليل لمعرفة يوم الدين والنشور والحشر وهو من أهم الأصول الدينية، يجب معرفتها حق المعرفة كما يمكن، ليكون الإنسان ـ المتوفِّر عليه بواعث النسيان ـ على حذرٍ بالغ واستعداد للموت قبل حلول الفوات.

الأسقف: لنفرض أن هذا قليل فما هي علّته أن يندِّد بعلته بعد قلّته!.

ديّان الإنجيل هو المسيح مِن دون الله!

المناظر: من ذلك أنه يصرّح أن الديان يوم الدين هو الإبن، بعزل الرّب تبارك وتعالى عن الدينونة، بل وحتى عن استقلاله في إحياء الأموات، كما عزله عن وحدته في الربوبية وغفران الذنوب وما إليهما قبل ذاك.

طالب إنجيلي: أين هذه الأقاويل الزور من الإنجيل؟

المناظر: كما يلعن قانون الرُّسل «سيأتي ليدين الأحياء والأموات» وكذلك القوانين التابعة، ويضيف قانون نيقية، القسطنطينية: «في المجد» (. ٨٦D. انظر. ٤٠، ٥٤، ٢٨٧، ٤٢٩).

وفي (يو: ٥: ٢١ ـ ٢٩) «لأنه كما أن الأب يقيم الأموات ويُحيي كذلك الإبن أيضاً يُحيي من يشاء. لأن الأب لا يدين أحداً بل قد أعطى كلَّ الدينونة للإبن لكي يُكرِمَ الجميعُ الإبن كما يكرمون الآب. إنه تأتي ساعة وهي الآن حين يسمع الأموات صوت ابن الله والسامعون يحيون، لأنه كما أن الأب له حياة في ذاته كذلك أعطى الإبن أيضاً أن تكون له حياة في ذاته. وأعطاه سلطاناً أن يدين أيضاً، لأنه ابن الإنسان. تأتي ساعة فيها يسمع جميع الذين في القبور صوته. فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة، والذين عملوا السِّيئات إلى قيامة الدينونة».

و هذه الآيات تعطي الإحياء ـ يوم القيامة والدينونة والحياة فيه ـ للمسيح، دون أن يكون للّه فيه نصيب، أجل تعطيه ألوهية في اليوم الأخير، ليست للإله الأب أيضاً! سبحانه و تعالى عما يصفون! كل ذلك لا لشيءٍ إلّا لأنه ابن الإنسان!.

و قد تُوافق هذه الآية في الثواب والعقاب آيات أُخرى.[1]

طلاب إنجيليون: ما هي نرية القرآن في الحياة والجزاء بعد الموت؟.

---

١. (يو ٥: ٢٨ ـ ٢٩) و (مت ١٣: ٤٩ ـ ٥٠) في خصوص العذاب وكذا في مر ٩: ٣٤ ـ ٤٩) و (مت ١٨: ٨) (مت ٢٥ و ٣٤ و ٤١)

ديّان القرآن هو الله دون سواه!

المناظر: إن القرآن كما يخصّ الألوهية بشؤونها بالله تعالى وتقدّس، كذلك الإحياء والجزاء بعده، يخصّه به دون شريك، حتى والشفعاء المكرّمون لا يشفعون إلّا بإذنه، أجل، إنه هو المالك يوم الدين كما أنه المالك يوم الدنيا، لا يملك الإحياء والجزاء إلّا هو:

﴿مالك الدين﴾ [حمد. ٤] وقد تكرّرت هذه الجملة في الصلوات الإسلامية ليل نهار.

أجل، ﴿له ما في السّموات والأرض وله الدين واصباً﴾ [نحل. ٥٢] أي خالص الطاعة في الأولى وخالص الجزاء في الأُخرى، إنها له: ولا يشرك فيه أحداً ﴿وما أدراك ما يوم الدين * ثم ما أدراك ما يوم الدين * يوم لا تملك نفس لنفسٍ شيئاً والأمر يومئذ للّه﴾ [انفطار. ١٧-١٩] ﴿ما عليك من حسابهم من شيءٍ وما من حسابك عليهم شيءٍ﴾ [انعام. ٥٢] ﴿ومن يَدْعُ مع الله إلهاً آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه﴾ [مؤمنون. ١١٧] ﴿إنْ حسابهم إلّا على ربي لو تشعرون﴾ [شعراء. ١١٣] ﴿إنَّ إلينا ايابهم * ثم إن علينا حسابهم﴾ [غاشيه. ٢٥-٢٦]. أجل: ﴿ما عليك من حسابهم من شيءٍ﴾ [انعام. ٥٢] ﴿وكفى بالله حسيباً﴾ [أحزاب. ٣٩] وكما أن الدينونة الحساب تخصّه تعالى، كذلك - و بالأحرى الموت والحياة ولا سيما يوم القيامة - فلا يُحيي إلّا هو.

الله هو المحيي لا سواه:

﴿وهو الذي أحياكم ثم يميتكم ثم يُحييكم إن الإنسان لكفور﴾ [حج. ٦٦]، ﴿وإنا لنحن نحيي ونميت ونحن الوارثون﴾ [حجر. ٢٣]، ﴿إنا نحن نُحيي الموتى ونكتب ما قدّموا وآثارهم وكل شيءٍ أحصيناه في إمامٍ مبين﴾ [يس. ١٢].

أجل، إنه هو المحيي والحيّ بالذات ولا أحد غيره: لا المسيح ولا أعظم منه، وله تعني الوجوه استبقاء لحياتهم الفانية: ﴿وعَنت الوجوه للحيّ القيُّوم وقد خاب من

حمل ظلماً﴾ [طه. ١١١] ﴿وتوكّل على الحيّ الذي لا يموت وسبّح بحمده﴾ [الفرقان. ٥٨]، ﴿هو الحيّ لا إله إلّا هو فادعوه مخلصين له الدين﴾ [غافر. ٦٥].

الأسقف: وهذا كتابكم فيه تصريحات أُخرى أن المسيح كان يُحيي الموتى فكيف تنكرون؟

المناظر: أجل، ولكنها إحياءٌ بإذن الله دلالة على نبوّة المسيح، ولا نبوّة في اليوم الأخير حتى يكون هناك إعجاز إحياءٍ أو سواه، والقرآن إذ يصرّح أن المسيح أُعطي خارقة الإحياء دلالة على نبوّته، يربط ذلك بإذن الله دون مشيئة مستقلة للمسيح ليُحيي من يشاء! ـ رغم الإنجيل ـ: ﴿و رسولًا إلى بني إسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله ... وأنبئكم بما تأكلون وما تدّخرون في بيوتكم إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين﴾ [آل عمران. ٤٩].

حيث تنسب صياغة هيئة الطير فيه إلى المسيح، ثم تكوّنه طيراً ينسبه إلى الله ﴿فيكون طيراً بإذن الله﴾ فليس الإحياء فعلَ المسيح وإنما يُجريه الربُّ تبارك وتعالى في مجرى فعل المسيح ليدلّ على أنه رسوله الذي اصطفاه، ذلك وكما في إبراهيم﵇ ﴿و إذ قال إبراهيم ربِّ أرني كيف تُحيي الموتى قال أو لَم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصُرهنّ إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً ثم ادعهنّ يأتينك سعياً واعلم أن الله عزيزٌ حكيم﴾ [بقره. ٢٦٠].

فالمسيح تجري على يديه عملية الإحياء بإذن الله، ولا نعلم أنه عُلّم حينذاك ملوت الإحياء وحقيقته أم لا؟ لكن إبراهيم أحيى بإذن ربّه فأراه الله كيفيةً من الإحياء وحقيقته ﴿أرني كيف تحيي الموتى﴾ وقد استجاب له ربّه في إراءته كيفيةً من الإحياء دون أصل الإحياء فحسب، حيث لم يكن ليشكّ فيه: ﴿وكذلك نُري إبراهيم ملكوت السّموات والأرض وليكون من الموقنين﴾ [انعام. ٧٥].

وكيفما كان فالقرآن لا يعتبر الإحياء وما إليه من أفعال الله تعالى، لا يعدّها فعلًا لغيره، حتى في ظرف الإعجاز، وإنما يربطها بإذنه وإرادته تعالى، ولا تفترق المعجزات الخارقة للعادة عن غيرها من أفعال الله تعالى إلّا في أنها تجري على أيدي أنبيائه في ظاهر الحال دلالة على رسالتهم الإلهية.

الطلاب الإنجيليون: ثم مَه: هات يا أُستاذ ما تراه عليًّا من تصاريح الإنجيل حول المعاد، للمقارنة.

دينونة الحياة الإنجيلية:

المناظر: الآيات المشار إليها سابقاً من تصريحات الإنجيل حول المعاد، طالما تُكرِّر دينونة جهنم والنار الأبدية وأبواب الجحيم دون تفصيل في ذلك، وحيثما تصِل إلى الصالحين لا تذكر لهم إلّا قيامة الحياة: أي الحياة المرضية، في جنب دينونة الجزاء: أي العذاب للعاصين، فلا تذكر قيامة الحياة إلّا في آيتين أو ثلاث: «فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة» (يو ٥: ٢٩).

ولعلّ مقابلة قيامة الحياة بقيامة الدينونة تأتي شاهدة على أن العاصين يُقضى عليهم في جحيم النار فيموتون، ولكنّ الصالحين يُخلدون في الحياة، وشاهداً عليه النص التالي:

«وأما من جهة قيامة الأموات أفما قرأتم ما قيل لكم من قِبَل الله القائل: أنا إله إبراهيم وإله أسحق وإله يعقوب ليس إله أموات بله إله أحياء» (مت ٢٢: ٣٢).

وهذا أيضاً لا يرتضيه القرآن حيث يعتبر الحياة السعيدة والشقيه في القيامة ـ يعتبر كلتيهما ـ حياةً خالدةً ﴿ذلك يوم الخلود﴾ [ق: ٣٤] ﴿لا يُقضى عليهم فيموتوا﴾ [فاطر: ٣٦] مهما اختلف خلود عن خلود.

الجنة الإنجيلية خلوٌ من اللذات الجسمانية ـ نكاحاً و ... ـ:

والإنجيل بعد أن يفصّل نعيم الحياة الخالدة للصالحين، يستلبهم ألذّ مشتهياتها المادية، مثل لذة النكاح وكما يقول: «و في ذلك اليوم جاء إله صدوقيون الذين يقولون ليس قيامة فسألوه قائلين: يا معلم! قال موسى: إن مات أحد وليس له أولاد يتزوّج أخوه بامرأته ويقيم نسلًا لأخيه. فكان عندنا سبعة إخوة وتزوّج الأوّل ومات. وإذ لم يكن له نسل ترك إمرأته لأخيه. وكذلك الثاني والثالث إلى السبعة. وآخر الكل ماتت المرأة أيضاً.

ففي القيامة لِمَن من السبعة تكون زوجة؟ فإنها كانت للجميع. فأجاب يسوع وقال لهم:

«تضلون إذ لا تعرفون الكتب ولا قوّة الله، لأنهم في القيامة لا يزوّجون ولا يتزوجون، بل يكونون كملائكة الله في السماء» (مت ٢٢: ٢٣– ٣٠) و (مر ١٢: ٢٤– ٢٥).

ويقول: وأبناء هذا الدهر يزوّجون ويتزوجون ولكن الذين حسبوا أهلًا للحصول على ذلك الدهر والقيامة من الأموات لا يزوّجون ولا يتزوجون، إذ لا يستطيعون أن يموتوا أيضاً، لأنهم مثل الملائكة وهم أبناء الله إذ هم أبناء القيامة (لو ٢٠: ٢٤ و ٢٧).

أفلا تنفي هذه الآيات لذّة النكاح في القيامة ـ بل وزيادة: هي جميع اللذات البدنية المادية ـ فكأن الإنجيل لا يرى المعاد إلّا روحياً فلا حشر للأجساد، ثم هل أنَّ جحيم النار تحرق الروح؟ كيف والروح لا تحترق بالمحرقات المادية! ثم إذا كان الصالحون يوم القيامة كملائكة الله ـ لا يزوّجون ولا يتزوجون ولا تنالهم الخيرات البدنية إطلاقاً ـ أفليس هذا حرماناً لهم من قسم كبير من اللذات وإن كانت لهم لذت روحيّة كائنة ما كانت؟ أليس هذا ظلماً عليهم ألّا يثابوا بالأعمال الصالحة البدنية؟

ثم تعليل نفي الزواج عنهم أنهم لا يستطيعون أن يموتوا أيضاً ـ تعليلٌ عليلٌ في الغاية ـ حيث الزواج لا ينافي الحياة الأبدية!

... إذاً فما هو وجه التعليل لعدم الزواج في القيامة بأن القائمين من الموت لا يستطيعون أن يموتوا أيضاً؟ وما وجه الحجة في ذلك؟ أفيمتنع الزواج عقلًا أو عادة لمن لا يموت من نوع الإنسان؟

ثم ما معنى نسبة الموت إلى استطاعتهم؟ فهل إنهم كانوا مخيّرين في الموت والحياة قبل الزواج حتى يصيروا مسيّرين للموت لعلة الزواج؟

وأخيراً ما معنى كونهم مثل الملائكة؟ ألحياتهم الروحية المجرَّدة عن هذه الأجسام الناسوتية؟ فهذا إنكار للمعاد والجزاء الجسمانيين، ثم ما معنى كون أبناء القيامة أبناء الله؟

هل الجزاء يوم الدينونة روحيٌ أم وجسماني أيضاً؟:

فيلسوف إنجيلي: أجل فإننا أن البدن لا يحشر بنفسه لا لذةً ولا ألماً ـ وإنما المدرك هنا وهناك هو الروح ليس إلَّا ـ إذاً فالإلتذاذات الروحية فيها جزاء وما عمله الإنسان من خير، بجارحة أم بجانحة، بعقليته أم ببدنه، فلا ظلم ولا انتقاص.

لوديغ أوث: فنار جهنم هذه فهمها بعض الآباء مثل أوريجانس والقديس غريغوريوس نيصص كما وبعض علماء اللاهوت الحديثين مثل امبروسيوس كترين (catharin) وموهلر (J. A. Mohler) ... وكلي (klee) ـ بالمعنى المجازي ـ: على أنها صورة لعذابات محض روحية ولا سيما لتحسّ الضمير.

إن هذا الرأي لم تتنكر له السلطة التعليمية الكنسية، إلّا أن معظم الآباء والمدرِّسين وعلماء اللاهوت يقولون بنار فيزيقية تختلف كل الإختلاف عن النار العادية، والقديس توما على مثال القديس أوغسطينوس والقديس غريغوريوس الكبير يفسِّر مفعول النار الفيزيقية على كائنات محض روحية بأنه رباط يشد

الأرواح إلى النار المادية التي هي آلة بيد عدالة الله المنتقم، وهكذا تخضع الأرواح للمادة التي تحد من حركتها، وبخصوص إعلان صادر من مجمع التوبة بتاريخ ٣٠ نيسان ١٨٩٠ في شأن نار جهنم.[1]

المناظر: إن اللذات وكذا الآلام التي تحسّها الروح على نوعين:

١- روحية معنوية تدركها الروح بلا أية واسطة من الوسائط البدنية ـ كالعلم والجهل والرضا والغضب وما إليها ـ.

٢- جسمية تدركها الروح بواسطة الجسم ـ كالجوع والشبع والمرض والصحة وما إليها ـ وليس للروح درك هذه الطائفة من الآلام واللذات إلّا بواسطة الجسم، فبالنظر إلى أن الفرائض والمحرّمات ذات نوعين: ١- روحية عقلية، ٢- و بدنية جسمية، حينذاك لا بد أن يُجزى الإنسان بما عمل وعقل من فعل واجب أو ترك محظور- جزاءً وفاقاً- فإبطال الناحية البدنية من الثواب والعقاب إبطال لقسم عظيم من جزاء الأعمال .. إذاً فمفعول النار الفيزيقية ليس إلّا عذاباً فيزيقياً جسمانياً، جزاءً وفاقاً على الإجرامات الفيزيقية.

و هذه من البراهين العقلية لإثبات المعاد الجسماني، ولا سبيل لأية شبهة إليها لمن ألقى السمع وهو شهيد.

و هناك شهود صدق لهذا الجزاء الوفاق من آي الذكر الحكيم وإليكم نموذجاً منها:

﴿فاليوم لا تظلم نفس شيئاً ولا تجزون إلا ما كنتم تعملون﴾ [يس. ٥٤] ﴿والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون﴾ [نساء. ٧٧] ﴿ولا يُظلمون فتيلًا﴾ [نساء. ٤٩ / اسراء. ٧١] .. ﴿جزاءً وفاقاً﴾ [نبأ. ٢٦].

حيث الجزاء الروحي ـ دون البدني ـ هذا جزاء غير وفاق، وترك لأحد الشريكين وظلمٌ به واعتداءٌ عليه: ﴿وأن الله ليس بظلّامٍ للعبيد﴾ [آل‌عمران. ١٨٢].

١. في كتابه مختصر في اللاهوت العقائدي ج ٢ ص ١٤٨

الأسقف: قد يمكن جزاء الأعمال البدنية عقاباً وثواباً، أن يتجه إلى الروح دون وساطة للبدن، بل إن الروح هو الأصل في إدراك الجزاء فلا ظلم.

المناظر: أجل، إنه لا يدرك الجزاء إلّا الروح، إلّا أن جزاءه الوفاق بالنسبة للأعمال البدنية لا يتيسر إلّا باتجاه الجزاء إلى البدن، وإن كان المدرك هو الروح على أية حال.

فمن ترك الزنا وسائر المحارم المادية، ليس جزاءه الوفاق إلّا لذّة النكاح في الآخرة، و هذه لا تحصل للروح أن تدركها إلّا باتجاه اللذة إلى البدن نكاحاً، ولا يتصور نكاح روحي يجزى هكذا دون تدخُّلٍ للجسم ..

* * *

حجج الإنجيل للمعاد

١- في (لو ٢٠: ٣٧- ٣٨) عن قول المسيح في الإحتجاج على الصدوقيين المنكرين للمعاد: «و أما أن الموتى يقومون فقد دلّ عليه موسى في أمر العلّيقة كما يقول الرب إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب. وليس هو إله أموات بل إله أحياء، لأن الجميع عنده» مثله في (مر ١٢: ٢٦- ٢٧) وكذا في (مت ٢٢: ٣١- ٣٢ وفي ٣٣: ٣٤ منه): «فلما سمع الجموع بهتوا من تعليمه .. وأنه أبكم الصدوقيين بهذه الحجة الدامغة». ... ! ! ! !

فيا للجموع كيف بهتوا من هذا التعليل العليل، إلّا لعلّته! ويا للصدوقيين كيف أبكموا بها إلّا الانقطاع رجائهم عن حجته!.

فما هي الحجة في أن الله إله الأحياء لا الأموات، على أنه يحيي الأموات؟ وفي كون الجميع عنده أحياءً ـ و قد اعتبر دليلًا على أنه إله الأحياء ـ إنكارٌ لأصل الموت إطلاقاً، قضيةً لإطلاق ألوهيته على الكون أجمع، إذاً فلا عود إذ لا موت، وحينذاك فالبرهان ـ على وهنه ـ لا يثبت قيام الموتى، بل إنما يثبت عدم الموت من أصله.

الأسقف: إنما يريد بكون الإله إله الأحياء لا الأموات أنّ تجلّي ألوهيته بالنسبة لعباده، إنما هو إذا هم أحياء وليس هذا إلّا في الحياة الآخرة.

المناظر: لا نفهم من لغة الإله إلّا معنى المعبود الذي أَلِهَ وتحير فيه الخلق، والأحياء والأموات على سواء في أنه إلههم وعليهم أن يخضعوا له طوعاً أو كرهاً، فسواءٌ أكان بعد الموت وقبل القيامة حياة، كما في تصريحات القرآن والإنجيل:

(الحياء البرزخية) أو لم يكن، فالله إله الجميع، يعبده الأموات في الحياة البرزخية عبادة عن إدراك، أو يعبدونه ـ لولا البرزخ ـ دون إدراك عبادة وخضوعاً

تكوينياً، فبيده ناصية كل شيءٍ ولا يعزب عن علمه وعن قيوميته أي شيءٍ! أجل إنه إله العالمين أحياءً وأمواتاً كما في: (مز ١٤٧: ١٢) «إنه إله صهيون» مع أن صهيون جماد! «و إله الآلهة» (مز ٥٠: ١) وهي أصنام غير شاعرة «و إله السماء» (دانيال ٢: ١٨-١٩) و (رؤ ١١: ١٣).

ثم على فرض التسليم: أن تجلي ألوهيته يختص بحال الحياة، فما هي الحجة على اختصاص كونها الحياة الآخرة، فهل تنكر نعمه ورحماته الواسعة علينا في الحياة الدنيا؟

و أخيراً فإن الأموات أحياءٌ بالحياة البرزخية بعد الموت، وإلّا كذب قوله في نفس الآية «أنا إله إبراهيم وإله أسحق وإله يعقوب وليس هو إله أموات بل إله أحياء، لأن الجميع عنده أحياء» فلو لم يكونوا هؤلاء الأنبياء العظام أحياءً إذا صدرت هذه المقالة، لتناقض صدر الآية وذيلها، فليكونوا أحياء بحياةٍ مّا، وليست إذ ذاك إلّا برزخية، حيث المعاد لم يتحقق بعد، فهذه الحجّة تثبت أن الموت ليس فناءً، بل إن معه حياةً لا محالة، ومما لا يريبه شك أن الحياة البرزخية لا تستلزم الحياة الآخرة وقيام الموتى عندهما!!!! فالحقُّ أن هناك تحريفاً في نقل هذا الإحتجاج، وقد ينقله برنابا الحواري عنه عليه السلام بأتقن ما يكون كما يأتي عند استعراض الدليل عن برنابا على المعاد الجسماني (برنابا ١٧٤: ١-١١) ...

فيا لمؤلف الإنجيل ما أجهله في نسق البرهان، ثمّ ما أشنعه في نسبته إلى المسيح عليه السلام.

٢- في (١- كورنتوس ١: ١٢- ٣٣) يذكر احتجاج بولس للقيامة بقيام المسيح من الأموات، وبأن بولس تحمّل المتاعب في أفسس، ولولا القيامة لما فعل ذلك.

فيا لهذه الحجّة من سخافة وسقوط! فكيف يستدل على القيامة بما هو غير ثابت في نفسه: قيام المسيح من الأموات، بل مزيف في نفس الوقت بتصريحات الإنجيل والقرآن وقد سلفت.

ثم على تسليمه فما هي الملازمة بين رجوع المسيح إلى الحياة الدنيا ورجوعه وسائر الناس للحياة الآخرة، اللهمّ إلاّ شهادة منه، لإمكانية الحشر.

وأخيراً ما هي الصلة بين تحمّل بولص المتاعب في أفسس وبين القيامة؟ حال أن هناك كثيرين من الضالين يتحملون مصائب هي أشد من مصائبه وهم يكذبون بيوم الدين.

المعاد فى نظر القرآن

دفع مختلف الشبهات حول المعاد على ضوء الذكر الحكيم

مختلف الآراء حول المعاد:

الفيلسوف الإنجيلي: أجل إلاّ أن في المعاد الجسماني شبهات حار فيها علماء الدين الكتابي «أهل الملل الثلاث» وحسماً لمادة هذه الشبهات العضال نرى جمّاً غفيراً من فلاسفة الإسلام لا يعتقدون إلاّ في المعاد الروحاني، وقليل منهم يرون عود الجسم بصورته دون مادته، وأن الروح يعود إلى الصور النوعية للجسم دون البدن الأول بمادته وصورته، وآخرون يرون تعلق الروح ببدن آخر غير بدنه.

و هذه الخلافات العجيبة ليست إلاّ من جرّاء الشبهات العضال حول عود الجسم في المعاد بمادته وصورته!.

إذ ذاك فما علينا لو نعتقد المعاد روحيّاً، ذوداً عن ساحة كتب الوحي ما يخالف بديهة العقل والحسّ[١]!

المناظر: المعاد الذي ينطق به آي الذكر الحكيم لا ترد عليه أية شبهة، وهنالك آيات بينات تدلنا على كيفية العود في القيامة، وتبرهن لنا ببراهين فطرية وعقلية وحسيِّة:

١. سوف نذكر الشبهات حول المعاد الجسماني وأجوبتها ضمن البحوث إن شاء الله تعالى.

إمكان العود هكذا ولزومه.

حقاً أقول: إن الذين انحرفوا عن المعاد الجسماني من علماء الإسلام وغيرهم، هؤلاء لم يعطوا النظر حقه في الآي التي لها صلة ودلالة على المعاد، الذي يحق أن يعتقده من يعتنق شريعة القرآن ...

فهناك إذ نيأس من ذكر تفاصيل أُخرى من العهدين حول المعاد، ننتقل بنظرة شاملة قاسطة، إلى القرآن، ما هي نظريته بالنسبة لهذا الأصل الديني العريق؟

القرآن والمعاد: في بحوث

١- الموت والبرزخ:

الفيلسوف: ما هي نظرية القرآن في الموت والحياة بعده؟

المناظر: هناك تصريحات كثيرة تدلنا على أن الموت ليس إلّا انفصال الروح مع القالب المثالي عن البدن الناسوتي الدنيوي، إذاً فما هو إلا توسعاً في الحياة، حياة هي برزخ بين الحياتين: «الدنيا والآخرة» وفي البرزخ جنة ونار برزخيتين هما محل لأهلهما صالحاً وطالحاً.

نقد وتحصيل للحياة البرزخية:

جرجس صال الانكليزي:[1] أجل إنه «قد بني اعتقاد المسلمين على ذلك بسؤال القبر، على ما لمح إليه القرآن [انفال، ٥٠] و[محمد، ٢٧]، تلميحاً بيِّناً، ويزعمون أنه إذا لحد جسد الميت تلقاه في القبر ملاك، وأعلمه بمجيء منكر ونكير وهما ملكان أسودان هائلا المنظر، فاذا أتيا الميت أمراه فجلس ثم سألاه عن إيمانه بالتوحيد ومبعث محمد، فإن أجاب بالصواب تركاه

١. ص ١٥١ في كتابه مقالة في الإسلام.

وشـأنه منتعشـاً بنعـيم الجنّـة... و إلا ضـربا صـدغيه بمقمعـة مـن حديـد فيصـيح مـن الوجـع صـياحاً عاليـاً تسـمعه الخلائـق كافـة إلا الثقلـين، لـذلك يحرصـون علـى جعـل قبـورهم جوّفـاً ليسـهل علـيهم الجلـوس فيهـا إذا أتـى منكـر ونكيـر لسؤالهم.

ولا شك أن محمداً أخذه هذه التصورات عن اليهـود حيث كـانوا يزعمـون أن ملك الموت إذا أتى القبر وجلس عليه عادت رح الميت إلى جسده، وانتصب علـى قدميه، فيأخذ الملك في سؤاله ويضربه بسلسلة نصفها من حديـد و نصـفها الآخـر نار فترتخي و تنحل أعضاءه لأول ضـربة، وتنخلـع عظامـه للثانيـة، وتتفـرق فتجمـع شملها طائفة مـن الملائكـة- و تضـم بعضـها إلـى بعـض وينقلـب الجسـد للضـربة الثالثة تراباً ورماداً فيعود إلى قبره. وهو العذاب يقال له بلغتهم «هِبّوت هِبِّقيـر» أي ضرب القبر. ويزعمون أنه لا بد لكل انسان أن يذوقـه إلا مـن مـات ليلـة السـبت أو سكن أرض اسرائيل».

دفع وهم و فرية:

المناظر: إن أقاويل هذا الكتاب الانكليزي مبنية على دعامتين:

١- تلميح القرآن إلى سؤال القبر في آيتين.

٢- زعم المسلمين ان الميت يحيى ببدنه في قبره للسؤال.

إلا أن ما يظنه تلميحاً لسؤال القبر في الآيتين رميٌ لغير مرماه، فانهما إنما تـدلا علـى أن الملائكـة تتـوفى الكفـار حـين مـوتهم ويضـربون وجـوههم وأدبـارهم ويأمرونهم أن يذوقوا عذاب الحريق، وكمـا يقـول: ﴿ولـوترى إذ يتـوفى الـذين كفـروا الملائكة يضـربون وجـوههم وأدبـارهم وذوقـوا عـذاب الحريـق﴾ [انفال. ٥٠] ﴿فكيـف إذا توفتهم الملائكة يضربون وجوهم وأدبارهم﴾ [محمد. ٢٧].

فالآيتان هما من أدلة عذاب القبر، فلا تمتان بصلة لما يهواه جرجس صال منهما: سؤال القبر!

وأما ما يعتبره من مزعومات المسلمين ـ غير المعتزلة منهم ـ من الجلوس في القبر للسؤال، ولذلك يحرصون على جعل قبورهم جوًّفاً ليسهل عليهم الجلوس فيها عند السؤال ... ثم يستنتج أن ذلك كله أخذه محمد عن اليهود! فهذه كلها فرية بيّنة علينا نحن المسلمين وعلى رسولنا الأعظمﷺ أن يلزم أمته الإعتناق بأمر يكذِّبه الحسُّ، وهو الرجوع إلى الحياة الدنيا في القبر، فهذه الأضحوكة لا يصدقها القرآن ولا حديث صحيح إلا شذاذ ضعاف مجهولة أو مؤولة من الروايات التي أظنها من الإسرائيليات، وسوف نوافيكم في نبإها الفصل.

الفيلسوف: أليس هذا إذاً انكاراً للحياة البرزخية التى تزعمونها أنها أوسع و أتم من الحياة الدنيا!

حادثة الموت:

المناظر: كلا ـ فإنها تختلف عن الحياة الدنيا في جهات: من أهمها تعلّق الروح فيها بالبدن البرزخي والقالب المثالي، وهو برزخ بين حالتي البدن الناسوتي وفي الدنيا والآخرة، كما أن حياة البرزخ وسط بينهما في جهات، فالأحياء في البرزخ لا يراهم الأحياء في الدنيا لاختلاف البدنين والبصرين والنشأتين- كاليقظان والنائم- فإن أحدهما لا يرى الآخر في أفعاله ولا يسمع أقواله.

الفيلسوف: حاصل دعواكم أن الحياة في البرزخ لا تمتُّ بِصلةٍ للبدن الناسوتي الذي فارقته الروح ـ إذاً فالسؤال إن كان ـ والجزاء بالأعمال ـ كل ذاك متجهٌ إلى غير هذا البدن ـ فكيف نصدّق ما لا يناله الحسّ؟.

المناظر: كما صدَّقتم المسيح في أنه يوحى إليه من ربه، وأن من وحيه الحياة يوم الجزاء ومن ومن ... كذلك نحن نصدِّق رسولنا الأعظمﷺ، إذ يخبرنا بالوحي أن

هناك حياةً واسعة بعد الموت، ثمَّ حياةً أوسع من الحياتين يوم القيامة وهي حياة الخلود.

فدار البرزخ دار جزاء موقَّت حتى يوم القيامة الكبرى ليُجزى فيها كل نفْسٍ بما تسعى جزاءه الأوفى.

الإنجيل والبرزخ:

الجمعية الرسولية الاميركية:[١] هب أن الحياة البرزخية تصح في نظر الإسلام، ولكن الديانة المسيحية منزَّهة عن هذه الخرافات، فليس عندهم برزخ!

المناظر: هاه! كيف تضل جماعة هكذا، رغم ادعائها أنها ممثلة للناحية الروحية الإنجيلية، ورغم تصريحات الانجيل للحياة البرزخية كما يلي:

١- من ذلك قصتهم المشهورة في قيام المسيح من دار الأموات بعد أن حاج فيها مع الشياطين ودخل جحيم النار وذاق العذاب بالجسد البشري بدلًا عن أُمّته كما يقول (اب ٣: ١٨- ١٩). إن: «المسيح تألم مماتاً في الجسد ولكنه يحى في الروح الذي به أيضاً ذهب فكرز للأرواح التي في السجن إذ عصت قديماً».

وفيه إشارة إلى الأرواح الخبيثة في البرزخ.

٢- احتجاج مسيح الإنجيل على الصّدوقيين لإثبات المعاد، أن الله إله الأحياء بالمعنى الأخير كما مضى: أي الحياة البرزخية.

٣- «إن الأموات في المسيح سيقومون ونحن الأحياء الباقون سنتخطّف جميعاً معهم في السجن لملاقاة الربّ، وهكذا نكون مع الربّ في كل حين» (اتس ٤: ١٦- ١٧) حيث يصرح بولس هنا أننا ـ يعني: هو وأصحابه ـ أحياء ـ أي لا نموت موت الفناء المطلق- معطلًا فيه الإدراك والحسّ.

---

١. في كتاب الهداية، ج ٢، ص ٢٠٥، س ٦.

٤- و من قول المسيح: «أنه نأتي ساعة فيها يسمع جميع الذين في القبور صوته «المسيح» فيخرج الصالحون إلى قيامة الحياة والطّالحون إلى قيامة الدينونة» (يو ٥: ٢٨- ٢٩).

٥- «لا نَرْقدُ كلُّنا «لا نموت» ولكنّا كلنا نتغيَّر في لحظة في طرفة عين عند البوق الأخير، فانه سيبوق فينام الأموات عديمي فساد ونحن نتغيَّر» (اكو ١: ٥١- ٥٢).

٦- و من ذلك قصّة إبراهيم ولعازر والغني كما في (لو ١: ١٩- ٣١):

«مات إنسان فقير مبتلى فحملته الملائكة إلى حضن ابراهيم. ومات غني فدغن، فرفع عينه في الهاوية وهو في العذاب، ورأي إبراهيم من بعيد ولعازر في حضنه. فنادى يا إبراهيم إرحمني! وأرسل لعازر ليبلّ طرف اصبعه بماء ويبرد لساني، لأني معذّب في هذا اللهيب. فقال إبراهيم يا إبني! أذكر أنك استوفيت خيراتك في حياتك وكذا لعازر البلايا، و الآن هو يتعزى وأنت الغني تتعذب وفوق هذا كلّه أن بيننا وبينكم هوّة عظيمة لا يقدر من يريد العبور أن يجوزها. فقال: أسألك إذا يا أبتِ أن ترسله إلى بيت أبي، لأن لي خمسة إخوة حتى يشهد لهم، لكيلا يأتو هم أيضاً إلى موضع العذاب، فقال له إبراهيم: عندهم موسى والأنبياء ليسعوا منهم، فقال: إذا مضى إليهم واحدٌ من الأموات يتوبون، فقال: إن كانوا لا يسمعون من موسى والأنبياء فلا يصدّقون وإن قام واحد من الأموات».

فهذه الآيات -مع الغض عن صخافة تعليلها في عذاب الغني لا الشيء إلّا لغناه، والرحمة على الفقير لابتلائه بالفقر- تدلنا في تصريحات: على الحياة البرزخية، إذاً فكيف تجرؤ الجمعية الرسوله الفاضلة! أن تعتبر الحياة البرزخية خرافة، والديانة المسيحية منزّهة عنها! أللهم إلّا أن يزيِّفوا الأناجيل ولا يعتبروها إلهامية، وذلك ما كنا نبغ! أو أنهم غفلوا عن هذه التصريحات رغم أنهم من علماء الإنجيل.

الأسقف: أجل وإنها لحق مثل ما أنكم تنطقون، فما هي نظرية القرآن في الحياة البرزخية ولكي نقارن بينها وبين تصريحات الإنجيل؟.

المناظر: لا صِلة بين النظرين إلّا في أصل الحياة البرزخية بعد الموت وليس في الإنجيل تفصيل.

* * *

البرزخ في نظر القرآن

مثالًا حسيّاً ونموذجاً ظاهراً للحياة البرزخية ـ الموت ـ:

وقد يمثل لنا القرآن مثال الموت بالمنام، وأنهما أخوان في ناحية،- يختلفان في أخرى في تصريحين:

١- ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمّى إنّ في ذلك لآياتٍ لقوم يتفكرون﴾ [زمر، ٤٢].

٢- ﴿وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليُقضى أجل مسمّى ثم إليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون﴾ [انعام، ٦٠].

فالآياتان تعتبران الموت كالمنام في أن الروح كما لا تموت بالمنام كذلك لا تموت بالموت.

ومن الفرق بينهما: أن الله يتوفى الروح عند الموت ولا يرجعه إلى بدنه حتى القيامة، يرجعه إليه للنائم عند اليقظة.

الفيلسوف: أتقولون أن النائم كالميت بلا روح وإنما روح وإنما الفرق بسرعة رجوع الروح وبُطئه؟

المناظر: كلا وإنما الوجه في التشبيه هنا: انعزال الروح عن البدن في الصورتين بوجه ما، لكنه في الموت انعزال كلّي كيفاً وزماناً.

في المنام ينعزل من حيث الأفعال الإختيارية عن البدن ويبقى سلطانه فيه من الناحية الأخرى وهي الأفعال غير الإختياريةمن النموّ وجريان الدم وهضم الغذاء وما إليها ـ، وبتعبير آخر: إن للروح سُلطة على البدن في حياته النباتية والحيوانية والعقلية فتنعزل هذه السلطات في النواحي الإختيارية من الأخيرتين، فانقطاع الروح حالة المنام إنقطاعٌ برزخي، لا إطلاقي بتّي فالروح الإنساني يخرج عن البدن حتى اليقظة، ثم الروح الحيواني باقٍ فيه.

أجل، و: ﴿إن في ذلك لآيات لقوم يتفكّرون﴾ [زمر، ٤٢] ومن هذه الآيات ما يلي:

١- إن النوم آية حسّية متكررة ليل نهار للحياة بعد الموت، لكي لا يستبعدها أحدٌ حينما يسمع آيات البرزخ، فإن هناك حياةً كما هنا، إلّا أن البدن غير البدن، كما أن البدن الذي يطير به الروح في الرؤيا غير الذي أخذ سكَنه ومضجعه.

٢- برزخ النوم بين القيظة والموت آيةٌ للبرزخ في الحياة بعد الموت بين الدنيا والآخرة.

٣- اليقظة بعد النوم آية أن الناس نيام فإذا ماتوا إنتبهوا.

٤- آية للرحمة الإلهية تقطع عن الإنسان معاذيره لكي لا يقول إذا جاءه الموت:

﴿ربِّ ارجعونِ لعلّي أعمل صالحاً فيما تركت﴾ [مؤمنون، ٩٩ - ١٠٠].

٥- وإرسال النفس بعد توفّيها في المنام شاهد صدق لإرسالها إلى قالب آخر بعد الموت، ثم إلى قالبه الأول يوم القيامة.

وإننا نلمس من كلمة الإمساك ﴿فيُمسك التي قضى عليها الموت﴾ [زمر، ٤٢] ... أن هناك تجاذباً بين الروحين المتداخلتين في الإنسان: «الحيوانية، والعقلية الإنسانية»، فلولا إمساك الثانية حين موت النائم لانتقلت إلى الأولى حيث هي،

واستدامت حياتها الدنيوية بعد انقضاء راحة البدن، ولكنَّ الله يُمسكها للموت حيث قضى عليها به، فينعكس أمر الإنجذاب، فتنجذب النفس الحيوانية إلى النفس الإنسانية التي توفاها الله تعالى في المنام، فيكمل الموت بخروج الروح عن البدن إطلاقاً وبتّةً.

ومن الشاهد المؤيد لهذا الإستيناس ما رواه العياشي بالاسناد عن أبي جعفر عليه السلام قال:

ما مِن عبدٍ نام إلّا عَرَجت نفسه إلى السماء وبقيت روحُه في بدنه وصار بينهما سبب كشعاع الشمس، فاذا أذن الله قبض الأرواح أجابت الروحُ النفسَ، وإن أذن الله في ردّ الروح أجابت النفسُ الروحَ، وهو قوله سبحانه: ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها ...﴾ - فما رأيت في ملكوت السموات فهو مما له تأويل، وما رأته بين السماء والأرض فهو ما يخيِّله الشيطان وليس له تأويل.[1]

الفيلسوف: إن هناك طوائف من المسلمين لا يصدّقون الحياة البرزخية، فأيٌّ الفريقين أحقٌّ بالتصديق؟.

آيات الحياة البرزخية

جنان البرزخ:

المناظر: إنهم من يصدقهم القرآن كما في تصريحات وفيرة تدلنا على الحياة بعد الموت بلا فصل وكما يقول: ﴿ولا تقولوا لمن يُقتل في سبيل الله أمواتاً بل أحياءٌ لكن لا تشعرون﴾ [بقره، ١٥٤]، ﴿ولا تحسبنّ الذين قُتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياءٌ عند ربهم يُرزقون * فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم مِن خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون * يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع

---

١. البرهان، ج ٤، ص ٣٧، والمقصود من الروح الباقي في البدن هو الحيواني والنفس العارجة نحو السماء هي الإنسانية.

أجر المؤمنين ۞ فانقلبوا بنعمة من الله وفضلٍ لم يمسسهم سوء واتّبعوا رضوان الله والله ذو فضلٍ عظيم﴾ [آل عمران، ١٦٩- ١٧١، ١٧٤].

والآيتان إنما تذكران حياة الشهداء في سبيل الله، حيث هما في مقام التحريض على التضحية في سبيل الحق، فلا تنافيان أو تَنفيان الحياة البرزخية عن غير الشهداء، وهنا أيضاً آيات كثيرة تدلنا على عموم الحياة البرزخية لكل أحد شهيد وغيره، سعيد وشقي ...

وليست الحياة المرضية الموعودة للشهداء حياة الذكر بين الناس فحسب، حيث يقول: ﴿ولكن لا تشعرون﴾ فإن حياة الذكر وكذا مماته مما يشعره كل أحدٍ، ثم لو لم يكن الشهيد حياً بعد موته فماذا تفيده حياة الذكر وهو لا يشعرها لفنائه، فالآية تثبت حياةً بعد الموت لا يشعرها الأحياء، ويشعر ويلتذ بها من مات في سبيل الله، وأين ذلك من حياة الذكر التي يشعرها كل أحد إلا الميت لو لم تكن له حياة!.

أجل إنها حياة حقيقية كما تصفها الآيتان وما إليهما فيما يلي:

حياة السعداء في البرزخ:

السعداء من أهل البرزخ ﴿يستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم ألّا خوف عليهم ولا هم يحزنون. يستبشرون بنعمة﴾ - هناك - ﴿من الله وفضلٍ لم يمسسهم سوء﴾ وهم مرزوقون بعد الموت عند ربهم، فهؤلاء السعداء يدخلون جنة البرزخ بعد موتهم بإكرام وغفران: ﴿الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون﴾ [نحل، ٣٢]، ﴿قيل ادخل الجنة قال يا ليت قومي يعلمون. بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين﴾ [ياسين، ٢٦- ٢٧].

خوطب بهذه الآية حبيب النجار، الرجل الذي جاء من اقصى المدينة يسعى ﴿قال يا قوم اتبعوا المرسلين﴾ فقتله قومه، وإذ ذاك قيل له ﴿أدخل الجنة ...﴾ وليست هي جنة

الخلد، لأنها لا يدخلها أحد قبل يوم القيامة، بل هي ﴿جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب إنه كان وعده مأتياً * لا يسمعون فيها لغواً إلا سلاماً ولهم رزقهم فيها بكرة وعشياً﴾ [مريم، ٦١ - ٦٢]، وليس في جنة الخلد غدوٌ وعشي، ولا يختص رزقها بهما فحسب بل ﴿أكلها دائم وظلُّها﴾ [رعد، ٣٥]، وجنة البرزخ وكذا ناره ليستا مكان الخلود، بل هما ما دامت السموات والأرض: ﴿يوم يات لا تَكَلَّم نفس إلا باذنه فمنهم شقي وسعيد * فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق * خالدين فيها ما دامت السَّموات والأرض إلّا ما شاء ربك إنَّ ربك فعّال لما يريد * واما الذين سُعدوا ففي الجنة الخالدين فيها ما دامت السَّموات والأرض إلّا ما شاء ربك عطاءً غير مجذوذ﴾ [هود، ١٠٥ - ١٠٨].

أجل عطاءً غير مجذوذ لأهل الجنة بانقطاع جنة البرزخ بانفطار السموات والأرض، حيث يعْطَون عطاءً أنعم وأبقى في جنة الخلد بمواصلة الجنتين.

نار البرزخ:

وأما الأشقياء فلا يموت أحدهم ولا يذوق الموت إلا نادما مما جرح وأخطأ، يتمنى أن لو رجع لكي يعمل صالحاً فيما ترك: ﴿وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين * وأعوذ بك رب ان يحضرون. حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون * لعلي أعمل صالحاً فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون * فإذا نفخ في الصّور فلا أنساب بينهم ولا يتساءلون﴾ [مؤمنون، ٩٧ - ١٠١].

فلا معنى لمجيء الموت إلّا تحققه، فإنه ليس إلّا انفصال الروح عن البدن الدنيوي، ومجيء هذا الانفصال وتحقق الموت واحد، فمقالتهم ﴿رب ارجعون﴾ إنما هي بعد الموت، إذا رأوا أهوال البرزخ وأحواله، ولا معنى للرجوع إلى الحياة قبل الموت أو حينه فإنه تحصيل للحاصل، ثم إذا كان الموت فوتاً وتعطيلًا دون حياة، فكيف يلتَمس الميت الرجوع الى الحياة الدنيا! فهل يلتَمس الجماد دون إحساس وشعور، لا، بل إن الأموات أحياء بعد الموت، ومن ورائهم برزخ بين

الحياتين الى يوم يبعثون. يبتدىء هذا البرزخ من سؤال الملائكة: ﴿إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيما فاولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً﴾ [نساء. ٩٧].

حينذاك يؤمر لهم بالنار ﴿حتى إذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم قالوا أين ما كنتم تدعون من دون الله قالوا ضلوا عنا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين * قال ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والإنس في النار كلما دخلت أمة لعنت أختها حتى إذا ادّاركوا فيها جميعاً قالت أُخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذاباً ضعفاً من النار قال لكلٍّ ضعف ولكن لا تعلمون﴾ [أعراف. ٣٧ - ٣٨] ﴿ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تُجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون. ولقد جئتمونا فرادى ما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خوّلناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم ضل عنكم ما كنتم تزعمون﴾ [أنعام. ٩٣- ٩٤].

أجل، إن أهل العذاب يُعذَّبون بعد الموت والتساؤل في نار البرزخ دون إمهالٍ لهم، ثم يعذبون في نار القيامة وكما في النص التالي لغرقى طوفان نوح ﴿مِمَّا خطيئاتهم أُغرقوا فأدخلوا ناراً فلم يجدوا لهم من دون الله أنصاراً﴾ [نوح. ٢٥].

ولآل فرعون إذ غرقوا في اليمِّ: ﴿... وحاق بآل فرعون سوء العذاب، النار يُعرضون عليها غدواً وعشيّاً ويوم تقوم الساعة أدخِلوا آل فرعون أشدَّ العذاب﴾ [غافر. ٤٥ - ٤٦].

أجل، إن أشدَّ العذاب إنما هو يوم القيامة - عذاب دائم لا يفتر - دون عرض النار غدواً و عشيًّا، فإنما هو في البرزخ، حيث إنه برزخ في العذاب، لا كالدنيا ولا كالآخرة، فرزق السعداء ونار الأشقياء، هما بلا فصل بعد الموت - غدواً وعشيّاً - مع مساءلتهم قبل ذلك، وهذه كلّها شهود صدق للحياة البرزخية وجنّتها ونارها، إذ لا غدوّ ولا عشيّ يوم القيامة، ولا مساءلة مع لا حياة له بعد الموت.

وأخيراً، نختم البحث عن الحياة البرزخية بمقالة أهل الجنة والنار المتوافقة، أنهم كانوا قبل يوم القيامة أحياء، يقول نقلًا عن أصحاب الجحيم: ﴿قالوا ربّنا أمّتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروجٍ من سبيل﴾ [غافر: ١١].

وهذه المقالة تصديقٌ منهم للحق الذي كانوا ينكرونه في الدنيا: ﴿إنْ هي إلاّ مَوتَتُنا الأولى وما نحن بمُنشَرين﴾ [دخان: ٣٥] حيث أنكروا هناك الموت الثاني والحياة الثانية، فحصروا الموتة في الأولى، وهي التي عن الحياة الدنيا، وكذلك أنكروا النشر بعد الموت، و لكنهم هنا ـ وهم في النار ـ يكذّبون أنفسهم في مقالتهم الأولى، ويصدّقون أن الله تعالى أماتهم مرتين وأحياهم مرتين، وشاهدا على صدقهم هنا وكذبهم هناك: أن الله نقل مقالتهم في الدنيا تنديداً بهم وتكذيباً لهم، وينقل مقالتهم الثانية وهم في النار من دون تكذيب، ثم ولا يمكن الكذب فيهما معاً لتناقضه، فإذا كانت مقالتهم في الدنيا كاذبة فلتكن في الآخرة صادقة.

ثم الإماتة لا تتحقق إلا عن حياةٍ ما، فلتكن الإماتة الأولى عن الحياة الدنيا، ثم لا تحتاج الحياة البرزخية إلى إحياءٍ حيث يكفيها مجرَّد انفصال الروح ببدنها البرزخي عن البدن الدنيوي.

فالإماتة الثانية ليست إلا عن الحياة البرزخية، ولو لم تكن هناك حياة بعد الموت لم يكن معنى للإماتة الثانية، فهذه الإماتة الثانية عبارة عن اختتام الحياة البرزخية بقيام الكبرى.

ثم هناك إحياء ثانٍ، وهو نقل الروح إلى جثمانه الدنيوي على كيفية خاصة كما يأتي، و الإحياء الأول إنما هو للحياة الدنيا حيما أنشأه الله خلقاً آخر وقد كان البدن في الرّحم.

الفيلسوف: قد يُحتمل أن هذين الإحياءين والإماتتين كلها تحققت في النار لأهلها، لذلك يلتمسون الخروج عنها ...

المناظر: كلا، حيث ﴿لا يُقضى عليهم فيموتوا ولا يُخفف عنهم من عذابها﴾ [٣٥: ٣٦].

فليست الدار الآخرة دار الموت والفناء، لا في الجنة ولا في النار[1] ... ألا ﴿وإن الآخرة هي دار القرار﴾[2] [٤٠: ٣٩].

مقارنة بين البرزخ الإسرائيلي والإسلامي:

وحينذاك يظهر لأصحابي الحضور ـ أهل الكتابين ـ فرية جرجس صال ومَن إليه، على القرآن ونبيِّه، فهل إن الحياة البرزخية كهذه، تمتُّ بصِلة الى تصوُّرات اليهود:

«إن الميت يحيى في قبره بحياته الدنيا ثانية، ويُضرب بسلاسل حديدية أو نارية فترتخي وتحلّ أعضاؤه وتنخلع عظامه وتتفرق ثم يصير تراباً، ثم لا يفرِّقون في هذا العذاب بين المؤمن والكافر، إلا مَن مات ليلة السبت، أو سكن أرض إسرائيل، فلو أن مؤمناً لم يسكن أرض إسرائيل ولم يمت ليلة السبت كان معذَّباً وإن بلغ إيمانه إيمان موسى وزهده زهد عيسى ويحيى! ولو أن كافراً مات ليلة السبت أو سكن أرض إسرائيل و بلغ كفره كفر فرعون ونمرود لم يعذَّب»!

أليست هذه فرية ظالمة جبارة على الله؟ أجل ﴿وأن ليس للإنسان إلّا ما سعى * أنّ سعيه سوف يُرى﴾؟

عود على بدء في المعاد الجسماني:

هذه شذرات ونماذج من دلالات القرآن على الحياة البرزخية، بما أنها أيضاً حياة جسمانية كالمعاد الجسماني، وليس فيها أيَّة إشارة إلى أن الميت يقوم في قبره ويقعد ارتجاعاً إلى الحياة الدنيا، ومهما يكن هناك من تساؤل أو ثواب وعقاب،

---

١ . إلا فناء مع فناء النار للمخلدين أبداً من أهلها كما سوف يأتي إن شاء الله.

٢ . مهما يموت أهل النار مع النار.

فانما هو متَّجهٌ إلى الروح في البدن البرزخي، دون الدنيوي الناسوتي، حيث قضى نحبه، ولا يحيى إلا يومِ القيامة، وليست الحياة الدنيوية في القبر والسؤال عن البدن الدنيوي إلّا خرافة عاميّة دون سناد الى أية من كتاب أو سنة!.

هذه نظرية القرآن في الحياتين- بعد الحياة الدنيا: أنهما أيضاً جسمانيتان كمثلهما في الأولى، وتختلفان عنها فى أن الجسم فيهما ألطف وأبقى، وما إليه من ميِّزات.

فهل إن الإنجيل يعترف بالبرزخ والمعاد الجسمانيين، أم كما سلف ليس هناك في الآخرة نكاح ولا ...

الفيلسوف: إن شريعة الإنجيل شريعة روحية لا تمتّ بصِلة إلى الجسم، وانما ترتبط بصلات عريقة روحية في الدنيا وفي الآخرة، لذلك إن القديس بولص قضى على الشرائع العملية، حاضراً لها في الناحية الروحية، فلتكن كذلك الحياة في الآخرة حياةً وفاقاً.

قول فصل في جسمانية المعاد:

المناظر: لقد أسلفنا القول الفصل في الشرائع العملية والإختلاقات البولصية الكافرة، فلا نعيدها هنا، إنما نذكِّركم بكلمة واحدة، فيها كفاية لمن ألقي السمع وهو شهيد.

كلمة الفصل فيالتشاريع العملية:

كلنا نعلم أن الإنسان مركَّب من روح وجسم، ولكلٍّ عملٌ يخصُّه، ويعود بأثره إلى نفسه وإلى قرينه، ولا يتمكن الإنسان كائناً من كان أن يخصَّ عملياته في الحياة بروحه فحسب، أو بجسمه فحسب، فهما شريكان ملتصقان في إسعاد الحياة وإشقائها، وإن كان المُدرك منهما ليس إلا الروح، إلا أنها قد تدرك دون واسطة، وقد

تدرك بواسطة بدنها، فالأعمال الصالحة البدنية من صلاة وصيام وإطعام وإنعام، كل ذلك تعود إلى الجسم والروح معاً، ففيها مزيد التقوى والمعرفة للروح، والصحة للجسم، وكذلك الأعمال والعقائد الروحية تعود بصلاحها أو فسادها إلى الشريكين في النشأتين، وللشريعة الخالدة لقرآنية إذ تنظر إلى الكائن الإنساني بكلتا جهتيه، لذلك تجدها متجهة إلى الناحيتين لترقيه وإسعاد حياة الإنسان في نشآته الثلاث: الدنيوية والبرزخية والأُخروية.

ونحن إذ نعتقد بعدل الله وحكمته، فلا محيد لنا عن الإعتناق بعقيدة المعاد الجسماني، لأن ترك الناحية الجسمية وإهمالها ـ جزاءً وفاقاً ـ في الأعمال الصالحة والفاسدة، ذلك تركٌ وإبطالٌ للجزاء في إحدى الناحيتين، والله لا يظلم مثقال ذرة. أفهل تنسبونه إلى الظلم؟ وإنما يحتاج إلى الظلم الضعيف: علماً أو قدرةً أو حكمةً؟!

الفيلسوف: لنفرض أن ذلك كما تقولون فما تصنعون بالشبهات الهدامة لعود الجسم؟ حيث تُحيله إمَّا عقلياً: كإعادة المعدوم، أو من حيث الحكمة والعدل كشبهة الآكل و المأكول وما إليهما؟

* * *

شبهة الآكل والمأكول

المناظر: معاد القرآن لا يرد عليه شيءٌ من هذه الشبهات، حيث الآيات متوفرة أن الروح تعود يوم القيامة إلى شخص هذا البدن الذي صار رميماً ورفاتاً، تعود إليه بعد خلقه ثانياً، على مثال صورته الأولى، وبعد تخليصه عما زاد من أجزائه الأصلية، وهي التي خُلق منها أول مرة ﴿كما بدأكم تعودون﴾ [أعراف، ٢٩] ﴿كما بدأنا أول خلقٍ نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين﴾ [أنبياء، ١٠٤].

فالآية الأولى تعني أن عود الجميع كمثال بدئهم، والثانية أنه كبدء أول خلقٍ من الإنسان وهو آدم الأول، لذلك فليكن العود كمثال البدء من هاتين الناحيتين.

فكما أن كل انسان مخلوق من سلالة من طين وهي الماء المهين: «المني» فهو سلالة وصفوة من جميع أجزاء بدن الإنسان التي هي سلالة من مختلف الأغذية، ثم هي أيضاً سلالة من الطين الذي تحوّل غذاءً من نبات وحيوان، فالمني سلالة من طين، وبعدئذٍ تُصطفى سلالة من المني وهي النطفة فتجعل في قرار مكين من المبيض، لكي تنمو وتصير طفلًا بعد طيٍّ مختلف الصور خلقاً بعد خلق.

كذلك حين العود حيث تُصطفى من طينه سلالة، ومنها أيضاً سلالة أخرى، ولكي يتخلص في الأولى عن الأجزاء الملتحقة به طيلة حياته، وفي الثانية عن ثقل البدن الدنيوي لكي يصلح للخلود في دار الخلود بريئاً عن الموت والمرض والقذارة وما اليهما، اللازمة للبدن الناسوتي: ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين * ثم جعلناه نطفة في قرار مكين﴾ [مؤمنون، ١٢- ١٣] ﴿وبدأ خلق الإنسان من طين. ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين﴾ [سجده، ٧ - ٨] فسلالة الماء المهين هي النطفة المتسللة منها حين تصير جنيناً، وبالنظر إلى قوله تعالى ﴿ما خلقكم ولا بعثكم إلا

كنفس واحدة﴾ [لقمان، ٢٨] يكمل المطلوب في العود: أن البدن المُعاد سلالة من طين الإنسان، يخلق من الطينة التي خُلق منها أول مرة.

وكما أن الإنسان الأول خلقه الله من صلصال من حمإٍ مسنون: ﴿ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمإٍ مسنون﴾ [حجر، ٢٦]، ومن طين لازب: ﴿إنا خلقناهم من طين لازب﴾ [صافات، ١١]، كالفخار: ﴿خلق الإنسان من صلصال كالفخار﴾ [الرّحمن، ١٤]، وكل ذلك دون صيرورة التراب مَنياً ثم جنيناً، ودون مكثه في الرحم طيلة الشهور، فكذلك خلقه ثانياً في المعاد، فيصير طينه حماءً صلصالًا: طين أسود نتن صلب، فيبرئه الله ويصوره كصورته الأولى كالفخار، قضية للمماثلة: ﴿ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة﴾ [لقمان، ٢٨]، ﴿كما بدأكم تعودون﴾ [أعراف، ٢٩]، ﴿كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين﴾ [أنبياء، ١٠٤].

كيفية معاد القرآن الخاصة:

جواب عن شتات الشبهات حول المعاد الجسماني:

إذ ذاك فما تلكم الشبهات إلا كنقوش في الماء وفي الهواء، لا ترد شيءٌ منها على معاد القرآن إطلاقاً.

الفيلسوف: ما هي المادة التي تُخلق في المعاد؟ فإن كانت هي مادة البدن بسائر أحواله و مختلف نشآته طيلة حياته، فليُخلق أضعاف ما كان في كل حالة من حالات عمره، لا سلالة من سلالة طينه، أجل: ليخُلق هكذا ومعه نُطَفُه التي صارت أولاداً له وذرية، كذلك أجزاء دخيلة في بدنه طيلة الحياة، ما ربما كانت أجزاء من أبدان آخرين، إذاً فليحشر في بدنه ومعه أولاده وغيرهم ممن لحقت أجزاؤهم به، فلا يُحشر حينذاك إلا نفر قليل، وسائر الناس ـ وهم الأكثرون ـ ليس لهم بدن فيه يحشرون! أهكذا؟.

أم يُخلق كواحدة من حالات حياته دون سائر الحالات، وحينذاك فالثواب والعقاب يتجهان إلى المحشور بحالة واحدة، حال أنه أطاع أو عصي في سائر حالاته؟!

إذ ذاك فحريٌّ أن يختص الحشر بالروح دون الجسم، أو في جسم غير بدنه، فإن دليل العقل لا يعارضه النقل.

المناظر: كلّا! لا ذا ولا ذاك، وإنما يحشر الإنسان ببدنه الأصيل الذي خُلق من ترابه الخاص به، فلكل إنسان بدن يخصه من هذه الأرض، وهو الذي يُخلق من نطفته وطينته، و النُطف التي تخرج من بين الصلب والترائب إنما هي الأجزاء الفرعية لصاحبها، وهذه لن تُحشر معه، فإنها أصول أبدان الذرية التي تنشر وتنسل من كل إنسان، وكذلك ما يعرض على الأجزاء الأصلية لكل بدن، سواءً أكانت مما تخرج عنه سراعاً، أم تبقى أحياناً مدى زمن يسير أم كثير أم طيلة حياته، فشيء من هذه الفروع لا تحشر مع أصل البدن، وإنما المحشور لكل إنسان بدنه الخاص به ـ الذي خلق من طينته ونطفته ـ دون أية زيادة زيدت عليه طيلة حياته، وهذا ما تعنيه آيات الحشر الجسماني ليس إلّا.

فشبهة الآكل والمأكول وما إليها من شبهات، ساقطة، لأن الأجزاء الأصيلة لكل إنسان لا تتحول أجزاء أصلية لأبدان آخرين، وإن لحقت بها أحياناً ما، ولا تعزب عن علم الخالق ولا مثقال ذرة منها، فهو المهيمن الحفيظ على الأرواح والأجساد كما تقتضيه الحكمة والعدالة، دون اختلاط حين العود ﴿إن كل نفس لمَّا عليها حافظ﴾ حافظ إلهي يحفظها بما لها من أجزاء وأعمال: ﴿أو لم يروا كيف يبدىء الله الخلق ثم يعيده إن ذلك على الله يسير * قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشىء النشأة الآخرة إن الله على كل شيءٍ قدير﴾ [عنكبوت، ١٩ـ ٢٠].

فكما أن الله تعالى بدأ خلق كل إنسان من طينة خاصة وسلالة مخصوصة منها، كذلك يعيده دون خليط، ولا تضل أجزاء الإنسان الأصلية عمن لا يعزب ويضل

عن علمه مثقال ذرة، وإن ضلت عنا وتحولت إلى عناصر أخرى أو التحقت إلى أبدان آخرين طيلة برزخها: ﴿وقالوا أءِذا ضللنا في الأرض إنا لفي خلق جديد بل هم بلقاء ربهم كافرون * قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكُلّ بكم ثم إلى ربكم ترجعون﴾ [سجده، ١٠- ١١].

أجل، إنكم بمادتكم الأصلية سوف ترجعون في الخلق جديد، كمثل الصورة الأولى، و ملك الموت لم يوكّل بكم أن يميتكم فحسب، بل ويتوفاكم أيضاً: يأخذكم روحاً وجسماً وافياً دون شذوذ، فهو يعلم أين أرواحكم وأين أجسادكم وإن ضلّت في الأرض، يعلم كيفهما كنتم وأينما كنتم! فكيف باذي خلقكم أول مرة ثم يعيدكم ثم إليه ترجعون ﴿إن الذين كفروا بآياتنا سوف نُصليهم ناراً كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب إن الله كان عزيزاً حكيماً﴾ [نساء، ٥٦].

فهذه الآية تعني أن المحشور، والمعذب أو المثاب إنما هو جسم واحد أصيل، دون العوارض التي تعرضه طيلة الحياة، لذلك كلما نضجت جلود الكفار في النار، بدّلها العزيز الحكيم جلوداً غيرها، فهي هي وهي غيرها، هي هي: لأنها من نفس المادة المنضوجة، وهي غيرها، لأنها تخلق ثانياً على مثال الصورة الأولى، دون إعادةٍ لشخص الصورة المعدومة ولا حشر لسائر الجلود والمواد الدخلية في البدن طيلة الحياة و﴿إن الله كان عزيزاً حكيماً﴾:

فبعزته يعيد الجلود كمثل ما كانت من صورتها وحالتها، وبحكمته لا يعيد سائر الجلود والأجزاء العارضة الدخيلة، فإنها بين ما هي أجزاء أصيلة لآخرين كالنطف وأمثالها، فحشرها وجزائها مع هذا البدن الأجنبي خلاف العدل والحكمة، أو أنها مواد أخرى ليست من البدن الأصلي، فعودها للجزاء لغوٌ، وإنما يجب عود الأجزاء الأصلية التي كانت تصاحب الإنسان طوال حياته دون انفصال، وقد عملت وشاهدت أعمالها أياً كانت.

الفيلسوف: ﴿بدّلناهم جلوداً غيرها﴾ لا أبداناً غيرها، إذاً فلا تَبدُّل إلا في جلود الأبدان خاصة دون سائر أجزائها وأعضائها، فليكن البدن المحشور بدناً ما ثابتاً طوال حياة التكليف، والتبديل إنما يتواتر على جلوده، فهذا ما تعنيه الآية حسب ظاهر اللفظ.

وذلك رغم أن التبدُّل في حياة التكليف لا يخص الجلود، بل إنه يشمل أجزاء البدن كلّها أو جلّها، فلو أن تبديل الجلود كان لذوق العذاب فحسب: ﴿ليذوقوا العذاب﴾ فلتُتَبدّل جميع الأجزاء، ومهما يكن من شيءٍ فتبدُّل الجلود جلوداً غيرها شاهد صدقٍ على لزوم الحشر بكافة ما كان البدن يحمله من أجزاء، مهما كانت أصيلة أو فرعية، جلدية وغيرها.

المناظر: جلودهم يعني جلود الأرواح وهي الأبدان بكاملها في جلّ الأجزاء أو كلها، لا جلود الأجساد، فإن ﴿هم﴾ لا يرجع إلا إلى مرجعٍ عاقلٍ وهو الروح، أو مصاحب له باعتبار صاحبه العاقل كما يرجع إلى مجموع الروح والبدن، أو إلى خصوص البدن قضيةً للمصاحبة، وأما أن يرجع إلى جلود الأجساد فهذا لا يرتضيه الأدب اللفظي ولا المعنوي و﴿هم﴾ بما أنه يخص العقلاء لا يرجع هنا إلا إلى الأرواح الإنسانية: ﴿كلما نضجت جلودهم﴾ جلود أرواحهم وهي الأجساد بكاملها، إذاً فلا يخص التبدّل في الحشر خصوص جلود الأجساد.

ثم التبديل هنا ليس تبديلًا جوهرياً يشمل ماهية الأبدان بكاملها «مادياً وصورياً» إنما هو تبديل الصورة مع بقاء أصل المادة، بمعنى أن المحشور لا يكون ـ ولا يحق أن يكون ـ إلا البدن الأصيل المستمر طوال حياة التكليف دون العوارض «بدّلناهم جلوداً غيرها» أي: بدلنا جلود الأرواح وهي الأبدان، بدلناها

جلوداً أي أبداناً غيرها في الصورة فحسب[١] وهكذا تبديل هو قضيةُ تبديل شيءٍ شيئاً، حيث إن المفعولين هنا جملة خبرية في الأصل: «هم جلودٌ غيرهم ـ هي جلودٌ غيرها» وضرورة الوحدة الذاتية و المصداقية بين المبتدإ والخبر تضطرنا إلى وحدة المبدل والمبدل إليه هنا ﴿بدلناهم جلوداً غيرها﴾ فهي هي في أصل الذات المادية، وهي غيرها في الصورة الحادثة بعد نضج السالفة.

هذا وكما يقول الإمام جعفر بن محمد الصادقؑ في جواب ابن أبي العوجاء عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿كلما نضجت جلودهم بدّلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب﴾ ما ذنب الغير؟ قال: ويحك هي هي وهي غيرها، قال: فمثّل لي في ذلك شيئاً من أمر الدنيا، قال: نعم أرأيت لو أن رجلًا أخذ لبنة فكسرها ثم ردّها في ملبنها فهي هي وهي غيرها.[٢]

وعلى الجملة يستحيل تبديل شيءٍ إلى غيره بكامله، إلا إعداماً للأول وإحداثاً للثاني، وهذا لا يُسمى تبديلًا ولا سيما فيما يُحمل المبدَل اليه عليه المبدَل منه كما هنا ﴿بدّلناهم﴾ لا «بدلنا بهم».

إذاً فالأبدان المحشورة باقية يوم الحشر بما أنها هي التي كانت مع الأرواح يوم الدنيا طوال التكليف، تُبدُّل الصورة لحكمة شمول العذاب ودوامه في النار، فلو أن الأبدان لم تنضج لم يكن عذابٌ، ولو نضجت وبقيت هكذا لم يتواتر العذاب عليها، لأن البدن المنضوج لا يُدرك تواتر العذاب عليه لفقد الحس بالنضج، فإنما تُبدَّل أجزاء الأبدان بعد نضجها لمواصلة العذاب ﴿بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب﴾ دون وقفة ومهلة، وذوق العذاب ليس إلا للروح، فانها هي التي تدرك العذاب الوارد والمتواصل على بدنها، دون البدن نفسه ﴿ليذوقوا﴾ أي الأرواح، لا

---

١. وإنما جاز رجوع ضمير العاقل إلى الأبدان، لأنها تحس بواسطة الأرواح وأنها مكان الأرواح، فلهذه المناسبة والمصاحبة القريبة جاز اعتبارها عاقلة يرجع إليها ضمير العقلاء، ومن الشاهد على ذلك أن الأرواح ليست جلوداً لكي تبدل جلوداً غيرها أو مثلها ـ تأمل.

٢. نور الثقلين نقلًا عن الإحتجاج الطبرسي، ج ١، ص ٤١٠.

لتذوق اعتباراً بأجزاء البدن ـ كلّا ـ إلا الأرواح، فإنها هي التي تدرك الثواب والعقاب، سواءً أكان لها بلا واسطة أم بواسطة الأبدان ـ تأمل.

الفيلسوف: إذا اتصلت أجزاءٌ أصلية من آخرين إلى بدن، فهي إذاً شريكة له في الأعمال خيراً وشراً، إذاً فلتُحشر مع هذا البدن كما تحشر مع بدنه الأصيل، وبالأحرى الأجزاء الملتصقة بالبدن ـ غير الأصيلة ـ لآخرين، لكي يُجزى كل إنسان بما عمل وكما عمل جزاءً وفاقاً.

المناظر: إننا لا نعلم التحاق الأجزاء الأصلية لكل بدنٍ ببدنٍ غير بدنه بعد موته، وإنما احتملناه احتمالًا دون إحساس أو برهان، وهنالك الأدلة العقلية والنقلية تدلنا على عدم الإلتحاق، وعلى فرض الإلتحاق الفرعي فقضية العدل والحكمة أن يحشر كلُّ جزءٍ مع بدنه الأصيل، لا مع غيره، أو معه ومع غيره.

والحلُّ الأخير لهذه المشكلة: أن المدرك للعقوبة والمثوبة إنما هي الروح، ومقتضى العدل أن تُعذب الروح أو تثاب ببدنها الأصيل، لكي تُدرك جزاء ما عمله جزاءً وفاقاً، ولا مدخل لالتحاق سائر الأجزاء في درك المثوبة أو العقوبة، حيث الروح لا تأنس إلا ببدنها الأصيل، فليس الدرك والإحساس للبدن حتى يقال: هذه الأجزاء كانت شريكة الأعمال في أبدان أخرى، فلتُجزَ كما عملت، وإنما المُدرك هو الروح، ولا سبيل عادل لجزاء الروح بدنياً إلا من طريق بدنها الأصيل، الذي كان معها طيلة حياتها فيه، لذلك لم يرد إشكال لو حُشر من البدن بعضُه الخاص ـ وهو الذي كان معه طيلة حياته ـ وتُرك الباقي، لا إلى هذا و لا ذاك كما أسلفناه في السلالة الثانية، حيث يخلّص البدن الأصيل عما يستلزم الموت و المرض والقذارة من العوارض الدنيوية، فيُخلق من تراب الجسد بدن الخلود، وهو الخالص من كل عوارض الفناء والبوار، كما ويخلّص عن أجزاء أُخرى كانت من الأجزاء الأصلية لأبدانِ آخرين ـ لو سلُمنا بهكذا التحاق ـ.

طالبان انجيلي وإسرائيلي: هل يوجد في العهدين ما يصدّق جسمانية المعاد؟.

انجيل برنابا والمعاد الجسماني:

المناظر: لا يوجد إلى في إنجيل المسيح الصحيح: إنجيل برنابا القديس كما يلي:

«قال يسوع: تأمّلوا إذاً خيرات الجنة. إنه لو أعطى الله للإنسان في هذا العالم أوقية من سعة العيش فسيعطيه في الجنة ألف ألف حمل. تأملوا ... قال بطرس: أيذهب جسدنا الذي لنا الآن إلى الجنة؟ أجاب يسوع: إحذر يا بطرس أن تصير صدوقيّاً، فإن الصدوقيين يقولون إن الجسد لا يقوم أيضاً وإنه لا توجد ملائكة،[1] لذلك حُرِّم على جسدهم وروحهم الدخول إلى الجنة. وهم محرومون من كل خدمة الملائكة في هذا العالم. أنسيتم أيوب النبي وخليل الله كيف يقول: أعلم أن إلهي حيٌّ وأني سأقوم في اليوم الأخير بجسدي وسأرى بعيني الله مخلِّصي[2] ولكن صدقوني أن جسدنا هذا يتطهر على كيفية لا يكون له معها خاصة واحدة من خصائصه الحاضرة، لأنه يستطهر من كل شهوة شرِّيرة. وسيعيده الله إلى الحال التي كان عليها آدم قبل أن أخطأ، رجلان يخدمان سيداً واحداً في عمل واحد، أحدهما يقتصر على النظر في العمل وإصدار الأمر، والثاني يقوم بكل ما أمر به الأول. أقول: أترون من العدل أن يخص السيّد بالجزاء من ينظر ويأمر فقط ويطرد من بيته من أنهك نفسه في العمل؟ لا البتة! فكيف يحتمل عدل الله هذا، إن نفس الإنسان وجسده وحسَّه تخدم الله، فالنفس تنظر وتأمر بالخدمة فقط، لأن النفس لمّا كانت لا تأكل خبزاً فهي لا تصوم، لا تمشي ولا تشعر بالبرد أو الحر ولا تمرض ولا تُقتل، لأنها خالدة وهي لا تكابد شيئاً من الآلام الجسدية التي يكابدها الجسد بفعل العناصر، فأقول:

---

١ . كما في أعمال الرسل (٢٢: ٨) على سواء.

٢ . كما في أيوب (١٩: ٢٥ ـ ٢٧)، ويعني من رؤية الله لقائه تعالى يوم لقائه كما يناسب وألوهيته ـ لا رؤية البصر.

هل من العدل إذاً أن تذهب النفس وحدها إلى الجنة دون الجسد الذي أنهك نفسه لهذا المقدار في خدمة الله! قال بطرس: يامعلم! لمَّا كان الجسد هو الذي حمل النفس على الخطيئة فلا ينبغي أن يوضع في الجنة، أجاب يسوع: كيف يخطىء الجسد بدون النفس.

حقاً إن هذا محال. فإذا نزعت رحمة الله من الجسد قضيت على النفس بالجحيم» (برنابا ١٧٣: ١- ٢٦) ...

«فأي شيءٍ يأكل إذاً أطعمة الجنة إذا كان الجسد لا يذهب إلى هناك، هل النفس؟ لا البتة! لأنها روح، أجاب بطرس: أيأكل إذاً المباركون في الفردوس ولكن كيف يبرز الطعام دون نجاسة؟ أجاب يسوع: أيّ بركة ينالها الجسم إذا لم يأكل ولم يشرب؟ من المؤكَّد أنه من اللائق أن يكون التمجيد بالنسبة إلى الشيء الممجَّد، ولكنك تخطىء يا بطرس في ظنك أن طعاماً كهذا يبرز نجاسة، لأن هذا الجسم في الوقت حاضر يأكل أطعمتة قابلة للفساد ولهذا يحصل الفساد. ولكن الجسم يكون في الجنة غير قابل للفساد وغير قابل للألم وخالداً وخالياً من كل شقاءٍ. والأطعمة التي لا عيب فيها لا تُحدث أدنى فساد» (برنابا ١٧٤: ١ - ١١).

فهذه تصريحات قيِّمة بيِّنة من هذا الإنجيل الجليل، وهي توافق المستفاد من آي الذكر الحكيم دليلًا ودلالة: أن هذا الجسد سيخلَّص من كثافة الناسوتية الدنيوية: لوازم الفناء والبوار والظلمة، وسيأتي سلالة منه خالصة عن هذه وعن هذه الأجزاء الأخير غير الأصيلة إطلاقا!!!

الطالبان: أجل ونعم التصاريح المتوافقة، إلا أن أيوب أيضاً من المصرحين كما نقل عنه المسيح: أعلم أن إلهي حيّ ... فكيف يخلو العهد العتيق عن المعاد الجسماني؟

المناظر: إنما يخبر وينقل المسيح الصدق عن كتاب أيوب الأصل، وهذه عقيدتنا الثابتة: أن كتابات الوحي الأصيلة مليئة من أخبار المعاد، إلا أن النص الحالي من كتاب أيوب يختلف عما ينقله المسيح وكما يلي مقارنين:

«أما إنا فقد علمت أن وليّي حيٌّ والآخر على الأرض يقوم. وبعد أن يفنى جلدي هنا وبدون جسدي أرى الله. الذي أراه أنا لنفسي وعيناي تنظران وليس آخر. أعلم أن إلهي حيّ» (أيوب ١٩: ٢٥ - ٢٧) «و أني سأقوم في اليوم الأخير بجسدي وسأرى بعيني الله مخلّصي» (برنابا).

حيث التناقض بيِّن والبون في هذا البين شاسع: «وبدون جسدي» «وبجسدي» فاقضِ ما أنت قاض.

الفيلسوف: إذا خلت الأناجيل عن تصريحات المعاد الجسماني، فإن قانون الرسل يصرح بذلك: «أؤمن بقيامة الجسد» رغم أن الصدوقيين أنكروا القيامة (متى ٢٢: ٢٣. أعمال ٢٣: ٨) وكذلك الوثنيون (أعمال ١٧: ٣٢) وبعض المسيحيين من عهد الرسل (أكور ١٥- ٢ تيمو ٢: ١٧- ١٨) والغنوسيون والمانويون، وفي القرون الوسطى «الكاتاريُون» وحديثاً المادية والراسيونالية ـ بكل أشكالها ـ.

بل إن متى أيضاً يصرح بالمعاد الجسماني «لأن هؤلاء يلقون بأجسادهم في جهنم» (متى ٥: ٢٩ - ٣٠. ١٠: ٢٨ و ١٨: ٨ - ٩).

المناظر: قانون الرسل شيءٌ والأناجيل شيءٌ آخر، وخُلوُّ الأصل لا يجبره تصريح الفرع غير المقبول، وتصريح متى يناقض التصاريح الأخر في الأناجيل ـ بالمعاد الروحاني فحسب ـ.

الفيلسوف: وكذلك نجد في تصريحات من علماء الإنجيل وحدة الجسد القائم يوم الدينونة، وأنه سلالة وخلاصة من الجسد الدنيوي ـ كما أنبأنا القرآن بذلك ـ رغم خلوّ الأناجيل عن هذا وذاك:

يلعن المجمع اللاتراني الرابع (١٢١٥) في فصل (Fimiter) «سيقومون جميعاً بالجسد عينه الذي يلبسون الآن» (D. ٤٢٩. انظر D ١٦. ٤٠. ٢٨٧. ٣٤٧. ٤٢٧. ٤٦٤. ٥٣١).

وهكذا تصريح في سفر المكابيين الثاني (٧: ١١) «إني من رب السماء أوتيت هذين العضوين: (لساني ويدي) وإياه أرجو أن أستردهما من بعد» والرسالة إلى الكورنثيين (١٥: ٥٣) «لا بدَّ لهذا الفاسد أن يلبس عدم الفساد، ولهذا المائت أن يلبس عدم الموت».

وهذا مما أجمع عليه الآباء قبل أوريجانس، وقد دافع ضد أوريجانس عن هذه الوحدة: القديس ميتوديوس، والقديس غريغوريوس نيصص، والقديس أبيفانيوس، القديس ايرونيموس.

المناظر: وعلى أية حال ففي مختلف هذه الأقوال دليل لا مردَّ له على اختلاف الأناجيل و علمائه وعدم وجود كلام فصل فيها في كيفية المعاد الجسماني ـ ولا سيما في مشكلة الآكل والمأكول وأشباهها من شبهات حول المعاد الجسماني، والإجابة عنها، فلنأخذ ما يوافق القرآن وإنجيل برنابا، ولنشطب ونطرح ما يخالفهما في المعاد الجسماني.

الفيلسوف: أجل، ولكم الشكر حيث البيان السالف وافٍ للقضاء على مشكلة شبهة الآكل والمأكول، ولتوضيح كيفية العود من القرآن وبرنابا، وقد يبقى البرهان على لزوم المعاد الجسماني بعد إمكانه ـ من القرآن ـ وإن كنا سمعناه وافياً من برنابا، ولكننا لا نجد في القرآن أدلة عقلية وفطرية على لزوم المعاد، إلا منآت الآيات في دفع استبعادات المنكرين وإثبات إمكانه بطريق التمثيل إلا الأولوية، وإذ ذاك ـ فالقرآن لا يعتمد على برهان في هذا الأصل الهام الذي توفّر عليه المشاكل، فلا يُسمن ولا يغني من جوع، حال أن التقليد والظن لا يفيدان في الأصول الدينية شيئاً، و كما ينطق بذلك القرآن!

المناظر: هذا حال العهدين وأسوأ حيث لا يعتنيان بأصل المعاد إلا في إشارات غير مفيدة وغير معقولة كما أسلفناها، وكذلك في أصل التوحيد حيث تتعارض فيه نصوصها إثباتاً ونفياً، ومثلهما النبوة، حيث لا تُبقي نصوص العهدين ولا تذر فرية فاسقة أو كافرة إلّا وينسبانها إلى ساحة النبيين ـ كما تأتي بعد حين ـ ...

مختلف براهين المعاد في القرآن

وأما القرآن، الخالد في دعوته، المشرق بأضوائه على عقول وأفكار البشرية مع الأبد، فهو الهادي بآياته البينات من شتى النواحي: الفطرية والعقلية والحسية وما إليها من براهين، فهناك وإن كانت مئات الآيات في دفع استبعادات المنكرين ودمغ شبهاتهم، وفي إثبات إمكان الحشر الجسماني بالآيات الآفاقية والأنفسية، إلا أن هنالك أيضاً طائفة أخرى من آي الذكر الحكيم تحتج بالحجج العقلية إلزاماً من ناحية العدل والحكمة الإلهيتين: أن هناك يوماً يخرجون من الأجداث سراعاً كأنهم الى نُصُب يوفضون.

كمية الحاجة في أصول الدين إلى البراهين العقلية وغيرها:

رغم أن معاد القرآن لا يحتاج في إثباته إلّا إلى براهين الإمكان لكي تزيف حجج المبطلين زعم الإستحالة، ثم إن ثبوته بحاجة ماسة إلى الإخبار به إما بالوحي أو بالبرهان العقلي، حيثُ يكتفي بأحدهما في أصل التوحيد والمعاد.

الفيلسوف: كيف يكتفى في الأصل الديني بالنقل وأنتم تصرخون ليل نهار: لا تقليد في الأصول الدينية؟.

المناظر: القصد من التقليد الذي لا يفيد هنا هو الذي لا يفيد العلم، وإنما نعني هناك أن الظن تقليداً أم اجتهاداً وما إليهما، لا يغني في الأصول العقائدية عن الحق شيئاً، حيث تحتاج إلى العلم واليقين من أي طريق حصل، وهناك في الأصول الدينية أصل واحد هو الإعتقاد بوجود الخالق، لا طريق إلى إثباته بالنقل، حيث النقل العلمي إنما هو ما يستند إلى الوحي، ومنكر الخالق ينكر وحيه، فكيف يصدِّق بوجوده لوحيه على أنبيائه؟.

إذاً فلا سبيل إلى إثبات خالق الكون إلّا برهان العقل، لكلٍ حسب ما يقنعه ويطمئن به مهما كان التفصيل فيه بحاجة إلى تفصيل الوحي.

ثم إننا نستدل بدليل اللطف أن هذا الإله العدل الحكيم لا يكلنا إلى أنفسنا نضل ونَعْمه، و في طغياننا نتردّد، إلا أن يهدينا إلى سبله بالمصطفين من عباده الصالحين، وعلينا إذ ذاك التحري عن هؤلاء، وإنما برهانهم على دعواهم «أننا يوحى إلينا من ربنا» إختصاصهم ببعض الأفعال الإلهية التي نسميها المعجزات وبالأحرى آيات النبوّات.

وحينذاك، إذا اعترفنا أن هذا الرجل نبيٌّ يوحى إليه من ربه، فعلينا أن نصدِّقه فيما يفعل أو يقول عن ربه، فإذ قد نرى رسل ربنا تترى على أنه أوحى الينا أنه لا إله إلا الله وأن إليه الرجعى، فلا مناص لنا عن تصديقهم حيث نقطع أن الله لا يكذب في الوحي ولا في غيره مما منه وإليه، ولعل هذا البرهان النقلي أقوى وأوفى وأظهر من برهان العقل، حيث العقول قد تخطىء، بدليل إخلافها في أمور كثيرة، ولكن خالق العقول لا يخطىء، فالقرآن العظيم يحتج على منكري التوحيد والمعاد أولًا بدفع مختلف الشبهات ـ هنا وهناك ـ ثم بدليل أن الله تعالى أرسل أنبيائه يدعون الناس إليها، وبعدئذ قد يذكِّرنا البراهين العقلية وغيرها لمن لا يصدق الرسل، ولتكلمة البرهان لمن يصدقهم.

الفيلسوف: ما هي الأدلة والأنفسية التي يأتي بها القرآن لمعاد النفوس والأبدان؟.

المناظر: القرآن يأخذ في سرد البراهين من آيات أنفسنا وينتهي إلى الآيات الأفاقية.

الايات الأنفسية للمعاد:

يستدل بخلقنا من تراب ثم من نطفة، حيث يبعثنا هناك من أجزاء ميّتة فيخرجنا أحياء من تلكم الأجزاء: ﴿يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنَّا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علَقه ثم من مضغة مخلَّقة وغير مخلَّقة لنبيِّن لكم ونُقرُّ في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمّى ثم نُخرجكم طفلًا ثم لتبلغوا أشدَّكم ومنكم من يُتوفّى ومنكم من يُردّ إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعدِ علم شيئاً وترى الأرض هامدةً فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزّتْ وربتْ وأنبتت من كل زوجٍ بهيج. ذلك بأن الله هو الحقّ وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيءٍ قدير. وأن الساعة آتيةٌ لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور﴾ [حج. ٥- ٧].

فقد أخذ في سرد الدليل من خلقنا أنفسنا إلى إحياء الأرض وهي هامدة- بإنزال الماء عليها، إلى إخراجنا من الأرض مرّة أخرى أحياءً-.

وقد يردُّ شبهة من أخذ عظاماً بالية وقال ﴿من يحي العظام وهي رميم﴾ يردّه قائلًا:

﴿قل يحييها الذي أنشأها أوَّل مرّة وهو بكل خلق عليم. الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون. أوَ ليس الذي خلق السموات والأرض بقادرٍ على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلّاق العليم﴾ [يس. ٧٩- ٨١].

الآيات الآفاقية:

ثم هناك آيات تأخذ حياة الأرض بعد موتها بدءاً ثم بدءً ختم، تأخذها سنداً لإحياء موتى الأرض، تشير إلى أن الأرض كانت ميتة منذ خلقت ثم أحياها الله بالماء: ﴿وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبّاً فمنه يأكلون﴾ [يس: ٣٣].

فهذه الآية تعني حياة الأرض بعد ما كانت ميتة بادىء بدءٍ، حيث لم يكن فيها ماءٌ ولا كلاءٌ، بل كانت كرة محترقة مضطربة في حراكها، لا تميل إلى حياة ولا تقبل حيّاً يعيش عليها، ثم ذلّلها ربُّها بعد شماسها: ﴿هو الذي جعل لكم الأرض ذلولًا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور﴾ [ملك: ١٥]، ﴿الذي جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناءً وأنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم فلا تجعلوا الله أنداداً وأنتم تعلمون﴾ [بقره: ٢٢].

ثم هناك آيات تشير إلى حياة الارض طيلة الفصول المناسبة، بعد موتها في غير فصولها: ﴿وهو الذي يرسل الرياح بُشْراً بين يديْ رحمته حتى إذا أقلّت سحاباً ثقالًا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نُخرج الموتى لعلّكم تذكّرون. والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربِّه والذي خَبُثَ لا يخرج إلا نَكِداً كذلك نصرّف الآيات لقوم يشكرون﴾ [أعراف: ٥٧- ٥٨] ﴿فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يُحيي الأرض بعد موتها إن ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شيءٍ قدير﴾ [روم: ٥٠] ﴿والله الذي أرسل الرياح فتثير سحاباً فسقناه إلى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور﴾ [فاطر: ٩].

وقد يستأنس من حياة الأرض ـ بدء ختم ـ بإحياء بذورها وإظهار ثمارها، يلمس من ذلك أن أبدان الموتى أيضاً بذور تبقى في الأرض حتى يحييها الله الذي أماتها، يثمرها، إذ لا بدَّ للبذر أن ينمو ويثمر، ولا بذر أحق من الإنسان بذلك، حيث اعتمل أعمالًا من سيئات وحسنات طيلة حياته الدنيا، فكما أن الإنسان كان بذراً باديء بدنه ـ حينما كان نطفة ـ ثم أحياه ربُّه وأثمره في الحياة الدنيا، كذلك يرجع بذراً بعد موته،

ثم يُحيي ويُستثمر في حياته الخالدة يوم يقوم الأشهاد: ﴿أفرأيتم ما تحرثون. أنتم تزرعونه أم نحن الزارعون. لو نشاء لجعلناه حطاماً ...﴾ [واقعه. ٦٣ - ٦٥].

وآية الزرع هذه تلوَ آية زرع الإنسان من مَنيٍّ يُمنى: ﴿أفرأيتم ما تُمنون * أنتم تَخلقونه أم نحن الخالقون * نحن قدَّرنا بينكم الموت وما نحن بِمسبوقين * على أن نبدِّل أمثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون﴾ [واقعه. ٥٨ - ٦١] حيث تمثَّل المني بالزرع، وتخصُّ خلق المني والزرع بالله تعالى، فكما أنه تعالى هو الزارع في زرعكم الذي تحرثونه، كذلك هو الزارع لبذور المني حتى تطلع «أناسي كثيراً»، وأخيراً هو الزارع لبذور أبدانكم بعد أن صارت رماداً ورُفاتاً، يزرعكم أخيراً ويُنبتكم إنباتاً كما أنبتكم من الأرض من ذي قبل: ﴿والله أنبتكم من الأرض نباتا. ثم يعيدكم فيها ويُخرجم إخراجاً﴾ [نوح. ١٧ - ١٨].

أنبَتنا أولًا لكي نثمر ثمرات الإيمان والعمل الصالح، ثم ينبتُنا ثانياً لنذوق ونُجزى ثمرات أعمالنا، وكما يقول: ﴿وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حباً فمنه يأكلون ... ليأكلوا من ثمره وما علمته أيديهم أفلا يشكرون * سبحان الذي خَلق الأزواج كلّها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون﴾ [يس. ٣٣. ٣٥ - ٣٦].

فكما أن إحياء الأرض إنما هو لغرض الإنتفاع من أثمارها، كذلك إحياء أراضي الأبدان بأمطار الأرواح إنما هو لغرض الإنتفاع من أعمالهم وهي أثمار حياتهم الدنيا - إن خيراً فخير وإن شراً فشر -.

... ثم هنالك دلائل أخرى مثل سير القمر في منزله: ﴿والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم﴾ [يس. ٣٩]، وهو سعف النخل اليابس، فكما أن القمر ينمحي عن أبصار الناظرين شيئاً فشيئاً حتى لا يبقى منه شيءٌ، ثم يعود إلى الظهور كأوّل ما طلع، كذلك الإنسان ينموثم ينمو في سنيٍّ عمره إلى حدّ الكمال - كالقمر ليلة البدر ثم يأخذ في النقص شيئاً فشيئاً حتى يموت ويضل في التراب

ويصير رماداً ورفاتاً، ثم يوم القيامة يعود كما بُدىء: ﴿كما بدأكم تعودون﴾ [أعراف، ٢٩]، يعود متحلّلًا عن الزيادات العالقة اللاصقة به طيلة حياته.

وكما أن القمر في منازله هذه، لم ينقص منه شيءٌ من جسمه، وإنما خفي عن أبصار الناظرين، كذلك الإنسان لا يفنى منه بالموت أيُّ شيءٍ، وإنما الموت انفصال للروح عن البدن، ثم انفصال أجزاء البدن وتبدّلها إلى عناصر أخرى، والمادة هي المادة، والروح هي الروح، وإنما يخيَّل إلى الجهال أنه فنى، وكما في أحوال القمر، لأنهم لا يبصرون الأجزاء المستورة.

الأدلة العقلية ... من ناحية أخرى:

هذه نماذج يسيرة من الآيات التي تمتُّ بصلات عريقة إلى المعاد، وهناك م ناحية أخرى براهين عقلية في الذكر الحكيم تثبت المعاد كالتالي: ... ﴿أيحسب الإنسان أن يترك سدىً * ألم يكُ نطفة من مني يُمنى * ثم كان علقة فلخق فسوَّى * فجعل منه الزوجين الذكر والانثى * أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى﴾ [قيامة، ٣٦-٤٠].

﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون﴾ [مؤمنون، ١١٥].

أجل إن ترك الإنسان سدىً وهُملًا، رغم أنه خلق في أحسن تقويم: ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾ [تين، ٤]، ﴿وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلًا﴾ [إسراء، ٧٠].

إن ذلك الإهمال لعب بالخلق وعبث في الصنع، أن يُهمَلوا دونما هادٍ يهديهم في حياتهم الدنيا، أو أن يهديهم ثم يُهملهم بعد الموت دونما جزاءٍ للذين أحسنوا بالحسنى والذين أساؤا بما عملوا، وما هذا إلا كمولىً عليم قديره عند عبيد ضالون، ثم لا يهديهم إلى ما يُصلحهم، أو يهديهم، ثم لا يجازي كلًا بما عمل طيلة حياته، فهل هذا إلا إهمالًا ولعباً بمن عليه رعايتهم وهدايتهم؟

فترك استثمار الإنسان بإظهار كمالاته واستعداداته في الحياة الدنيا، ثم ترك إنتاجها بعد ظهورها يوم القيامة، ذلك إهمال ولغو من ناحيتين، وحاشا الرب تبارك وتعالى عن ذلك علواً كبيراً ...

﴿أفنجعل المسلمين كالمجرمين. مالكم كيف تحكمون﴾ [قلم. ٣٥- ٣٦]، ﴿أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون﴾ [سجده. ١٨]، ﴿وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلًا ذلك ظن الذين كفروا فويلٌ للذين كفروا من النار * أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجّار﴾ [ص. ٢٧- ٢٨]، ﴿أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواءً محياهم ومماتهم سآء ما يحكمون﴾ [جاثيه. ٢١].

وكلنا نعلم أن التسوية بين المسلم المؤمن المصلح وبين المجرم الفاسق المفسد في الأرض، نعلم أن ذلك خلاف العدل والحكمة، والله تعالى أعزّ وأعدل وأحكم من أن يسوي بينهم في الجزاء، أو في تركه إطلاقاً: أن يجازي كلًّا على سواءٍ دونما وفقٍ لأعمالهم، أو يترك جزاؤهم إطلاقاً ويُهملهم سدىً!

فلو لم تكن هناك حياة بعد الموت، فيها تجزى كل نفس بما تسعى ﴿وأن ليس للإنسان إلّا ما سعى﴾ رغم أنه لا يجزى المحسن والمسيء في الحياة الدنيا جزاء وفاقاً، لأنها ليست بدار الجزاء، إذ ذاك ففي ذلك مسٌّ من كرامة رب العالمين وأحكم الحاكمين، فهل إنه يجهل ما عمله عبيده من خير أو شر، أم لا يعزب عن عمله مثقال ذرة ولكنه ليس بقادر على أن يحيي الموتى: ﴿لتُجزى كل نفس بما تسعى﴾ أم يعلم ويقدر ولكنه يسوّي بين الصالح والطالح لعباً بخلقه وظلماً وجوراً بهم؟ كلا لا ذاك ولا ذياك ﴿ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار﴾ [ص. ٢٧] والحَكَم العدل أعزُّ وأعدل أن يسوي بين الفريقين، حال أن المؤمنينُ حرموا الكثير من خيرات الدنيا لإيمانهم وأعمالهم الصالحات، وأن الفجار نالوا خيراتها ولذاتها ظلماً وغصباً على عباد الله، وبغوا وطغوا عليهم كما يشتهون!

أجل: ﴿إنَّ الساعة أتيةٌ أكاد أُخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى﴾ [طه: ١٥] ﴿وليجزي الذين أساؤوا بما عملوا ويَجزى الذي أحسنوا بالحسنى﴾ [النجم: ٣١].

فذاك وذياك نماذج قليلة من البحوث القرآنية حول المعاد، التي تستغرق حوالى الربع من آي الذكر الحكيم، وحينذاك كيف تقارن هذه الآيات البيّنات بشذاذ الآيات المبهمات في الإنجيل وفي التوراة، فكيف تستسيغون لموسى وعيسى ومن بينهما من النبيين ﷺ أن يُهملوا أصل الماد رغم ما في العهدين من ذكريات الحوادث الغابرة وأسماء الماضين وحالاتهم التي لا ضرورة ولا حسن أحياناً في تذكارها!.

فهل من الأولى أن نذود إن ذاك عن أهل الكتاب الأقدمين أنهم لم يحرِّفوا من العهدين شيئاً فنمسّ من جرّائه عندئذٍ من كرامة هؤلاء النبيين العظام بهذه الفرية الكافرة: أنهم تركوا أهمّ ما أمروا ببلاغه وهو المعاد؟.

أم نذود هذه الوصمات عنهم ﷺ، ونوبِّخ المتعدين على أسفارهم: أن حرَّفوها فسرقوا فيما سرقوا منها جلَّ آيات المعاد، ولكي يتخلصوا عن العذاب وكما تخلَّص البولصيون عن الشرائع العملية وعن جحيم النار! فهؤلاء البولصيون يتركون ذكر الجنة والنار ـ إلّا شذاذاً كما سلفت ـ فما بال اليهود وهم معتنقون بالتشاريع العملية، ما لهم تركوا أهم آيات التوراة وراءهم ظهريا؟

والقرآن إذ يذود عن ساحة النبيين، ويرفرف بهيمنته على العهدين، لا يذكر نبياً بذكريات حياته الرسالية التبليغية إلا وفيها هاتان الهامتان: التوحيد والمعاد والبرهان وما إليها من تقارير وبيِّنات... !!!

طالب انجيلي: إنكم ـ كما أسلفتم ـ تعتبرون إنجيل برنابا الحواري، الإنجيل الأصل أو مثلًا قيِّماً لتعاليمه القيّمة، فهل فيه ما يصدِّقكم من ذكريات المعاد؟

المناظر: ... سواء أكان فيه أيضاً أم لم يكن، فهل إن دليل العقل يعارضه شيءٌ، أو يحتاج إلى ما يعاضده؟

ونحن إنما نعتبر إنجيل برنابا الحواري أحسن كتاب يحمل من تعـاليم المسـيح القيمة الشيءَ الكثير ...

* * *

إنجيل برنابا والمعاد الجسماني

أجل، وإنَّ هناك آيات متوفِّرة في هذا الإنجيل الجليل في تفاصيل المعاد والجنة والنار، ففي ٢٢ فصلا من ٢٢٢ فصل منه آيات بيِّنات حول هذا الأصل كالتالي:

توافق النص من القرآن وانجيل برنابا حول المعاد

جسم لا يعتريه فناء ولا منه قذارة:

هنالك في إنجيل برنابا الحواري تصريحات حول المعاد الجسماني كما يناسب البقاء وفقاً لما قدَّمناه من القرآن، قائلًا: «... فأيُّ شيءٍ يأكل إذاً أطعمة الجنة، إذا كان الجسد لا يذهب إلى هناك، هل النفس؟ لا البتة، لأنها روح.

أجاب بطرس: أيأكل إذاً المباركون في الفردوس ولكن كيف يبرز الطعام دون نجاسة.

أجاب يسوع: أي بركة ينالها الجسم إذا لم يأكل ولم يشرب؟

من المؤكد أنه من اللائق أن يكون التمجيد بالنسبة إلى الشيء الممجَّد. ولكنك تخطىء يا بطرس في ظنك أن طعاماً كهذا يبرز نجاسة، لأن هذا الجسم في الوقت الحاضر يأكل أطعمة قابلة للفساد ولهذا يحصل الفساد. ولكن الجسم يكون في الجنة غير قابل للفساد وغير قابل للألم وخالداً وخالياً من كل شقاءٍ، والأطعمة التي لا عيب فيها لا تُحدث أدنى فساد» (برنابا ١٧٤: ١-١١).

يَعني المسيح عليه السلام بكلامه النيِّر: أن طعام الجنة ليس له ثقالة وكثافة كطعام الدنيا، وكذلك الجسم في الجنة، فهما متناسبان متناسقان، وهذا كما أسلفنا تفصيله من القرآن.

سعة الجنة في نظر القرآن و إنجيل برنابا:

أين الجنة والنار:

«والحق أقول لك: إن الجنة أكبر من الأرض برمّتها والسموات برمّتها، كما أن الأرض برمّتها أكبر من حبّة رمل» (برنابا ١٧: ١٠).

كأن المسيح يعني بذلك أن الجنة أكبر من الأرض وحدها، ومن السموات وحدها، لا أنها أكبر من المجموع لكي يعارض القرآن فإنه يقول: ﴿سابقوا إلى مغفرة من ربّكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض﴾ [حديد. ٢١] ﴿وسارعوا إلى مغفرةمن ربكم وجنة عرضها السموات والأرض﴾ [آل عمران. ١٣٣].

وإذ ذاك فنص القرآن وبرنابا يتصادقان في سعة الجنة، وفي القرآن مزيد فيه الجواب عن مشكلة هذه السعة: إذا كانت الجنة تَسع السموات والأرض، فأين النار؟ ثم الجنة لو كانت كذلك فليكن العالم كلّه جنة في الحال الحاضرة، لأن الجنة موجودة!

والجواب: أن الجنة فوق السماء السابعة، حيث القرآن لا ينفي عالماً آخر وراء هذه الأرض والسموات بل ويثبته مكاناً للجنة او للنار أيضاً قائلًا: ﴿ولقد رآه نزلة أُخرى * عند سدرة المنتهى. عندها جنة المأوى * إذ يغشى السدرة ما يغشى﴾ [نجم. ١٣-١٦]، وهذه الآيات تشير الى عروج نبينا محمد صلى الله عليه وآله إلى المعراج إلى أعلى الآفاق «و هو بالافق الأعلى».

أفق هو فوق الآفاق التي نعرفها من الأرض والسموات، فقد وضع أقدامه النّيره حينذاك على السماء السابعة، ثم إلى سدرة المنتهى، وهي

خارجة عن هذه السموات والأرض، محيطة بهما، فهي منتهى الرحمة في الحياة الدنيا حيث السدرة هي الرحمة، فقد بلغ محمدﷺ في معراجه إلى منتهى رحمة الرب الدنيوية إلى الأفق الاعلى إلى السدرة المنتهى ... ﴿عندها جنة المأوى﴾ فجنة المأوى تكون عند السدرة، خارجة عن هذه الآفاق الأرضية والسماوية، وإذ ذاك فلا مشكلة في أن سعة الجنة كسعة السموت والأرض، لأنها محيطة بهما إحاطة الدائرة بما تدور عليه أو مثل ذاك!!!

الجحيم في الكتب المقدسة:

«الجحيم واحدة وهي ضدّ الجنة ... يا له من مكان ملعون بعدل الله. لاجل لعنة الكافرين والمنبوذين الذين قال عنهم ايوب خليل الله: ليس من نظام هناك بل خوف أبدي» (ايوب ١٠: ٢٢) ويقول أشعيا النبي في المنبوذين «إن لهيبهم لا ينطفي ودودهم لا يموت» «و قال داود أبونا باكياً حينئذ يمطر عليهم برقاً وصواعق وكبريتاً وعاصفة شديدة» (اشعيا ٦٦: ٢٤).

وفي برنابا «تبّاً لهم من خطاةٍ تعساً ما أشد كراهتهم حينئذ للحوم الطيبة والثياب الثمينة والأرائك الوثيرة.

... ما أشد ما يسقمهم الجوع واللهب اللذاعة والجمر المحرق والعذاب الأليم مع البكاء المرّ الشديد ...

... حقاً خير لهم لو لم يكونوا من أن يعانوا هذا العذاب الأليم. تصوروا رجلاً يعاني العذاب في كل جارحة من جسده وليس ثَمَّ من يرثي له. بل الجميع يستهزئون به. أخبرني و إلّا يكون هذا ألماً مبرّحاً ... إن هذا لنعيم الجحيم، لأني أقول لكم بالحق إنه لو وضع الله في كفّة كل الآلام التي عاناها الناس في هذا العالم والتي سيعانونها حتى يوم الدين. وفي الكفة الأخرى

ساعة واحدة من ألم الجحيم، لاختار المنبوذون بدون ريب المحن العالمية، لأن العالمية تأتي على يد الإنسان. أما الأخرى فعلى يد الشياطين الذين لا شفقة لهم على الإطلاق. فما أشدّ الذي سيصله الخطاة الأشقياء. ما أشدّ البرد القارس الذي لا يخفف لهبهم. ما أشد صرير الأسنان والبكاء والعويل، لأن ماء الأردن أقل من الدموع التي ستجري كل دقيقة من عيونهم ...» (برنابا ٦٠: ١ - ١٩).

القرآن والجحيم

هذه نماذج من نظرات المسيح، في نقل برنابا الحواري وسائر الكتب حول جحيم النار، وقد يوافقها مع زيادة آيٌ من الذكر الحكيم قائلة:

﴿الذين كفروا لهم نار جهنم لا يُقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزي كل كفور * وهم يصطرخون فيها ربَّنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل أو لم نعمِّركم ما يتذكر فيه مَن تذكّر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير﴾ [فاطر، ٣٦ - ٣٧] ﴿ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا﴾ [نبأ، ٤٠].

... وما إلى هذه الآيات التي لا نتمكن في كراسنا هذا أن نأتي بالقول الفصل فيها إلّا أنّا نشير اليها إشارة.

فقد توافق نصوصَ المعاد في إنجيل برنابا الحواري آي من الذكر الحكيم، وإن كان القرآن يأتي بأكثر منها وأوضح ... وقد يحق للمسيح عليه السلام أن يكرّر التبشير بالجنة والإنذار بالنار، قبال بيت إسرائيل التي غفلت واستغفلت عن ذكريات اليوم الأخير، ولو أن آيات العهد العتيق - البيّنات - حول المعاد بقيت فيه لكان المسيح عليه السلام في راحة من عبءِ هذا التكرار حيث لم يُبعث إلّا بما بُعث به موسى عليه السلام من أحكام ونواميس عقائديه وعملية، على مَن يريد الفحص عن آي

الإنجيل الصدق ـ برنابا ـ حول يوم المعاد، فليراجعها ثم يطبقها على آي القرآن، ثم يقارنها بالعهدين الموجودين، ثم ليقض ما هو قاض بالعدل والنصفة.[1]

الطالب الإنجيلي: حقاً أقول: إنه لتحقيق على الباحث الحرّ الدقيق، متحري الحق الخالد بين الكتابات السماوية ان يقبِّل القرآن وانجيل برنابا الحواري ويضعهما على عينه، فيالهما من تصادق! ثم يا للقرآن من هيمنة ورفرقة على إنجيل المسيح تصديقاً وتكميلًا لتعاليمه النيّرة! ثم على العهدين الموجودين تزييفاً لما تدخّل فيهما من أضغاث أحلام وخرافات أوهام، وتصديقاً لما بقي فيهما من حق الوحي.

وأخيراً يا أستاذ نرجوك أن تتفضل علينا بسرد شيءٍ من ذكريات الذكر الحكيم في الدعوة الركيزة المتواترة بين النبيين بالنسبة لأصل التوحيد والمعاد لكي يطلع القرآن كما تقولون وقد نقول، حافلًا لدعوات الوحي تترى في هذين الأصلين، يصدق كل نبي أقرانه من رجال الوحي فيهما ... وكما تشتمل آيه الكريمة، زهاء الربع منها ـ على تفاصيل المعاد و الجزاء يوم الأخير ... ولكم الفضل والأجر يوم الدين.

المعاد والنبيون فى القرآن

نوح(ع):

﴿لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال يا قوم أعبدوا الله ما لكم من إله غيره إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم﴾ [اعراف، ٥٩] ﴿... إنّي لكم نذر مبين ألا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم﴾ [هود، ٢٥ـ ٢٦] ﴿فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم﴾ [هود، ٣٩] ﴿والله أنبتكم من الأرض نباتاً.

---

١ . فيما يلي ٢٢ فصلًا من انجيل برنابا فيها تفصيل البحث عن المعاد والجنة والنار وخلود العذاب. الفصل: ٥١ إلى ٥٦ و ٥٨ إلى ٦٠ و ١٣٥ إلى ١٣٧ و ١٤١ و ١٦٩ إلى ١٧٨

ثـم يعيـدكم فيهـا ويخـرجكم إخراجـاً﴾ [نوح، ١٧ـ ١٨] وإلــى عشــرات الآيـات كهـذه ...

إبراهيم(ع):

﴿قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون * أنتم وآباؤكم الأقدمون. فإنهم عـدوٌ لـي إلا رب العـالمين. الذي خلقني فهو يهدين ... والذي أطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الـدين﴾ [شعراء، ٧٥ـ ٧٨ و ٨٢]، ﴿واجعلني من ورثة جنة النعيم ... ولا تخزني يـوم يبعثـون * يـوم لا ينفـع مـال ولا بنون * إلا من أتى الله بقلب سليم * وأزلفت الجنة للمتقين * وبُـرزت الجحـيم للغـاوين * وقيل لهم أين ما كنتم تعبدون * من دون الله هل ينصـرونكم أو ينتصـرون * فكبكبـوا فيها هم والغاوون * وجنـود ابلـيس أجمعـون ... فلـو أن لنـا كـرة فنكـون مـن المـؤمنين﴾ [شعراء، ٨٥ و ٨٧ ٩٥ و ١٠٢].

موسى(ع):

﴿وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى. إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصـلاة لـذكري * إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى * فلا يصدنَّك عنهـا مـن لا يـؤمن بها واتبع هواه فتردى﴾ [طه، ١٣ـ ١٦] ﴿إنا قد أوحي إلينا أن العذاب على من كذّب وتـولى﴾ [طه، ٤٨] ﴿إنما إلهكم الله الذي لا إله الا هو وسع كل شـيءٍ علمـاً ... مَـن أعـرض عنـه فإنـه يحمل يوم القيامة وزراً﴾ [طه، ٩٨، ١٠٠] ﴿ولقد أرسـلنا موسـى بآياتنـا أن أخـرج قومـك مـن الظلمات الى النور وذكرهم بأيام الله إنَّ في ذلك لآيـات لكـل صبّار شـكور﴾ [ابراهيم، ٥] ﴿وقال موسى إني عذت بربى و ربكم من كـل متكبـر لا يـؤمن بيـوم الحسـاب﴾ [غافر، ٢٧] ﴿ويا قوم إني اخاف عليكم يوم التناد * يـوم تولـون مـدبرين مـالكم مـن الله مـن عاصـم﴾ [غافر، ٣٢ـ ٣٣] ...

عيسى ابن مريم(ع):

﴿قال إني عبدالله آتاني الكتاب وجعلني نبياً. وجعلني مباركاً أين ما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيّا ... والسلام عليّ يوم ولدت ويوم أموت و يوم أبعث حياً﴾ [مريم، ۳۰ - ۳۱ و۳۳] ﴿ان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراطٌ مستقيم﴾ [آل عمران، ۵۱] ﴿إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إليّ ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ثم إليّ مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون * فأما الذين كفروا فأعذبهم عذاباً شديداً في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين * وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم والله لا يحب الظالمين﴾ [آل عمران، ۵۵ - ۵۷] ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرّم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار﴾ [مائده، ۷۲].

... فهذه نماذج من ذكريات الذكر الحكيم لدعوات النبيين ـ أُولي العزم منهم ـ حول التوحيد والمعاد، ثم مئات الآيات في المعاد تخص خاتم النبيين محمد ﷺ والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم.

طلاب إنجيليون وإسرائيليون: واخيراً يا استاذ نرجوك التفصيل بذكرى حوادث الكون عند الساعة الأخيرة يوم القيامة الكبرى ...

المناظر: ... أجل وبعد أن نطالب القسيس بهذه الذكريات من الكتب المقدسة للمقارنة:

الطامة الكبري وحوادثها الكونية

في الانجيل:

الأسقف: «وفيما هو (المسيح) جالس على جبل الزيتون تقدم إليه التلاميذ على انفراد قائلين: قل لنا متى يكون هذا وما هي علامة مجيئك و انقضاء الدهر. فأجاب يسوع وقال لهم: ... وللوقت بعد ضيق تلك الايام تظلم الشمس والقمر لا يعطي ضوءه والنجوم تسقط من السماء وقوات السموات تتزعزع. وحينئذ تظهر علامة ابن الانسان في السماء وحينئذ تنوح جميع قائل الأرض ويبصرون ابن الانسان آتياً على السحاب بقوة ومجد كثير.

فيرسل ملائكته ببوق عظيم الصوت فيجمعون مختاريه من الأربع الرياح من أقصى السموات إلى أقصاها ... هكذا أنتم أيضاً متى رأيتم هذا كله فاعلموا أنه قريب على الأبواب ...﴾ (متى ٢٤: ٢٩- ٣٣).

المناظر: أجل وهكذا في (مر ١٣: ٣- ٣٣) و (لو ٢١: ٧- ٣٤) وإن كانت هذه الآيات لا تخلو من اختلافات في جهات، وأنها أشبه أن تكون إشارات وبشارات ليوم قيام القائم الموعود قُبيل القيامة الكبرى كما فصلناها في كتابنا: رسول الإسلام في الكتب السماوية، فرجاء استعراض ما هو أظهر صلة بالمعاد.

الأسقف: أجل وفي (اكورنثوس ١٥: ٢٣ - ٣٩) ... «لأنه كما فيآدم يموت الجميع هكذا في المسيح سيحيا الجميع. ولكن كل واحد في رتبته. المسيح باكورة ثم الذين للمسيح في مجيئه وبعد ذلك النهاية متى سلم الملك للّه الأب. متى أبطل كل رئاسة وكل سلطان وكل قوّة، لأنه يجب أن يملك حتى يضع جميع الأعداء تحت قدميه. آخر عدوٍّ يبطل هو الموت لأنه أخضع كل شيءٍ تحت قدميه، ولكن حينما يقول إن كل شيءٍ قد أخضع فواضحٌ أنه غير الذي أخضه له الكل. ومتى أخضع له الكل فحينئذٍ الإبن نفسه أيضاً سيخضع للذي أخضع له الكل كي يكون الله الكل في الكل».

المناظر: لا يتَّضح لنا من هذه الجملات المجملة البولصية شيءٌ بيِّن إلا أن المسيح سيخضع أخيراً للّه، وذلك ما كنا نطلبه طيلة بحوثنا في التوحيد والتثليث،

إذ ليس المسيح إلهاً بل عبد خاضع للّه، إلا أن فيه أيضاً مسًّا لكرامة المسيح من ناحية أخرى في «سيخضع» حيث تشير إلى أنه ما كان خاضعاً لربّه حتى اليوم الأخير، بل كان يكون الله الكل في الكل بعد أن كان بعضاً من الكل، ولا يُنتظر من مثل بولص معاند المسيح إلا كهذه المقالات الجاهلة الكافرة!.

الأسقف: ... إن يوم الرّب تزول فيه السموات وتنحل ملتهبة وتنحل العناصر وتذوب محترقة وتحترق الأرض والمصنوعات فيها ولكنه وعد بسموات جديدة أرض جديدة يسكن فيها البرّ.

المناظر: نعم وفي هذا الأخير إشارة ما إلى شيءٍ من حوادث الكون في الطّامة الكبرى، ثم ليس نصٌّ طيلة الآيات الإنجيلية، وأما العهد العتيق فخِلوٌ إطلاقاً من هذا وذاك.

الطلاب الإنجيليون والإسرائيليون: ... رجاء أن يستعرض الأستاذ آيات بيّنات من الذكر الحكيم وله الشكر.

الطامة الكبري وحادثاتها فى نظر القرآن

المناظر: وإن هناك الكثير من الآيات فيها تصاريح وإليكم نموذجاً منها: خراب العالم أجمع من أرضه وسماواته وزلزال الكون بما فيه وارتجاع المعمورات إلى حيث البدء ...

قيامة الارض:

﴿إذا زلزلت الأرض زلزالها * وأخرجت الأرض أثقالها. وقال الإنسان مالها * يومئذ تحدّث أخبارها * بأن ربّك أوحى لها﴾ [زلزله، ١-٧]، ﴿و إذ الأرض مُدّت * وألقَت ما فيها وتَخلّت﴾ [انشقاق، ٣-٤]، ﴿يوم تشقّق الأرض عنهم سراعاً ذلك حشرٌ علينا يسير﴾ [ق،

٤٤]، ﴿يوم ترجف الأرض والجبال وكانت الجبال كثيباً مهيلًا﴾ [مزمل. ١٤]، ﴿وحُمِلَت الأرض والجبال فدكّتا دكّة واحدة﴾ [الحاقة. ١٤]، ﴿وتنشقُّ الأرض وتخِرُّ الجبال هداً﴾ [مريم. ٩٠]، ﴿يوم تُبدَّل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا للّه الواحد القهّار﴾ [إبراهيم. ٤٨].

أجل، إن هذه الأرض ستزَلزل وتُمدُّ مدًّا عنيفاً وتتخلى وتتحلل عما فيها من أمانات الأبدان والأعمال، وما عمل لها أهل الدنيا من زخارفها، ضَعُف الطالب والمطلوب.

ترجف رجفةً هدَّامة تشقُّ عنها وتبدّل غيرَها كأنها لو تكن أرضاً، إذا رأيتها ما عرفتها، هل إنها أرضنا ألتي كنا نعيش عليها؟ ما لها تمزّقت وماتت كأنها ليست هي هي!

أجل، وحُمِلت الأرض والجبال، حُملت إلى مقابرها، إلى ما قدّرها لها ربها فدكّتا دكة واحدة فيها موتها وانقضاؤها.

قيامة الجبال:

وعلى أثر الاضطرابات والزلازل الأرضية ﴿وتسير الجبال سيراً﴾ [طور. ١٠] ﴿يوم ترجف الأرض والجبال كانت الجبال كثيباً مهيلًا﴾ [مزمّل: ١٤] تُبدّل في سيرها الهائل كأتلال الحِصى من شدة وقعها ودفعها، ثم بوَقَعات أخرى في سيرها تتبدل كالخمير ثم كالغبار المنبثٍّ:

﴿وبُسّت الجبال بسًّا فكانت هباءً منبثا﴾ [واقعة. ٥-٦] ﴿ويسألونك عن الجبال قل ينْسفها ربّي نسفاً * فيذرها قاعاً صفصفاً * لاترى فيها عوجاً ولا أمتا﴾ [طه. ١٠٥-١٠٧].

وكالعهن المنفوش ﴿وتكون الجبال كالعهن المنفوش﴾ [القارعة. ٥].

ثم لا تجد بعد هذه الواقعات الهائلة من مقاعد الجبال ومواضعها إلا سراباً: ﴿وسُيِّرت الجبال فكانت سراباً﴾ [نبأ. ٢٠].

قيامة البحار:

هذه أرضنا وجبالها فكيف بمائها وبحارها، فإنها تتلاطم وتغلى كأن من تحتها أضرمت نيران تعمُّها ﴿وإذا البحار سُجِّرت﴾ [تكوير.٦]، ﴿وإذا البحار فجِّرت﴾ [إنفطار.٣].

تفجَّر البحار وتنشقُّ وتتفرّق مياهها من شدة الحرّ من ناحية، وعن ثورة الزلزال من أخرى، ثم تسجّر أي تلتهب كالنار، أو أنها تتبدل ناراً، وكل ذلك من جرّاء إزدياد حرارة الشمس من ناحية عند تكويرها، وانفجار الأرض وخروج الكرة النارية المذابة من داخلها من أخرى، وارتجاع المادة المائية إلى جزئيها الأكسجينية والهيدروجينية، وثم أخيراً الإنفجارات الذرية من ثالثة، فإذا اندغمت هذه العلل النارية التسجيرية الثلاث فحقٌّ للبحار أن تفجَّر ثم تسجَّر ناراً كالنار!.

قيامة السموات بأنجمها:

...لا فحسب، فإن السّموات أيضاً بأنجمها تنشق وتنفطر وتُبدّل دخاناً كما كان سيطوى هذا الكرس الكوني الواسع بأسطرها:

﴿يوم نطوي السماء كطيِّ السجلِّ للكتب كما بدأنا أوّل خلق نعيده وعداً علينا إنَّا كنا فاعلين﴾ [انبياء.١٠٤] ﴿والسّموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون﴾ [زمر.٦٧].

فتجري سريعة في جريانها، تمور كالمهل ووردةٍ كالدهان: ﴿يوم تمور السماء موراً﴾ [طور.٩] ﴿يوم تكون السماء كالمهل﴾ [معارج.٨] ﴿فإذا انشقَّت السماء فكانت وردة كالدهان﴾ [الرحمن.٣٧] كدرديِّ الزيت: ﴿و انشقَّت السماء فهي يومئذ واهية﴾ [الحاقة.١٦] مسترخية عن صِلاتها ورباطها: ﴿إذا السماء انفطرت﴾ [انفطار.١] اختلَّ نظامها السماوي: ﴿و إذا السماء كشطت﴾ [التكوير.١١] تقشَّرت عن جلدها: ﴿و إذا السماء فرجت﴾ [مرسلات.٩] أصبحت منفرجة نتيجةَ انمحاء أنجمها: ﴿وفتحت السماء فكانت أبواباً﴾ [نبأ.١٩] بعد أن لم تكن لها تلكم الأبواب ﴿ويوم تشقَّق السماء بالغمام ونزِّل الملائكة تنزيلًا﴾ [الفرقان.٢٥].

... وبعدئذ ﴿تأتي السماء بدخان مبين. يغشى الناس هذا عذابٌ اليم﴾ [دخان. ١٠ - ١١] ترجع السماء إلى الدخان كما كان قبل طباقها وخلق أنجمها: ﴿... ثم استوى إلى السماء و هي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرهاً قالتا أتينا طائعين. فقضاهنّ سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزيّنا السماء الدنيا بمصابيح حفظا ذلك تقدير العزيز العليم﴾ [فصلت.١١ - ١٢].

فهذه حال السماء أمّ الأنجم - العجوزة - فكيف إذاً حال ذراريها، أنجمها وكواكبها بمن فيها ومَن تحتها!

قيامة الأنجم:

إنها أيضاً وبالأولى تنكدر وتُطمس وتنتشر، قضاءً على قوى الجاذبية التي كانت تمسكها بإذن الله، وحسماً لكيانها عن عمرانها ومكانها وطورها: ﴿وإذا النجوم إنكدرت﴾ [تكوير. ٢] إنكداراً عن أضوائها المشرقة: من أضواء النور وأضواء التمدن ﴿فإذا النجوم طُمست﴾ [مرسلات. ٨] تُطمس عن كيانها النجومي النوري والماهوي، وتُمحى عن صورتها النجومية وبعدئذ: ﴿و إذا الكواكب انتشرت﴾ [إنفطار. ٢] تنزلق ببقايا كيانها عن أماكنها إلى قعر الأجواء النازلة هبوطاً بعد صعودها، وإذ ذاك ﴿... عَلمت نفسٌ ما أحضرت﴾ [تكوير. ١٤] ﴿ما قدمت وأخرت﴾ [انفطار. ٥].

قيامة النيّرين:

... إذاً تعالوا نزور سراج الليل وسراج النهار ماذا يكون مصيرهما في هذا القضاء العام، إنهما في الآونات الأخيرة من حياتهما سيجتمعان ليعود كلٌ قرينة قبل قضاء حبه، ثم يرجع كلٌ إلى مرجعه، فالشمس تكوَّر، والقمر يُخسف وللتالي إلى مشيئة الله وبها: ﴿فاذا برق البصر * وخسف القمر * وجُمع الشمس والقمر * يقول الإنسان يومئذ أين المفر﴾ [قيامت. ٧- ١٠] ﴿إذا الشمس كورت * واذا النجوم انكدرت﴾ [تكوير.١-

٢] أين المفر لهذا الإنسان الضعيف من نوازل أهوال القيامة الكبرى، في حين لا تستطيع الشمس ولا القمرلا النجوم أن تفرَّ من ميدان النضال إلا قضاءً حتما حاسماً عليها!

... أجل إن القيامة في نظر القرآن لا تُعتبر خاصة بالإنسان، بل تعمه وسائر الكون ليقضي الله أمراً كان مفعولًا.

قيامة الإنسان:

وإذا اصطدمت الأرض بجبالها وبحارها والسموات بأنجمها هكذا، فكيف إذاً حال الإنسان الذي يعيش آنذاك في هذه الأرض؟ وماذا تكون حالته في هذه القارعة الكبرى:

اليكم ذكرى خالدة، سورة القارعة:

﴿القارعة ما القارعة * وما أدراك ما القارعة * يوم يكون الناس كالفراش المبثوت * وتكون الجبال كالعهن المنفوش * فأما من ثقلت موازينه. فهو في عيشة راضية * وأما من خفّت موازينه * فأمُّه هاوية * وما أدراك ماهيه * نار حامية﴾.

والموازين هي موازين الإنسانية كما قررتها التشاريع الإلهية، ولتُجزى كل نفس بما تسعى. ﴿وأن ليس للإنسان ما سعى﴾ [نجم. ٣٩]!

فـ ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيءٌ عظيم. يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد﴾ [حج. ١-٢]، ﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون * إلا من أتى الله بقلب سليم﴾ [شعراء. ٨٨- ٨٩].

فهذه جزئيآت من مئآت الآيات في تفاصيل يوم الجزاء لفصل القضاء، ولقد ترون البون الشاسع بينها وبين ذكريات المعاد في العهدين، بلا بل في العهد الجديد فحسب، فاقض ما أنت قاض!!!

المخلدون فى النار و مشاكل الخلود اللانهائى

الأسقف: فلنفرض اننا نصدق وكما يحق: أن القرآن أدى حق البيان بالنسبة ليوم الدينونة وله السباق في هذا الميدان، أن جاء بقول فصل تبشيراً وتحذيراً، إلا أن هناك سؤالًا هاماً في الآيات التي تخلّد صنوفاً من المكلفين في النار، وقد تلمس منها أن إله القرآن يسبق غضبُه رحمتَه ليوم المعاد، ويغلب ظلمُه عدلَه، وأخيراً يصنع بأهل النار ما يضاد العقل والعدل والرحمة والحنان، وما يختلف عن تصاريح أخرى في قرآنه من التسوية بين الجزاء والعمل، دون زيادة لأحدهما على الآخر إلا في الجزاء على الحسنات فإنه يضاعف لها بفضله وكرمه.

فما هي العلاقة والمناسبة بين السيئة المحدودة ذاتاً وزماناً وبين الجزاء اللّا محدود كذلك، فلا نهاية لانتقامه من عباده الضعفاء الذين لم يعصوه إلا لزمن محدود؟ ثم كيف تقبل الأبدية لما له بداية ولا سيما في المادي المحكوم بالزمن، وكيف تتعلق القدرة بالمستحيل ذاتيّاً ..؟!

لهذا وذاك يصبح الكثير من آي القرآن المصرحة بالخلود[1] بالنسبة لأهل النار، تصبح مضادة لحكم العقل، والعدل والرحمة!.

المناظر: هناك مشاكل بالنسبة للخلود لو فسرنا بمعنى اللّانهاية الحقيقية، مشاكل لا محيد إلا عن البعض منها، ولكن الذي يوهن الخطب أن تفسير اللّانهاية الحقيقية للخلود في النار مما لا ترتضيه اللغة ولا القرآن ولا العدل الإلهي ورحمته التي وسعت كل شيء!.

---

١ . مجموع آيات الخلود في القرآن «٨٥» وتختص «٣٤» منها بالخلود في النار وقد قيدت طائفة منها الخلود بالأبد.

الخلود في اللغة:

فالخلود لغوياً هو دام البقاء في دار لا يخرج منها، والإبطاء عن الشيء كما يقال: خلد:

أبطأ عنه الشيب، ويقال للرجل إذا بقي سواد رأسه ولحيته على كبره: أنه المخلَّد، وللذي لم يسقط أسنانه من الهرم: مخلَّد، والخوالد الجبال والصخور لطول بقائها بعد دروس الأطلال، وأخلد بصاحبه لزمه[١] وكل ما يتباطأ عنه التغيير والفساد تصفه العرب بالخلود، كقولهم للأثافيّ خوالد وذلك لطول مكثها لا لدوام بقائها، ثم أستعير للمبقّى دائماً.[٢]

الخلود في عرف القرآن:

فالأصل اللغوي في الخلود هو طول المقام لا دوامه الفلسفي وإن أستعير للدوام أحياناً، وكذلك الخلود في الذكر الحكيم، حيث القرائن القاطعة في آيِه الكريمة تدلنا على ذلك، وإن كانت إرادة المعنى الحقيقي الأصيل من اللفظ لا تحتاج إلى قرينة:

فقد يقول في وصف الكافر تنديداً بحالته الرديئة ﴿ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه﴾ [اعراف، ١٧٦]، ﴿الذي جمع مالًا وعدده. يحسب أن ماله أخلده﴾ [همزه، ٢-٣].

فهل من عاقل يزعم أو يحتمل أن ماله يؤبّده في الحياة الدنيا إلى غير النهاية؟ كلًّا ولا أي مجنون، ولا أية دابة هكذا تزعم، وبعدئذ فالله تعالى يخبر عن الكافر أنه أخلد إلى الأرض، فلو كان الخلود كما يُتوهم هو البقاء لا إلى النهاية، أصبح إخبار الله تعالى في الآية الاولى كذباً بيّناً وحاشاه!

---

١ . لسان العرب.

٢ . مفردات القرآن للراغب الاصبهاني.

ثم إن تقييد الخلود بالأبدية في آيات، هذا أيضاً مما يدلنا على أن زمن الخلود محدود، حيث الظاهر من: ﴿خالدين فيها أبداً﴾، أن الخلود منه مؤبد ومنه غير مؤبد، ولا ريب في الفرق الزمني بينهما بالطول والقِصَر نسبياً، فليكن للخلود نهاية، وإليكم نموذجاً من الآيات في تأبيد الخالدين: ﴿إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها اولئك هم شر البرية. إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية. جزاؤهم عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه﴾ [بينة: ٦ - ٨].

حيث أطلق خلود الكافرين دون تقييد، ثم قيد خلود المؤمنين أنه أبدي، فلو أن التأبيد تأكيد للخلود لم يصح إهمال الخلود للكافرين عن ذلك التقييد، إذاً فليس إلّا للدلالة على أن زمن الخلود للمؤمنين أطول من خلود الكافرين.

الخلود الأبدي:

الأسقف: إذاً فماذا تصنعون بالآيات المصرحة بالخلود الأبدي للكافرين أيضاً؟.

المناظر: إن الكفار عن طوائف شتى من حيث دركات الكفر، فمنهم من يخلد في النار أبداً كالمشركين والمكذبين بآيات الله والصَّادين عن سبيل الله الذين يبغونها عوجاً كما في آيات، ومنهم من يخرجون من النار جزاءً بما صلحوا في العقيدة وأصلحوا في أعمالٍ وإن كان قليلاً، كالموحدين ولا سيما أهل الكتاب منهم، ما لم ينحوا منحى المؤبّدين في التكذيب والصدّ عن سبيل الله، ولذلك لمَّا جمع الله تعالى بين الكفار من أهل الكتاب و المشركين لم يأت إلا بذكرى العذاب الجامع لهما وهو الخلود، لا الأبدي منه، لاختصاصه بالمشركين ومن إلهيم في مرتبة الكفر.

الأسقف: إذ ذاك تعود المشكلة الأولى بالنسبة للخلود الأبدي اللانهائي فإنه ينافي العدل والمماثلة بين العصيان وعقابه، الموعودة في القرآن: ﴿ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها﴾ [انعام. ١٦٠]، ﴿إنما تجزون ما كنتم تعملون﴾ [تحريم. ٧]. فما هي المماثلة بين عصيان محدود - فاعلًا وزمناً وتأثيراً - وبين عذاب لا ينتهي؟ فلو لم تكن هناك مماثلة بينها، بل زاد العذاب على العصيان ظلماً وجوراً، فكم كانت مدة العذاب؟ هل زائداً على اللانهاية الحقيقية أم هي بعينها؟ إذاً لم يبق فرق بين المماثل والزائد!

المناظر: ليس التأبيد في خلود العذاب إلا زيادة على الخلود غير المؤبد بزمن، فالخالد هو الذي يبقى دهراً طويلًا ثم يخرج، والمؤبد مَن لا يخرج وإنما يفنى بفناء النار.

فأهل النار على شتى دركاتهم يجمعهم أن عذابهم منتهٍ لزمن، ويفرِّقهم: أن منهم من يخرج منها بعد زمن، وآخرون يخلدون ثم يخرجون، وثالثة لا يخرجون: ﴿لا يُقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها﴾ [فاطر. ٣٦]، ﴿كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غمّ أعيدوا فيها﴾ [حج. ٢٢] ﴿إن المجرمين في عذاب جهنم خالدون * لا يفتّر عنهم وهم فيه مبلسون ... ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال إنكم ماكثون﴾ [زخرف. ٧٤- ٧٥ و ٧٧]، ﴿ولا يجدون عنها محيصاً﴾ [نساء. ١٢١].

فهؤلاء يؤبَّدون بدوام النار ثم يقضى عليها وعليهم دون أن يموتوا في النار، بل معها فهنا ﴿لا يقضى عليهم فيموتوا﴾ تعني فيها، وأن ﴿يخرجوا منها﴾ وهي باقية. و ﴿إنكم ماكثون﴾ ما دامت هي.

الخلود في الجنة:

الأسقف: إذاً فالجنة أيضاً لها نهاية، فإن لفظة الخلود والأبدية تشترك فيها الجنة والنار، و إذا لا بقاءَ في الجنة فأين وعد إله القرآن أن عطاءه فيها غير مجذوذ، وأن لأهلها أجراً غير ممنون، وأكلها دائم وظلُّها ممدود؟.

المناظر: لا أقول إن الخلود والأبدية تدلان على انقطاع الأمد وإنما هما مدة طويلة وأطول دون دلالة على اللانهاية ولا النهاية إلا في الخلود المقيد بالأبد، فإن خلوده محدود حيث القيد يدلّنا على ذلك، هذا وقد نلمس من آيات خرى أن أبد الجنة لا ينقطع ... فضلًا من الله- كما أن دوام النار منقطع لعدله وحكمته تعالى، فكما أن عدله تعالى يقتضي ألّا يجاوز الحد في عقاب العاصين، كذلك فضله ورحمته التي كتبها على نفسه لا تنتهي فإنه لا يبخل ولا يعيى وليس لكرمه نهاية، فاللّانهاية في فضله تقتضي اللّانهاية لجنته، كما أن اللانهاية في عدله تقتضي النهاية في عقابه، جزاءً وفاقاً: ... ﴿ومن جاء بالسيئة فلا يجزي إلاّ مثلها﴾ [انعام، ١٦٠] ﴿وجزاء سيّئة سيئة مثلها﴾ [شورى، ٤٠]. وكثيراً ما نجد المقابلة بين المؤمنين والكافرين في آيات الخلود مع اختصاص المؤمنين بالأبد دون الكافرين كما في [نساء، ٥٦ - ٥٧ و ١٢١ - ١٢٢] وفي [تغابن، ٩ و ١٠] وفي [بيّنه، ٦ و ٨]، كما ويؤكد في آيات أخرى خلود المؤمنين في الجنة بالتأبيد دون خلود الكافرين في النار، وإن كانت هنالك آيات أخرى في تأبيد صوف من الكفار في النار.

مشكلة عقلية في الخلود اللانهائي في الجنة:

الفيلسوف الانجيلي: اللّانهاية في الحادث مستحيلة مهما كانت في الجنة أم في النار، فلا تتعلق بها القدرة فإنك إذا أضفت مليون سنة إلى اللانهائي المفروض حدوثُه، أو نقصت عنه مليون سنة، فهل إن هذه الزيادة والنقيصة تزيد في هذا اللّانهائي أو تنقص عنه؟ فلو لم تؤثران فيه بزيادة او نقيصة أصبحت مليون سنة كعدمه سواء، وهذا ما تنكره بديهة العقل! وإن أثرت بزيادة أو نقيصة

أصبح اللانهائي محدوداً، فإن الحد واللّاحد متناقضان لا يجتمعان، ولأن أبيت الاّ عن كونه لا نهائياً رغم حكم العقل، أصبح هذا الأبدي الحادث والإله السرمدي الذي يزيد على الأبد أنه أزلي أيضاً، أصبحا متماثلين في الأبدية لا حدَّ لهما إطلاقاً: الإله كخلقه والخلق كالإله!

الجواب عن المشكلة:

المناظر: أوَّل ما نقول نقضاً إن بناية التثليث الإنجيلي ليست إلا على فرض جواز اجتماع النقيضين في الإله، وأن قدرته تتعلق بالمستحيل كالممكن، ثم القول الفصل هنا أن الموجودات من جهة الحد واللاحدّ تتصور على طوائف:

١- أزلي أبدي: لا أول له ولا آخر له، وهو خارج عن حدود الزمان وظروفه وهو الله تعالى شأنه.

٢- حادث له بداية ونهاية كجميع الصور والمواد التي تحدث ثم تفنى.

٣- أزلي له نهاية وهذا مستحيل كما بيّناه في كتابنا حوار بين الإلهيين والماديين.[١]

٤- حادث أبدي أحدثه الله تعالى ثم يؤبّده بقدرته لغير النهاية.

ففي الرابع يقال: هذا الموجود محدود، محدود من حيث البداية وغير محدود من جهة النهاية، فهو يقبل الزيادة والنقصان في أوَّله وأوساطه ولا يقبلهما في آخره، لأنه لا آخر له حسب الفرض، وإنما المستحيل هو المفروض غير المحدود إطلاقاً، بدء ختم، حال أنه حادث محدود من حيث البداية وإن كان لا يحدّ من حيث النهاية بما يؤبده الله تعالى.

---

١. طبع منه ٤٠٠٠ نسخة وهو بحث تحليلي بصورة المناظرة حول إثبات خالق الكون ووحدانيته على ضوء العلوم الحديثة، كما وطبع مرات أُخرى.

فهنالك في الكون ما ليس له حدٌّ وهو الإله الواحد السرمدي، وما هو محدود إطلاقاً كالفرض الثاني وما هو محدود من حيث البداية غير محدود من حيث النهاية، إذا فمن الممكن اللانهاية في الجنة وأهلها رغم أن لها بداية، فإن اللّانهاية هنا ليست ذاتية، وإنما هي بفضل الله ورحمته .. عطاء غير مجذوذ.

الفيلسوف الإنجيلي: كأن هذا قول مفرد في علماء الإسلام: أن للنار نهاية، فإنهم مجمعون على تفيسر الخلود والأبدية باللّانهائية، فكيف تصدّقون رغم إجماع علماء الإسلام على ذلك؟

المناظر: هب إنه أجماع- وليس به- ولكنه ما هي قيمة إجماع (كما تزعمون) ينافي العدل والحكمة الإلهية، ويضادّ تصاريح هامة في الذكر الحكيم: أن العقوبة ليست إلّا بقدر السيئة لا تزيد عنها، وقد تنقض منها: عدلًا في الأول وفضلًا في الثاني بشفاعة أو غفران أو ما يشبههما من كفارات المعاصي.

هذا ولكنه لا إجماع هنا إطلاقاً، وليست مسألة الخلود من فروع الدين حتى يفيدها الإجماع أو الشهرة بين الأُمة، فإنها من المسائل العقلية التي يجب أن تقاس بالعقل والعدل و الحكمة، ثم الدلالة البينة من الذكر الحكيم، وجميع هذه المقاييس تحتِّم أن يكون العذاب إلى حدٍّ كما كان العصيان.

قول فصل في استحالة اللانهاية في العذاب:

١- إن العذاب ليس إلا ظهوراً لحقيقة العصيان كما تدلُّ عليه آيات بيِّنات، فكما العصيان محدود فأثره وحقيقته أيضاً محدودان، حيث القله المحدودة لا تؤثر إلا أثراً محدوداً على سواء.

طالب إنجيلي: كذلك الطاعة محدودة فليكن جزاؤها أيضاً محدوداً، إذاً تصبح الجنة كالنار لها نهاية.

المناظر: كلا! حيث الجنة بنعيمها حصيلة الأعمال الصالحة بفضلٍ من الله ورحمة، بل لا يستحق أحدٌ الجنة بعمله فحسب، بخلاف النار.

روحيٌّ مسلم: إنما تعتبر عقوبة المعاصي بالنظر لمنزلة المعصيِّ دون العاصي بعصيانه، فكما أن الله تعالى غير متناه في منزلته ومحتده، فعصيانه أيضاً غير متناه، فالجزاء الوفاق هنا العقوبة غير المتناهية على سواء.

المناظر: كلا! إن العصيان لا يعتبر إلا من حيث نفسه بأثره، ومن حيث العاصي حسب مختلف ظروفه الداخلية والخارجية، ولو كان المقياس هو المعصي لأصبحت جميع المعاصي كباراً دون أن تكون فيها صغيرة، ولبطلت الحدود والديات التي قررت بالنظر لحدِّ الجناية وموقف الجاني دون أن يلاحظ فيها منزلة المجني عليه، فإن الإيمان والكفر والذكورة والأنوثة في الجاني والمجني عليه، كلها مما له دخل في مقدار الحد ونوعه، ولكن مراتب الإيمان ومنازل العلم والكمال في المجني عليه لا تعتبر في تحديد الحدود و الديات.

إذاً فكيف يقرّر الشارع الإلهي: أنَّ جزاء العصيان في المجتمع البشري يقاس بأثر العصيان وموقف العاصي، بل رعاية لمنزلة المعصي ثم هو يضاد تشريعه في العقوبة أن يريد فيها بالنسبة لعبيده الضعفاء رغم أنه أحرى أن يعفو عنهم ويرحم!

وأخيراً إن اعتبار منزلة الألوهية في جزاء العصيان يعني جزاءً غير وفاق، وألّا يكون جزاء السّيئة سيّئة مثلها من حيث العصيان، وإذا اعتبر من حيث المعصي وجبت سرمدية العذاب، قضيةً لكون اللّاحد في ذاته وكمالاته المقدسة سرمديةً، وإذ تستحيل العقوبة الّا لغير النهاية بما له بداية فلم يتحقق الجزاء الوفاق والمثل كيفما كان! ثم اللازم عندئذ الأبدية الفلسفية في عقوبة كل عصيان دون اختصاص بالكبائر، بل لا صغيرة إذاً حيث المعصى لا محدود في كل عصيان، فالكل كبائر غير محدودة الجزاء.

٢ـ العدل الإلهي يقتضي النهاية في العذاب كالنهاية في العصيان، لا فحسب بل إننا لا نجد عبر التاريخ حتى في الأمم الوحشية الظالمة من يعذب المعتدي هكذا (كما يزعم في التعذيب اللّانهائي من الله تعالى وحاشاه)، فهل يوجد ظالم إعتدى عليه عامل من عماله منتهى العداء، ثم أن يعاقبه طيلة حياته بشتى أساليب التعذيب والتنكيل، فلا يريحه بقتله بعد أمد بعيد بل يعذبه دائما دون فتور، ويواصل به النكال مئآت المرات أو ملايين الأضعاف مما عمل واعتدىٰ، اعتباراً لعلو محتد المعصي!

فما بال قوم يفترون على الله تعالى انه يعذب عباده العاصيين لغير النهاية دون أن يفنيهم بعد ما عاقبهم بجزاء وفاق؟

فالعقوبة لا الى إلنهاية كما يزعمها شرذمة من الناس مسٌّ بكرامة أعدل العادلين وأكرم الأكرمين، وجهل بعدله، ونيل من ساحته، بما لا يُنال من أرذل عباده الظالمين وحتى شيطان الرجيم!

٣ـ ليست هناك آية تدلنا على اللّانهاية الحقيقية الفلسفية في عذاب أهل الجحيم ولا في نفس الجحيم، وإنما هو الخلود الأبدي أو غير الأبدي، ولا يختلف الأبد عن الخلود الاّ في أن زمنه أطول، لا أنه الأبدية الفلسفية التي نعتقدها فيالله سبحانه وتعالى وإنما يُعنى بالأبدية في النار عدم الخروج عنها ما دامت هي موجودة، كما يقال: فلان محكوم عليه بالسجن المؤبد أي ما دام حياً أو ما دام السجن، فكذلك الأبدية في مقام أهل النار دون ريب كما وأن الأبدية في الحادث ليست تعني اللّانهاية الخاصة بالأبدي الحقيقي، أو ﴿عطاء غير مجذوذ﴾ منه قضية الرحمة.

والآيات في عدم الخروج الخالدين المؤبدين عن الجحيم[1] لا تتنافي وانعدامهم فيها بعد ما قضي عليها أو عندها.

وكذلك الآيات في أنهم لا يموتون فيها[2] فإنها لا تنفي الموت عنهم إطلاقاً بل إنما تنفي الموت في النار، فهي لا تنافي وموتهم مع انقضائها أو بعدها كما وثبت موتها مع النار الأدلة التي مضت.

ومثلها الآيات في عدم تخفيف العذاب عنهم،[3] فإنها إنما تنفيه عن الزمن الذي هم في النار، وأما موتهم بعد انقضاء النار فليس تخفيفاً للعذاب بل هو قضاءٌ على حياه المعذَّب، فإن التخفيف يستدعي حياة من يخفَّف عنه دون ريب.

إذاً فلم يبق لهذه الفرية البينة أية دلالة عقلية أو نقلية، اللهم ما يضادها ويزيفها والله من وراء القصد.

الروحي المسلم: انما يؤبد أهل النار لغير النهاية بنياتهم، فإنهم كانوا يقصدون مواصلة الكفر والأعمال الكافرة لو بقوا لغير النهاية، فالجزاء لا إلى النهاية إذاً جزاء وفاق دون ريب.

المناظر: حاش للّه أن يعذب بمجرد النية السيئة كما يعذب بعملها، فإن الوفاق هنا وهناك أن يقابل العمل السوء بالعذاب، والنية السوء بنية العذاب، لانفس العذاب؛ كيف والتصاريح القرآنية تشهد لذلك قائلة: ﴿من يعمل سوءاً يُجز به﴾ [نساء، ١٢٣] ﴿إنما تجزون ما كنتم تعملون﴾ [طور، ١٦] ﴿هل تجزون إلا ما كنتم تعملون﴾ [نمل، ٩٠]، ﴿هل تجزون إلا بما كنتم تكسبون﴾ [يونس، ٥٢]، ﴿ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات إلا ما كانوا يعلمون﴾ [قصص، ٨٤].

---

١ . كقوله تعالى: ﴿أولئك مأواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا﴾ [نساء، ١٢١]، ﴿يريدون أن يخرجوا منهاوما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم﴾ [مائده، ٣٧]، ﴿كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيهاذوقوا عذاب الحريق﴾ [حج، ٢٢].

٢ . كقوله تعالى: ﴿والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها﴾ (فاطر، ٣٦)

٣ . كقوله تعالى: ﴿خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون﴾ (بقره، ١٦٢)

فهذه وأمثالها تصاريح قيِّمة أن العقوبة ليست إلّا بعمل السوء فحسب، ثم تصريحات أخرى أنها ليست إلا مثل السوء دون زيادة عليه: ﴿من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها﴾ [غافر: ٤٠] ﴿ومن جاء بالسيئة فلا يجزي إلا مثلها﴾ [انعام: ١٦٠]، ولا ريب ان مماثل المحدود محدود مهما كان عملًا أو عقيدة فاسدين.

وأخيراً من قال لكم ان المخلدين في النار أجمعوا على نية الخلود في العصيان، وقليل من هم - إن كانوا - ولكن الكثير منهم من كان يسوف التوبة رجاء أنه سيبقى لزمن يعمل فيه صالحاً غير الذي كان يعمل، وهذه أيضاً مقالتهم وهم في النار: ﴿ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل قال أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير﴾ [فاطر: ٣٧] وكما يقولون بعد الموت دون فصل ﴿حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلي أعمل صالحاً فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون﴾ [مؤمنون: ٩٩- ١٠٠].

إذاً فمقالة أخي الروحي المسلم تنافي هذه الآيات البينات، وما أظنه إلا أنه اقتفى أثر شهرة ضنيلة فيها بين الكثير، وإنما نشأت عن حديث مختلق يضاد القرآن فليضرب به عرض الحائط، كما أمَرَنا بذلك الراسخون في علوم القرآن المعصومون الطاهرون عليهم السلام.

طالب إنجيلي: الجزاء الوفاق يستدعي المماثلة بين زمنه وزمن العصيان، وإلا فلا وفاق ولا عدل في الجزاء، حال أنكم تعتبرون المقام في النار بعشرات ومئات أضعاف زمن العصيان!

المناظر: الحد الزمني ليس مقياساً يقاس به هنا، فكم من عصيان في زمن قليل له من الأثر ما يساوي آلاف أضعافه، وكم من عصيان في زمن طويل يقل عن الأول بكثير، فإنما يعتبر جزاءُ العصيان حسب آثاره الفردية والجماعية دون زمنه.

الروحي المسلم: شكراً لك يا أستاذ بما أوضحت لنا ما كان خفياً علينا وعلى الكثير من أمثالنا.

الأسقف ـ الفيلسوف الإجيلي ـ الطالب الإنجيلي: ويحق للقرآن الحكيم ذائد مثلك متين مكين أمين، لا تهوي به الأقاويل مهما كثرت وتظافرت إلى هوّات الزلل والخطل، الله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

طالب مسلم: أستاذ! لنفرض أن الخلود لغوياً هو طول المكث لأمدٍ، ولكن الأبد ليس إلا بمعنى اللانهاية وكما في كتب اللغة، فماذا تأمرون؟

المناظر: لقد فلصنا القول في ان الأبد أيضاً ليس إلا طول المكث ولكنه أطول من الخلود غير الأبدي وان فسره بعض اللغويين باللانهاية واللاإنقطاع، ولكنه اقتباس عن الإصطلاح الفلسفي في الخلود أو المعنى منه بالنسبة للأبدية الإلهية، فطبيعة الحال في الأبدية المنسوبة إلى الحادثات قاضية أنها الى أمد، وفي المنسوبة إلى الذات السرمدية الإلهية أنها اللّانهاية الحقيقية، وشاهداً على ذلك أنها لم يعن منها في القرآن إلا البقاء إلى أمد بعيد وكما يقول تعالى ﴿ولا تصلِّ على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره﴾ [توبه، ٨٤]، ﴿ولن يتمنوه أبداً بما قدمت أيديهم﴾ [بقره، ٩٥]، ﴿إنّا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها﴾ [مائده، ٢٤]، ﴿فقل لن تخرجوا معي أبداً﴾ [توبه، ٨٣]، ﴿لا تقم فيه أبداً لمسجد أسس على التقوى﴾ [توبه، ١٠٨]، هذه وما إليها منعشرات الآيات التي تعني بالأبد ما له أمد، فإن حياة التكليف منقطعة قصيرة فكيف بما يترك أو يعمل فيها من أعمال!

وأخيراً نفرض أن الأبد هو اللانهاية إطلاقاً، فاستعماله فيما له أمد مجاز محتاج إلى قرينة، فهلّا يكفي دليل العقل والعدل السالفان على استحالة اللانهاية في العذاب! هلّا يكفيان شاهدي صدق على المعنى المحدود من الأبد؟

جماعة الطلاب: المسلم ـ الإنجيلي ـ الإسرائيلي: أستاذ رجاءُ إستعرضوا مختلف الانظار في خلود النار.

الأقوال في خلود النار:

المناظر: هي كالتالية:

١- كل من دخلها مخلد فيها أبد الآباد باذن الله (ذهب اليه الخوارج والمعتزلة وطائفة من الشيعة الإمامية) ويزيفه ما سلف من البراهين العقلية والنقلية على استحالة اللانهاية الحقيقية في خلود النار.

٢- اهلها يعذبون فيها مدة ثم تنقلب عليهم وتبقى طبيعة نارية لهم يتلذذون بها لموافقتها لطبيعتهم الثانوية (ابن العربي الطائي في فصوص الحكم).

و هذا خلاف نص القرآن ﴿ولهم عذاب مقيم﴾ [مائده. ٣٧] و﴿لا يفتَّر عنهم وهم فيه مبلسون﴾ [٤٣: ٧٥].

٣- أهلها يعذبون فيها إلى وقت محدود، ثم يخرجون منها ويخلفهم قومٌ آخرون (عن اليهود) كما ادعوه وأجابهم القرآن ﴿وقالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة قل أتخذتم عند الله عهداً فلن يخلف الله وعده أم تقولون على الله ما لا تعلمون﴾ [بقره. ٨٠].

٤- يخرجون منها وتبقى ناراً على حالها ليس فيها أحد يعذب (حكاه شيخ الإسلام) وهذا أيضاً خلاف نص القرآن ﴿ولا يجدون عنها محيصاً﴾ [نساء. ١٢١]، ﴿يريدون أن يخرجوا منها ولا هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم﴾ [مائده. ٣٧]، ﴿كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غمٍّ اعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق﴾ [حج. ٢٢].

٥- تفنى النار بنفسها، لأنها حادثة بعد أن لم تكن، وما ثبت حدوثه استحال بقاؤه وأبديته (جهم بن صفوان وأتباعه دون فرق بين الجنة والنار).

فناء النار حق لا لاستحالة أبدية الحادث كما فصلناه، بل قضية لعدله تعالى ...

٦- تنفى حياتهم وحركاتهم ويصيرون جماداً لا يتحرّكون، ولا يحسّون بألم (أبو الهذيل العلاف إمام المعتزلة طرداً لامتناع حوادث لا نهاية لها).

و فناء حياتهم لو كان في النار فهذا خلاف نص القرآن: ﴿لا يقضى عليهم فيموتوا﴾ ... [فاطر. ٣٦]، ﴿لا يموت فيها ولا يحيى﴾ [طه. ٧٤] إلا أن يراد فناؤهم بفنائها.

٧- يفنيها ربها تبارك وتعالى فإنه جعل لها أمداً (ابن مسعود وأبو سعيد وعمر و أبو هريرة وغيرهم).

٨- يخرجون منها وينعمون بعد الخروج (عدة من الفلاسفة مثل الصدر والكاشاني غيرهما) وهذا أيضاً خلاف نص القرآن على عدم خروجهم من النار فضلا عن أن يتنعموا بعده! اللهم إلاّ من له إيمان.

الطلاب: هل هناك يا أستاذ أدلة وشواهد أخرى تدلنا على فناء النار بمن فيها من المؤبدين ولكي تزيف سائر الأقاويل أكثر وأكثر؟.

المناظر: أجل ونقدم هنا آية صريحة من الذكر الحكيم تعمّ كافّة أهل النار في انقطاع العذاب لأمد قريب أم بعيد: ﴿إن جهنم كانت مرصاداً. للطاغين مآباً * لابثين فيها أحقاباً * لا يذوقون فيها برداً ولا شراباً * إلا حميماً وغساقاً. جزاء وفاقاً﴾ [نبأ، ٢١-٢٦].

فهذه الآيات البيّنات تعتبر الجزاء الوفاق لأهل النار - أياً كان كفرهم وفسقهم - تعتبره أن يلبثوا فيها أحقاباً لا يذوقون فيها برداً ولا شراباً، والأحقاب كيفما كان الحقب - مجموعة زمن معين: ثمانين سنة أو أكثر، سنة أو سنين أو دهراً [١] فالجمع المنكر من أيٍّ من هذه المفردات لا يكون - ويستحيل أن يكون - زمناً دون نهاية، وفي الصادقي [٢] في الآية قال عليه السلام «الأحقاب ثمانية أحقاب، والحقب ثمانون سنة، والسنة ثلاثمائة وستون يوماً، واليوم كألف سنة مما تعدُّون».

ولعل الإمام يعني هنا اطول زمن يبقى المخلدون المؤبدون في النار وهو على هذا الحساب (٢٣،٠٤٠،٠٠٠) سنة وشاهداً على ذلك عدم انحصار معنى الحقب في الثمانين وعدم انحصار الجمع في ثمانية لأن أقله ثلاثة، ثم عدم جواز تفسيراليوم من سنه العذاب بألف سنة إلا في موارد خاصة، وعلى أية حال فهذه المدة وهي الغاية

١. هذه هي المعاني الزمنية للحقب لغوياً
٢. معاني الأخبار للصدوق بالإسناد مرسلًا عن الصادق(ع)

القصوى من المكث في النار ليس إلا هكذا، ثم أقل منه وأقل حسب دركات الطغيان جزاء وفاقاً.

فناء النار:

ومما يؤيد فناء النار مهما طالت:

١- أن الجنة هي من موجب رحمته ورضاه، والنار من غضبه وسخطه، ورحمته سبحانه تسبق غضبه «سبقت رحمتُه غضبَه»، «... ولذلك (الرحمة) خلقهم» فالرحمة هي المقصودة في الخلق أصالة دون الغضب، إذاً فليسا على سواء في اللانهاية، فما كان بالرحمة وللرحمة فهو مقصود لذاته قصْدَ الغايات، وما كان من موجب الغضب فهو مقصود لغيره قصد الوسائل، فالعذاب مسبوق مغلوب، وما كان بالرحمة غالب سابق، وإن رحمته وسعت كل شيءٍ دون غضبه، فلتشمل أهل النار وبالأحرى لهم لضرهم وبؤسهم:

﴿ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين آمنوا وكانوا يتقون﴾ [أعراف. ١٥٦]: رحمة مكتوبة تخص العباد الصالحين، ورحمة راجحة غير مكتوبة تخص العاصين، فليعذبوا دون استحاقهم ودون الجزاء الوفاق، فكيف يفترى عليه تعالى أنه يعذبهم فوق ما يستحقون إلى غير النهاية، جزاءً قاسياً ظالماً غير وفاق؟!

٢- خلقت النار تخويفاً للمؤمنين وتطهيراً للخاطئين، فهي طُهرة من الخبث الذي اكتسبته النفس في عالم الكتليف، فإن تطهرت ههنا بالتوبة النصوح والحسنة الماحية والمصائب المكفرة لم تحتج إلى تطهير هناك، وقيل لها في جملة الطيبين: ﴿سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين﴾ [زمر. ٧٣]، وإن لم تتطهر في هذه الدار ووافت البرزخ بدَرَنها، أدخلت نار البرزخ طُهرة لها، فإذا بقيت دنسة لم تتطهر تلك الطهارة، دخلت نار الآخرة وعذبت لحد الطهارة، فإن الدرن الناتج عن العصيان له حد أياً كان، وإن فرضت اللانهاية في الناتج عمًّا له نهاية، إذاً لم يبق

لمواصلة العذاب لغير النهاية غرض صحيح، فإنه يختص بالتطهير، وإذ لا تحصل الطهارة أبداً على الفرض فللانهاية في التعذيب تبقى خلواً عن المصلحة، وأما الجزاء الوفاق الذي يقتضيه عدله تعالى فإنه ليس إلا جزاءً لأمد كما كانت المعاصي محدودة الذوات والآثار والأوقات.

فاذ لا نجد في قسطاس العدل للعقوبة إلا نتاج الجزاء الوفاق والتطهير، إذاً لا محيد إلا عن أن للعذاب حداً، إما تطهيراً للمعذَّب لكي يخرج من النار ويدخل الجنة، أو إفناء له بالمرة بعد أن ذاق وبال أمره، إفناءً مع النار.

وعلى الجملة إن عقوبته تعالى ليست لحاجة منه إليها، ولا لمنفعة تعود إليه، ولا لدفع ضرر وألم يزول عنه، ولا أيٍّ سبب آخر كهذه، ولا هي عبث محض خالٍ عن الحكمةالغاية الصالحة ... أللهم إلا للفرق بين المسلمين والمجرمين: ﴿أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون﴾ [سجده، ١٨]، ﴿وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلًا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار * أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار﴾ [ص، ٢٧- ٢٨].

ويكفي فرقاً بين الفريقين عقوبةٌ ما للفجار جزاءً وفاقاً، حيثُ يحرمون زمن العقوبة عن الرحمة ـ التي تختص أهلَها ـ ويعذبون، وغيرهم لا يعذبون؛ ثم ليست مواصلة العذاب لغير النهاية بالنسبة للمجرمين فيها ضرورة أو رجحان ينتج الفرق بين الفريقين، إلا عبثاً وظلماً تعالى الله عنهما علواً كبيراً.

ثم يكفي كذلك مصلحةً لمن يرجى خروجه من النار لكي يلحق بأهل الرحمة بعد أن يزول عنه درَن العصيان، وأخيراً لا توجد أية مصلحة أو مبرر لمواصلة العذاب بالنسبة لمن ليس مصيره إلى الجنة، لا من حيث الفرق بين الفريقين، ولا تطهيراً للمجرم لكي يدخل الجنة ولا .. إلا العبث والظلم سبحانه وتعالى عما يصفون.

٣- إن الله تعالى إنما يعامل خلقه بفضله لا بعدله، ولذلك نرى أنه يدخل المطيعين جنته وهم لم يعلموا إلا لصالحهم، فليس لهم إذاً جزاءً إلا فضلًا من الله وحناناً منه إليهم، نرى أن يجازي بالحسنة عشراً وأعشاراً ومئات، في حين أنه لا يجازي على السيئة إلّا مثلها، ويعفو عن كثير بتوبة أو شفاعة أو تكفير: ﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفّر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلًا كريماً﴾ [نساء، ٣١]، ﴿إن الحسنات يذهبن السيئات﴾ [هود، ١١٤]، ﴿فأولئك يبدّل الله سيئاتهم حسنات﴾ [الفرقان، ٧٠]، فقد شمل فضلُه ورحمتُه الفريقين معاً، ولو أن الله عامل خلقه بعدله لم ينج منهم أحدٌ من عذابه، ولكنه يعاملهم بفضله ورحمته، إذاً فكيف يفترى عليه أنه يواصل في عذاب طائفة من عصاة عباده لغير النهاية، خروجاً عن الفضل وعن العدل أيضا، ودخولًا في أسوإ وأشنع مراتب اللظم والفظاظة.

كلا، إنه يتفضل على عباده ما لم يكن خلاف العدل والحكمة، فما للّهلا يتفضل على أهل النار، حتى بأن يعدل فيهم فيجازيهم جزاء وفاقاً، حال أنه يرحم طوائف من أهل النار فيخرجهم عنها قبل موعدهم ويدخلهم جنته بشفاعة وما أشبه من رحمة.

٤- إن العفو أحب إليه من الإنتقام، وكما امرنا بالعفو عن ظلمنا ﴿وأن تعفو أقرب للتقوى﴾ [بقره، ٢٣٧]، إذاً فكيف لا يعفو عن أهل النار في التخفيف من عذابهم لغير النهاية، لو كان هكذا عذاب يحق لهم، رغم أنه ليس جزاء وفاقاً؟!

هذه نماذج أربعة من الوجوه التي تؤيد ما أسلفناه براهين النهاية في العذاب والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

مقارنات في النبوات بين القرآن والعهدين

الطلاب الإنجيليون: يا أستاذ! ثم ما هي نظرية القرآن بالنسبة لرجال الوحي بصورة عامة؟ فهل إنهم معصومون أم قد يخطئون ويعصون الله ما أمرهم فيما يعتقدون أو يبلغون من رسالات ربهم أو يعملون؟

المناظر: وما هي نظرية العهدين هنا ولكي نقارن بينهما؟

جمعية المرسلين الأمريكان:[1] لا ينكر أنه ذكر في التوراة بأن بعض الأنبياء اقترفوا الآثام، فإنهم بشرٌ، والنقص ملازم للإنسان أيّاً كانت درجته ومنزلته وتقواه، والمولى سبحانه هو المنزَّه وحده.

والأنبياء معصومون عن الخطإ في تبليغ الرسالة، غير معصومين في الأعمال العادية، دلالةً على ضعف الطبيعة البشرية، وافتقار العالم إلى فادٍ كريم يخلصهم من الخطيئة ونتائجها، ولا عجب إذ أخطأ ابراهيم وموسى وداود وسليمان ...

المناظر: أوَّل ما نستنكر من هذه المقالة لجمعية المرسلين، ملازمة النقص للإنسان! حيث النقص إن عني به الإمكان والحدوث، فلا كلام لنا فيه هنا، إلا أنه لا صلة له بلزوم العصيان، وإن كان هو العصيان، فما هي الملازمة بينه وبين الإنسان؟ فهل إن الإنسان مسيَّر في العصيان بحيث لا يتمكن أن يتركه إطلاقاً؟ إذاً فلا عصيان حيث الجبر رافع للتكليف إطلاقاً، وبعدئذ فماذا يفيد الفادي الكريم حينذاك، فهل إنه يجعل الإنسان معصوماً عن العصيان أن يرفع عنه التسيير الإلهي الفطري في ذلك؟ فالبديهة تعارضه لكثرة العصيان في الإنسان، ولا سيما أهل الثالوث، لاعتقادهم نسخ شريعة الناموس، فهم أحرار فيما يشتهون لأن المسيح افتداهم من لعنة الناموس! ثم لو كان الفداء تعصم الإنسان فأين الملازمة الذاتية بينه وبين العصيان؟ أتبديلًا لذات الإنسان وكما بدلوا ذات الإله، ولكي يعيشوا في حياة جديدة! فهذه آية عدم الملازمة المدعاة! أم إن الفادي يرفع التكليف

---

١. في كتاب الهاية المطبوع بمعرفتهم وإشرافهم، ط ١٨٩٨.

ويستأصله من نوع الإنسان ويقضي على الأحكام التي أتى بها النبيون، ولكي لا يبقى موضوع للتكليف فلا عصيان؟ فهذه خرافة يزيفها العقل والدين كما فصّلنا القول فيه عند البحث عن الصليب وسر الفداء.

ثم أخيراً إننا نجد الإختيار من أنفسنا في أعمالنا، فلا نجد في أنفسنا ضرورة تُلجئنا إلى العصيان، أجل إننا لا ننكر أن الشهوات النفسية تدعوا الإنسان إلى الفجور، ولكن العقل و هو سفير إلهي من داخل، قادر على كسر شهوات النفس وتحديدها بحدود العقل والشرع، و لا سيما إذا كان ممتازاً بخيرة الرب باصطفائه وتسديده وعصمته، وإذ ذاك فلا يقترف صاحبه ذنباً يستحيل ذلك منها إستحالة بالاختيار، والله سبحانه وتعالى أعز وأعدل من أن يأتمن على خلقه من لا يؤمَن شره وضره، ويسترعي عن عباده من هو مثلهم في الضلالة والفجور! و لا سيما في تبليغ الوحي.

فهل إن الرب تبارك وتعالى يعجز عن اصطفاء الأخيار الأبرار من عباده الذين ليس للشيطان عليهم سلطان، ولكي يكونوا حججاً على خلقه بأعمالهم الصالحة، كما هي حجج عليهم بأقوالهم وما يوحى إليهم، فتتم حجة الله على عباده من شتى الجهات؟

أم إن قدرته تعالى محصورة في خرافه الفداء الصليبي، فهو إذ ذاك عاجز عن استصلاح عباده إلّا بلعن المسيح الذي هو عبارة أُخرى عن لعن نفسه، والقضاء على أحكامه. كلّا ثم كلّا ...

فكما أن العقل يرشدنا بدليل اللطيف: أن الله تعالى أرسل رسلًا لكي يدعوا الناس إلى الهدى ويصدوهم عن الردى، فيكونوا حججاً بالغة منه عليهم، كذلك يدلنا إلى لزوم عصمتهم في تلقي الوحي وتبليغه، وفي أقالهم وأعمالهم على سواء، فلو أن الله تعالى أرسل رسلًا هم أنفسهم يقترفون الآثام، كان ذلك أدعى للناس إلى الفجور، ففاعل المنكر ليس له أن ينهى عن المنكر، لأن ذلك يشدُّ أزر

العاصين، ويزيدهم قوةً وحجّة فيما هم يقترفون، زيادة على ما تدعوهم إليه أهواؤهم.

لذلك إن القرآن، مع تأكيده القيمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مع ذلك ينهى تاركي المعروف أن يأمروا به، وينهى فاعلي المنكر أن ينها عنه لأنه فساد على فساد و سخرية بأحكام الله تعالى وكما يقول:

﴿أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون﴾ [بقره، ٤٤]، ﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون * كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾ [صف، ٢- ٣].

هذا وقد يعدُّ مخالفة الناهي فيما ينهى عنه إفساداً، كما يحكي عن شعيب النبي مخاطباً قومه: ﴿وما أريد أن أُخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت واليه أنيب﴾ [هود، ٨٨].

فإذا أذنب النبيون ـ وحاشاهم ـ ثم صرخت كتاباتهم الإلهامية بما عصوا! وفضحتهم أمام العالمين، حينذاك فكيف يكونون حججاً على الخلق لكي يدعونهم إلى الهدى! ... بل ورغم ذاك هم يشجعون الخطاة بذلك في الشهوات حيث يقتدون بأنبيائهم فيها ولهم الحجة إذ ذاك فيما يقترفون، حجة على الله بالرسل حيث هم يعصون، بدل أن يكون الرسل حججاً للّٰه على خلقه.

فكما أن الأنبياء المعصومين حجج على الخلق: ﴿رسلًا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً وحكيماً﴾ [نساء، ١٦٥]: ﴿قل فللّٰه الحجة البالغة﴾ ... [انعام، ١٤٩]، وهؤلاء الحجج يرشدون الناس إلى الصلاح والدين ولا تبقى لهم أية حجة في إتباع الهوى، كذلك الأنبياء العصاة ـ وحاشاهم ـ أولئك بالرغم من كونهم حججاً للّٰه، ليسوا إلا حججاً على الله، يحتج العصاة بهم على الله فيما يعصون، فلو أن الله تعالى ترك الناس وما يهوون فهم في غيهم يعمهون

وفي عيِّهم يترددون، إذ ذاك لم تكن لهم حجة في ترك الهدى إلا واحدة: ﴿ربنا لولا أرسلت إلينا رسولًا فنتبع آياتك من قبل أن نذِلّ ونخزى﴾ [طه: ١٣٤].

ولو أرسل إليهم رسلًا يتركون ما أرسلوا به ويعصون الله ما أمرهم، فحينذاك كانت حجة العصاة أقوى قائلين ﴿ربنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونّا السبيلا﴾ [الأحزاب: ٦٧].

وإذ ذاك فبالأحرى ألّا يرسل الله رسولًا، أو يصطفي من عباده الأخيار من هم حجج على الخلق في شتى أقوالهم وأفعالهم!

الأدلة العقلية الأربع على لزوم العصمة:

وأخيراً: ١- فقاعدة اللطف كما مضت، ٢- وقاعدة إمكان الأشرف، ٣- وتلازم حجية الأنبياء مع عصمتهم، ٤- ولزوم الأمر والنهي بالنسبة للمتناقضين؛ هذه القواعد الأربع مما تملي عصمة الأنبياء عليهم السلام في: ١- تلقي الوحي و ٢- تبليغه و ٣- العمل به.

الطلاب الكتابيون: لم تتبين لنا حتى الآن إلا الأولى والثالثة، فما هي قاعدة إمكان الأشرف، ثم ما هي الرابعة؟.

إمكان الأشرف:

المناظر: مما لا يريبه شك أن الله تعالى لا يريد بإرسال الرسل إلا الأخذ بأيدي عباده الضالين، ولكي يهتدوا إلى صراطه المستقيم، وبإمكانه أن يصطفي لتحقيق هذه البغية رجالًا صالحين معصومين من تلكم النواحي الثلاث، لكيلا يخطئوا في نبوّاتهم وبلاغاتهم، و لا يكونوا حججاً للخلق على الله بعصيانهم، ولكي تتم رحمته تعالى وحجته على عباده في بلاده، فلا يبقى لهم أي عذر في التخلف عن تشاريعه تعالى وتقدس.

إذ ذاك فعدم الصعمة في أنبياء الله ـ وحاشاهم ـ يكشف عما يلي:
عن جهله تعالى بما سوف يصدر عن نبيّه من خطإ وعصيان.
أو عجزه تعالى عن اصطناع واصطفاء المعصومين من عباده.
أو بخله بالنسبة لعباده أن ترك عنهم اصطفاء الأشرف على عمله وقدرته.

وحيث لا سبيل إلى شيءٍ من هذه ـ على ضوء العقل والنقل ـ في علمه وقدرته وعدله و لطفه وحنانه غير المتناهية بالنسبة لعباده ـ إذ ذاك فلا سبيل لتصديق نبوّة غير المعصوم ـ ويصبح عدم العصمة في مدعي النبوة من أدلة كذبه في دعواه.

عدم عصمة النبي يلازم اجتماع الامر والنهي:

وأما الدليل الرابع فهو أن النبي إذا أخطأ في تلقي الوحي أو تبليغه أو عصى عملياً، فطاعته إذ ذاك لا تخرج عما يلي:

١- وجوب طاعته إطلاقاً.

٢- عدمه كذلك.

٣- وجوبه عند موافقته الحق وحرمته عند المخالفة.

فعلى الأول يلزم وجوب مخالفة الحق بأمر الله عند خطإ النبي أو عصيانه رغم حرمته.

وعلى الثاني أصبح إرسال الرسل لغواً حيث لا تجب طاعتهم، وكذلك ترك طاعتهم في الحق جائزاً.

وعلى الثالث فالواجب أن يعرف المرسَل اليهم الحق من الباطل أحسن مما يعرفه الرسل، لكي يوافقهم في الحق ويخالفوهم في الباطل، أو أن يؤمروا بذلك على جهلهم تكليفاً بالمحال، فإن كانوا يعرفون الحق دون بلاغ من الرسل إذاً لم يكونوا بحاجة إلى الرسل، وإن كانوا لا يعرفون فكيف يكلّفون على جهلهم أن يطيعوهم في موارد الصواب ويعصوهم في غيرها!؟

فواغوثاه واويلاه ... آه آه من العهدين- كيف ينسبان شتى جوارف الهوى إلى النبيين وقادة المتقين ... تالله ما هذه الزيادات الزور والخرافات الإبليسية إلا ممن يريد ليستر على معاصيه ومآسيه، أن يجعل أنبياء الله جُنَّة لبغيه وغيِّه ...

فيا أصحابى! تعالوا نتناصر فى الذود عن ساحة النبيين ما يمسّ من كرامتهم ...

تعالوا نقضي على تلكم الإفتراءات الكافرة ونردها إلى قائليها المفترين المغترين، ونقضي قضاءً حاسماً على التقاليد العمياء والتعصبات الجاهلة ...

حزب واحد صامد من أهل الكتاب للذود عن الأنبياء:

إلينا نتحزب بقوة الإيمان فنكون من حزب الله وأنبيائه، ندافع عن ساحة الوحي ورجاله ما لا يناسب كرامتهم ... إلينا وربِّنا - لعمر إلهنا الحق المتعال - إلى حفلة مباركة تتفق بمختلف رجالاتها - رغم إختلاف كتاباتها الإلهامية - تتفق بمختلف رجالاتها - رغم إختلاف كتاباتها الإلهامية - تتفق وفق الحق الصراح - إن في التوراة أو الإنجيل، أو القرآن فإنما نحن نتحرّى الحق في هذا البين، حنفاء عمَّا يضاده وإن كان في غير كتاب ديننا!

طالب إنجيلي: هذه هي التوراة تصطدم وعصمة الأنبياء، فما بال الإنجيل لكي يشارك معها في هذه الفرية الهدامة؟.

المناظر: عفواً يا أصحابي الحضور- إنه ليعزُّ عليَّ أن أذكِّركم بذكرى مزعجة من مسيح الإنجيل، أنه يَعتبر مَن قبله من النبيين سُراقاً ولصوصاً ولا يستثني كما يقول:

«أنا باب الخراف. جميع الذين اتوا قبلي هم سراق ولصوص» (يو ١٠: ٧ – ٨).

فما لمسيح الإنجيل يصطدم كرامة النبيين من قبله هكذا بدل أن يحترمهم كما احترموه من قبل في بشاراتهم، وما له يمسّ وينال من كرامتهم بدل أن يذود

عنهم؟ في حين أن من أهم الوظائف الرسالية لرجال الوحي أن يصدّقوا ويحترموا زملائهم في تبليغ رسالات ربهم، من قبل ومن بعد!؟

الطالب الإنجيلي: عجباً فما هي مقالة مسيح القرآن هناك؟

المناظر: ... إنها مقالة صدق وتصديق لمن بين يديه ومن خلفه: ﴿وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول‌الله إليكم مصدقاً لما بين يديَّ من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبيّنات قالوا هذا سحر مبين﴾ [صف، ٦].

ثم هذا نبيّنا «محمد»ﷺ بلغ في تصديق مَن قبله من أنبياء الله إلى حيث صار «المصدق» من ألقابه الشريفة: ﴿و إذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمننَّ به ولَتَنْصُرُنَّه قال ءأقرتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين﴾ [آل‌عمران، ٨١].

الأسقف: مهلًا يا أستاذ! إنما يعني المسيح مَن قبله من المدعين رسالات الله زوراً وغروراً، وكما يخبر أنه سوف يأتي المسيحيون الكذبة فلا تغتروا بهم.

المناظر: إذ ذاك فلِمَ لم يخص تنديده بالكذبة المدعين بل عمَّمه قائلًا: كل الذين أتوا من قبلي؟ ثم لو كان كما تأمرون لأصبح تفسير كلامه هكذا: كل السراق واللصوص الذين أتوا قبلي هم سراق ولصوص! وأخيراً قوله: أنا باب الخرافف هو كعلة مبررة لهذه الفرية الشاملة على أنبياء الله- أنني أفدي بنفسي وأضحّي دون خراف الأمة، ولكن الذين سبقوا لم يضحِّ واحد منهم هكذا: أن يصبح حاملًا لخطايا أُمته، يحطُّ عنهم أوزارهم أياً كانت معاصيهم ومآسيهم، حيث نُسخت شريعة الناموس بما ضحَّيتُ فلم يبق ظرف للعصيان أياً كان.

الطلاب الإنجيليون: مه يا أسقف فقد اتسع الخرق على الراقع، فأحرى بنا أن نواصل في البحث عن النبوة والأنبياء، مقارنة بين الكتب الثلاثة، ملتمسين من الأستاذ الروحي المسلم أن يستعرض المواد المناسبة من مصادرها الإلهامية وله الشكر.

المناظر: أجل، وإليكم قولًا فضلًا في بيئة النبيين في نظر القرآن والعهدين.

* * *

مسايرة بين القرآن والعهدين في حياة الأنبياء؟

آدم: في القرآن والعهدين:

... إنني أسأل أصحابي الحضور من أهل الكتابين: ما هي نظرية العهدين في آدم؟

... جمعية المرسلين الأمريكان: إن آدم كان نائباً عن ذريته فأخذ الله عليه العهود والميثاق فنكثه بمعصيته فنقضه ذريته لنيابته عنهم، والتوراة لا تنسب إليه إلّا خطيئة واحدة.

القس: وهناك في آدم نجد توافق النص التوراتي والقرآني: أنه عصى ربه، فأين العصمة التي تدّعونها للأنبياء؟

جمعية المرسلين: وهي معصيه الأكل من الشجرة، والقرآن يضيف إليها معصية الشرك قائلًا: ﴿هو الذي خلقكم من نفسٍ واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها فلمَّا تغشّاها حملتْ حَملًا خفيفاً فمرّتْ به فلما أثقلتْ دعوا الله ربَهما لئن آتيتنا صالحاً لنكونَنَّ من الشاكرين * فلما آتاهما صالحاً جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون﴾ [أعراف، ١٨٩ ـ ١٩٠].

و في رواية إسلامية أن آدم سمّى أحد أولاده الأوّلين عبد الحارث، خوفاً من أن يقتله الشيطان كما قتل أولاده الأوّلين، مع أنه معدود عند المسلمين من الأنبياء أولي العزم، فأطاع الشيطان وصدّقه وكذّب المولى وطمع في الخلود.

المناظر: لقد أسلفنا البحث الفصل عن قصة آدم وزوجته في نظر الكتابين، والمقالات الزور التي أتت بها التوراة في ذلك: أن الله غشّ آدم وخدعه وظلمه، وأنه يكذب، رغم صدق إبليس في قصة النهي! ... فلا نعيدها هنا، إنما نبحث هنا عن عصيانه في نظر الكتابين، ونجد هناك بوناً شاسعاً بينهما في هذا البين، إذ

التوراة تعتبره عاصياً ولا تذكر له توبةً ولا ندامةً عن عصيانه، ثـم الإنجيليـون يـرون أنه ذاتي العصيان، فلا يفارقه هو وبنيه إلا بالفداء الصـليبي، وهـذا حكـم علـى آدم وولده حتى النبيين منهم أهم عصاة بغاة.

لكن القرآن إنمـا ينسـب إليـه خطيئـة واحـدة هـي الأكـل مـن الشـجرة المنهيـه بتسويل إبليس اللعين، وذلك قبـل نبوتـه حينمـا كـان هـو وزوجتـه فـي الجنـة، ثـم يصرِّح في آيـات أنـه تـاب مـن فـوره فتـاب الله عليـه، واصـطفاه للنبـوّة بعـد توبتـه وهبوطه إلى الأرض، والقرآن إنما يثبت عصمة الأنبيـاء أجمعـين زمـن النبـوّة، وقـد يختص طائفة ن النبيين بالعصمة العملية قبل النبوة أيضـاً، كمثـل أولـى العـزم مـن الرسل وأضرابهم، وأما مثل آدم وهو في أوسط أو أدنى مراتب الرسالة، لا من أولـي العزم كما زعمت الجمعية الرسالية، فإنما يعتبره معصوماً طيلة حياتـه الرسـالية، ولا ينسب إليـه قبـل ذلـك أيضـاً، إلا معصـية واحـدة، لا كـأنواع المعاصـي بعـد تشـريع الشرائع ...

أجل، إنه تاب فتاب الله عليه: ﴿قالوا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنـا لنكـونَّن من الخاسرين﴾ [أعراف: ٢٣]، ﴿فتلقى آدم من ربِّه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب رحـيم﴾ [بقره: ٣٧]، ﴿وعصى آدم ربّه فغوى ❁ ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى ❁ قـال اهبطـا منهـا جميعاً وبعضكم لـبعض عـدوٌّ فإمـا يـأتينكم منّـي هـدى فمـن اتّبـع هـداي فـلا يضـل ولا يشقى﴾ [طه: ١٢١ - ١٢٣].

فهذه الآيات إنما تعتبر رسالة آدم بعد توبته وهدايته واجتبانـه ﴿ثـم اجتبـاه ربـه﴾ أي بعد غوايته «فتاب عليه» بعد توبة آدم إليه: أن تلقـى مـن ربـه كلمـات التوبـة ﴿و هدى﴾ أي هداه الله لما اجتباه من الرسـالة: ﴿ومـن يهـد الله فهـو المهتـد﴾ [إسراء: ٩٧]، ﴿... فماله من مضل﴾ [زمر: ٣٧] وحينذاك فمحال أن يضـل آدم طيلـة حياتـه الرسـالية بعد أن هداه الله، استحالة باختياره وبمـا اصـطفاه الله، فهـو معصـوم بعـد ذاك وإن اقترف ذنباً صغيراً على نسيان منه قبل هدايته بالرسالة.

ورغم جمعية المرسلين الأمريكان لم يكن آدم آدم من أولي العزم من الرسل ﴿ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزماً﴾ [طه: ١١٥]، فأولو اللعزم من الرسل لا ينسون الله فلا يعصونه طيلةَ حياتهم النّيرة ـ قبل النبوة وبعدها ـ فإن نسيان آدم الذي استلب عنه ولاية العزم، هذا لم يكن إلا قبل الرسالة حينما أكل من الشجرة المنهية، ثم لم تكن هذه معصية على عمدٍ وبنّية المخالفة واتباع الشهوة، بل إنما عصى بعد ما قاسمهما إبليس بما قاسم فلبَّس الأمر عليهما فزعما أن الله أباح لهما الشجرة فأكلا منها، فهي اذاً معصية صغيرة لو كانت من غير آدم لما عدَّت معصية ـ للنسيان والشبهة ـ ولكن منزلتة آدم من ربه كانت تقتضي ألّا ينسى فلا يعصي، فإن حسنات الأبرار سيئات المقربين.

أجل، إن آدم صفي الله ما كان يظن أن عبداً من عباد الله يجرُء هكذا على ربه فيقسم به كذباً ﴿وقاسمهما إنّي لكما لمن الناصحين﴾ [أعراف: ٢١]، فلما قاسمهما بربه اشتبه عليه الأمر، فـ ﴿عصى آدم ربه فغوى﴾ وإن كانت لم تسلبه هذه المشبهة تكليفه الثابت على عاتقه، لما سبق أنه تعالى حذره من إبليس وكيده وعرَّفه إيَّاه بشخصه: ﴿إن هذا عدوٌّ لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى﴾ [طه: ١١٧]، وكما عرفه آدم من ذي بالعداء له ولربه، إذ أبى أن يسجد له رغم الأمر المؤكَّد من الله، ولكنه بعد ذاك وذياك نسي أو تناسى أم ربه وما نهاه عنه، نسياناً لا يسلب عنه التكليف، نسي عهد ربه إليه في إبليس ألّا يطيعه ﴿ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزماً﴾ [طه: ١١٥]، لذلك إنه لا يعتبر من أولي العزم من المرسل الذين هم مطهرون طوال حياتهم النيِّرة قبل الرسالة وبعدها.

إذا لم يكن عصيانه إلّا صغيراً صغيراً ليس فيه عناد أو عداءٌ لرب العالمين وهتك لساحة ربوبيته، إلّا خلافاً وعصياناً عن غفلة ونسيان لا يسقطان التكليف أياً كان.

و أما أن آدم كان نائباً عن ذريته في خطيئة مضافاً إلى خطئه لنفسه، فكلام فارغ لا معنى له، وإنما نكتفي في تزييفه بما يلي:

... مَن وكَّل آدم أن يعصي بدلًا عن ذريته، لكي يُعتبروا عصاةٍ في ذواتهم قبل أن يولدوا وبعد ما وُلدوا لآخر زمن التكليف؟ أهم ذريته قبل أن يُخلقوا؟ أم هو الله وقد نهاه عن أكل الشجرة؟.

فالعهدان ـ وكما تؤولون ـ يعتبران آدم عاصياً لم يتب طيلة حياته ـ بل العصيان لازمه ذاته ـ وأنه عصى بدلًا عن ذريته، مضافاً إلى معصية نفسه ـ ظلماً عليهم ـ ... حيث لم يوكِّل في ذلك.

الجمعية الرسولية الأمريكية وفرية الشرك على آدم زعم دلالة القرآن:

وأما الآية التي تستدل بها جمعية المرسلين أنها تفتري على آدم بفرية الشرك فهي لا تمتُ بصلة إلى ما يهوون، كيف والآيات المتوفرة تدلنا على محتد آدم ومنزلته الرسولية العظيمة من الله قائلة: ﴿إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين﴾ [آل عمران: ٣٣]، حيث تجعل آدم رَدْف نوح وإبراهيم في الإصطفاء، وأقل ما يُستأنس من هذا الردف المشرِّف عصمةُ آدم طيلة حياته الرسولية.

وقد يكفي في تعظيم شأن آدم أن أسجد الله له ملائكته قبل رسالته، فكيف بما بعدها ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلّا إبليس ...﴾ [بقره: ٣٤].

وظاهرٌ أن من اصطفاه الله ولا سيما الى هذه الدرجة، ليس للشيطان عليه أيُّ سلطان حتى في الصغائر فضلًا عن مثل الإشراك بالله، وهناك تصريحات أن لا سبيل للشيطان على من اصطفاه الله وأخلصه واجتباه، وآدم من المجتبَين المصطفَين: ﴿... لأغوينّهم أجمعين * إلّا عبادك منهم المخلصين﴾ [حجر: ٣٩ـ ٤٠].

الأسقف: هناك نص جلّي ﴿فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانافيه﴾ [بقره، ٣٦]، ﴿وعصى آدم ربه فغوى﴾ [طه، ١٢١]، فقد أزله الشيطان فكان من الغاوين ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان الّا من اتبّعك من الغاوين﴾ [حجر، ٤٢].

المناظر: أجل، وإن هذه الزلة والغواية كانتا قبل رسالته كما أسلفناه، وأما في حياته الرسولية فقد اجتباه الله واصطفاه وهداه: ﴿وعصى آدم ربه فغوى. ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى﴾ [طه، ١٢١- ١٢٢]، فإذ ذاك، وبعد أن اصطفاه الله واجتباه فلن يكون للشيطان عليه سبيل.

الأسقف: مهما يكن من شيءٍ فقد تُعارضُ آيات عصمته آيةَ شركة وكما يستدل بها جمعيه المرسلين الأمريكان، وهذا كرٌّ على شر مما تفرون منه، تريدون الحفاظ على عصمة آدم في نظر القرآن، فينتهي أمر الحجاج إلى تناقض آياته في عصمته وعدمها!

المناظر: آية الشرك لا تمتُّ بصلة إلى آدم؈ إلا في صدرها ﴿من نفس واحدة﴾ في وجه ضعيف، وتلك الرواية التي تفتري على آدم أنه سمَّى أحد أولاده عبد الحارث خوفاً أن يقتله الشيطان كما قتل أولاده الأولين، هذه الرواية ليست إسلامية يصدقها المسلمون ـ إنما هي اسرائيلية اختلقت وتدخلت في بعض الكتابات الإسلامية، ونحن إذ نراها تضاد القرآن في اصطفاء آدم نضربها عرض الحائط، كام أن ذلك من أُصولنا الإسلامية بالنسبة للروايات: «ما وافق القرآن فخذوه وما خالف القرآن فاتركوه» «اضربوه عرضَ الحائط» «ردوه إلى قائله» «إنه زخرف» «إنَّا لا نقول إلّا وفق القرآن» «ولا نكلمكم بما يخالف كتاب ربّنا».[١]

***

١. هذه جملات من أحاديث العرض المتواترة.

قول فصل في آية الشرك

﴿هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها فلما تغشَّاها حملت حملًا خفيفاً فمرَّت به فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا لنكونن من الشاكرين. فلما آتاهما صالحاً جعلا له شركاءَ فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون﴾ [أعراف، ١٨٩ـ ١٩٠].

ففي المعني النفس الواحدة هنا وجهان: أحدهما أنها آدم أبو البشر، وثانيهما أنها كل والد، سواءً أكان هو أم كل ذكر من ذريته؛ وعلى الأخير فالآية لا تمتُّ بصلة خاصة إلى آدم إطلاقاً، بل إنها تندد بكل أبوين من نوع الإنسان ينقضان عهد الله أن يشكراه ﴿فلما آتاهما صالحاً﴾ سوياً سليماً ﴿جعلا له شركاء﴾ ومعلوم أنه ليس الآباء والأمهات كلهم مشركين، فالموحدون منهم ـ ولا سيما المصطفون ـ مستثنون من هذا العموم، فمعنى الآية إذ ذاك: ﴿هو الذي خلقكم﴾ كل واحد منكم ﴿من نفس واحدة وجعل منها زوجها﴾ قرّر وقدّر من جنسها زوجها، أن زوّجها إياه، إنساناً يساويه في الإنسانية من آدم الأوّل وزوجته، وبالأحرى من ذكور ذريته وأزواجهم ﴿فلما تغشى﴾ الزوج وزوجته، وظهر الحمل ﴿دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحاً﴾ سوياً يصلح للحياة ﴿لنكونن من الشاكرين﴾ لآلائك ﴿فلما آتاهما صالحاً جعلا﴾ جعل الزوج والزوجة ﴿له شركاء فيما آتاهما﴾ حيث ينسبونه تارة إلى الطبيعة وأخرى الى الكواكب، وثالثة الى الأصنام... و إلى أرباب الأنواع، وإلى غير ذلك مما سوى الله، أو ينسبون صلاح الولد إلى صلاحهما في التوليد من حيث المزاج أو غير ذلك.

الأسقف: النفس الواحدة هو آدم ليس إلا، إذ إن أفراد النوع الانساني من ذريته لا يتولدون إلا عن نفسين وهما الوالدان، لا عن نفسٍ واحدة، فإنما هو آدم ...

المناظر: أتقولون إن ذرية آدم خلقوا منه دون أنثى، أن لم يولدوا منهما، كان أن آدم نفسه خلق من غير والدين؟ فهذا مما ينكره الواقع المحسوس وكتب الإلهام من التوراة والإنجيل والقرآن، أن الله خلقنا من ذكر وأنثى!

أم تريدون من وحدة الأصل: أن الذكر هو الأصل في التوليد والأنثى فرع وهي تبع له بدء ختم، إذاً فذلك يعم ولد آدم وذريته، فكما أنّ الله تعالى خلقنا في البداية من آدم بأن جعل من جنسه زوجه فهما الوالدان الأولان للنوع الإنساني، كذلك الله خلق كل واحد من هذا النوع من أبوين: أصل وفرع، أحدهما من جنس الآخر.

و إن عنيتم من أصالة الذكر هنا أن الأنثى خُلقت من فضالة جثمانه، وهذا ينطبق إلا على أبوينا الأولين، فليس هذا إلا إحتمالًا لو كانت ﴿من﴾ هنا نشوية ﴿وجعل منها﴾ خلق من شخصها أي شخص الذكر: ﴿زوجها﴾، وإن كانت جنسية بمعنى أن الله تعالى جعل من جنس الذكر أنثى يتناكحان، إذ ذاك لم تكن لهذه الأصالة معنى إلا الأصالة الأولى، وقد تأتي دليلًا شاهداً بذلك لفظة ﴿جعل﴾، فان جعل الزوج ليس إلا جعل زوجيته بنكاح وغيره، لا خلق ذات الزوج؛ ولو كان المراد هنا هو الخلق لصرح بلفظه قائلًا «وخلق منها زوجها» كما وصرح به عند ذكرى الخلق الأول وكما يقول ﴿يا أيها الناس إتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيراً ونساء﴾ [نساء، ١].

على أنه لو صرح هنا بالخلق أيضاً لم تكن ﴿من﴾ نشوية إلا على احتمالٍ، حيث إن إحتمال كونها جنسية يلائم وخلق الزوج، فالمعنى: وخلق من جنسها زوجها ...

إذاً فلا تكون الآية صالحة لاستدلال الجمعية الرسالية إلا على كون ﴿من﴾ هنا نشوية، وكون الجعل بمعنى الخلق وأنّى لهم ذلك مع ظهور الجعل هنا في جعل الزوجية وظهور ﴿من﴾ بهذه المناسبة في أنها جنسية، لا نشوية!.

إذاً فليست الآية صريحة ولا ظاهرة في أن النفس الواحدة هنا خصوص آدم أبي الشر، إلّا أن تشمله الآية من هذه الجهة التوليدية، ثم لا تشمله في نسبة الشرك كما لا تشمل سائر الصطفين من أنبياء الله وأوليائه الصالحين.

الأسقف: أجل ولكن يبقى احتمال أنّ النفس الواحدة هنا هو آدم وقد يُبنى عليه حجاج جمعية المرسلين في نسبة الشرك الى آدم.

المناظر: أول ما نقول هنا أنه استدلال على احتمال، فكيف يُحتَج به كاستدلال؟ ولا سيما مع الآيات الدالة على عصمة آدمعليه السلام، فهل إن الإحتمال في مذهبكم يعارض الدليل القاطع؟ إذاً فلنا أن نختلق احتمالات في بعض الآيات الإنجيلية فنزيِّف بها الدلالات القاطعة فيها، المخالفة لهذه الإحتمالات!

و بعدئذ: فاحتمال أن النفس الواحدة هنا أبو البشر، بل وظهور الآية او صراحتها في ذلك، هذا وذاك أيضاً لا يأتيان بشيءٍ ينال من كرامة آدمعليه السلام إلّا على احتمالاتشروط أُخرى وهي أيضاً مزيفة في نفسها كما يلي:

الأول: رجوع ضمير الغائب المذكور في ﴿ليسكن﴾ و﴿تغشاها﴾ إلى خصوص النفس الواحدة الأولى، لكي تفسّر الآية هكذا «هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها (النفس الواحدة) زوجها، ليسكن اليها[1] فلما تغشى هذه (النفس الواحدة) إياها ...» وهكذا تفسير يتنافى وصحته التعبير القرآني، حيث يرجع الضمير المذكر في «ليسكن وتغشاها» إلى مرجع مؤنث هي: النفس الواحدة، دون مبرر أدبي، فلو كان المعني من الساكن إلى زوجته والمتغشي إياها، هي النفس الواحدة المقصود منها آدم الأول، لكان الصحيح هو القول: «لتسكن إليها» ... «فلما تغشتها» بضميري التأنيث، كما في ضميري ﴿منها زوجها﴾ حيث يرجعان إلى

١ . إن السكن بين الزوجين إنما هو للزوج إلى زوجته كما قال تعالى ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها﴾ [روم، ٢١]، وإن كانت هي أيضاً تسكن إليه، والسر في اختصاصه في هاتين الآيتين بالسكون إليها أن اضطراب الرجل أكثر من المرأة حال الوحدة في الناحية الجنسية وسائر النواحي الحيوية الفردية والجماعيتف فليسكن هو إليها.

النفس الواحدة وفقاً لتأنيثها، اذاً فليس المعنى من ﴿ليسكن﴾ و ﴿تغشاها﴾ الا جنس النفس الواحدة لا شخصها، أجل جنسها: أي الذكور من نوع الإنسان، حيث خلق الله تعالى لكل ذكر أنثى من جنسه ليسكن إليها في الحياة الزوجية من سائر الإضطرابات.

والشرط الثاني: في ثبوت الفرية أن آدم الأول وزوجته جعلا للّه شركاء فيما آتاهما لا شريكاً واحداً هو إبليس، حال أن الرواية المختلقة إنما تنسب إليهما أنهما جعلا الشيطان شريكاً للّه في ولدهما، فجعل الشركاء دون الواحد شاهدٌ ثانٍ يمنع من رجوع ضمير التثنية في ﴿جعلا﴾ إلى خصوص ابوينا الأولين.

فهو إذاً يرجع إلى كل زوجين زوجين من نوع الإنسان، كما أن ليسكن وتغشى لم يرجع الضمير المذكور فيها إلا إلى الجنس المستفاد من النفس الواحدة من ﴿كم﴾ في ﴿خلقكم﴾ ومعلوم أن النوع الإنساني لا يكتفي ولم يكتفِ بشريك واحد للّه تعالى.

والشرط الثالث: في الفرية رجوع ضمير الجمع في ﴿يشركون﴾ إلى آدم وزوجته، لكي تثبت فرية الشرك عليهما بخصوصهما، كما في ﴿ليسكن﴾ ﴿تغشى﴾ ﴿جعلا﴾ هذا! رغم أن رجوع ضمير الجمع إلى الأقل من الثلاث خلاف الأدب الفصيح إلّا بدليل قاطع وقرينة سافرة.

وحينذاك نعلم أن ﴿تغشاها﴾ لا تمت بصلة لأدم، ولا بد هناك من استخدام لكي يوافق

الأدب الفصيح وهو رجوع ضمير المفرد المذكر إلى نوع مرجعه، وهو كل ذكر من هذا النوع، لا شخصه وهو النفس الواحدة، أي فلما تغشى كل نفس من نوع الإنسان زوجه.

... وإذ ذاك يرجع ضمير الجمع في ﴿عما يشركون﴾ .. ﴿أيشركون﴾ أيضاً إلى جمع الأزواج من النوع الإنساني، أي أيشركون هؤلاء الأزواج، زوجاً زوجاً...

والإستخدام في الضمائر هو من المجازات الحسنة اللطيفة إذا كانت هناك قرائن، وقد تكفي هنا قرينة قاطعة على الإستخدام: تأنيث النفس مع ذكورة ﴿ليسكن وتغشى﴾ وتثنية آدم وزوجته مع الجمع في ﴿يشركون﴾ ﴿أيشركون﴾.

إذاً ففرية الشرك مبنية على فرية أخرى هي الخلط وعدم التناسب بين هذه الضمائرمراجعها، وهل‌ترى عاقلًا منصفاً يزيف المعني من مقالة صادقة لا لشيءٍ إلا الخبط والخلط في التفسير اللفظي منها! كاعتبار المؤنث مذكراً في حالة ومؤنثاً في أخرى[١] واعتبار التثنية جمعاً أو الجمع تثنية، والشريك الواحد شركاء والشركاء واحداً!.

فلئن سلكنا في تفسير الآية المسلك القويم كما يناسبه الأدب الفصيح لكان كما يلي:

﴿هو الذي خلقكم﴾ يا معشر بني آدم ﴿من نفس واحدة﴾ هو أبوكم وكل ذكر والد ﴿وجعل منها﴾ من ذاتها أو من نوعها وجنسها ﴿زوجها ليسكن إليها﴾ ليسكن كل رجل من هذا النوع إلى إمرأته، ﴿فلما تغشاها﴾ تغشّى كل ذكر أنثاه ﴿حملت حملًا خفيفاً﴾ هي النطقة ﴿فمرت به﴾ استمرت الزوجة بحملها: تذهب وتجيء وتقوم وتقعد، حتى نمت النطفة في رحمها وصارت جنيناً ثقيلًا ﴿فلما أثقلت دعوا الله ربهما﴾ عاهداه الزوجان وواثقاه ﴿لئن آتيتنا صالحاً﴾ في الولادة، وهو أن يصلح للحياة والبقاء بكونه إنساناً سوياً تام الأعضاء، غير ذي عاهة ولا آفة، فإن ذلك هو المرجو للولد حين يولد، دليلًا عليه هنا قوله تعالى ﴿فلما آتاهما صالحاً﴾، ومن البديهي أن الصلاح الديني لا يظهر حين الولادة... ﴿لنكونن من الشاكرين﴾ لك

---

١. حيث أن النفس يرجع إليها ضمير المؤنث ﴿منها وزوجها﴾ قضية التأنيث ـ فلو أرجع إليها ضمير المذكر في ﴿ليسكن وتغشى﴾، لكان المؤنث مؤنثاً ومذكراً معاً، وجواز رجوع الضمير المذكر إلى النفس باعتباره ذكورة معناها لا يقتضي ذلك في موارد اللبس كما هنا ـ فلو كان الإعتبار في المرجع هنا ﴿نفس واحدة﴾ ذكورة المعنى، لاعتبرت في الضميرين معاً «منه زوجه ـ تغشى ليسكن» أو أنوثة اللفظ لاعتبرت فيها كذلك «منها زوجها تغشت لتسكن»، فاختلاف حالة الضميرين يكشف عن اختلاف المعني في المرجع في المؤنثين خصوص النفس الواحدة ـ وفي المذكرين جنسها الشامل لكل ذكر وقد خلق من جنسه زوجه «تأمل».

بإظهار نعمتك والإنقطاع إليك في أمره، لا نميل فيه إلى سبب دونك في الخقلة والتربية ولا في أمر آخر ﴿فلما آتاهما صالحاً﴾ كما سألاه ودعواه، فجعله إنساناً سوياً وقرت به أعينهما ﴿جعلا له شركاء فيما أتاهما﴾ من الولد الصالح، حيث بعثهما المحبة والشفقة عليه أن يتعلقا في جنبه بكل سبب سوى خالقه الواحد القهار، ويخضعا لكل شيءٍ دونه، أو أن يزعما أن هناك أسباباً أخرى هي التي اشتركت مع الله في تكونه أو صلاحه، رغم أنهما كانا قد اشترطا للّه أن يكونا له شاكرين غير كافرين لنعمته وربوبيته، فنقضا عهدهما وشرطهما ...

وهذه سيرة عامة أفراد هذا النوع إلا من رحمة الله وهداه، فإنهم مهتمون بنقض مواثيقهم وخلق مواعيدهم مع الله نقضاً لنداء الفطرة ﴿فتعالى الله عما يشركون﴾.

فالقصة كما ترى تعني بيان حال الأبوين من نوع الإنسان في استيلادهما الأولاد باعتبار العام النوعي، دون اختصاص بأبوينا الأولين، ولا شمولها لهما وحاشاهما!

أجل إنها تعني: أن كل إنسان مولود أبويه، فالكثرة النوعية نتيجة أبوين يولدان ولداً:

﴿يا ايها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا﴾ ... [حجرات، ١٣].

والغالب على حال الأبوين، وهما يحبان ولدهما ويشفقان عليه، أن ينقطعا في أمره إلى الله قبل ولادته، وإن لم يلتفتا إلى تفصيل إنقطاعهما إذ ذاك، وكما ينقطع راكب البحر إلى الله سبحانه إذا تلاطمت أمواجه وأخذت تلعب به، فالإنسان في هذه الحالة المضطربة ينقطع في لبّ ذاته إلى ربه وإن لم يكن موحِّداً ولا معترفاً بالصانع، ولكنه ينسى ربه بعد نجاته ﴿فإذا ركبوا في الفلك دَعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر اذا هم يشركون﴾ [عنكبوت، ٦٥]، ﴿وإذا مسَّ

الإنسان ضرٌّ دعا ربه منيباً إليه ثم إذا خوَّله نعمة منه نسي ما كان يدعوا إليه من قبل وجعل للّهأنداداً ليضلَّ عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلًا إنك من أصحاب النار﴾ [زمر.٨].

كذلك للأبوين انقطاع إلى ربهما في أمر ولدهما كائنين من كانا، يريدان صلاح الولاده و الولد ويشترطان للّهأن يشكراه، فلما أجيبت دعوتهما إذا هما يشركان بالله وينكثان ما عاهدا الله عليه، إذ ذاك فالآية لا تقصد أبوينا الأولين إلا في صدرها على أحد الاحتمالين، وأما الذيل فهو بيان نداء الفطرة في النوع الإنساني على الإحتمالين أنها تميل إلى الله عند الخطرات والاضطرابات، ثم إذا نُجي منها إذا هو ينسى ما كان يدعوا إليه وجعل للّه أنداداً، وهذه حالة هذا النوع إلّا من عصمه الله تعالى وهداه كرسل الله وأوليائه و عباده الصالحين.

فالقرآن لا ينسب إلى آدم إلا بعض ما تنسبه إليه التوراة من الأكل من الشجرة المنهية، و لكنه كان قبل نبوَّته وقد تاب عنهم ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى.

وأما التوراة فقد تُلزمه العصيان دون فكاك، فلا تذكر توبته وحتى بعد رسالته، وخرافة سر الفداء الإنجيلي تزيدها أن العصيان صار من ذاتياته وذريته، وقد أسلفنا البحث عن تفصيل الأكل من الشجرة في مقارنة توحيدية وأن التوراة تنسب إلى آدم أنه اختفى ربه في الجنة لكي لا يراه، وأنه صدَّق إبليس في أنه لا يموت وكان كما زعم، وأن الشجرة المنهية كانت شجرة معرفة الحسن والقبح ... وما إلى ذلك من الإفتراءات التي لا تنسب إلى الجهلة السذج الذين لا يعرفون شيئاً من المعارف التوحيدية! فالتوراة تنسبها إلى من علَّمه الله الأسماء كلها، وأسجد له ملائكته وهداه واصطفاه!!!

الطلاب الإنجيليون: شكراً لك يا أستاذ وألف شكر والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

المناظر: أجل فما هي نظرية العهدين في نوحعليه السلام، أول أُولي العزم من النبيين؟

***

نوح عليه السلام

نوح في العهد الجديد: مؤمن كارز للبر

الدكتور بُست:[١] هو السابع من ولد آدم ولقد كان رجلًا عادلًا كاملًا وكان يعظ في الله تعالى إلى العدل والنصفة (٢: بط ٢: ٥) مشهوراً بالإيمان (عب ١١: ٧) وقد عاش خمسمائة وخمسين عاماً، ويمثّل المسيح الحالة التي عليها الناس في الرجعة الثانية بطوفان نوح (مت ٢٤: ٣٨).

المناظر: النص في (٢ بط ٢: ٥) لا يعني ما عناه بست حيث يقول: ولم يشفق على العالم القديم بل إنما حفظ نوحاً ثامناً كارزاً للبرّ إذ جلب طوفاناً على عالم الفجار.

ثم التوراة تناقض هذين النصين حيث تعلن بصراحة:

نوح في العهد العتيق: شِرِّيب خمر و ... يظلم:

«إن نوحاً بعدما خرج من الفلك ونجا عن الغرق أخذ يغرس الكرم ويشرب الخمر فسكر وتعرّى داخل خبائه فستر عليه ولداه «سام ويافث» ووجّهاه إلى الوراء فلم يبصرا عورة أبيهما. فلما استيقظ نوح من خمرة لعن كنعان ولده الأصغر دونما ذنب إلا أنه أبصر عورة أبيه عند عراه وسكره فأخبر أخويه فستراها فدعا على كنعان ان يصير عبداً لأخويه» (تك ٩: ١٨- ٢٧). «و لقد كان هذا الذنب العظيم- وحاشاه- بعد ما باركه الله وأقام ميثاقه معه» (تك ٩: ٩).

---

١. في قاموس كتاب المقدس.

ربي: أجل وهناك أيضاً تصريحات قيّمة في عدالة نوح وعصمته قائلة: وقال الربُّ لنوح أدخل أنت وجميع بيتك إلى الفلك لأني إياك رأيت باراً لدي في هذا الجيل (تك ٧: ١) وبارك الله نوحاً وبنيه .. (تك ٩: ١).

المناظر: واويلاه! كيف تناسب العدالة والعصمة شرب الخمر ولعن من لا يستحقه؟

أفملعون بشرب الخمر يحق له أن يلعن ولده الصغير رغم أنه أبصره عرياناً فأخبر أخويه ليستراه؟ أم تقولون إن الخمر كانت محللة وقتئذ؟! فهل هذا إلا قضاءً على دعوات الأنبياء حيث لا يُؤمن دعوة من خبل بالشرب عن الخطإ والضلال، ولا تكليف لمن لا يعقل فكيف يبلغ النبيُّون من يجوز له شرب الخمر ويحن إليه، ولا سيما إذا شربها الداعي نفسه، فلا يعقل لا هو ولا من يدعوهم، ضعف الطالب والمطلوب!.

فرية شرب الخمر على نبي الإسلام:

جمعية المرسلين الأمريكان: ... لا ننكر أنه حرام إلا أن نبيّكم أيضاً شرب الخمر والنبيذ حال طوافه كما في أحاديثكم!.

المناظر: ولكن لا سناد لكم في هده الفرية الكافرة على نبي الرحمة إلا روايات شاذة إسرائيلية مخالفة لتصريحات القرآن في عصمته ﷺ أو مأولة بما يوافق ومنزلته كما عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ عطش وهو يطوف بالبيت فأتي بنبيذ من السقايه فشمّه ثم دعا بذنوب من ماءٍ زمزم فصب عليه ثم شربه فقال له رجل أحرام هذا يا رسول الله فقال لا!

وقد غفل المعترض أو تغافل أن النبيذ على نوعين: أحدهما أن يطرح التمر أو الزبيب في آنية الماء فيمضي عليه ما يبلغه حد الإسكار كأواني الدباء وهو القرع

اليابس والمزفت، و هي أواني تُطلى بالزفت والحنتمة، وهي أوانٍ خزفية تدهن باقلى ونحوها، فيترك زماناً طويلًا حتى يسكر.

وثانيهما: ما يطرح في الماء لدفع مرارته وضره، فقد كان ماء الحجاز كذلك مراً فكانوا يطرحون شيئاً من التمر والزبيب في السقاء غدوة فيشربونه عشياً، وقد تضافرت الأخبار أن رسول الله ﷺ كان ينهى عن نبيذ الدباء والمزفت والحنتمة لأنه مسكر، ويرخص في نبيذ الأسقية، كما شرب حال طوافه وأجاب السائل عن حكمة أنه حلال.

والسقاية التي شرب منها حال طوافه هي التي يشربها الحجيج، فهل من عاقل يزعم:

أن السقاية التي كانت لإرواء الحجيج من العطش، أنها حانوت خمر، فمن هو الباني الذي يكلف الألوف لإرواء الحجاج زمن الحج، أن يروِّيهم من نبيذ الخمر مجاناً، رغم أن الحج كان بعد فتح مكة وبعد تحريم الخمر منذ البداية، فكيف يصرِّح الرسول ﷺ بحلية ما حرمه الله في كتابه فيشربها ويحللها ملءَ العيون دون سؤال ولا اعتراض عليه من المسلمين؟!؟

وحينذاك فهل يجوز لجمعية المرسلين الأمريكيين ليعارضوا فرية التوراة «شرب الخمر» إلى نوح، بأن محمداً أيضاً شربها فيقول متكلمهم والكاتب عنهم بملءِ فمه ومهوى قلمه أنه شرب الخمر؟ فهل إن هذه الفرية، دونما سناد، على رسول الإسلام ﷺ تدفعها عن نوح في نظر التوراة أنه شربها، هل تدفع بهذا تلكم الإفتراءات المتدخلة في آيات الوحي أن: نوحاً ولوطاً وداود والمسيح شربوا الخمر- وحاشاهم- رغم نصوصها المتوفرة على حرمتها، والحدود المغلظة المقررة فيها على شرّابها.

فهل هناك مفرٌّ من هذه الوصمات الفاسقة إلا كلمة واحدة: أن التوراة محرَّفة أضيف اليها وفق الأهوا الجاهلة، ما يمسُّ كرامة الأنبياء ويرخص للعصاة أن

يبالغوا في الشهوات، وسوف تأتيكم كلمة الفصل حول الخمر وحرمتها في جميع الأديان في المقارنات الأحكامية.

دعايات الجمعية لرسالية على نوح في نظر القرآن:

جمعية المرسلين: «وهناك أيضاً معاصٍ ينسبها القرآن الى نوح ١- من دعائه على المشركين بأنيزيدهم ضلالًا ﴿ولا تزد الظالمين إلّا ضلالًا﴾ [نوح: ٢٤] ٢- أن ﴿لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً﴾ [نوح: ٢٦] أخذ يدعوا على الناس بالإفناء والإعدام ٣- طلبه ما لا يجوز ﴿رب إن إبني من أهلي ...﴾ [هود: ٤٥] وزجره الله وهدَّده في سؤاله هذا وهو طلب منه المغفرة وهذا دليل على أنه أذنب.

و أما الإنجيل فيقول: «إنه كارزاً للبر فقام بوظيفته، ولم يقل أنه قصَّر في أداء الرسالة، لا أنه أخذ يدعو على الناس بالإفناء والاعدام!

نوح في نظر القرآن معصوم عن الخطإ:

المناظر: الجمعية الامريكية لم يأتوا بشيء ينالون به من نوح في نظر القرآن إلا أنه دعا على الكافرين المعاندين بالفناء والضلال، ونادى ربه في ابنه: يريد يستعلمه في هلاكه بين الكافرين، واستغفاره أن يكون من الجاهلين.

ونحن نسأل الأصحاب الحضور: أيُّ ذنب لنبي الله نوح عليه السلام أن يدعو على الكافرين ليهلكهم الله، بعد ما كذَّبوه شر تكذيب ﴿فكذَّبوه فأنجيناه والذين معه في الفلك وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوماً عمين﴾ [أعراف: ٦٤].

إنهم كذبوه رغم ما مكث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، صابراً على آذاهم، صامداً لاستهزائهم، يرصد فيهم بريق الأمل، ويشيم منهم بارق الإيمان، ولكنهم ما زادوا على الأيام إلا عتواً، ففزع إلى الله شاكياً ملتجياً مستعيناً مستهدياً في هؤلاء الذين عجزت حيلته فيهم فأوحى الله إليه ﴿أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون﴾ [هود: ٣٦].

وهذا الوحي الأخير إخبار من الله قاطع لا مرد له: أن هؤلاء الكفار الذين ثبتوا على الكفر طيلة القرون الرسالية لنوحﷺ، أنهم محال أن يؤمنوا بعد ذلك ﴿فسواء عليهم ءأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون﴾ فقد كانوا يخاطبون نوحاً ﴿يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين * قال إنما يأتيكم به الله إن شاء و ما أنتم بمعجزين. ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم ..﴾ [هود. ٣٢- ٣٤].

وحينذاك فهلّا يجوز لنوح أو يجب عليه أن يدعو على هؤلاء الكافرين الذين يضلون عباد الله ولا يلدون إلا فاجراً كفاراً دفعاً للفساد والإفساد، ووفقاً لما قضى الله عليهم من العذاب، وإذ ذاك فهل هذا ذنبه أن يقول: ﴿رب لاتذر على الأرض من الكافرين دياراً * إنك إن تذرهم يلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً * ربِّ اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمناً وللمؤمنين والمؤمنات ولا تزد الظالمين إلا تباراً﴾ [نوح. ٢٦- ٢٨].

وبعدئذ لو كان هذه الدعاء محظوراً لحظره ربه وما استجاب له حال أن الله وعدهم عذاب الإتنصال قبل دعائه وبعدها فلم يستجب دعوة نوح رغم مشيئته تعالى بل وفقها خير توفيق، وان أولياء الله لا يلتمسون منه إلا وفق مشيئته، فرغم جمعية المرسلين الأمريكان الذين لا يرتضون أن يُدعى على الكافرين ليُدفع بأسهم وإضلالهم، فإن نوح القرآن مع ربه تعالى لا يرضيان حياةً للكافرين فيدعوا نوح عليهم إلى ربه تقرباً إليه وتحقيقاً لمرضاته، ونحن لا نجد توجيها في فرية الجمعية الأمريكية هناك «أن نوحاً طلب ما لا يجوز» إلا أنهم يهوون توفر الضالين الظالمين الذين لا تؤثر دعوة الحق فيهم إلا فراراً ﴿رب إني دعوت قومي ليلًا ونهاراً. فلم يزدهم دعائي إلا فراراً. وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكباراً﴾ [نوح. ٥- ٧].

هذا وكذلك نوح في الإنجيل «كارزاً للبر إذ جلب طوفاناً على عالم الفجار» (٢ بط ٢: ٥).

فالجمعية الرسولية الأمريكية لا يرتأون ضد القرآن فحسب بل وضد إنجيلهم أيضاً فانه يعتبره كارزاً للبر بجلبه الطوفان على عالم الفجار، ولم يكن إلا لدعائه، وليت شعري هل إن جزاءَ من هذه سيرتهم الكافرة الصلبة إلا أن يدعى عليهم بالهلاك؟ وهل جزاء من لا يزيده الدعاء إلا فراراً، غير أن يدعى عليهم لئلا يزيدوا إلّا ضلالًا: كما قال نوح ﴿ولا تزد الظالمين إلا ضلالًا﴾ [نوح. ٢٤]. وكما لم يزدادوا طيلة حياته الرسولية النيرة إلا فراراً واستكباراً، فهل هذا إلا جزاءً وفاقاً يطلبه نوح من ربه وفق شريعته ودعوته.

وتوضيحاً لحقيقة دعاء الضلال على الكافرين، أنها ليست بأن يجبرهم الله على ضلال فوق ضلالهم الأول، وإن كان يجوز جزاء وفاقاً، كما لم يزدادوا إلا ضلالًا، توضيحا لها: أن يَكلَهم ربهم إلى أنفسهم ويذَرَهم في طغيانهم يعمهون وفي غيِّهم يترددون، لأن الضلال بطبيعة الحال لا يزيد إلا ضلالًا، ومكاسب السوء ترين على القلوب أكثر فأكثر: ﴿بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئة فأُولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ [بقره. ٨١] ﴿كلا بل رانت على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾ [مطففين. ١٤].

إذاً فليس إضلاله تعالى جبراً للضال على مزيد الضلال دون سبب من الضالّ نفسه وإنما هو أن يترك الضال الذي لا يريد أن يهتدي، يذره في طغيانه يعمه ويتردد فيتركه ونفسه في أمواج البلايا والضلالات المحيطة به فيزيد ضلالًا على ضلاله بفعله ﴿فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم﴾ [صف. ٥] وأن لا يسددهم ويوفقهم لطاعته ...

نوح وابنه الكافر:

وأما ذنبه الأخير! وهو طلبه ما لا يجوز بالنسبة لابنه الكافر، فأين الطلب والسؤال، ثم من أين أنه لا يجوز؟

... فليس هناك من نوح لابنه إلا نداءه ربه ﴿رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين﴾ [هود: ٤٥].

إن هذه كانت مقدمة لسؤاله عن مشكلته في ابنه، أن كيف اجتمع هلاكه مع وعد الله أن ينجي أهله وهو من أهله؟ ولكنه لمّا يسأل ربه بل وقد حكم على جهله بالحكمة حينذاك ﴿وأنت أحكم الحاكمين﴾ أي أن الحكم ـ أيّا كان الأمر ـ إنما هو حكمك، وأنني لا أريد في سؤالي المستقبل إلا استعمالًا لهذه الحكمة، فأحسِن بحكمه قبل سؤاله عن وجه الحكمة، فإن ذلك ينبيء عن بالغ تسليمه لربه، وأن الحق إنما هو حكمه وهو أحكم الحاكمين، ولكنه أراد أن يرتفع غطاء الجهل في وجه الحكمة عنه، ويزيد على علمه لحكمة ربه ﴿ونادى نوح ربه إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين﴾.

أجل: إنه ما كان هناك إلّا إرادة السؤال، لا واقع الدعاء والسؤال، فلما كان السؤال قد ينافي مقام التسليم لأنبياء الله ـ وحسنات الأبرابر سيئات المقربين ـ لذلك أدركته العصمة الإلهية كيلا يقع يِمحظور السؤال، فنهاه ربه عن ذلك قائلًا ﴿يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين﴾ [هود: ٤٦] وإن في هذه المقالة النيرة انعطاف من الله على نوح أولًا: أن أجابه عما أشكل عليه من وجه الحكمة قبل سؤاله، وثانياً: أن نهاه عن مثل هذه الأسئلة التي قد تشير إلى عدم التسليم وهي من الجهل بمقام رب العالمين، فانتهى نوح عما أراده، فلم يسأل ولم يجهل فلم يكن النهي عن التكرار لما فعله، بل إنما هو عن أن يفعل المحظور بعد ذاك، فالظاهر من النهي عن شيءٍ هو الزجر البدائي عنه قبل ارتكابه، لا تركه بعد فعله إلّا بدلالة تدلنا على أن المنهى ارتكب المحظور، وليست هناك أية دلالة تدلنا على أن نحاً سأل وجهل، بل إن قوله تعالى ﴿إني أعظك أن تكون من الجاهلين﴾ يدلنا على النهي عن جهل

مستقبل لو سأل، ولو كان السؤال متحققاً قبل ذاك لكان حق الكلام «لماذا تجهل مقام ربك في سؤالك ما ليس لك به علم فإياك أن تكرر من هذه الجهالة».

و قد يؤيد عدم سؤاله وجهله جوابه﴿رَبِّ إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم﴾ حيث يستعيذ أن ينسلك في سلك السائلين الجاهلين، ثم يستغفر عما سلف من اهتمامه للسؤال وإن لم يسأل، وعما قد يعتريه في مستقبله من ذلك، أن يغفره ويرحمه لكي لا يقع في ورطة السؤال فيكون من الخاسرين في جنب ربه، خارجاً عما يحق من التسمليم لساحته فإن الإستغفار كما يشمل ما سلف من محظور لكي يمحوه ويرفعه الربِّ تبارك وتعالى كذلك يشمل ما قد يستقبل لكي يدفعه الربُّ ويسدّد ويعصم عنه.

فلو استغفر العبد بعد ذنبه أو تركه الأولى كان كالاول، ولو استغفر عن غير ذنب فكالثاني، يعني أنه طلب الإعتصام في مستقبله لكي يدفعه ربه ويعصمه عن المحظور، فلما لم يتحقق هناك من نوح سؤال ولا جهل، إتجه استغفاره واسترحامه ربه إلى مستقبله لكي يستر عليه ما كاد أن يعرضه في مستقبله.

ثم لو كان هناك سؤال استعلاماً لوجه الحكمة في هلاك ابنه، ولم يكن، فليس هذا محرماً في التشاريع العامة الآهية كشرب الخمر وما إليه، وإنما هو محظور مقامي يخصُّ حظره بانبياء الله وأوليائه المكرمين من باب: حسنات الأبرار سيئات المقرّبين، لا أنه عصيان ومحظور ينافي العصمة العملية التي هي ترك المحرمات في التشاريع الإلهية وتطبيق الواجبات، فالجمعية المرسلين الأمريكان ما داؤهم وما دواؤهم؟ أن أخذوا يعارضون فرية شرب الخمر على نوح التوراة ـ بمحظور هذا السؤال لنوح القرآن ـ ولم يكن، ولو كان أيضاً فليس من المحرمات في الشريعة، أفهل يحتمل عاقل أن الاستعلام عن وجه الحكمة مع التسليم لحكم الرب ذلك محرَّم من المحرمات.

الأسقف: لنفرض أنه لم يسأل فلم يفعل محظوراً من هذه الجهة، ولكنه همّ في ندائه أن يسأل، وكفاه جهلًا بمقام ربه أن يهم بسؤاله في ولده الكافر بعد ما كرر عليه القول أنه من الهالكين: ﴿فأوحينا إليه أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا فاذا جاء أمرنا وفار التنور فاسلك فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلّا من سبق عليه القول منهم ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون﴾ [مؤمنون، ٢٧]، ﴿حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كلٍ زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه إلا قليل * وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها إنّ ربي لغفور رحيم﴾ [هود، ٤٠- ٤١].

فقد استثنى من أهله مَن سبق عليه القول منهم وهم الكافرون من ابنه وزوجته، ونهاه أن يخاطبه في الظالمين لأنهم مغرقون، وإذ ذاك فكيف يجترىء نوح أن ينادي ربه: إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق ... مع سبق الإستثناء وعدم شمول وعد النجاة لمن سبق عليه القول ومنهم ابنه!.

المناظر: وبعد اللتيا والتي ليس هناك إلا وعد واستثناء، وعدٌ لنجاة أهله الشامل بعمومه حتى زوجته وابنه، واستثناء لمن سبق عليه القول، ولكن من هذا الذي سبقت عليه كلمة العذاب، أهو زوجته وابنه، أم هي فحسب؟ لا ندري ... وقد تلمس من آية واحدة أنه زوجته:

﴿ضرب الله مثلًا للذين كفروا إمرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً وقيل ادخلا النار مع الداخلين﴾ [تحريم، ١٠].

ولذلك لم ينادِ نوح ربه في زوجته رغم ندائه في ابنه، وقد يُستأنس أنه ما كان يعلم كفر ابنه حيث ينهاه أن يكون مع الكافرين، لا منهم ﴿وهى تجري بهم في موج كالجبال و نادى نوح ابنه وكان في معزل يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين﴾ [هود، ٤٢].

فقد أمره ونهاه، أمره بالركوب مع المؤمنين، ونهاه أن يبقى مع الكافرين خارج الفلك محافةَ الغرق ... فلو كان يعلم كفره لنهاه أولًا عن الكفر ثم أمره بالركوب، ثم لم يأت ابنه في مقالته ما يدل على كفره، إلا على عتوه وعصيانه: ﴿سأوي إلى جبل يعصمني من الماء﴾ [هود: ٤٣] ولم يقل يعصمني من أمر الله، ولا انني أبقى مع الكافرين، أو أني منهم رغم دعوتك، فاجابه نوح ﴿لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين * وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضي الأمر وإستوت على الجودي وقيل بعداً للقوم الظالمين﴾ [هود: ٤٣- ٤٤].

هذه مقالة نوح مع ابنه حتى حال بينهما الموج فكان من المغرقين، ثم لا يذكر القرآن أنّ نوحاً تأسف وتأوّه على ابنه لماذا غرق؟ ولا أنه ذكر ابنه طيلة الطوفان بأية مناسبة، إلا بعد غرق مَن على الأرض من الكافرين، واستواء الفلك على جبل الجودي، فحينذاك أخذ نوح ينادي ربه في ابنه لا في زوجته الكافرة، بل فيه فحسب، فلما كان لعله يجهل من أمره في ناحيتين:

١ ـ ما كان يعلم أنه من الكافرين فلتشمله كلمة النجاة حيث هو من أهله.

٢ ـ وعلى علمه بذلك فما كان يعلم استثناءه من أهله، حيث لم يسبق القول إلّا في امرأته، ولم يسبق تصريح في شمول كلمة العذاب لابنه!

فلما همَّ بهذا السؤال أدركته الرحمة والعصمة الإلهية فلم يسأل ولم يجهل، ولو أنه سأل و جهل لم يكن عاصياً اقترف عصياناً نهي عنه في الشريعة، بل كان إذ ذاك تاركاً لما يليق به من التسليم لربِّه.

فأصحبت قصة نوح في ابنه ابتلاءً له ابتلاه الله به، كما ابتلى إبراهيمَ ربُّه بكلمات دالَّات على غاية تسليمه لربِّه، كأمره أن يذبح ولده الوحيد: ﴿فلما أسلما وتلَّه للجبين * وناديناه أن يا إبراهيم * قد صدَّقتَ الرؤيا إنَّا كذلك نجزي المحسنين﴾ [صافات: ١٠٣- ١٠٥]، وإذ ذاك فإبراهيم عليه السلام أولى بربه من نوح، حيث كانت بليته أعظم

من جهات شتى[١] وهو مع ذلك لم يسأل ربَّه ولم يهتمّ بسؤاله ولم يدعُ ربَّه في ابنه ...

فما بال الجمعية الرسولية الأمريكية يتغافلون عن فرية شرب الخمر ـ العظيمة ـ على نوح في التوراة، تأويلًا له أنه من ضعف الطبيعة الشريرة البشرية، ثم يأخذون على القرآن أن نوحاً همّ أن يستعلم ربَّه فيما كان يجهله من أمر ابنه، ولم يسأل! فما داؤهم وما دواؤهم؟!!

ذلك! في حين أن القرآن يذكر نوحاً في حياته الرسوليه بذكريات ما أحسنها:

نوح فى القرآن

بعثه وإرساله:

بعثه الله حينما شاع الفساد في الأرض وأعرض الناس عن دين التوحيد وعن سنن العدالة الإجتماعية وأقبلوا على عبادة الأصنام من ودٍّ وسُواع ويغوث ويعوق ونَسرٍ (سورة نوح الآية ٣) وتباعدت الطبقات فصار الأقوياء يضيِّعون حقوق الضّعفاء، الجبابرة يستضعفون من دونهم، ويحكمون عليهم بالتهكمات الجهنميّة: (الأعراف- هود- نوح).

فبعث الله نوحاً عليهم وأرسله إليهم بالكتاب والشريعة، يدعوهم إلى توحيد الله وخلع الأنداد، والسماواة فيما بينهم بالتبشير والإنذار [بقره، ٢١٣].

دينه وشريعته:

فكان يدعوهم إلى توحيد الله ورفض الشركاء والإسلام (سوورة نوح - يونس وآل‌عمران، ١٩)، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر [هود، ٢٧] والصّلاة [نساء،

١ . حيث كان ابنه ثابت الإيمان، دون ابن نوح، وقد امر أن يذبحه بيده دون نوح حيث أهلكه الغرق ..

١٠٣]، [شورى: ٨] والمساواة والعدالة، وألّا يقربوا الفواحش والمنكرات، وبصدق الحديث والوفاء بالعهد [أعراف: ١٥١- ١٥٢].

إجتهاده في دعوته:

ولقد كان يدعو قومه إلى الإيمان بالله وآياته بعدما ظلّوا طيلة عهود يعبدون الأصنام وكان يبذل في سبيل ربِّه غاية جهده فيدعوهم إليه ليلًا ونهاراً وإعلاناً وإسراراً، وكان رجلًا فتيق اللسان واضح البيان رزين الحصاة بعيد الأناة، رزقه الله صبراً على الجدل وقدرة على تصريف الحجج وبصراً بمسالك الإقناع، دعاهم إلى الله فأنذرهم بالعقاب فعموا وصمُّوا ـ ثم صابرهم وطاولهم في الدعوة فلم يزدهم دعاؤه إلّا فراراً واستكباراً، فلم يؤمن به طيلة مئات السنين من دعوته غير أهله وقليلٍ من غيرهم (سورة نوح والقمر المؤمنون).

عصمته وخصائصه:

وهو أول أولي العزم، سادة الأنبياء الذين عليهم دارت الرحى، أرسله الله إلى الناس كافة بشريعة مستقلة تامة، فكتابه أول الكتب السماوية المشتملة على شرائع الله، وهو الأب الثاني للنسل الحاضر الإنساني، فهم جميعاً من ذريته: ﴿وجعلنا ذريّته هم الباقين﴾ [صافات: ٧٧] وهو أبُ الأنبياء المذكورين في القرآن ما عدا آدم وإدريس، ولقد سلَّم الله عليه في العالمين: ﴿سلام على نوح في العالمين﴾ [صافات: ٧٩] سلاماً له عقائدياً و عملياً ـ فهو سلمٌ لربِّه وسلامٌ في عبوديّته ونبوبّته، واصطفاه على العالمين [آل عمران: ٣٣]، وعدَّه من المحسنين [أعراف: ٨٤ و صافات: ٨٠] وسمّاه عبداً شكوراً [إسراء: ٣] وصالحاً [صافات: ١٠] من عباده المؤمنين [صافات: ٨١].

هذا نوح في نظر القرآن، فقارنه مع نوح في نظر العهدين حيث لا يأتيان له بخير إلّا كلمة في العتيق: لأني إياك رأيت باراً فيَّ في هذا الجبل (تك ٧: ١) وأُخرى

من فروع الجديد: ولم يشفق على العالم القديم بل إنما حفظ نوحاً ثامناً كارزاً للبرّ إذ جلب طوفاناً على عالم الفجّار (٢ بط ٢: ٥) مشهوراً بالإيمان (عب ١١: ٧).

ولكن مع الأسى، ماذا تفيده شهرته بالإيمان في جنب ما تشهِّره التوراة بإقتراف أكبر الذنوب، وهو شرب الخمر! وماذا ينفعه برّه بعد إذ خبطه وعراه شرُّه، وبالأخير ماذا يفيده كرزه للبر في خصوص جلبه الطوفان بدعائه على الكافرين، بعد إذ يلعن نفسه بشرب الخمر، ويلعن ولده الصغير دونما ذنب يقترفه إلّا أن أبصره عارياً فأخبر أخويه فستراه، فهل جزاءُ الإحسان إلّا الإحسان؟ فاقضِ ما أنتَ قاضٍ!.

ثم ختاماً للبحث هنا، ما أغفل الجمعية الأمريكية حيث نسوا نص الإنجيل أنه جلب طوفاناً على عالم الفجّار (٢ بط ٢: ٥) في قولهم الأخير: وأما الإنجيل ... لم يقل أنه أخذ يدعو على الناس بالإفناء والإعدام!!! فيا لهم مراماً ما أبعده وكلاماً ما أخطأه؟!.

الطالب إنجيلي: هلَّا يوجد اختلاف آخر بين التوراة والقرآن في قصة نوح؟.

المناظر: أجل وإليكم منها نماذج كما يلي:

١- لا تذكر التوراة حديث استثناء امرأة نوح وابنه من أهله وهلاكهما، بل وتصرِّح أنهما دخلا الفلك بأمره ونجيا في الناجين، رغم تصاريح القرآن أنهما هلكا.

٢- ولا تذكر فيه من المؤمنين غير أهله، وفي القرآن تصريح: ﴿وما آمن معه إلّا قليل﴾ [هود. ٤٠].

٣- تذكر جملة عمره تسعمائة وخمسين سنة، ونصٌّ القرآن أن هذه مدة حياته الرسولية ولبثه نبياً في قومه: ﴿ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلّا خمسين عاماً﴾ [عنكبوت. ١٤]، حيث يعتبر لبثه في هذه المدة بعد بعثه، لا من أوّل عمره ...

مقارنة فى إبراهيم (ع)

المنـاظر: أصـحابي! ومـا هـي نظريـة الكتـابين بالنسـبة لإبـراهيم شـيخ المرسـلين عليه التحية والسلام؟

الدكتور بُست: التوراة تسمية آب رآم: الأب العالي، وأبراهـام: أب الجماعـة الكثيـرة (تك ١٧: ٤- ٥) وهو أصل الطائفتين: بني إسرائيل وبني إسـماعيل وسـائر العـرب (تـك ٢٥) «اعتزل بأمر الله أقرباءه المشركين وقد مضى عليه سبعون) (يوش ٢٤: ٢ و ١٤) «وأبـوه تـرح أو تارح» (تك ١١: ٢٧- ٢٨) «زوجته سارة كانت عقيمـة ولـذلك وهبتـه أمتهـا هـاجر فأولـد منها إسماعيل (تک ٣: ١٦) «و بعد ثـلاث عشـرة سـنة تجلـى لـه ربّـه و وعـده أن سـاره ستلده» (تـك ١٧) «و بعد أن بلغ المائة من عمـره الشـريف أنجـز الله لـه وعـده بإسـحاق» [روم ٤: ١٩- ٢٢] «فأوجبـت هـذه الـولادة الجديـدة ابتعـاد هـاجر وابنهـا إسـماعيل مـن فورهما» (تـك ٢١) وبعد ٢٥ سنة ابتلاه الله أن يذبح ابنه إسحق وارث العهـد علـى جبـل موريا» (تك ٢٢) وقد نجح في محنته وسمّاه الله أبـا المـؤمنين وخليلـه» (٢ تـو ٣٠: ٧- اش ٤١: ٨- يع ٢: ٢٣) ...

هـذه نمـاذج مـن نظـرات العهـدين فـي إبـراهيم عليـه الصّـلاة والسّـلام، فمـا هي نظرية القرآن؟

المناظر: وهناك أيضاً بيئات كاذبة ينسبها العهدان إلى ساحته والقرآن يـذودها عنه، كلهـا يمـس كرامتـه مـن فريـة زور وغـرور، وقـد تختلـف نظريـة القـرآن علـى العهدين هنا و هناك فيما ذكرتم وما يلي:

طالب إنجيلي: رجاء أن يذكِّر الأستاذ بما نسيه القلم، رجاء ...

إبراهيم التوراة لا يميز بين الله وملاكه! لا شخصاً ولا عـدداً! يسـجد للمـلاك الثلاث زعم أنهم ربه الواحد!

المناظر: فقد تنسب إليه التوراة أنه خاطب ملاك الله خطابه لربه في حين تصرِّح: أن الله ظهر له وإذا هو ثلاثة أناسين، قائلة «و ظهر له الرب عند بلُوطات مَمرا وهو جالس في باب الخيمة ... فرفع عينيه ونظر وإذا ثلاثة رجال واقفون لديه. فلما نظر ركض لاستقبالهم من باب الخيمة وسجد إلى الأرض. وقال: يا سيد! إن كنت قد وجدت نعمة في عينيك فلا تتجاوز عبدك: ليؤخذ قليل ماءٍ واغسلوا أرجلكم واتكئوا تحت الشجرة. فآخذ كسرة خبز فتسندون قلوبكم ثم تجتازون لأنكم قد مررتم على عبدكم. فقالوا: هكذا تفعل كما تكلمت. فأسرع إبراهيم إلى سارة وقال: أسرعي بثلاث كيلات دقيقاً سميذاً إعجني اصنعي خبز ملة. ثم ركض إبراهيم إلى البقر وأخذ عجلًا رخصاً وجيداً وأعطاه للغلام فأسرع ليعمله. ثم أخذ زُبداً ولبناً والعجل الذي عمله ووضعها قدامهم. وإذ كان هو واقفاً لديهم تحت الشجرة أكلوا.

و قالوا له: أين سارة امرأتك. فقال: ها هي في الخيمة. فقال إني أرجع إليك نحو زمان الحياة ويكون لسارة امرأتك ابن وكانت سارة سامعة في باب الخيمة وهو وراءه. وكان إبراهيم وسارة شيخين متقدمين في الأيام. وقد انقطع أن يكون لسارة عادة كالنساء فضحكت سارة في باطنها قائلة: أبعد فنائي يكون لي تنعُّم وسيدي قد شاخ. فقال الرب لإبراهيم: لماذا ضحكت سارة؟ هل يستحيل على الرب شيءٌ. في الميعاد أرجع إليك نحو زمان احياة ويكون لسارة ابن. فانكرت سارة قائلة لم أضحك. لأنها خافت ... ثم قام الرجال من هناك وتطلعوا نحو سدوم ... [١٨: ١- ١٦].

... يا أصحابي الروحيين؟ فهلّا يميّز إبراهيم التوراة بين الله وملاكه الثالث الذين ظهروا له يبشرون، فقد يسجد لهم إلى الأرض ويخاطبهم خطاب الواحد «يا سيد» «عبدك» ثم خطاب الجمع «إغسلوا أرجلكم» ولا يزال يتبادل في مقالاتهم خطاب الفرد والجمع ...

فهل كان يرى الله إنساناً والواحد ثلاثة، فيشتبه عليه ربه بملاكه، و الواحد بثلاثة، أم كان من المثلثين الإنجيليين قبل خلقهم وقبل إختلاقه فيهم، أم إنه نحا منحى الوثنيين المثلثين الأقدمين؟ في حين أنهم وأنتم الإنجيليين تفرِّقون بين الأقانيم في الدرجات وإن كنتم توحِّدون بينها في الذات، فقد أصبح إبراهيم التوراة يعتنق خرافة الأقانيم بشاكلة تسويتهم في الرجولية، وتعدُّدهم في الكينونة، ثم اعتبار وحدتهم وألوهيتهم فيها وفي الكثرة ... فما لكم كيف تحكمون.

فيا الكتَّاب التوراة ما أخطأهم، ويا لهم مراماً ما أبعدهم، فاقضِ ما أنت قاض!!!

الطالب الإنجيلي: فكيف يأتي القرآن بذكرى هذه القصة لكي نقارن بينهما؟.

المناظر: هنالك آيٌ متوفرة في الذكر الحكيم تذكر شيخ الأنبياء إبراهيم الخليل عليه السلام بذكريات حسنة تليق بساحة قدسه ف شتى مجالاته الحيوية، العقائدية والإيمانية، ما أحسنها وأجملها من ذكريات خالدة جميلة عادلة سوف نستعرض من أهمها ما نقارن به بين القرآن والعهدين، وإليك الآن قصة الملاك المبشرين مجملة.

قصة إبراهيم والملاك في القرآن:

﴿... ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا سلاماً﴾ [هود،٦٩]، ﴿قال سلام قوم منكرون﴾ [ذاريات، ٢٥]، ﴿... إنا منكم وجلون﴾ [حجر، ٥٢]، ﴿فراغ إلى أهله فجاء بجعل سمين﴾ [ذاريات، ٢٦]، ﴿... عجل حنيذ﴾ [هود، ٦٩]، ﴿فقربه إليهم قال ألا تأكلون﴾ [ذاريات، ٢٧]، ﴿فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخفف إنَّا أرسلنا إلى قوم لوط﴾ [هود، ٧٠]، ﴿لا توجل إنا نبشرك بغلام عليم﴾ [حجر، ٥٣]، ﴿قال أبشرتموني على أن مسني الكبر فبم تبشرون * قالوا برشناك بالحق فلا تكن من القانطين * قال ومن يقنط من رحمة ربه إلّا الضالون﴾ [حجر، ٥٤-٥٦]، ﴿وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها بإسحق ومن وراءِ إسحق يعقوب﴾ [هود، ٧١]، ﴿فأقبلت امرأته في صرَّة فصكَّت وجهها

وقالت عجوز عقيم﴾ [ذاريات. ٢٩]، ﴿.. يا ويلتى ءألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخاً إن هذا لشيء عجيب﴾ [هود. ٧٢]، ﴿قالوا كذلك قال ربك إنه هو الحكيم العليم﴾ [ذاريات. ٣٠]، ﴿... أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد﴾ [هود. ٧٣].

فهذه الآيات البينات تصرِّح أن المبشرين كانوا رسل الله وملاكه المقربين، جاؤوه بالبشرى له بغلام عليم، وبوعد العذاب لقوم لوط المجرمين، ولم يكن بينه وبينهم بدء ختم إلّا سلاماً سلاماً، وخيفة منه لمَّا نكرهم وتقريب طعام لم يأكلوه فزاده ذلك خيفة فقالوا: نحن رسل ربك المبشرون المنذرون.

أجل إنها ـ رغم تصاريح التوراة ـ لا تخلط الرب بملاكه، ولا تفتري على إبراهيم أنه سجد لهم وخاطبهم خطابه لربه، وأنه حسبهم ربه الوحيد في حين يكرر لهم خطاب الجمع، ولا أنهم أكلوا طعاماً ـ رغم صريح التوراة أنهم أكلوا ـ فسواء أكانوا ملاك الرب، أم الرب نفسه ـ وحاشاه ـ فكيف أكلوا، فهل أن ملاك الله يأكلون كما نأكل، أو أن الله يأكل كما تأكلون فما لكم كيف تحكمون!.

الطالب الإنجيلي: شكراً يا أستاذ، فهل هناك فرية أُخرى تنسبها التوراة إلى ساحة إبراهيم الخليل.

المناظر: أجل ... وكما تذكر شكه في إنجاز وعد الله بعدما وعده!!!:

إبراهيم التوراة يشك في صدق الوعد الإلهي ...:

«... فقال له: (إبراهيم): أنا الرب الذي أخرجك من أور الكلدانيين ليعطيك هذه الأرض لترثها. فقال أيها السيد الرب! بما ذا أعلم أني أرثها. فقال له: خذ لي عجلة ثلثية وعنزة ثلثية وكبشاً ثلثياً ويمامة وحمامة. فأخذ هذه كلها وشقها من الوسط وجعل شق كل واحد مقابل صاحبه. وأما الطير فلم يشقه. فنزلت الجوارح على الجثث وكان إبراهيم يزجرها» (تك ١٥: ٧ ـ ١١).

... فيا أصحابي الحضور؟ كيف يشك إبراهيم في إنجاز وعد الله بعدما وعده في أمر ليس بذلك البعيد، وحوادث أرض محدودة يحكم فيها ... في أمر عادي غير خارق للعادة ...! وبعدئذ فما هي الصلة القريبة أم البعيدة بين أخذ العجلة والعنزة واليمامة والحمامة و شقها كلها من أوساطها إلّا الطير، ونزول الجوارح على تلكم الجثث وزجر ابراهيم اياها ... ما هى الصلة بينها و بين أن يعلم إبراهيم أن ربه ينجز وعده، فهل إن قتل هذه الحيوانات و زجر الجوارح عن أكلها هذه معجزة إلهية، لكي تدل إبراهيم على معجزة أُخرى موعودة، هي أن يرث الأرض! فهل تزيده هذه الآية العادية التي تتأتي من كل ذابح، هل تزيده غير تخسير، إلّا شكاً عليشكه أن يسخر منه ربه بدل أن يريه آيةً لصدق وعده!

نقد وتحصيل، فرية وتزييف:

الجمعية الرسالية الأمريكية:[١] «إن القرآن ينسب إليه كذلك، الكذيب والشكّ وعبادة الأصنام» ... ﴿قال: هذا ربي ..﴾ [أنعام: ٧٧]، فإذا كان هذا عن اعتقاد كان شركاً وإلّا كذباً، وأنه شك في قدرة الله: ... ﴿ولكن ليطمئن قلبي﴾ [٢: ٢٦٠]، وإنه كذب: ﴿قالوا ءأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم * قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون﴾ [أنبياء: ٦٢- ٦٣]، وكذب آخر «فنظر نظرة في النجوم * فقال إني سقيم ...» [صافات: ٨٨- ٨٩]. فالواجب على المسلم أن يزيل هذه من قرآنه وأحاديثه ثم يعترض على الكتاب المقدس!

المناظر: كلّا ... لا هذا ولا ذاك ولا ذياك ... بل أنتم بأوهامكم تفرحون، فإليكم تصاريح الذكر الحكيم التي تفترون فيها الشكّ والشرك والكذب إلى إبراهيم الخليل ـ وحاشاه ـ:

---

١. في كتاب جمعية الهداية المطبوعة بمعرفة المرسلين الأمريكان بمصر، سنة ١٨٩٨.

إبراهيم فى نظر القرآن بصورة مجملة

فإبراهيم القرآن من الرعيل الأول الرسولي، قضى حياته النّيرة في القضاء على الشرك و الهمجية واللّادينية، ضحى بنفسه في سبيل ربه ونجح فيما ابتلاه به ربه خير نجاح، وفاق العالمين في شتى نواحي الخير والفضيلة العقائدية والعملية والتربوية والعلمية، وكما تأتي آيات بينات بمختلف ذكرياته الجميلة العادلة فيما يلي:

... أول ما يفتح عينيه إلى الوجود يرى جواً مظلماً داخل بيته من آزر: عمه (حيث فقد أباه تارخ) وفي الخارج هنا وهناك، فأخذ يحاج آزر ثم قومه، يدلهم إلى ربهم وفاطرهم: ﴿و إذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون * إلّا الذي فطرني فإنه سيهدين﴾ [زخرف، ٢٦- ٢٧].

فقد كان يعارض الشرك والمشركين طيلة حياته وقبل رسالته فضلًا عما بعدها: ﴿ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين﴾ [آل عمران، ٦٧]، ﴿ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين * إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون﴾ [أنبياء، ٥١- ٥٢].

إبراهيم يتلطف في دعوة آزر:

إن آزر هذا كان يعبد الأصنام بل ينحتها ويبيعها وهو أقرب الناس وقتئذٍ إلى إبراهيم والصقهم به وأولاهم بالهداية وأجدرهم بإخلاص النصيحة، فمن البرِّ به أن يهديه سواء السبيل. ثم هو أيضاً من المسوِّين خلقها والناحتين إيّاها، والداعين إلى عبادتها، ضلالًا في ضلال، إنه لذلك داعية إثم ومبعث فتنة، فهدايته قربى إلى الله، واستئصال لبذور الشر واجتثاث لجذور الضلال.

يبدأ في دعوته ويرتب الكلام معه على أحسن إتّساق ويخاطبه بالقول اللين والأدب الجميل، ويبتدىء حديثه معه بذكر بنوّته: إذ كان كابنه في التربية والبيئة ليستثير عطفه ويمسّ شغاف قلبه.

فلما خاف أن ينصرف عنه استصغاراً لشأنه وامتهاناً لرأيه خاطبه ﴿يا أبتِ إنّي قد جاءني من العلم ما لم يأتِكَ﴾ [مريم، ٤٣].

أجل، إنه آتاه ربُّه رشده قبل أن يبعثه رسولًا، فكيف بما بعده! فلقد التمس من ربِّه أن يرسله رسولًا ويهب له حكماً بعد هذه التضحيات ضد المشركين: ﴿ربِّ هب لي حكماً و ألحقني بالصالحين * واجعل لي لسان صدق في الآخرين﴾ [شعراء، ٨٣- ٨٤] ... قالها بعد محاجة طائلة مع آزر، ومع قومه المشركين: ﴿... فإنهم عدوٌّ لي إلّا ربَّ العالمين ...﴾ [شعراء، ٧٧].

ولقد يعتبر القرآن توحيد إبراهيم ومعرفته بربِّه إلى حيث يسفِّه الراغبين عن ملَّته أياً كانوا ومن كانوا: ﴿ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلّا مَن سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين. إذ قال له ربُّه أسلم قال أسلمت لربِ العالمين﴾ [بقره، ١٣٠- ١٣١]، ﴿من أحسن ديناً ممن أسلم وجهه للّهوهو محسن واتَّبع ملَّة إبراهيم حنيفاً واتخذ الله إبراهيم خليلًا﴾ [نساء، ١٢٥].

وبلغ مِن جِدِّه وسعيه في التسليم لربِّه أن أخذ ابنه الوحيد إسماعيل لما رآه في منام الوحي أنه يذبحه: ﴿فلما بلغ معه السّعيَ قال يا بُنيَّ إنّي أرى في المنام أنّي أذبحك فانظر ماذاترى قال يا أبَتِ افعل ما تُؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين * فلما أسلما وتلَّه للجبين * وناديناه أن يا إبراهيم * قد صدّقت الرؤيا إنّا كذلك نجزي المحسنين * إن هذا لهو البلاء المبين * وفديناه بذبح عظيم. وتركنا عليه في الآخرين * سلام على إبراهيم * كذلك نجزي المحسنين * إنّه من عبادنا المؤمنين﴾ [صافات، ١٠٢- ١١١].

يا أصحابي الحضور ـ أهل الكتابين ـ؟ هذا طرف يسير من تضحيات إبراهيم المقدَّسة في سبيل ربِّه، فكيف تنسبه جمعية كتاب الهداية إلى

الشرك والزور والشّك والغرور في نظر القرآن، مضافاً إلى ما في التوراة مما يمسّ كرامته؟!

الأسقف: إذاً فما تعني الآيات التي استندت إليها الجمعية الرسولية؟ فأتونا ببرهان مبين ...

طلاب إنجيليون: من فضلك يا أستاذ ولله درُّك، بيّن لنا معاني لكم الآيات دونما تأويل.

المناظر: أجل، وذلك ما كان نبغ فلنرتدَّ على آثارنا قصصاً:

... هذا ربّي ... هذا ربّي هذا أكبر ...

أمّا قصَّة نسبة الربوبية إلى النجم والقمر والشمس ثم إلى الله، فلم تكن إلّا محاجة على عبدة النجوم وما إليها، مؤسسة على ما يقبلون، ثم تزييفاً لما كانوا يعتنقون من هذه السبيل، حجة بيّنة قيّمة، وهي من أحسن الحجج وأقربها إلى القبول، أن يعتبر مقبول الخصم حقاً في ظاهر الحجاج لاستجلاب بالغ نظره فيه ثم القضاء عليه من مجاري تفكيره ...

وشاهدي صدق على ذلك أن حُفَّت الحجة بتبرئة ساحته ﷺ عن الشرك، من قبل ومن بعد، ففي البداية يصرِّح: أنه إذ ذاك كان في مقام الإحتجاج على قومه ﴿و إذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناماً آلهة إنّي أراك وقومك في ضلال مبين﴾ [انعام، ٧٤]، ثم يعتبر حجته الآتية إراءة له وتعليماً من ربّه ملكوت السّموات والأرض ﴿و كذلك نري إبراهيم ملكوت السَّموات والأرض ...﴾ [انعام، ٧٥].

ثم يأخذ في سرد الحجة ﴿فلما جنَّ عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربّي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربّي لأكوننّ من القوم الضالين * فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربّي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم إنّي بريءٌ مما ترشكون * إنّي وجهت وجهي للذي فطر السَّموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين. وحاجّه قومه قال أتحاجُّوني في

الله وقد هدانِ ولا أخاف ما تشركون به إلّا أن يشاء ربّي شيئاً وسع ربّي كلَّ شيءٍ علماً أفلا تتذكَّرون ۞ وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزِّل به عليكم سلطاناً فأي الفريقين أحقُّ بالأمن إن كنتم تعلمون. الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون﴾ [أنعام: ٧٦ - ٨٢].

إبراهيم القرآن يُحاجّش عبدة الكواكب في حرّان:

يلقي إبراهيم عصاه في حرّان بعدما نجحت حججه الدامغة في ثورة كسر الأصنام، أتاه علَّه يجد آذاناً مُصغية وعقولًا ناضجة، ونزل بين ظهرانيّ أهل هذه البلاد، وسرعان ما تبيَّن ضلالهم وخبطهم إذ وجدهم يعبدون الكواكب، فاختار لرشدهم سبيل العقل حجاجاً به مع شفع الحسّ، جنّ عليه الليل وستره الظلام فرأى كوكباً مما يعبدون، وهو بين جماعة منهم يتحدثون ويمرون، فجاراهم في زعمهم وحكى قولهم عليهم، فقال: ﴿هذا ربّي﴾! طريق في الحوار حكيم ومنهجٌ في الحجاج قويم، أنظر إليه كيف يحاكيهم في اعتقادهم ولا يلعن مخالفتهم أو يسفّه أحلامهم، فذلك أدعى إلى إنصاتهم لمقالته، تفهُّمهم لحجته، ثم لم يلبث أن كرَّ على قولهم ينقضه من طريق خفي، ينبىء عن سداد رأيه ونفاذ بصيرته، فلما أفل هذا الكوكب تحت الأفق، تفقَّده فلم يجده، وبحث عنه فلم يره فقال:

﴿إني لا أحب الآفلين﴾ وكيف يكون الإله آفلًا، حادثاً في تجواله وتمثاله كحدوث خلقه!، «فلما رأى القمر بازغاً» وهو أسطع نوراً من ذلك الكوكب وأكبر منه حجماً وأكثر نفعاً ﴿قال هذا ربِّي﴾ استدراجاً لهم، واستهواءً لقولبهم، ﴿فلما أفل﴾ هذا أيضاً واحتجب ﴿قال لئن لم يهدني ربي لأكوننَّ من القوم الضالين﴾ بياناً أن الله مصدر الهداية ومانح التوفيق عند الشكّ والحيرة، ﴿فلما رأى الشمس بازغة﴾ يتألق نورها، وينبعث منها شعاعها، وقد كست الدنيا جمالًا وملأت الأرض زينةً ودلالًا فـ ﴿قال هذا ربِّي هذا أكبر فلما أفلت﴾ كالآفلين رمى جماعة عبدة الكواكب بالشرك

برمّتهم قائلا: ﴿إني بريءٌ مما تشركون * إني وجّهت وجهي للذي﴾ فطرهنّ و ﴿فطر السّموات والأرض﴾ فأسكن الساكن وحرّك المتحرّك فيها ...

يذكر حجّته على قومه هكذا، ثم يختمها بأنها حجة الله ﴿و تلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجاتٍ من نشاء إن ربّك حكيم عليم﴾ [انعام، ٨٣].

وشهود صدق أُخرى على ذلك أنه يقول في احتجاجه بأفول الشمس على الذين كانوا يعبدونها ﴿يا قوم أني بريءٌ ما تشركون ... وما أنا من المشركين﴾ تعبيراً عن عقيدته التي ركزت في أعماق قلبه، وأخذت شغاف لبّه منذ البداية دون أن يشاركهم في الشرك بالله طرفة عين، وتنبيهاً أن نسبة الربوبية إلى النجم والقمر والشمس إنما كانت مماشاةً معهم في الحجاج عليهم لكي تستقيظ فِطَرتهم أنها من الآفلين، وكل آفل عبد مربوب، لا ربّ معبود، فلا يحق أن يُعبد من دون الله الذي فطَرَهن.

فمن العجيب أن الجمعية الرسولية تعتبر مثل هذه الحجة الدامغة الإلهية على التوحيد شركاً كما وتعتبر الإله الواحد ثلاثاً، وَيْ كأنهم حلفوا بالأقانيم ألّا ينظروا إلى آي الذكر الحكيم إلّا نظرة عشواء، فيحكموا بنقيض ما تحكم به أو بجمع النقيضين، ويكأنَّ ذلك صارت طبيعة ثانية لهم من جرَّاء عقيدة الأقانيم المتناقضة ... وإن الله لهادي الذين صدقوا و الذين هم به مؤمنون.

... هل كذب إبراهيم أم صدق في قوله: بل فعله كبيرهم هذا؟:

الجمعية الرسولية: هل كان لكبيرهم هذا إرادة وشعور كي يكسر تلكم الأصنام ... كلّا إنه كذب ـ وكذبٌ آخر: فقال إني سقيم!!!

المناظر: كلا بل أنتم الكاذبون، ولقد صدق إبراهيمُ القرآن لو أنتم تتفكرون، وهيهات هيهات لما تقولون ... إن هي إلّا حجته الصادقة على قومه، بل أنتم بفريتكم تفرحون!!

أجل، إن إبراهيم وعدهم في حجاجة القيِّم: ﴿و تالله لأكيدنّ أصنامكم بعد أن تولُّوا مدبرين. فجعلهم جذاذاً إلّا كبيراً لهم لعلَّهم إليه يرجعون﴾ [انبياء، ٥٧ – ٥٨].

جعلهم جذاذاً في أجسامهم بعد إذ جعلهم جذاذاً في محتدهم الإلهي في زعم عبدتهم، فصاروا إذ ذاك جذاذاً على جذاذ ...

أجل، إنه بقوة إيمانه وعدهم أن يكيد أصنامهم ليعلموا أنها ضعفاء، وما للضعيف والألوهيّة!

فلمّا همُّوا بالذهاب إلى عيدهم طلبوا أن يرافقهم، وسألوه أن يشاركهم في الخروج إلى ظاهر مدينتهم فأبى أن يصحبهم وامتنع عن الإنتظام في سلكهم، وقد عقد العزم على أن يهدم صرح آلهتهم، ويقوِّض عرش معبوداتهم، لما رأى أن الحجّة القولية ـ وإ وضحت وضوح الصبح ـ لا يُنبت في هذه الأرض الجزر نباتاً حسناً، فأراد أن يشرك أبصار القوم مع بصائرهم، وحواسّهم مع أفئدتهم في تفهّم عقيدته، علَّهم يثوبون إلى رشدهم ويرجعون عن غيِّهم. لذلك وذياك وهو يهدف الهدف العظيم، يدَّعي العلة، ويتظاهر بالسقم ويعتذر بذلك عن الخروج معهم، ولم تكن به علة ولا مرض، ولكنه كان سقيم النفس كاسف البال، يتقطع فؤاده حزناً على إشراك قومه، ويتميّز غيظاً لأنهم لم يلبوُّا نداءه وحجاجه ولم يصغوا إلى دعوته.

يعتذر وينظر إلى النجوم ﴿فنظر نظرة في النجوم. فقال إنِّي سقيم. فتولوا عنه مدبرين﴾ [صافات، ٨٨ – ٩٠].

ولقد كانت نظرته الحكيمة في النجوم تضاهي حجاجه الأول ﴿هذا ربّي ... هذا أكبر﴾ وفقاً لما كانوا يزعمونه من دلالات النجوم على ما ستحدث من أحداثٍ مستقبلة، حيث كانوا يعتبرونها من أرباب الأنواع، وهذه الأثان تُمثلها بمتناول أيدي العابدين، لكي يقضي على هذه المزاعم الفاسدة بعد إذ جعل الأوثان

جذاذاً، أم أنه نظر في النجوم: من شمسها وقمرها وغيرهما من نجوم السماء ـ ليل نهار ـ واستدل بأفولها وحدودها و ...

على حدوثها وأنها مربوبة، لا أرباب، فسقم روحه وتأثر من ضلال عابديها ﴿فقال إني سقيم﴾ يضمر في نفسه أن نظرة واحدة في هؤلاء الذين تعتبرونها أرباب الأنواع تُنبِّه الإنسان أنهم مربوبون، فيسقم روح الإنسان بأحاسيسة المفكرة العاقلة، أن كيف يعبدهم هؤلاء الجم الغفير من الناس!.

وعلى أية حال فقد كاد أصنامَهم بعد أن ولُّوا مُدْبرين، وتكروه وحيداً، لما كادهم بنظرته في النجوم.

وقوله: إني سقيم، وإن كانوا لم يدركوا معنى كلامه، كما لم يكادوا يدركون حجته القيمة في إبطال عقائدهم الزائفة ... ﴿فزاغ عليهم ضرباً باليمين﴾ [صافات. ٩٣]، ﴿فجعلهم جذاذاً إلّا كبيراً لهم لعلهم إليه يرجعون﴾ [أنبياء. ٥٨]، ﴿فاقبلوا إليه يزفون﴾ [صافات. ٩٤]، ﴿قالوا من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين * قالوا سمعنا فتىً يذكرهم يُقال له إبراهيم * قالوا فاتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون * قالوا ءأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم * قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون * فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون * ثم نكسوا على رؤوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون * قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئاً ولا يضركم * أُفٍ لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون * قالوا حرِّقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين ...﴾ [أنبياء. ٥٩ـ ٦٨].

... لما خلا الجوّ من العيون أن ترصده دلف إلى أصنامهم فوجد باحة قد اكتظَّت بالتماثيل وانتشرت في أرجائها الأصنام، فخاطبها محتقراً لشأنها: ﴿ألا تأكلون! ما لكم لا تنطقون﴾! وأنَّى لحجارة أن تأكل أو تنطق! فأخذ يلطمها بيده، ويركلها برجله، وتناول فأساً وهوى عليها بكسرها، ويحطِّم حجارتها، حتى جعلها

جذاذاً إلّا كبيراً لهم لعلهم إليه يرجعون ويسألوه عمَّن انتهك حرمة بيتهم، يرجعوا إلى أنفسهم ما هؤلاء ينطقون فكيف يُعبدون!

... فإبراهيم القرآن لم يكذب هنا وهناك، فهنا ينسب فعله إلى كبير الأصنام ـ لا إطلاقاً ـ بل على شرط ﴿إن كانوا ينطقون﴾ و لقد صدق في هذه الشرطية وأتى ببرهان جميل ما أجمله: أو لو كان هؤلاء الأصنام آلهة ذوي نطق وإدراك لما أبقى اكلبير منهم صغارهم، كما ويقول ﴿... وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عمّا يصفون﴾ [مؤمنون. ٩١].

أجل، ﴿بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كان ينطقون﴾!!!

فلم يقل منذ البدء: إنني جعلتهم جذاذاً، حيث لم يكونوا يمهلوه حينذاك حتى يأتيهم ببرهانه، فنسب الفعل في ظاهر الحال إلى كبيرهم لكيلا يهجموا عليه دونما إمهال، ثم جعل هذه النسبة في شرطية مشتملة على حجتين ظاهرتين، للحفاظ على صدق الحجة و إتقانها:

الأولى: فأسألوهم، هل قتلهم كبيرهم؟ ولا بدَّ أن يجيبوكم عن مسؤولكم إن كانوا ينطقون. فلو لم ينطقوا فلا إله فيهم حيث لا ينطقون ولا يدركون.

الثانية: أن لو نطقوا فطبيعة الحال تقضي أن لا بقاء لهذه الكثرة، لعلوٍّ كبيرهم على الصغار، فيقضي عليهم لكي يتفرد بنفسه إلهاً. فكان الجواب إذ ذاك أن كبيرنا فعل هذا، حيث لا يستطيع القضاء على الآلهة إلّا من هو أكبر منهم دون العبيد كأمثال إبراهيم ومَن إليه، فعدم نطقهم والقضاء عليهم بفعل إبراهيم، هذا يأتي برهاناً بيِّناً أنهم أضعف من أحدٍ من العباد، فكيف تعتبرونهم آلهة، فإبراهيم يعترف أخيراً أنه الذي جعلهم جذاذاً، ولكنه بعد أن أيقظهم عن غفلتهم وجهالتهم بظلمهم أنفسهم في عبادتهم، ونَكسهم على رؤوسهم استحياءً من إبراهيم ﴿لقد علمت ما هؤلاء ينطقون﴾ [أنبياء. ٦٥]، ولقد فسحت هذه الشرطية الجميله مجالًا لتلك المجالات الواسعة لإحتجاج إبراهيم على كافة من حضر مِن عبدَة الأصنام، ولا

شكّ أن اجتماع القوم في صعيدٍ واحدٍ كان أُمنيَّة إبراهيم التي طالما جاشت نفسه بها وتوخَّاها ليقيم لهم الحجّة جميعاً على بطلان مزاعمهم الجاهلية الجارفة.

تقاطرت الوفود، وتكاثرت المجموع، كلٌّ يرغب في القصاص من إبراهيم، ويودُّ أن يرى عقابه، فجاؤوا به وسط هذا الجمع الزاخر، وابتدأوا في محاكمته أمام هذه الجماعات التي تحرق الإرَّم حَنقاً وغيظاً وقالوا: ﴿ءأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم!﴾ [أنبياء. ٦٢].

فها هي ذي الفرصة قد سنحت لبلوغ مأربه، فسار بهم الجدال ناحية أخرى وجربهم بأسلوبه الحكيم إلى طريق لم يكونوا ليقصدوه، ليلزمهم الحجة فقال: ﴿بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون﴾ [أنبياء. ٦٣].

فيا لها من حجة بالغة دامغة قد ضعفهم بها صفعة تبَّهتهم من غفلتهم، وأيقظتهم من غفوتهم، فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون وقالوا: ﴿إنكم أنتم الظالمون﴾ [أنبياء. ٦٤]، ثم أدركتهم الحيرة وعقد الحصر ألسنتهم، فأطرقوا برؤوسهم مفكرين، واستجمعوا شارد عقولهم جاهدين قائلين: ﴿لقد علمت ما هؤلاء ينطقون﴾ [أنبياء. ٦٥]، ﴿قال أتعبدون ما تنحتون * والله خلقكم وما تعملون﴾ [صافات. ٩٥- ٩٦]، ﴿أُفٍّ لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون﴾ [أنبياء. ٦٧].

فلما دخص وزيِّف مزاعهم الشركية، لم يجدوا بداً إلّا أن يحرقوه بدل ما أحرق من أكبادهم ﴿قالوا ابنوا له بنياناً فألقوه في الجحيم﴾ [صافات. ٩٧]، ﴿قالوا حرِّقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين. قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم. وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأخسرين﴾ [أنبياء. ٦٨- ٧٠].

طلاب إنجيليون: للَّه درُّك يا أستاذ، ما أجمل بيانك وما أحسن تبيانك، ولقد عرفنا بيقين أن إبراهيم الخليل هو الذي يعرِّفه القرآن بذكريات جميلة وكما تليق بساحة قدسه، فرجاء أن تفسير لنا قصّة شكِّه(ع)، لكي تقارنها بما مضت من التوراة، أنه عليه السلام شكَّ في وعده تعالى من إرث الأرض.

هل يشك إبراهيم القرآن كإبراهيم التوراة في ربه؟

الأسقف: أجل ... وإنه شكٌ بشكٍ، فلئن يشك إبراهيم التوراة في إنجاز وعد الله وفي الله بملاكه الثلاث! فإبراهيم القرآن يشك في المعاد الجسماني حيث يلتمس من ربه أن يُريه كيف يحيي الموتى ليطمئن قلبه، فلم يكن قلبه قبلئذٍ مطمئناً بالإيمان: أن الله هو الذي يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير!.

المناظر: كلّا ... بل إنه يقين ما أتقنه، فإنما يتذكّر أولو الألباب.

إبراهيم والطيور:

﴿و إذ قال إبراهيم ربِّ أرني كيف تُحيي الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئنَّ قلبي قال فخذ أربعةً من الطير فصُرهنَّ إليكم ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً ثم ادعهن يأتينك سعياً واعلم أن الله عزيز حكيم﴾ [بقره، ٢٦٠].

... إن الجمعية الرسولية تستند إلى هذه الآية: أن إبراهيم شك في قدرة الله اعتباراً بقوله: ﴿ولكن ليطمئن قلبي﴾، ولكنها لم تمعن النظر في هذا الإستدراك إلى ما استدركه عنه بقوله: بلى ... قالها جواباً عما سأله ربه: ﴿أو لم تؤمن﴾؟ أي: بأنني أحيي الموتى، فقال: ﴿بلى ...﴾

إنني مؤمن بأنك أنت تحيي الموتى ﴿ولكن ...﴾ ولم يكن هذا السؤال والجواب إلّا ... ولتبرئة ساحة إبراهيم عما لعلَّه ينسبه إليه أمثال الجمعية الرسولية: أنه إنما سأل ربه ليريه كيف يُحيي الموتى، لعدم إيمانه بذلك قبل ذاك وحاشاه، فلذلك وذياك يأتي بهذه الجملة ولكي يصرِّح من خلالها أن سؤاله لم يكن بدافع الشك، بل سأل على إيمان ويقين، إنه سأل عن ملكوت الإحياء وحقيقته التي هي فعل الله تعالى، لا عن أنه: هل تَحيي الموتى؟ أو يسأل عن صورة الإحياء فيراها كما يتمكن غيره أن يراها، لا ذا ولا ذاك وإنما مسؤوله الوحيد هنا كيفية وملكوت فعل

الربّ ليستكمل بهذه الرؤية البارعة الخارقة ما أراه الله من ملكوت السّموات والأرض: ﴿وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السّموات الأرض﴾ [انعام، ٧٥]، إذ ذاك يسأله ربه: ﴿أو لم تؤمن﴾! والواو للجمع: أي هل تجمع وتضم إلى مسؤولك عدم الإيمان بفعل ربك؟ قال: كلًّا: بلى إنني أؤمن بذلك، ولكن ليطمئن قلبي أن تريني حقيقة وملكوت فعلك، ولا ريب أن للإيمان واليقين مراتب شتى يكتفى بكل منها للخروج عن وصمة الشّك والارتياب، إلّا أن أنبياء الله ولا سيما أولي العزم منهم لا يرضون إلّا أن يعرجوا إلى أعلى معارج اليقين كما يمكن في حقهم، وإبراهيم ﷺ بعدما يستكمل علم اليقين وعين اليقين بالنسبة لإحياء الموتى يريد الإستزادة منه، و لكي يصل إلى حق اليقين وثابته الذي لا فوقه يقين، ولا يصل إلى هذه المدرجة العليا إلّا أن يريه الله فعله بيده ولكي يراه بعينه، عينه الظاهرة والباطنة دونما حجاب بينه وبين الملكوت، ولذلك أجابه الله قائلًا: فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك، حيث فوض فعله إليه بإذنه.

ونكتة أُخرى في سؤاله أنه أتى بالجمع: ﴿كيف تحيى الموتى﴾، ليقضي على مشكلة الآكل والمأكول، وتداخل أجزاء الموتى كل بالآخر، يقضي عليها مضافاً إلى تكملة ناحية اليقين، وكذلك الله أجاب بالجمع: ﴿فخذ أربعة من الطير ...﴾ ولو كان المقصود صرف إحياء الميت لم يكن لسؤاله الجمع وإجابته به معنى، ثم و ﴿تُحيى﴾ دون «تَحيى» تدلنا إلى طلب إراءة فعل الله بملكوته.

مراتب اليقين:

إن الإيمان وحده لاينافي اضطراب القلب، حيث إن العقيدة الناتجة عن دليل العقل يصدقها العقل إلّا أن محكومية الإنسان للحسّ تجعله يضطرب ما لم ينضم تصديق حسّه إلى عقله، كما أن الإنسان يعلم أن لا حراك للميت حتى يضره، ورغ مذلك فالقوّة المتخيلة تصوّر له صوراً هائلة تدهشه إذا انفرد مع الميت ... فإذا قضي على

الواهمة بتصديق الحسّ، استكملت الطمأنينة في قلبه، وساحة إبراهيم الخليل أرفع من أن تناله الأوهام التي تمس يقينه، فإنه أيقن الحياةَ الأُخرى كمن أبصرها، إلّا أنه يريد الطمأنينة التامة التي تحصل برؤية الملكوت، ومن المعلوم أن العقول والإدراكات مهما كانت جبارة، فإنها تقصر عن درك الملكوت في أفعال الله تعالى، إلّا أن يريها الله تعالى بإذنه، إذا ذاك فإبراهيم القرآن إنما يسأل ربه ما لا يناله في حد نفسه بأية وسيلة إلّا أن يُريه ربه، كما أراه ملكوت السموات والأرض، فالجمعية الرسولية الأمريكية تحسب هذا السؤال العريق بدافع الشك في قلب إبراهيم، دون أن يكفروا في آية السؤال، وإن تكفيراً ساذجاً .... وذلك لمن ألقى السمع وهو شهيد فإنما يتذكر أولو الألباب. فإبراهيمﷺ في نظر القرآن بالغ أرفع مدارج الإيمان واليقين، مطهر عن الأرجاس كلها، رغم إبراهيم التوراة حيث لا يميز ربه عن ملاكه، ولا الواحد عن الثلاث، ولا يقنع بوعد ربه في إرث الأرض فيطلب منه علامة، ثم ربه أيضاً كمثله ... يجعل هناك علامة عادية هي القتل دون أن تدله على شيءٍ إلّا هزنه، به فجدير له إذ ذاك أن يزيد شكاً على شكه وحتى في ربه ولكي لا يميزه عن ملاكه الأناسين ... وحاش للّه أن يوحي أمثال هذه الضلالات فيدنس ساحته وساحة أنبيائه الكرام ...

وأخيراً إن قصة قتل الحيوانات الذى أمره به ربه ليست هناك إلّا لإراءة ملكوت الإحياء، لا أنها علامة إرث الأرض التي وعدها إياه ربه، ولقد خلط الأمر على كتَّاب التوراة، فأخطأوا مكان القصة، كما هم مخطئون في الكثير من القصص على عمد أو خطإٍ.

فعلى الجمعية الرسولية أن تمحي هذه الإفتراءات السوء عن الكتابين وتستبدل بها آي الذكر الحكيم، فتؤمن بها رغمها، لا أن تنصح المسلمين بما يستحي عنه القلم.

فيا أصحابي قارنوا بين بيئة إبراهيم في القرآن وفي الكتابين، واقضوا بعين النصفة يهدكم ربكم سبيل الرشاد.

أبو إبراهيم ووالده في نظر القرآن:

الأسقف: كلمة أخيرة هي أن القرآن يعتبر أبا إبراهيم آزر المشرك الملحد ومن أصولكم أن آباء الأنبياء موحِّدون، ولكن التوراة تصرّح أن أباه تارخْ فلئن لم تذكره بالإيمان لا تذكره بالشرك أيضاً.

المناظر: أجل ولكنه ليس أصلًا كتابياً، وإنما تلقيناه عن الأثر المستفيض وكما يخاطب أئمتنا المعصومون وهم خلفاء الرسول ﷺ بما يلي: أشهد أنك كنت نوراً في الأصلاب الشامخة والأرحام المطهرة لم تنجِّسك الجاهلية بأنجاسها ولم تلبسك من مدلهمات ثيابها ... وشموخ اصّلب ينافي الشرك في صاحبه مع صحة القول أن شموخها اعتباراً بطهارتها عن السفاح بشهادة طهارة الأرحام فإنها ليست إلّا عن السفاح حيث الشرك لا ينافي طهارة الرحم.

وبعد اللتيا والتي فالتأمل في جماع الآيات بالنسبة لأبي إبراهيم ووالده، يعطي أن والده غير أبيه، وبما أن الأول صريح فيمن ولَّد، والثاني يحتمله وغيره من عمٍ وجدّ لأمٍ وغيرهما، فإنما التعبير عن آزر بأبي إبراهيم اعتباراً أنه كان في كفالته وتربيته إذ مات أبوه في صغره، وهكذا تعبير للدلالة على بالغ توحيد إبراهيم وطهارته، أن لم تؤثر فيه ضلالة آزر ولا ذرة مثقال، بل ورغم ذاك يأخذ إبراهيم في دعوته إلى الله، ويفنِّد آراءه الخاطئة الكافرة في صنعة الأوثان وعبادتها من دون الله ما لا ينفعه ولا يضرُّه ... مع أنه كان يحترمه رعاية لكبره وقرابته وكفالته له منذ صغره، ولذلك كان يخاطبه: يا أبت! ولكن هذه القرابات القريبة لم تؤثر في إبراهيم قرباً عقائدياً إلى آزر، ومَن إليه من مؤازريه في الوثنية الكافرة.

الأسقف: من أين نعلم أن المعني من الأب هنا وهناك- في التصاريح المتكررة القرانية ـ إنما هو غير الوالد ـ وإن كان يحتمله ـ إلّا الصحيح في الكلام الفصيح، ولا سيما القرآن الذي تعتبرونه لحدّ الإعجاز في فصاحة البيان وبلاغته أن يُراد ظاهره إلّا لدلالة بيِّنة، ظاهر الأب هو الوالد ليس إلَّا!

المناظر: أجل، وإليكم القرائن البيِّنة كما يلي:

... هناك آيات تدلنا على عن الأب قد يطلق على الجد: ﴿واتّبعتُ ملّة آبائي إبراهيم وإسحق ويعقوب﴾ [يوسف، ٣٨]، فإنهم ما خلا يعقوب أجداد يوسف.

وعلى العمّ ﴿أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحق إلهاً واحداً ونحن له مسلمون﴾ [بقره، ١٣٣]، فإن إسماعيل كان عما ليعقوب.

و على الجد الأمّي: ﴿وزكريا ويحيى وعيسى ..﴾ [أنعام، ٨٥] حيث يعدُّهم من أبناء إبراهيم، حال أنه جد أمِّ المسيح عليه السلام: ﴿و من آبائهم وذرياتهم وإخوانهم ...﴾ [انعام، ٨٧].

ثم إليكم آيٌ أُخرى تعيِّن أن المعني من أبوَّة آزر لإبراهيم غير الولادة فوالده غير أبيه، كما يلي:

... آي القصّة في إبراهيم وآزر تدلُّنا على أن أوّل من أخذ إبراهيم في دعوته إلى خلع الأنداد كان رجلًا اسمه آزر، فما زال يزاول في دعوته إلى التوحيد إلى أن هدَّده آزر بالرَّجم، وأمره أن يهجره ملياً، قال: ﴿أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم لئن لم تنته لأرجمنَّك واهجرني ملياً﴾ [مريم، ٤٦].

فلما أمره بهجره ملّياً أي مدة طويلة ـ لا نهائياً مع الأبد ـ استشم إبراهيم من ذلك جواز هدايته، ورجاءَ ذلك سلم عليه ووعده أن يستغفر له إن اهتدى: ﴿قال سلام عليك سأستغفر لك ربّي إنه كان بي حفيّاً. وأعتزلكم وما تعبدون من دون الله وأدعوا ربي عسى أن لا أكون بدعاء ربي شقياً﴾ [مريم، ٤٧ـ ٤٨]، فقد كان إبراهيم يرجو

توبة أبيه، وأن شركه ليس عن عناد وعداوة للَّه، بل عن جهل، ولعله أمرني بالهجر الملي ولكي يفكر في أمره، فاعتزل آزر ملياً، وبعدئذٍ حينما كان يدعو أن يهب له ربه حكماً: أي النبوَّة- أدخل في دعائه طلب الغفران لآزر إنجازاً لوعده له قبل ذاك: ﴿ربِّ هب لي حكماً وألحقني بالصالحين * واجعل لي لسان صدقٍ في الآخرين * واجعلني من ورثة جنة النعيم * واغفر لأبي إنه كان من الضالِّين، ولا تخزني يوم يبعثون * يوم لا ينفع مال ولا بنون * إلّا من أتى الله بقلب سليم﴾ [شعراء، ٨٣- ٨٩].

وقضية الذيل حيث يربط النفع يوم الدين بمن أتى الله بقلب سليم، مضافاً إلى التعبير عن ضلال آزر بالماضي ﴿إنه كان من الضالين﴾ أن إبراهيم إنما أنجز وعده لآزر في دعاء الإستغفار لظنِّه أنه آمن بالله أو سيؤمن حيث لم يك يعلم عداوته للَّه.

وشاهداً على ذلك آية الإعتذار:

﴿ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعدما تبيَّن لهم أنهم أصحاب الجحيم * وما كا استغفار إبراهيم لأبيه إلّا عن موعده وعدها إيّاه فلما تبيَّن له أنه عدوٌّ للَّه تبرَّأ منه إن إبراهيم لأوَّاهٌ حليم﴾ [توبه، ١١٣- ١١٤].

حيث تربط حرمة الإستغفار للمشركين بالعلم أنهم من أصحاب الجحيم، ولما جاز لآزر المشرك أن يتوب قبل موته فلا يعلم أنه منهم أم ليس منهم، فجائز إذ ذاك أن يستغفر له علّة يتوب ـ أو لأنه تاب ـ وإنماكان إبراهيم يجوِّز توبة آزر لقوله: ﴿واهجرني مليّاً﴾ ـ لا دائماً ـ ولموعدة وعدها آزر إياه (إبراهيم) أنني سوف أتوب إلى الله،[١] فلما تبيَّن بعدئذ أنه عدوٌّ للَّه وكاذب في وعده تبرَّأ منه، أي هجره للتالي ولم يعد إلى الإستغفار له ...

وكل هذه الحادثات إنما حدثت في حداثته ﷺ ولمَّا يهاجر إلى الأرض المقدسة ويسافر إلى مكة المكرَّمة ويبني هناك البيت الحرام، وإذ قد تبرّأ من آزر

---

١ . هذه الموعدة التي وعدها آزر لإبراهيم أنه سوف يتوب لا تخلو حالها أنها موعدة مستقلة حين هجره عنه أو مستفادة من قوله ملياً أو بعد هذه المقالة بما يستفاد منه الموعدة.

بعد علمه أنه عدوٌّ للّه لم يكن له العودة في الإستغفار له طيلة حياته حتى النهاية وإلّا كان عاصياً وحاشاه عن ذلك حيث كان إمام المرسلين... ﴿إني جاعلك للناس إماماً﴾ [بقره. ١٢٤]، ﴿ومن عباد الله الصالحين﴾ و ﴿المخلَصين﴾.

فلقد تبرّأ من آزر وأضرابه من المشركين، وأخذ يدعو أهل بابل ومن والاها إلى الله أن ألقوه في النار: ﴿و أرادوا به كيداً فجعلناهم الأخسرين﴾ [انبياء. ٧٠]، وكان إذ ذاك فتىً:

﴿قالوا سمعنا فتىً يذكرهم يُقال له إبراهيم﴾ [انبياء. ٦٠]، ثم استدام في دعوته إلى أن رزقه الله إسماعيل وإسحاق وقد صار هرماً وسافر بإسماعيل وأُمه إلى البلد الحرام وأسكنهما فيه، وأخذ يحمد ربّه ويدعوه:

﴿الحمد للّه الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحق إن ربي لسميع الدعاء * ربِّ اجعلني مقيم الصّلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء * ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب﴾ [إبراهيم. ٣٩ـ ٤١].

فقد استغفر هنا لوالده، فيجب أن لا يكون والدُ أباه: آزر الذي تبرأ منه، وحاش للّه أن يكذب في تبرىء إبراهيم عن آزر، وحاش لخليل الله أن يعصي ربه في الإستغفار لآزر بعدما تبيَّن له أنه من أصحاب الجحيم، وبعدما يصرح أنه من المخلَصين الصالحين، فإنما استغفر لوالديه، والوالد نص في الأب المولِّد دون مطلق الأب، حيث يعمُّه وغيره كما سلف، وبهذا النسق من تنسيق آي الذكر الحكيم في إبراهيم الخليل نذور عن ساحة قدسه أن يكون والده مشركاً!.

و بعد ذاك وذياك، فلو لم تكن هذه القرائن أيضاً لم يضرنا كون أبي إبراهيم مشركاً بعد أن كان هو موحداً غايته، رغم التوراة التي تنسب إليه ما نسبت من التثليث والتجسيم، ألا فأنتبهوا يا أصحابي عن نومتكم وابتغوا سبيل الرشد: ﴿وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرّق بكم عن سبيله﴾ [انعام. ١٥٣].

لوط فى الكتب الثلاثة؛ لوط فى العهدين

... يا أصحابي الكتابيِّين! رجاء استعراض بيئة لوط النبى ﷺ من الكتابين للمقارنة.

الدكتور بست: إنه ابن أخي إبراهيم اتبع إبراهيم وتارخ أباه وذهب معهما إلى ما بين النهرين (تك ١١: ٣١– ٣٢) ... ثم إلى سدوم، ومع أنه لم يستحسن العمليات الفاسقة لأهل سدوم زوّج بنتيه بعض أهله، فلما بلغت من عملياتهم الشريرة لحدٍّ النهاية أتاه ملكان من الله يخبرانه بما ينزل عليهم من العذاب، وحينما كانوا يفرون (لوط وأهله) نظرت إلى ما ورائها وكان ذلك خلافاً للأمر الإلهي، لذلك تبدلت ملحاً من فورها، فانتقل لوط إلى جبال مؤاب الأرض التي ورثها نسلة المؤابيونن والعمونيون (تث ٢: ٩، مز ٨٣: ٨).

وعلى أية حال فإن لوطاً كان متلوناً في أعماله وعقائده وإن كان الكتاب المقدس يعتبره عادلًا (٢ بط ٢: ٧– ٨).

المناظر: قبل كل شيءٍ إن كلامكم الأخير ينادي بتناقض بيِّن في العهدين حيث تحكمون أن لوطاً كان متلوناً في حين أن الكتاب المقدس يصرّح بعدله وبره وإليكم نصه:

... وإذ رمَّد مدينتي سدوم وعمورة حكم عليهما بالإنقلاب واضعاً عبرة للعتيدين أن يفجروا.

وأنقذ لوطاً البار مغلوباً من سيرة الأردياء في الدعارة، إذ كان البار بالنظر والسمع وهو ساكن بينهم يعذب يوماً فيوماً نفسه البارة بالأفعال الأثيمة.

يعلم الرب أن ينقذ الأتقياء من التجربة ويحفظ الأثمة إلى يوم الدين معاقبين. ولا سيما الذين يذهبون وراء الجسد في شهوة النجاسة ويستهينون بالسيادة ... (٢ بط ٢: ٧– ١٠).

فيا عجباً من العهدين! إذ يذكر الجديد منهما لوطاً بذكرى العدالة والبر والتقى، ثم بالرغم منه يذكره العهد القديم بأشنع الذكريات السوء: إنه شرب الخمر وزنى بنتيه تباعاً ليلة فليلة ـ وحاشا ـ وأولد من بنته الكبرى مؤاباً وهو الذي صار رأس قبيلة المؤابيين، ثم من الصغرى بن عمّي راس بن عمين (تك ١٩: ٣٠ – ٣٨).

أفيحسن بكتاب إلهامي أن يذكر التقي البر لوطاً، أنه اقترف إثمين كبيرين ما فوقهما إثم، ولا سيما نكاح البنت الذي هو حرام بالوجدان الإنساني وفي التشاريع المقدسة الإلهية بدءَ ختم، وإذ ذاك أفلم يكن لوط بأحرى أن يشمله العذاب قبل قومه حيث سبق الارادياء منهم في الدعارة، لأنه ذهب وراء الجسد في أشر وأردإ شهواته.

يقول بطرس الرسول بداية كلامه: وأنقذ لوطاً البار مغلوباً من سيرة الأردياء في الدعارة ووفق ما يحكم به كلامه ويحفظ الأثمة إلى يوم الدين معاقبين ولا سيما الذين يذهبون وراء الجسد في شهوة النجاسة ويستهينون بالسيادة!.

فما للكتاب المقدس لا يبقي عادلًا مقدساً إلّا يدنِّسه عقائدياً وعملياً، هؤلاء المقدسون الذين أرسلهم الله لتخليص البشرية عن الأعمال والعقائد الشريرة كيف يفتري عليهم أنهم أتوا بأشنع ما يفرُّ عنه السرسريون اللا إنسانيون!.

الجمعية الرسولية: ... «لا ضير في هذا وذاك» فـ: إن المولى سبحانه إذا أراد أن ينفِّرنا من السكر بالأمثلة التي تقشعر منها الأبدان، والمشاهد بالعيان، أنه إذا سكر الإنسان تاه عن الصواب وكان والمجنون شيئاً واحداً، وأتى من المنكر ما يذهل العقول فلا يشفق على ولده فلذة كبده بل يقوم عليه يجزره، وكثيراً ما لا يشفق على ذاته فيلقي بنفسه من محل عالٍ، ولقد كانت الخمر محللة في صدر الإسلام حتى شربها نبيهم والصحابة!!

وقد ينسب القرآن إلى لوط عدم الإعتماد على الله: ﴿لو أن لي بكم قوةً أو آوي إلى ركن شديد﴾ [هود: ٨٠]!!

المناظر: ... أما فرية شرب الخمر إلى ساحة الرسول الأعظم ﷺ وكونها محللة منذ البداية في الإسلام، فقد مضى تزييفها ويأتي في المقارنات الأحكامية تحت عنوان:

«الخمر في الشرائع الإلهية ...» وهذه عادة منكم منكرة أنكم تعارضون بالمثل في زعمكم .. فتزيدون على الفرية فرية أُخرى، بدل أن تفكروا في دفعها أن أن تسلموا تحريف الكتابات التي أتت بها ... وإن كانت تفكيراتكم في الذود عن خرافات وافتراءات العهدين هي أيضاً لا تقصر عنها شناعة وركاكة وكما تذكرون:

أن الله إذ يريد تنفير الطباع عن شرب الخمر وفعلتها اللاإنسانية، يبتلي نبيّه لوط بذاك و ذياك! فهل في هذه العرقلة الملحدة لنبي الله لوط إلّا تشجيعاً لقومه في فسقهم وإتيانهم الرجال شهوةً من دون النساء، بل إن العمليات الفاسقة منهم أدنى من فجوره ببنتيه! ...

وهل في ذلك إلّا قضاء حاسماً على كرامة الأنبياء أنهم أخطأوا كهذه الخطايا الهدامة؟

فغيرهم أولى بذلك وأحرى!

وهل من العقل والدراية لمن يربي الناس أن يأتي بنفسه الفاحشة لكي يُريهم أخطارها ودمارها ...

أفلم تكف موعظة وتذكاراً لهم تلكم الأعمال الفاجره اللّا إنسانيته التي يقترفها الأراذل الأنذال المنحرفون، حتى يصبح ربُّ الأرباب يبتلي أنبياءه الهادين بما لا يتأتى من أرذل الفاسقين الضالين ...

إذ ذاك فكيف تؤثر دعوة لوط في قومه: ﴿أتأتون الرجال شهوة من دون النساء ... ما سبقكم بها من أحد من العالمين﴾ [أعراف: ٨٠-٨١]! إلّا أن يُصروا في دعارتهم قائلين: «إنك لتاتي بناتك شهوة من دون النساء ما سبقك بها من أحدٍ من العالمين»؟

ثم إنه إذ أتاهم العذاب بما كانوا يفعلون، فلماذا ينجّي الله لوطاً وهو شرهم ـ وحاشاه ـ ! ـ ويهلك قومه لأنهم عصوه وأتوا ما أتوا، فما كان ذنبهم إلّا اقتداؤهم بنبيهم لوط، بأدنى ممّا اقترفه من الإثم ... فيا لإله ظلّام يفرق بين نبيه وأُمته في العذاب، على أن آثامهم أدنى منه، وقد أتوا بها على جهل اقتداء بنبيهم، دون هذا النبي الذي أتى بما أتى شهوة وفسقاً وحاشاه.

الطلاب الإنجيليون: هاه يا أستاذ! لقد ضاقت صدورنا وتكدرت قلوبنا ورانت بما تنسبه التوراة إلى لوط وأنبياء الله، فللّه أنت تشرح صدوران بآيات الله البينات من الذكر الحكيم ... وللّه درك ... وها نحن من حزب الله وأنبيائه المعصومين، نعارض بكل قوة أية كتابات تمسُّ من كرامة الله وأنبيائه وأحكامه رفضاً للعصبيات الجاهلة، والله ولي التوفيق.

الأسقف: أجل ... فأين الركن الشديد من دون الله الذي يأوي إليه لوط القرآن!

المناظر: أجل، وقد يأتيكم نبأه بعد حين، وهذه آي الذكر الحكيم تذكر من نبوة لوط ودعوته وتضحياته المقدسة في سبيل ربه ما يقضي به على الدعارات العارمة المنسوبة إليه في الكتابين، إذ القرآن مهيمن على ما سبقه من كتاب، يصدق صدق ما فيها، و يزيّف ما تسربت إليها من أضغاث أحلام وخرافات أوهام، فيا له من كتاب خالد ما أحكمه، ووحي ما أحفظه، ودستور عالمي ما أتقنه!.

لوط في نظر القرآن:

﴿فآمن له (لإبراهيم) لوط وقال إني مهاجر إلى ربي إنه هو العزيز الحكيم﴾! [عنكبوت، ٢٦]، ﴿وإن لوطاً لمن المرسلين﴾ [صافات، ١٣٣]، ﴿ولوطاً إذ قال لقومه إنكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين * ءإنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون في ناديكم المنكر﴾ [عنكبوت، ٢٨ ـ ٢٩]، ﴿... بل أنتم قوم مسرفون﴾ [أعراف، ٨١]، ... ﴿بل أنتم قوم تجهلون﴾ [نمل، ٥٥]، ... ﴿ألا تتقون * إني لكم رسول أمين * فاتقوا الله

وأطيعون﴾ [شعراء، ١٦١ - ١٦٣]، ﴿أتأتون الذكران من العالمين. وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون﴾ [شعراء، ١٦٥ - ١٦٦] ... ﴿... فما كان جواب قومه إلّا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم إنهم أُناس يتطهرون﴾ [نمل، ٥٦]، ... ﴿إلّا أن قالوا إئتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين﴾ [عنكبوت، ٢٩]، ﴿قالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين * قال إني لعملكم من القالين﴾ [شعراء، ١٦٧ - ١٦٨].

... هذا وذياك أسئلة وأجوبة تبادلت بين لوط عليه السلام وقومه، فلم تك تنفعهم عظاته وتضحياته في أولئك الذين كانوا في سكرتهم يعمهون: ﴿لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون﴾ [حجر، ٧٢].

لذلك، ولما أيس من خيرهم، وضاق صدره من عملياتهم الشريرة، أخذ يدعو عليهم بأمر الله ﴿قال رب انصرني على القوم المفسدين﴾ [عنكبوت، ٣٠]، ﴿ربِّ نجني وأهلي مما يعملون﴾ [شعراء، ١٦٩].

فنجاه الله وأهله إلّا إمرأته كانت من الغابرين: ﴿فأنجيناه وأهله إلّا امرأته قدّرناها من الغابرين﴾ [نمل، ٥٧].

لوط بين الملائكة المبشرين وبين قومه المجرمين:

... يستنجز لوط عذاب الله على قومه فأنجزه ربه، ويرسل الله إليه ملائكته المبشرين.

تتجه إليه الملائكة الكرام، وعلّة يتردد في السعي لاستقبالهم حائراً في قبول ضيافتهم، تحدثه نفسه أن يبعث إليهم بعذره أو أن يظهرهم على أمره وما يخافه عليهم من قومه فيكفوه مدافعتهم لهم ويتركوه وشأنه، ولكن الأريحية هزنة والمروءة دفعته، فاستصغر الصعاب وخرج إليهم خفية وهو ينأى عن عيون القوم ويحاول الوصول إلى ضيفة قبل أن يعترضوا طريقه، فقد حالوا بينه وبين العالمين ﴿أو لم ننهك عن العالمين﴾ [حجر: ٧٠]، و أمروه ألا يستضيف أحداً أو أن يؤوي في

منزله طارئاً، ويكأنّهم حسبوه داءً وبيلاً فخافوا انتشاره، وظنوه خطراً جسيماً فخشوا طغيانه، وما هو إلّا عدوٌ لقبائحم ومنكر لمفاسدهم.

تسلل لوط خفية وسار حتى إلتقى الملائكة فإستقبلهم ببشره وتلقاهم بوجهه، ثم دعاهم إلى مصاحبته، وتقدمهم نحو بيته، والمخاوف تدبُّ إلى قلبه فضاق بضيافتهم ذرعاً خيفة منه أن يقف القرم على دخيلة أمرهم فهبوا إليه مسرعين.

ولقد كانت امرأته تساير القوم في طريقتهم فأذاعت خبرهم، وسرعان ما جاؤوا إليه يهرعون وأقبلوا عليه مستبشرين ... فناشدهم تقوى الله ودعاهم إلى ستر مخازيهم، والكف عن مساوئهم، ولكنهم جميعاً فَجَرة سفهاء، وكَفَرة أغبياء . . .

لم يطيعو إشارتة وأكدوا على الدعارة بكل وقاحة وشراسة، لذالك أرشدهم إلى بناته نكاحاً غير سفاح.

بشرى العذاب:

أجل... ولقد كان من سكرتهم في إدمان فسقهم أن طمعوا في ملاك الرب الذين جاؤوا يبشرونه بالعذاب، فأرادوا أن ينالوا منهم شهوة كما كانوا يفعلون: ﴿ولما جاءت رسلنا لوطاً سيء بهم وضاق ذرعاً وقال هذا يوم عصيب﴾ [هود، ٧٧]، ذلك لأنه لم يعرفهم منذ البداية فخاف أن يصيبهم من قومه ما كانوا يريدون: ﴿وجاءه قومه يُهرعون إليه ومن قبل كانو يعملون السيئات قال يا قوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم فاتقوا الله ولا تخزون في ضيفي أليس منكم رجل رشيد﴾ [هود، ٧٧].

... لقد ضاقت بلوطٍ السّبل، وسدت أمامه أبواب الآمال، فأخذه من الكرب والبُرَحاء ما جعله يتلهف على نجاة أضيافه فقال: لو أن لي بكم قوّة من الله لاستطعت أن أمنع عدوانكم و شركم، أو آوي إلى ركن وثيق، أخرج إلى غير دياركم، ديار مؤمنة توثقنا! ولكن القوم لا يحيدون عما يريدون، فهم في نزوة الشر مندفعون، ولاقتراف الإثم يتسابقون: ﴿لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون﴾ [حجر، ٧٢].

هكذا يا صاحبي الأسقف يأوي لوط القرآن إلى ركن وثيق لا كما تزعمه!، غشيته سحاب من الحزن، وتملكته ثورة من الغضب حين يئس من ردهم، وناله الإعياء والكلل من صدهم، وما أن زاد في تلهُّفه جواب قومه أن قال لهم: ﴿هؤلاء بناتي هن أطهر لكم ... أليس منكم رجل رشيد﴾ [هود. ٧٨].

يرشدهم إلى نكاح النساء ـ إلى بناته رغم عدم الكفاءة ـ ترجيحاً للأهم ـ إلى غشيانهن نكاحاً غير سفاح ـ وأمرهم أن يجتنبوا هذه العادة السيئة القاطعة للسبيل، ولكنَّهم لم ينتهوا ولم يرعووا، بل ازدادوا تمسكاً بما جاؤوا له، وتعلقاً بما شغفت قلوبهم الدنئية به، وقالوا: ﴿لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وإنك لتعلم ما نريد﴾ [هود. ٧٩]، فلما رأى الملائكة ما هو فيه من الوجد والحزن ردوا لهفته وسكَّنوا روعه:

﴿قالوا يا لوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك فأسر بأهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحدٌ إلّا إمرأتك إنه مصيبها ما أصابهم إنّ موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب * فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سالفها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود * مسوّمة عند ربّك وما هي من الظالمين ببعيد﴾ [هود.٨١- ٨٣].

وقد أنجز الله تعالى وعده بهلاك قومه بِقوّة دمّرتهم وأبادتْهم عن آخرهم: ﴿وأمطرنا عليهم مطراً فانظر كيف كان عاقبة المجرمين﴾ [أعراف. ٨٤]، ﴿فساء مطر المنذرين﴾ [نمل. ٥٨]، ... ﴿جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل منضود﴾ [هود. ٨٢].

فدمرهم الله تعالى، وامرأة لوط إنها كانت من الغابرين، ولقد نهى الله آل لوط عن أن يلتفت منهم أحد إلّا إمرأته، «فالتفت إلى ورائها فكانت من المعذّبين»[1]:

---

١. هذا رغم تصريح التوراة آنهاخالفت النهي فالتفتت إلى ورائها فصارت ملحاً في مكانها، فرغم ذاك تصرح الآية الأخيرة أنها ما نهيت عن ذلك لما أراد الله بها من العذاب وإنما نهى عن الالتفات إلى الوراء غيرها من آل لوط.

﴿فاسر بأهلك بِقطْع من الليل اتبع أدبارهم ولا يلتفت منكم أحد وامضوا حيث تؤمرون﴾ [حجر، ٦٥]، ... ﴿و لا يلتفت منكم أحد إلّا امرأتك إنه مصيبها ما أصابهم﴾ ... [هود، ٨١] ...

فهذا طرف من بينة لوط في نظر القرآن، فهو يعتبر عذاب امرأة لوط كمثل عذاب الآخرين، أن إمطرت بالحجارة، لأنها كانت من الكافرين، رغم التوراة القائلة: إنها تبدَّلت ملحاً لأنها التفتت إلى ما وراءها خلافاً لأمر الله.

ويفسر حياته النيرة تفسيراً جميلًا أنها كانت تضحيات بالغة في سبيل الدعوة إلى الله، رغم الكتاب المقدس! الذي ينسب إليه أشرّ ما فعله قومه من الفجور و ...

فبالسدوم الصّدوم من صِدام صَدّام ضد قافلة الإيمان، وكما انصدم لوط من تصريحات الكتاب الإمام، التوراة!!!

* * *

موسى والعهدين

... يا أصحابي ثم ما هي نظرية الكتب المقدسة بالنسبة لموسى عليه السلام ثالث أُولي العزم من الرسل، وأول من سن التشاريع المفصلة الجماعية بعد إذ أجملت في شريعة نوح وإبراهيم عليهما السلام حسب البيئة البدائية، فله عليه السلام مقام عظيم في التشاريع المقدسة الإلهية.

الدكتور بوست: موسى كلمة مركبة من ـ مو ـ و ـ شه، أي، ماء وشجر ـ لأنه أخذ من بين أشجار ماء النيل بالساحل وهو ...

الطلاب الإنجيليون واليهود: رجاء الدكتور ألا يطيل كلامه في موسى فإن تاريخ حياته طائل ونحن لا نريد في هذه البحوث القيمة مقارنات تاريخية إلّا ما يهمُّنا من ذكريات ترشدنا إلى الحق المبين، وإذ ذاك نرجو من الأستاذ أن يستعرض لنا ما يصلح للمقارنة بصورة جميلة مجملة، رجاء ...

الأسقف: هل هذا الإختصار إلّا لأن الكتاب المقدس لم يذكر موسى بذكريات سوء رغم أن القرآن يذكر منها نواحي شتى؟

المناظر: كلا! لا ذاك ولا ذياك، فلكم أصحابي الروحيين مجال واسع في البحث كيفما تريدون، وجملة القول أننا لا نستهدف إلا تبرير ساحة الوحي وأنبيائه، فنضع على عيوننا كتابات تعظّمهم، وتذود عنهم ما يمس من كرامتهم، ونطرد منها ما يفتري عليهم ما لا يحق ...

ثم حق للتوراة وأحرى بها أن تذكر من حياة نبيها صورة مفصلة ـ ومن المؤسف أنها لا تذكر منها إلّا يسيراً لا يهم الباحث بحثه، بل وقد تذكرنا بذكريات سوء يجب ذود ساحته عنها، حال أن القرآن في ذكرياته الإستطرادية التذكارية يذكر منه مواضيع هامة ـ بدء ختم ـ منذ ولادته وحياته قبل ارسالة ثم حياته الرسولية ودعواته القيّمة بصورة جميلة ما أجملها، ونموذجاً صادقاً منها أنه يكرّر

اسمه الشريف ١٣٦ مرة في مجالات مختلفة حسب شتّى المناسبات، وأظنها أضعاف ما في التوراة، فنجد اسمه الشريف في زهاء الربع من سور القرآن[١] أي في ٣١ سورة ـ يذكر نماذج هامة من دعواته القيّمة كما أن ذلك دأب القرآن بالنسبة لدعوات الأنبياء الذين يأتي بذكراهم، فيكملها بدعوات الرسول الختم ﷺ قضيةً لخاميّتها.

ثم إن ذكريات حياة موسى في القرآن لا تخلو من ثلاث شواكل:

١ـ ما تذكره التوراة مثلًا بمثل على اختلاف يسير في التعبير فيكملها القرآن بتبيانه البارع.

٢ـ ما تذكره التوراة على غير الوجه الحق حيث أخطأت فيه أقلام الكتبة ـ لا الوحي وحاشاه ـ فيأتي القرآن بالوجه الحق كما يناسب وساحة الوحي.

٣ـ ما غفلت عنه كتبة الكتاب المقدس:

وجماع الآيات في هذه الذكريات ما يلي: ﴿يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبيِّن لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين * يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم﴾ [مائدة: ١٥ـ ١٦]، ﴿وما أنزلنا عليك الكتاب إلّا لتبين لهم الذين اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون﴾ [نحل. ٦٤]، ﴿إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون * وإنه لهدى ورحمة للمؤمنين﴾ [نمل. ٧٦ـ ٧٧]، ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه﴾ [فصّلت. ٤٥] ...

موسى عليه السلام في التوراة:

١ . أرقام هذه السور كما يلي: السورة ٢ ـ ٤ ـ ٥ ـ ٦ ـ ٧ ـ ١٠ ـ ١١ ـ ١٤ ـ ١٧ ـ ٢٠ ـ ٢١ ـ ٢٢ ـ ٢٣ ـ ٢٥ ـ ٢٦ ـ ٢٧ ـ ٢٨ ـ ٢٩ ـ ٣٢ ـ ٣٣ ـ ٣٧ ـ ٤٠ ـ ٤١ ـ ٤٢ ـ ٤٣ ـ ٤٦ ـ ٥١ ـ ٥٣ ـ ٦١ ـ ٧٩ ـ ٨٧.

الطلاب الكتابيون: نرجو من الأستاذ استعراض نماذج من هذه الشواكل الثلاث ابتداءً مما أخطأت فيه الكتبة في العهدين.

موس التوراة لم يؤمن بربه:

المناظر: نبدأ من ذلك بإيمان موسى ... فالتوراة تعتبر أحياناً أن موسى وهرون لم يؤمنا بالله وحاشاهما ـ قائلة: ﴿فقال الرب لموسى وهرون من أجل أنكما لم تؤمنا بي حتى تقدساني أمام أعين بني إسرائيل، لذلك لا تدخلان هذه الجماعة إلى الأرضالتي أعطيتهم إياها﴾ (عد ٢٠: ١٢).

الأسقف: لم تؤمنا بي بمعنى عصيتما أمري وكما تقول: لأنكما في برية صين عند مخاصمة الجماعة عصيتما قولي أن تقدساني بالماء أمام أعينهم [٢٧: ١٤].

المناظر: الناتج عن الآيتين، أنهما عصيا أمر الله ولم يؤمنا به، وقد نحتمل أن عدم الإيمان هنا من حيث العصيان، لا من الناحية العقائدية، ولكنه ليس إلّا احتمالًا، فما يصنع به في جنب التصريح: إنهما لم يؤمنا بالله؟ وأخيراً فنحن وأنتم على سواء في تصريح التوراة بفرية العصيان، إذ كانا بنبيّين، وحيث الآي السالفة على القصة أتت بتفاصيل إخراج الماء من الحجر بضرب العصا!

إله التوراة يغضب على موساها ويجعله إلهاً لأخيه!!!:

... وتصريح آخر «أن الله حمي غضبه على موسى إذا التمس منه وزيراً ردءاً له يصدقه.

فقال موسى للرب إستمع أيها السيد. لست أنا صاحب كلام منذ أمس ولا أول من أمسى. لا من حين كلّمت عبدك. بل أنا ثقيل الفم واللسان. فقال له الرب: من صنع للإنسان فماً أو من يصنع أخرس أو أصم أو بصيراً أو أعمى، أما هو أنا الرب. فالان إذهب وأنا أكون مع فمك وأعلمك ما تتكلم به. فقال

استمع أيها السيد. أرسل بيد من ترسل. فحمي غضب الرب على موسى وقال: أليس هرون اللاوى أخاك. أنا أعلم أنه هو يتكلم. وأيضاً ها هو خارج لاستقبالك فحينما يراك يفرح بقلبه فتكلمه وتضع الكلمات في فمه وأنا أكون مع فمك ومع فمه وأعلمكما ماذا تصنعان. وهو يكلّم الشعب عنك. وهو يكون لك فماً وأنت تكون له إلهاً» (خروج ٤: ١٠- ١٦).

فانظر إلى موسى التوراة كيف لم يؤمن بوعد ربِّه، حيث وعده أن يكون معه، ويكفيه ثقل لسانه. لم يؤمن إلى حيث إستقاله رسالته قائلًا: أرسل بيد من ترسل! إذ ذاك حمي غضب الرب عليه أن كيف لا يؤمن ويستقبل، وبعد ذاك اقض العجب من إله التوراة كيف يجازي سوء صنيع رسوله أن يجعله إلهاً لأخيه هرون: وأنت تكون له إلهاً، فيا لإله مستوى شعوره أدنى من رسوله، وإنني كمؤمن بالله وأنبيائه الكرام لآسى على موسى فكيف تظلمه كتبة الكتاب المقدس هكذا: ﴿فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلًا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون﴾ [بقره، ٧٩].

الجمعية الرسولية: ... إن موسى لم يرد التوجه إلى فرعون لثقل لسانه، إقراراً بعجزه وتواضعاً منه، ولم يحجم على مخالفة الأمر مخالفة منه، وإنما دأب القرآن الإستخفاف بالخطايا، فأضرب عن ذكر غضب الله عليه، أما التوراة الشريفة فذكرت بصريح اللفظ أن المولى سبحانه وتعالى غضب عليه لأنه كان يجب عليه امتثال الأمر حالًا وسريعاً بدون اعتذار ولا إظهار عجز لأن من يكون مع الله يصبح في غنى عن كل شيءٍ؛ فإذا كان ضعيفاً وكان الله معه كان قوياً، وإذا كان جاهلًا كان حكيماً وإذا كان ألكن أصبح فصيحاً، فموسى ترك الأفضل، فالإنسان ضعيف مهما كانت درجته ومنزلته.

ثم إنه كان الواجب على المعترض أن يشطب من قرآنه هذه القصة قبل الإعتراض على التوراة الشريفة ...

المناظر: ... كل عاقل يعلم أن مخالفة أمر الله ليست طاعة ولا تواضعاً للّه، فكيف تقول الجمعية الرسولية أنه لم يحجم على المخالفة مخالفةً منه بل تواضعاً! فإذا كانت المخالفة تواضعاً وطاعة فلتكن الطاعة عصياناً وتكبراً، إلّا أن يكون التناقض في مقام الجواب مرخصاً فيه، كيلا يخلو الإشكال عن جواب مّا ولو كان أشنع من نفس المشكلة؟

وبعدئذ كيف يتصور أن القرآن دخذ القصّة من التوراة أخْذ الصحيح من السقيم، وليس هذا إلا كمن يتكلف في حل مسألة فلا يأتي بشيءٍ صحيح ثم يجيب شخص آخر عن تلك المسألة بجواب صحيح، وبعدئذٍ يفتري صديقٌ للأوّل على الآخر أنه أخذ الجواب عنه بإسقاط شيءٍ وإثبات الباقي! فهل هذا من المعقول؟

وأما فريتهم على القرآن أنه يستخف بالخطايا، ولذلك أضرب عن ذكر خطيئة موسى، فهذه مناقضة أُخرى، حيث يعتبرون مخالفة موسى ـ بدء ختم ـ تواضعاً منه وتركاً للأولى، وهناك يعتبرونها خطيئة أضرب عن ذكرها القران لاستخفافه بالخطايا، كلّا، وإنما هذه هي التوراة تستخف بأنبياء الله وتنسب إليهم الخطايا هكذا: أن موسى لم يؤمن بربه واستقاله عن الرسالة ... أفهذا ترك للأفضل، فكيف يحمى عليه غضب الرّب، ألترك الأفضل؟

وأما القرآن فيذود عن ساحتهم ما يمس من كرامتهم، وهو بهيمنته على كتابات الوحي السالفة يزيف ما تسرب إليها بأيدي الجهل والعناد ....

وأخيراً فاقض العجب من نصحهم الأخير للمسلمين إيجاباً عليهم أن يشطبوا هذه القصة من قرآنهم، ألا إنهم في سكرتهم يعمهون وفي غيِّهم وعيِّهم يترددون!

نص القصة في القرآن:

الطلاب الكتابيون: أستاذ! رجاءً استعراض القصة من الذكر الحكيم للمقارنة.

المناظر: نجد ذكرى القصة في سور ثلاث كما يلي:

﴿قال ربِّ إني أخاف أن يكذبون * ويضيق صدري ولا ينطلق لساني فأرسل إلى هرون * ولهم عليَّ ذنب فأخاف أن يقتلون * قال كلا فاذهبا بآياتنا إنَّا معكم مستمعون﴾ [شعراء، ١٢- ١٥] ...

الأسقف: حسبنا هذه فإنها تذكرنا استقالة موسى السالفة: «فأرسل إلى هرون» وأن موسى أذنب ولذلك خالف القتل، فأجاب الرب: كلا، لا أتقبل استقالتك، وإنما أرسله كما أرسلتك ... فالقصة مع ما في التوراة على سواء!.

المناظر: نص الآية: ﴿فأرسل إلى هرون﴾، لا: أرسل هرون واعزلني، قد اسقطتم في الترجمة لفظة ﴿إلى﴾ إلى مغزاكم وهي المعارضة بالمثل، ولقد خاب سعيكم، فأرجو التفكر ثم الإعتراض، لكيلا يصطدم متدكم الروحي، وإنني كروحي مسلم أحب كرامتكم كروحيين كتابيين فحافظوا أنتم أيضاً على كرامتكم.

أجل، أرسل إلى هرون لكي يؤازرني في الدعوة، والآيات التالية تفسِّرها قائلة: ﴿وأخي هرون هو أفصح مني لساناً فأرسله معي ردءاً يصدقني إنِّي أخاف أن يكذبون * قال سنشدُّ عضدك بأخيك ...﴾ [قصص، ٣٤- ٣٥]، ﴿قال ربِّ اشرح لي صدري * ويسّر لي أمري * واحلل عقدة من لساني * يفقهوا قولي * واجعل لي وزيراً من أهلي * هرون أخي * اشدد به أزري * وأشركه في أمري * كي نسبِّحك كثيراً * نذكرك كثيراً * إنك كنت بنا بصيراً * قال قد أوتيت سؤلك يا موسى * ولقد مننَّا عليك مرة أُخرى﴾ [طه، ٢٥- ٣٧].

فيا أصحابي الحضور! أفلا تكفيكم هذه التصاريح القيّمة: أن موسى لم يخالف أمر ربِّه، و لم يشك في وعده، و لم يطلب مه الإستقالة عن رسالته واستبدال هرون عنه، وإنما التمس منه ودعاه أن يشرح صدره، وييسّر أمره، ويحل العقدة من لسانه، ويجعل هرون أخاه وزيره، لكي يشدَّ به عضده وأزره، ويشركه في أمره ... وقد أجابه المولى سبحانه في مسؤوله خير إجابة وأسرعها!.

ثم الذنب هناك إنما كان في نظر آل فرعون، حيث قتل واحداً منهم عند اقتتاله مع القبطي، لا ذنباً في الشريعة الإلهية، ولذلك لم يقل: وأذنبت، بل: ﴿ولهم عليّ ذنب﴾، أي اعتباراً بزعمهم أني أذنبت لما قتلت واحداً منهم، وقد يأتيكم نبأ القصة بعد حين.

وأخيراً قوله تعالى: كلّا، يعني: لا تخف، إنهم لن يصلوا إليك ولن يقتلوك، فاذهبا ...

إيمان موسى في نظر القرآن:

الطلاب الكتابيون: ... ثم ما هي بينة موسى الإيمانية في نظر القرآن؟

المناظر: أجل، وإن القرآن يجعله في أرقى مراتب الإيمان بالله عقائدياً وعملياً: ﴿واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلَصاً وكان رسولًا نبياً * وناديناه من جانب الطور الأيمن وقرّبناه نجياً * ووهبنا له من رحمتنا أخاه هرون نبياً﴾ [مريم، ٥١- ٥٣].

أجل، إنه كان مخلَصاً أخلصه الله وإصطنعه لنفسه: ﴿و اصطنعتك لنفسي﴾ [طه، ٤١]، ﴿وأنا أخترتك فاستمع لما يوحى﴾ [طه، ١٣]، وكل من أخلصه الله فلا سبيل للشيطان إليه بدءَ خَتم:

﴿قال فبعزّتك لأغوينّهم أجمعين * إلّا عبادك منهم المخلَصين﴾ [ص، ٨٢- ٨٣]، فالله يصرف عنهم السوء والفحشاء قضيةَ إخلاصهم لنفسه: ﴿كذلك لنصرف عنه السوءَ و الفحشاء إنه من عبادنا المخلَصين﴾ [يوسف، ٢٤]،[1] كما في يوسف عليه السلام.

فلم يكن للشيطان عليه أيُّ سلطان، بعد إذ أخلصه الله واختاره عبداً رسولًا: ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلّا من اتبعك من الغاوين﴾ [حجر، ٤٢]، ومن المعلوم أن السوء والفحشاء إطلاقاً إنما هو من عمل الشيطان وسلطانه.

---

١. هذه الآية وإن وردت بشأن يوسف إلا أنها تفيدنا ملازمة الإخلاص لصرف السوء والفحشاء عن المخلَصين.

قضية الأصل القرآني أن موسى لم يقترف أي ذنب طيلة رسالته منذ البداية حتى النهاية، وهذه الآيات محكمة في ذلك، فعليها تحمل ما تشابه منها، أنه وحاشاه ظَلَم أو أذنب كما وسوف يأتيكم نبأه بعد حين.

﴿ولمَّا بلغ أشدَّه واستوى آتيناه حكماً وعلماً وكذلك نجزي المحسنين﴾ [قصص، ١٤].

إذاً فموسى عليه السلام في نظر القرآن من النبيين الصالحين المحسِنين المخلَصين دون أن يكون للعصيان والشيطان إليه سبيل وحاشاه!

جمعية المرسلين الأمريكان وإفتراءاتهم على موسى القرآن:

الجمعية الرسولية: ... إن القرآن ينسب إلى موسى خطايا أُخرى: أنه قتل كما في: وكان قتله عن عمد وحراماً لقوله: ﴿هذا من عمل الشيطان﴾ و﴿ربِّ إني ظلمت نفسي﴾ [قصص، ١٥- ١٦]، وفي: ﴿فعلتها إذاً وأنا من الضَّالِّين ...﴾ [شعراء، ٢٠]، إذاً فموسى القرآن ظالمٌ ضالٌّ يعمل عمل الشيطان!

المناظر: جماع الآيات في قصة قتل القبطي يوحي لنا أنها كانت قبل نبوة ورسالة موسى عليه السلام، وكانت عن غير عمد، دفاعاً واجباً عن الإسرائيلي الموحِّد، كما يجب على كل موحِّد أن يذود عن أنفس الموحدين في معارك القتال مع المشركين .. والقصة كما يلي:

﴿... ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوِّه فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوِّه فوَكَزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان إنه عدوٌّ مُضِلٌّ مبين. قال ربِّ إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم * قال ربِّ بما أنعمت عليَّ فلن أكون ظهيراً للمجرمين. فأصبح في المدينة خائفاً يترقب فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه قال له موسى إنك لغويٌّ مبين. فلما أراد أن يبطش بالذي هو عدوٌّ لهما قال يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس إن تريد إلّا أن تكون جبَّاراً في الأرض وما تريد أن تكون من

المصلحين * وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين * فخرج منها خائفاً يترقب قال ربّ نجّني من القوم الظالمين * ولما توجّه تلقاء مدين قال عسى ربّي أن يهديني سواء السبيل ...﴾ [قصص، ١٥ـ ٢٢].

ولقد نعلم من طيّات هذه الآيات وما بعدها التي تذكر زواج موسى في مدين ومقامه هناك عشر حجج، نعلم: أن قصة القتل كانت قبل نبوّته بعشر سنين، حيث بعثه الله رسولًا بعد تلك المدة الطائلة حين خروجه بزوجته عن مدين: ﴿فلما قضى موسى الأجل سار بأهله انس من جانب الطور ناراً ... فلما أتاها نودي من شاطىء الوادِ الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى إنّي أنا الله ربُّ العالمين ... وأن ألق عصاك ... اسلك يدك في جيبك .. واضمم إليك جناحك من الرّهب فذانك برهانان من ربك إلى فرعون ... قال ربّ إني قتلت منهم نفساً فأخاف أن يقتلون﴾ [قصص، ٢٩ـ ٣٣].

وشاهداً آخر على ذلك مقاولته مع فرعون إذ أتاه ﴿قال ألم نُربّك فينا وليداً ولبثت فينا من عمرك سنين * وفعلت فعلَتكَ التي فَعْلتَ وأنت من الكافرين * قال فعلتها إذاً وأنا من الضّالّين * ففررتُ منكم لمّا خفتكم فوهب لي ربي حُكماً وجعلني من المرسلين﴾ [شعراء، ١٨ـ ٢١].

... فلنفرض أن موسى عليه السلام اقترف إثماً ـ وحاشاه ـ اقترفه قبل نبوّته بعشر سنين، فهل يقارَن هذا بما تنسبه التوراة إليه من عصيانه العظيم وعدم إيمانه، بعد رسالته إلى أُمّته؟

الطلاب الكتابيون: ... أجل، ولكن من أُصولكم عصمة الأنبياء منذ الولادة حتى الوفاة فكيف ينسب القرآن إلى موسى الظلم والضلالة وعمل الشيطان وإن كان قبل الرسالة!

المناظر: في عصمة الأنبياء قولٌ فصلٌ يأتيكم في ختام المقارنات الرسالية، وقد أسلفناه أيضاً، ونموذجاً من ذلك: أنهم معصومون طيلة الرسالة إطلاقاً، عصمةً في تلقّي الوحي وتبليغه والعمل به، وإن اختص بعضهم بالعصمة العملية قبل الرسالة

أيضاً، وإنما المتَّبع في هذا الأخير هو النقل الثابت حيث العقل وكذلك النقل العامّ لا يدلّان إلّا على العصمة طيلة الرسالة فحسب.

وأخيراً، فالمتبع فيما قبل الرسالة إنما هو النقل القرآني وما إليه من حجة بيِّنة، فإن دلنا أن موسى عصى قبل نبوّته بالقتل ـ وحاشاه ـ اتبعناها كما في آدم: ﴿وعصى آدم ربَّه فغوى﴾ [طه:١٢١]، إذ كان قبل الرسالة ولا ضير فيه حسب الأُصول ... وإلّا ـ كما هو الظاهر ـ فلا ...

الطلاب الكتابيون: فهل هناك بيان يذود الذنب عن ساحة موسى قبل نبوّته أيضاً كما بعدها وإن لم يجب حسب الأُصول؟

المناظر: أجل، وكما يلي: إن هناك أُموراً كانت تجوِّز قتل القبطي: أنه قبطي فرعوني مشرك بالله العظيم، وهو يقاتل الإسرائيلي الموحِّد، وقد استغاث موسى عليه السلام فعندئذ لم يجز لموسى أن يسكت عن مناصرة الإسرائيلي الموحِّد، بل كان المفروض عليه ـ بدافع الإيمان بالله والمحافظة على نفس محرَّمة مؤمنة بالله ونصرة من يستنرصه ـ كان عليه أن يدافع عنه، وقد فعل ﴿فوكزه﴾ ضربه بجمع كفه، فصادف قتله، وليس في الآية إشارة ولا إشعارٌ أنه قتل أو أراد قتل القبطي، وإنما الوكزة القاضية على دون تقصُّد: ﴿قال هذا﴾ أي الإقتتال بين المؤمن والمشرك، لا وكزُ موسى ﴿من عمل الشيطان﴾ ولقد نعلم: أنَّ فعل المشرك هو الذي يصدر عن عمل الشيطان دون المؤمن، ولا سيما في هذا النضال، وليس هناك دلالة على أن المشار إليه بهذا وكُز موسى وقتله القبطي، وإن كانت تُحتِّمه الجمعية الرسولية دون حجة! كما أن ذلك دأبهم.

وأما مقالة موسى بعد ذلك: ﴿ربِّ إني ظلمت نفسي﴾ فبأن تكون شاهدة على عدم كون القتل ظلماً على القبطي، أحرى من دلالتها على ظلمه، لمكان ﴿نفسي﴾، ولم يقل ظلمت غيري أو ظلمت، لكي يشمل غيره، ولو كان القتل هناك محظوراً في الشريعة وظلماً على المقتول لكان حق الكلام: ظلمت غيري لا ظلمت نفسي

... وأصل الظلم هوالإنتقاص، وقد لا يكون محرَّماً، ولعلَّ هذا منه إذ إنه انتقص بفعله هذا من دعوته الرسالية الآتية، وإنجاء بني إسرائيل منذ حينه، حيث استجلب بذلك بغضاء فرعون أكثر فأكثر، إلى حيث أخذ الملأ يأتمرون به ليقتلوه: ﴿فخرج من المدينة خائفاً يترقب﴾ نصرَ الله، وأن ينجيه من القوم الظالمين، ولو كان القتل محظوراً حسب الشريعة لم يعتبر الطالبون بدم القبطي ظالمين بذلك بل مظلومين من هذه الناحية! ﴿ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً﴾ [إسراء، ٣٣] فقوله: ﴿رب إني ظلمت نفسي﴾، أي انتقصتها في سبيلي إلى الدعوة ﴿فاغفر لي﴾[١] أي أستر لي ما نقصت، واجبر لي ما فعلت، بأن تخمد عن فرعون نيران الغضب وطيش الإنتقام، فأجابه ربه في مسؤوله: ... ﴿فغفر له إنه هو الغفور الرحيم﴾ [قصص، ١٦]، ولقد كان غفره أن منع فرعون من قتله وفسح لموسى مجال الدعوة: ﴿قال رب إني قتلت منهم نفساً فأخاف أن يقتلون ... قال سنشدُّ عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطاناً فلا يصلون إليكما بأياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون﴾ [قصص، ٣٣، ٣٥]، وإذ ذاك فانقلبت مقالة فرعون وفعلته المحظورة إلى أخفَّ مما كان ينتظر، أن قال ﴿ألم نُربك فينا وليداً .... وفعلت فعلتك التي فعلت (قتل القبطي) و أنت من الكافرين (لنعمتي التي أنعمت بها عليك إذ ربَّيتك) قال فعلتها إذاً وأنا من الضالين﴾ [شعراء، ١٨- ٢٠].

أي ضلالًا عما أنا عليه الآن من نور النبوة ـ لا ضالًا عن الحق ـ! وإنما ضللت حينذاك عما هو الأولى في دعوتي ... حيث كان من الراجح أن أحتاط في دفاعي عن الإسرائيلي، فلا أبتلى بقتل مقاتله لكيلا أخافكم، فيعجِّل في رسالتي وبغيتي ﴿ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكماً وجعلني من المرسلين﴾ [شعراء، ٢١].

الطلاب الإنجيليون: للَّه درك يا أستاذ، ما أحسن بيانك وأجمل برهانك!

---

١ . فان الغفر بمعنى الستر وله من المعنى في كل ظرف ما يناسبه كما هنا، والظلم بمعنى النقص كما فيقوله تعالى: «كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئاً».

الأسقف: ... وإن لم تكن الآيات ظاهرة فيه! كلا: إن هذا إلّا احتمالًا لا حجة فيه.

المناظر: لنفرض أنه إحتمال رغم ظهوره البيِّن كما بيّناه، فقد يكفينا عدم دلالة الآيات على ذنب موسى قبل نبوته، بل ولو دلت أيضاً لم تكن خلاف الأُصول المقررة، حيث الكلام هنالك فيما قبل النبوة، لا حينها.

قتل القبطي في التوراة:

ثم هذه هي التوراة تصرح بقصة القتل وفرار موسى إلى مدين وإن كانت تختلف عما في القرآن في نواحٍ شتى فإليكم أصلها:

«وحدث في تلك الأيام لما كبر موسى أن خرج إلى إخوته لينظر في أثقالهم، فرأى رجلاً مصرياً يضرب رجلًا عبرانياً من إخوته، فالتفت إلى هنا وهناك ورأى أن ليس أحدٌ فقتل المصري وطمره فيالرمل ... فسمع فرعون هذا فطلب بقتل موسى فهرب موسى من وجه فرعون وسكن في أرض مديان وجلس عند البئر» (٣: ١١- ١٥).

فعجبٌ من الجمعية الرسولية أن كيف غفلوا عن صورة القصة في التوراة فأخذوا يتحاملون على القرآن، رغم أن التوراة تنصُّ أن موسى قتل القبطي الظاهر في عمده، وفي القرآن أنه وكزه: دفعه الظاهر في غير العمد، وأعجب من ذلك أن التوراة تذكر بعد القصة:

التوراة تبيح التناقض:

«وحدث في تلك الأيام أن ملك مصر قد مات وتنهَّد بنو إسرائيل من العبودية ...» ثم بعد آيات تذكر كلام الرب من وسط النار: «فلما رأى الرب أنه مال لينظر ناداه الله من وسط العليقة وقال: موسى! موسى! فقال: هأنذا. فقال: لا تقرب إلى ههنا. إخلع حذاءك من رجليك لأن الموضع الذي أنت واقف عليه أرض مقدسة. ثم قال أنا إله

أبيك إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب فغطَّى موسى وجهه لأنه خاف أن ينظر إلى الله. فقال الرب: إني قد رأيت مذلَّة شعبي الذي في مصر وسمعت صراخهم من أجل مسخِّريهم. إني علمت أوجاعهم. فنزلت لأنقذهم من أيدي المصريين وأصعدهم من تلك الأرض إلى أرض جيِّدة ... فقال موسى مَن أنا حتى أذهب إلى فرعون وحتى أُخرِجَ بني إسرائيل من مصر ...

فقال موسى هانا آتي إلى بني إسرائيل وأقول لهم إله آبائكم أرسلني إليكم فإذا قالوا لي ما اسمه فماذا أقول لهم. فقال أهيَه الذي أهيَه ... يهوه إله إبراهيم أرسلني إليكم ...».

... ألا يا أصحابي فانظروا إلى هذه الأضغاث الأحلام، كيف تناقض في البداية والختام:

تبدأ بخبر: أن فرعون مات وتحرّرت بنو إسرائيل، ثم قصة ظهور الإله لموسى في النار وكلامه:

أنه نزل إلى الأرض لتحرير بني إسرائيل بموت فرعون، تحصيلًا للحاصل! وانتقالًا للرب تعالى من مكان إلى مكان! وأن موسى غطّى وجهه عنه لكي لا يراه ... ثم اضطرابه أن كيف أذهب إلى فرعون؟ فهل كان يخاف من فرعون وقد مات؟ وأخيراً تحيَّر موسى: بماذا يسمِّي ربّه الذي أرسله، فأقبِح وأجهِل برسول لا يعلم اسمه إلهه، وأعجِز بإله ينزل إلى الأِض لتحرير عبيده بعد تحرُّرهم! وإنني أظن هذا اختلافاً إنجيلياً كشاكلة نزول الإله من اللّاهوت إلى ناسوت الجسد في رحم البتول لكي ينقذ البشرية عن أسر الآثام!

فما أجهل موسى التوراة بربّه! وما أكفره إذ لم يؤمن به! وما أخطأه إذ عصاه واستقاله في رسالته!!! فأنّى تؤفكون، ثم أنتم هؤلاء تدَّعون أن القرآن نسخة عربية من التوراة، وقد يعتبرها الحداد ومَن إليه إمام القرآن، فما للإمام يخطىء ويخطىء ذياك الأخطاء العارمة، و المأموم يخطِّئه ويرشده إلى ما كان يجهله!!!

الطلاب الكتابيون: رجاء أن يستعرض الأستاذ هذه القصة من الذكر الحكيم ولكي نهتدى على ضوئه إلى الصراط المستقيم ... رجاء!

صفوة القصة في القرآن:

المناظر: ... ﴿نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون * إلى فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شِيَعاً يستضعف طائفةً منهم يذبِّح أبناءَهم ويستحيي نساءَهم إنه كان من المفسدين * ونريد أن نمنَّ على الذين استضعفوا في الأرض نجعلهم أئمَّة ونجعلهم الوارثين * ونمكن لهم في الأرض ونُري فرعون هامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون﴾ [قصص، ٣-٦]. ﴿... فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور ناراً قال لأهله أمكثوا إني آنست ناراً لعلِّي آتيكم منها بخَبرٍ أو جذوة من النار لعلَّكم تصطلون﴾ [قصص، ٢٩] ﴿لعلّي ءاتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى * فلما أتاها نودي يا موسى * إني أنا ربُّك فاخلع نعليك إنك بالواد المقدّس طوى﴾ [طه، ١٠-١٢]. ﴿نودي من شاطىء الواد الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى إلى أنا الله ربُّ العالمين﴾ [قصص، ٣٠]، ﴿إنني أنا الله لا إله إلّا أنا فاعبدني وأقم الصّلاة لذكري﴾ [طه، ١٤]، ﴿... نودي أن بورك من في النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين * يا موسى إنه أنا الله العزيز الحكيم﴾ [نمل، ٨-٩].

... أصحابي الحضور! هذا طرف من قصة بداية الوحي على موسى في البقعة المباركة، وليس هناك شيءٌ ممَّا سلف عن التوراة ما يمسُّ من كرامة الله تعالى ورسوله موسى عليه السلام إلّا حكاية جميلة عن أن الله تعالى أوجد في النار كلامه يخاطب به رسوله موسى ...

ومن البديهي أن استماع كلام الله من شجرة وسواها لا يستلزم أنه تعالى أيضاً كان هناك، سبحانه! كما ويقول: ﴿نودي أن بورك من في النار﴾ (أي موسى إذ أتاها)

﴿وسبحان الله ربّ العالمين﴾ سبحانه أن يكون في مكان النار ... فربُّ العالمين هو الذي مكَّن المكان فكيف يكون له مكان! فسبحانه وتعالى عما يصفون.

القرآن والسحر، موسى والسحرة:

الجمعية الرسولية: ... والقرآن ينسب إلى موسى أنه أذن في السحر مع حرمته ﴿ألقوا ما أنتم ملقون ...﴾ [شعراء: ٤٣].

المناظر: كلَّا ... لم يكن ذلك إذناً في السحر، بل تحدّياً من أن يأتوا بما يقدرون، ثم لينظروا كيف يفعل موسى بما كانوا يصنعون ... فلقد كان ذلك فرضاً عليه إذ يريد إظهار الحجة على فرعون وملإه لكي يؤمن السحرة، إذ يرون عصا موسى تلقف ما يأفكون، يصبح فرعون محجوجاً إذ صدّقه السحرة بما هم أهل السحر، فتصديقهم لحجة موسى حجةٌ بالغة على أنها معجزة إلهية، وجماع القصة كما يلي:

﴿فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين * ونزع يده فإذا هي بيضاءُ للناظرين * قال (فرعون) للملإ حوله إنَّ هذا لساحر عليم * يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون * قالوا أرجه وأخاه وابعث في المدائن حاضرين * يأتوك بكل سحَّار عليم * فجُمع السحرة لميقات يوم معلوم * وقيل للناس هل أنتم مجتمعون * لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين * فلما جاء السحرة قالوا فرعون أئنَّ لنا لأجراً إن كنا نحن الغالبين * قال نعم وإنكم إذاً لمن المقربين * قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون * فألقوا حبالهم وعِصيَّهم وقالوا بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون. فألقى موسى عصاه فإذا هي تلقف ما يأفكون * فألقِيَ السحره ساجدين * قالوا أمنا بربّ العالمين * ربِّ موسى وهرون * قال ءامنتم له قبل أن ءإذن لكم إنه لكبيركم الذي علَّمكم السحر فلسوف تعلمن. لأقطِّعنَّ أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلِّبنَّكم أجمعين * قالوا لا ضير إنَّا إلى

ربنا منقلبون * إنَّا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا أول المؤمنين * أوحينا إلى موسى أن أسرِ بعبادي إنكم متَّبعون﴾ [شعراء، ٣٢ـ ٥٢].

... ذلك! وإنني لآسي على الجمعية الرسولية كيف لا ترضى أن يغلب موسى بحجته الباهرة على فرعون وملإه، بأن يأمر السحرة ليصنعوا ما يريدون لكي يبطله ويهديهم بذلك إلى ما هداهم.

... فلا ترضى المرسلون الأمر يكن بذلك، بل يعترضون على موسى أن أمرهم به، لأن السحر حرام! على أن حرمة السحر إنما هي لفعلته الضارة الضالة، فلا حرمة إذ يُراد به القضاء عليه ورفع أعلام الحق، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

موسى التوراة كيف يذهب إلى فرعون:

يا أصحابي ألا فانظروا إلى التوراة كيف تستعرض ذهاب موسى إلى فرعون:

«... وقال الرب لموسى عندما تذهب لترجع إلى مصر أنظر جميع العجائب التي جعلتها في يدك قدَّام فرعون. ولكني أشد قلبه حتى لا يُطلق الشعب. فتقول لفرعون هكذا يقول الرب: إسرائيل ابني البكر. فقلت لك أطلق ابني ليعبدني فأبيتَ أن تطلقه. هأنا أقتل ابنك البكر. وحدث في الطريق في المنزل أن الرب التقاه وطلب أن يقتله فأخذت صفُّورة صوَّانة وقطعت غزلة ابنها ومسّت رجليه فقالت: إنك عريس دمٍ لي، فانفكَّ عنه. حينئذ قالت عريس دم من أجل الختان» (خروج ٤: ٢١ ـ ٢٦).

... فاقضوا العجب من هذه الآيات إذ تصرح: أن الله أرسل موسى إلى فرعون ليطلق بني إسرائيل، ثم شدد قلب فرعون لكيلا يطلقهم .. أفليست هذه الرسالة إذ ذاك لغواً وباطلًا وسخرية بموسى ـ وحاشاه ـ؟.

ثم بعدئذٍ يقومِ الرب مقامَ الإنتقام من فرعون: لِمَ لمْ يطلق ابنه البكر: إسرائيل - حال أنه هو الذي شد قلبه لكيلا يطلقهم، أتوبيخاً لما هو السبب في بدءَ ختم، ثم أنظر إلى انتقامه:

«إنني أقتل ابنك البكر (موسى) حيث أبيت أن تطلق ابني بني إسرائيل»! ... أقتلًا بلا جريمة من فرعون! فإن إله التوراة هو الذي شد قلبه!، ثم هل قتلًا باسرٍ جزاء غير وفاق، وبعد ذاك كيف يعتبر إله التوراة بني إسرائيل ابنه البكر، في حين يعدُّ موسى ابن فرعون، وهو أحرى أن يعتبر ابنه البكر، لو كان له ابن!، لأنه زعيم إسرائيل ومنهم ... ثم كيف يريد قتل موسى لغير ذنب اقترفه إلّا أن فرعون لم يُطلق بني إسرائيل، ولا تزر وازرة وزر أخرى! ثم لا يكون في قتل موسى ابن فرعون! إلّا خدمةً هامّة لفرعون، أن يزيل حجر عثرته لا لشيءٍ إلّا لأنه أسر أبناء الله، جزاء الشر بالخير!

وأخيراً فأضعِف بإله تسدُّه امرأة عما يريد، حيث أخذت صفُّورة أُمُّه صَوّانةً ... فانفك الإله من قتل ابنها موسى!

فيا لكتَّاب التوراة كيف لم يعقلوا ماذا يكتبون فينسبونه إلى الوحي ولا يشعرون، سبحانه وتعالى عما يصفون!!! فبعداً لهم وسحقاً مما يكتبون!

... ثم انظروا إلى أدب موسى في جنب الرب بعد إذ رجع إليه من عند فرعون، حيث يعترض عليه غاضباً: «فرجع موسى إلي الرب وقال: يا سيِّد! لماذا أسأت إلى هذا الشعب؟

لماذا أرسلتني؟ فإنه منذ دخلت إلى فرعون لأتكلم بإسمك أساء إلى هذا الشعب. وأنت لم تخلِّص شعبك. فقال الرب لموسى: الآن تنظر ما أنا أفعل بفرعون. فإنه بيدٍ قويَّة يطلقهم و بيد قوية يطردهم من أرضه (خروج ٥: ٢٢- ٢٣)».

... إذاً فتعالوا نبكي على التوراة وموساها كيف تنال الكتبة الطغام من ساحتها وتمسُ من كرامتها، فتصوِّر التوراة موساها بصورة عارمة باغية ما أجهلها وأطغاها!!!

هرون في القرآن والتوراة

أصحابي! إن القرآن يعتبر هرون النبيﷺ أخا موسى: مساعده الأول الذي ابتعثه الله معه وزيراً وناصراً وأزراً مدافعاً عنه، فما هي قصته في التوراة؟

الدكتور بوست:[1] هرون بمعنى ساكن الجبل أو المتنور أول رؤساء الكهنة وليس في الكتاب المقدس خبر عن أيام شبابه، فأول ما يذكر كان عمره ٨٣ عاماً، إذ امتنع موسى عن رسالته لعدم فصاحته (خروج ٤: ١٠)، لذلك ابتعث الله أخاه هرون حيث كان فصيحاً (خروج ٤: ١٤)، فاشتركا في الدعوة في شتى المجالات الرسالية (خروج ١٧: ١٢) ولقد ذهب هرون مع ولديه: ناداب وأبيهو وسبعين نفراً من شيوخ إسرائيل مع موسىﷺ إلى الطور وتلاقوا هناك مع الرب (خروج ١٧: ٢٤) ولما طال زمن غيبة موسى، أظهر هرون الضعف والإنكسار وعصى الله وصنع لهم عجلًا ذهبياً لإسكاتهم، أجل لإسكاتهم، لا لأنه كان يعتبره إلهاً من دون الله، ولذلك لم يقل إذ ذاك: إنه إله، وهؤلاء بنو إسرائيل لما رأوا العجل صرخوا: هؤلاء آلهتك التي أخرجتك من الأرض (خروج ٣٢: ٤)، والظاهر أن هرون راعى الجانبين فبنى للإله الجديد مذبحاً وأعلن عيداً للإله (خروج ٣٢: ٥)، ولا ريب أن هذه الأعمال تدلُّ على ضعف العزم والرأي وقوّة الرياء من عاملها، إلّا أن الله بعد ذلك وذياك عفا عنه وانتصبه رئيساً للكهنة وخلَّد الكهانة في ولده (خروج ٤٠: ١٢- ١٥) مقابل (خروج ٢٨ و ٨٧: لاحظ الكاهن).

---

١. في قاموس كتاب المقدس.

و ممّا نعلمه عن هرون طيلة حياته أنه كان ضعيف العزم وسخيف الرأي سريع التأثر والإنحراف في التجربة والإمتحان، حيث أخطأ عند مياه مريبة فحُرِم عن الدخول في الأراضي الموعودة، ولقد تكررت منه الخطايا والتوبة عنها حتى قضى نحبه، وقد مضى من عمره **١٢٣** عاماً (أعداد ٢٠: ٢٣- ٢٩)، وإنما كان يسمى قدوس الرب لعمله، لا لسيرته و مع ذلك كله كانت القلوب تَحِنُّ إليه حباً أكثر من موسىعليه السلام ولقد اتخذت بنو إسرائيل له المآتم والتعازي بعد موته طيلة شهر (أعد ٢٠: ٢٨) «و اليهود المتأخرون كانوا يصومون في غرة شهر آب لذكراه ....».

المناظر: ويل الأُمة الإسرائيلية من موسى التوراة وهرونها كيف يُعتبران عاصيين يخطئان تلك الأخطاء العارمة؟ أم كيف يأتمن الرب وموساه إذ يتناجيان عند الطور، يأتمنان هرون الخائن! الذي يصنع العجل الذهبي إعتباراً أنه إله إسرائيل، بدل أن يثبتهم على توحيد الله تعالى ويضحي بنفسه في سبيله.

ويا لإله التوراة جهلًا أن كان يكلم موسى في انتصاب هرون بالكهانة والأمانة، في الوقت الذي كان يصنع لهم عجلًا جسداً له خوار قائلًا: إن هذا إلهكم وإله موسى؟.

أم كيف يتلاءَم علمه بسحانه وحكمته مع انتصابه مثل هرون نبياً ووزيراً لموسى، وهو يقضي على دعواته التوحيدية إطلاقاً بدل أن يؤازره في تلكم الدعوات طيلة حياته الرسالية؟.

طالب إسرائيلي: أستاذنا الجليل! نحن إذ نريد التحلل عن التقاليد العمياء في سبيل التحري عن الحق، لا نرتضي ببوست الإنجيلي حكَماً في التوراة، يفسرها كما تهواه نفسه فيندد بهرون القديس رئيس الكهنة، وإذ ذاك فنحن الطلاب الإسرنيليون نرجوكم أن تستعرضوا نصوص التوراة في ذاك وذياك الإفتراءات الزور على هرون.

المناظر: أجل، ولكن بوست لم يخطىء في نقله قصة العجل إلاّ في مواضيع أُخرى نأتي عليها وإليكم نص القصة:

«ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ في النزول من الجبل أجمع الشعب على هرون وقالوا له: قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا. لأن هذا موسى الرجل الذي أصعدنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه. فقال لهم هرون إنزعوا أقراط الذهب التي في آذان نسائكم وبنيكم و بناتكم وأتوني بها. فنزع كل الشعب أقراط الذهب التي في آذانهم وأتوا بها إلى هارون عليه السلام، فأخذ ذلك من أيديهم وصوره بالأزميل وصنعه عجلًا مسبوكاً. فقالوا: هذه إلهك يا إسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر. فلما نظر هرون بنى مذبحاً أمامه ونادى هرون وقال:

غداً عيدٌ للرب فبكروا في الغد وأصعدوا محرقات وقدموا ذبائح سلامة. جلس الشعب للأكل والشرب ثم قاموا للعب. فقال الرب لموسى إذهب إنزل لأنه قد فسد شعبك الذي أصعدته من أرض مصر. زاغوا سريعاً عن الطريق الذي أوصيتهم به وصنعوا لهم عجلًا مسبوكاً وسجدوا له وذبحوا له وقالوا: هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر (خروج ٣٢:١- ٨).

طالب إنجيلي: .. هاه .. أجل هو ذاك، فلا فرية من القس الدكتور بوست، بل إنه خفف في النقل تخفيفاً عن ساحة هرون ما تنسبه إليه هذه الآيات على صراحتها.

المناظر: أجل وكما تنظرون، فإنها تفتري على هرون الرسول قصة صنعة العجل الذهبي بالتماس من بني إسرائيل، وأنه بنى لهذا الإله الجديد مذبحاً فوق الجبل دون أن يلتمسوه منه.

و رغم تأويل بوست «أن هرون لم يقل إنه إله» فهناك التصريح من مقالة هرون: «غداً عيدٌ للرب»! حيث لا تُعتبر بناية المذبح للإله الجديد عيداً له تعالى، بل عزاءً للربانيين! عيدٌ للرب الجديد؟ أجل، وهذا ما يعينه هرون التوراة وليس هذا إقراراً منه بربوبية العجل فحسب، بل وإعلاناً بالسرور والعيد لهذا الرب الجديد!!!.

وليت شعري ماذا يريد بوست بتوجيهه التالي «و الظاهر أن هرون راعى الجانبين فبنى للإله الجديد مذبحاً وأعلن عيداً للإله»!.

فهل الجانبان لا يتجهان إلّا إلى الإله الجديد، أن: صنعه وبنى له مذبحاً، وأخيراً: أعلن له عيداً؟

أم هل يمكن تأويل الجانب الآخر: أنه أراد بالإله الذي أعلن له العيد، إله السموات والأرضين، ترميماً للجانب الأول وهو صنعة الإله الجديد! أفهل يصبح اختلاف الإله الجديد مبرراً لإعلان العيد للقديم! ألا فتدبروا يا أُولي الأبصار!.

وبعدئذ فهل يعتبر إسكات بني إسرائيل عذراً لهرون في إجابتهم لصنعة العجل! حال أنه زادهم في ضلالهم رغبةً أن اختار لهم خير ما يرغبون إليه من حليِّهم ... ثم زادهم بهجة أن بنى لهم مذبحاً، وأخيراً أعلن عيداً للإله! أفلم يكفهم أنهم ضلوا قبل ذاك أن قالوا إذ رأوه:

هذه آلهتك يا إسرائيل!!!

ربي ابرنيال: مهلًا يا أُستاذ! فقد كان هرون معذوراً فيما صنع حيث التقية دعته إلى ذلك ومن دينكم التقية، اعتباراً أن الحفاظ على النفس واجبة مهما بلغت الظروف، إذاً فلا ذنب لهرون إلّا أن أتى بواجبه تقية عن الضالين المفسدين.

المناظر: أول ما يزيف تأويلكم في إعذار هرون التوراة: أن الآيات السالفة في قصة صنعة العجل لا دلالة فيها ولا إشارة أن بني إسرائيل أجبروا هرون على ذلك أو هددوه، إلّا مقالتهم «قم اصنع لها لنا آلهة تسير أمامنا» فقد كان له أقل الإعتذار: إني لست صانعاً ولا أعرف صنعة المجسمة، وإنما أنا نبي أخلف موسى في دعوته، ولو كان هناك إصرار وإبرام لما أرادوه لم يكن شيءٌ أدل منه على أنه كان صانعاً يعرف! وحاشاه.

لنفرض أنهم أجبروه وهددوه فلماذا أجابهم في أكثر من مبتغاهم أن صنع لهم عجلًا جسداً ذهبياً له خوار، بدل أن يحتال لهم في صنعة عجل من الطين لكيلا

يرغبوا فيه لقبح منظره، أو يفر من جمعهم، أو يكيدهم بغير ما أجابهم به، اللهمَّ إلّا سابقة غابرة منه أنه من صنّاع المجسمات الذهبية التي حرمها الله تعالى وحاشاه!

وبعدئذ فما الذي دعاه بعد صنعة العجل أن يبني مذبحاً أمامه للإله الجديد ثم ينادي قائلًا: غداً عيد للرب! ولم يدعوه إلى ذلك!.

... ثم إن التقية ليست إلّا صيانة الأهم وتفدية المهم لأجله، لا وقاية النفس والنفيس ولو بتفدية الدين بجذوره؛ وهل كانت وظيفة الأنبياء إلّا التضحيات المتواصلة لأجل تحقيق كلمة التوحيد في أعمال القلوب البشرية، وكما تراهم بين قتيل وشريد وذبيح ومبعد، كل ذلك نتيجةً لعدم التقية في نشر الحق وإخفاق نعرات الجاهلية، فهذا إبراهيم الخليل عليه السلام يكسر الأصنام دون أن يكون له هناك ناصر إلّا الله، رغم أن أهل البلد كلهم كانوا مشركين، و لقد ألقوه في جحيم النار التي أججوها ببالغ هممهم وجهودهم فأرادوا به كيداً، فجعلهم الله الأخسرين.

إذ ذاك فكيف يتقي هرون هؤلاء الشرذمة الضالين فيجيبهم في مأمولهم بأكثر مما يهوون، رغم أن هناك عدة متوفرة من بني إسرائيل كانوا موحدين.

الدكتور فندر الألماني:[١] ... أجل ولكن هرون لم يكن نبياً، فهل يُعقل إرسال رسول في عهد رسول كموسى صاحب شريعة فذة عامة عالمية؟

المناظر: ليت شعري كيف يجهل القس فندر تصاريح التوراة على نبوّة هارون كما مضت وتأتي، فهل اجتهاداً في مقابلة النص، استبعاداً يحكي عن الجهل؟ أفجهل على جهلٍ يقضي على تلكم النصوص في التوراة؟

وأما قصة استحالة رسالة ثانية في عهد رسول صاحب شريعة فذة، فإنما هي لو كانت هذه الرسالة أيضاً مستقلة بشريعة تختلف عن الأولى، وأما الرسالة إلى ما أرسل إليه الرسول الأول كما كان لهرون فكلّا، فإنه كان وزير موسى وأزره وناصر

---

١. في كتابه ميزان الحق الذي ألفه رداً على القرآن ونبيه.

في تبليغ رسالاته، يوحى إليه أنباء الوحي كما يوحى إلى موسى، إلّا أن الوحي والرسالة الأصلية هي التي كانت لموسى، وهارون يتبعه بالوحي.

أجل إن التوراة تعتبر هرون وزيراً وأزراً وناصراً ونبيّاً مع موسى ومعه (خروج ٧: ١)، وأن الله كلّمه في أُمور الشريعة مع موسى[١] ومنفرداً (٧-١٠: ٨)، وقال الرب لهارون (عد ١٨: ١ و ٨ و ٢٠)، وأرسل الرب موسى وهارون (١ صمو ١٢: ٨) ...

ولا سيما في حين كان يصنع العجل الذهبي ـ في زعم التوراة ـ لبني إسرائيل فإن ربه كان يكلّم موسى في انتصابه للكهانة والإمامة، ويبالغ في توصيفه بالمجد والعظمة وتوظيفه للكهنوت والرياسة الدينية للتقديس وتكفير الخطايا وتعليم الشريعة وسندانة خيمة الإجتماع، وزاد في العناية بالتفصيل الضافي لثياب كهونة للمجد والبهاء وتلوينها وتزيينها وترصيعها (خروج ٢٨ و ٢٤: ١٢- ٣٢).

فويل إله التوراة ما أجهله في انتصاب رسولٍ كهذا الوثني الضال، حيث يصد عن سبيل ربه بدل أن يدعو إليه! ويحرض السذّج البسطاء على عبادة الوثن بَدَلَ أن يصدَّ عنه بالتضحيات المتواصلة! ... أفهل رسالةٌ للقضاء على منزلة المرسِل ومحتده! أم كان يجهل الرب نبيه هرون صائغ الآلهة الذهبية! فيا ويلاه من هذه الأضغاث الأحلام وخرافات الأوهام كيف تفتري على الله الكذب وعلى أنبيائه الكرام فأنى تؤفكون! وأين تصرفون! ماذا بعد الحق إلّا الضلال! والله المستعان على تصفون!؟

الأسقف: فماذا يقول القرآن في قصة هرون لكي نقارن فيها بين الكتابين!

هرون في القرآن:

المناظر: القرآن بهيمنته ورعايته لكتابات الوحي وأنبيائه ينزه ساحة هؤلاء المطهرين الصالحين عن كل فرية سوءٍ ورذيلة، ويعتبرهم الهداة القدوة في دعوة

١ . في ثلاثة مواضع أن الله كلم موسى وهرون كما في (خروج ٧: ٨ و ١٢: ٤٣ ولا ١١: ١).

الناس إلى الإله الواحد، رغم الأخطار المحتّمة المحطِّمة لنفوسهم الطيبة، فما هي قيمة الحياة مع الشرك ومع أقوام مشركين، وبعد ذاك وذياك فهل من الممكن أن ينال أنبياء الله مأمولهم المقدس في بث روح التوحيد مع التقية؟ كلا وكيف! إلّا مع تلكم التضحيات المتواصلة من هؤلاء المكرمين لتحقيق جذورالدين بما أن أصلها التوحيد، وكيف يمكن مع التقية في أصل الدين من بثّه ونشره في قلوب العالمين، بل وقد يقضى على الدين في مطلعه ويجتنى عند طلعه لو جازت التقية على دعاته ورعاته.

... أجل، وإن القرآن يصرخ في قصة هرون صرخة مدوّية بتصاريح قيّمة وكما يقول: ...

﴿وأضلَّهم السامري﴾ [طه. ٨٥]، السامري الملحد الضال، لا هرون النبي! فإنه كان في هذه الضوضاء مضحياً في سبيل تقويم بنى إسرائيل على التوحيد، إلّا أنهم أصروا على خلافه وقد كادوا ليقتلوه ...

و رغم ما يستأنسه بوست من تصاريح التوراة: أن هرون ـ وحاشاه ـ كان ضعيف العزم سخيف الرأي سريع التأثير والإنحراف في التجربة، وأنه تكررت منه الخطايا والتوبة.

فرغم ذاك نجد القرآن يصفه في تصاريحه الخالدة المهيمنة، بشتى مدارج الإيمانالیقین والعصمة والطهارة وسداد الرأي وقوّة التأثير، لذلك كله يعتبره ناصراً وأزراً و خليفة ووزيراً لموسى ونبياً معه [نساء. ١٦٣ و ألفرقان. ٣٥].

ويندّد ببني إسرائيل أنهم اتخذوا العجل يعبدونه [٢:٥١ و ٥٤ و ٩٣]، ﴿من بعد ما جاءتهم البيّنات﴾ [نساء. ١٥٣]، ﴿إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربّهم وذلّة في الحياة الدنيا وكذلك نجزي المفترين﴾ [اعراف. ١٥٢]، حيث افتروا على الله تعالى باتخاذهم العجل له شريكاً، وافتروا على نبي الله هرون حيث اختلقوا عليه نسبة صنعة العجل الذهبي، رغم أنهم هم الذين اتخذوه:

﴿واتخذ قوم موسى من بعده من حليِّهم عجلًا جسداً له خوار ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلًا إتخذوه وكانوا ظالمين * ولما سُقِطَ في أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربُّنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين * ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفاً قال بئسما خلفتموني من بعدي أعجِلتم أمر ربكم وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجرُّه إليه قال ابن أمّ إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تَشمتْ بي الأعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين﴾ [أعراف، ١٤٨- ١٥٠].

ربي: لو لم يكن هرون مذنباً في هذه المعركة السوداء فلماذا يأخذ موسى برأسه يجرُّه إليه حتى يضطر إلى الإعتذار: أنهم «استضعفوني وكادوا يقتلونني»!

المناظر: جرَّه إليه غضباً لربِّه فيما حدث وهرون فيهم، أنه رآهم ضلوا فماذا لم يتَّبع موسى ليُخبره بما حدث، ولكي يرجع موسى قبل أن يضلوا، هذا وإن كان معذوراً في ضلالهم حيث قام بواجبه إلى حيث استضعفوه وكادوا يقتلونه ولم يصغوا إلى مقالته: ﴿يا قوم إنما فُتِنتُم به وإن ربكم الرّحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري * قالوا لن نبرحَ عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى * قال يا هرون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا ألّا تتَّبعنِ أفعصيت أمري * قال يابنَ أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولي﴾ [طه، ٩٠- ٩٤].

وإنما قال: أفعصيت أمري؟ حيث أمره أن يخلف في قومه طيلة غيبته: ﴿و واعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة وقال موسى لأخيه هرون اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين﴾ [أعراف، ١٤٢].

فإن خلافته إذ ذاك كانت نفرض عليه عدم اتباعهم في فسادهم وأن يصلح فيهم، وقد فعل ما أملاه عليه قرار الخلافة الصريح، ولكن موسى يوبخه لا لشيءٍ ينافي تصاريح الخلافة، بل لأمر كان يراه من لوازمها وإن لم يصرّح به، وهو أن يتبع موسى ويفارقهم إليه، لكي يرجع إليهم عاجلًا، وهرون يحتج على موسى أنني ظننت من قرار الخلافة أن في مفارقتهم تفريقاً بين بني إسرائيل وترك المراقبة

في قولك ﴿إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولي﴾ [طه: ٩٤] لمكان قولك: أصلح، فمن الإصلاح المحافظة على وحدتهم وإذا فارقتهم إليك كان فيه تفرقة بينهم إذ يبقون بلا راع يرعاهم.

فموسى عليه السلام لا يوبخه إلّا لغضبه من فعلة بني إسرائيل، لا أن هرون خالف أمره في خلافته ـ وحاشاه ـ وكما أن الله تعالى يسأل موسى هكذا: ﴿وما أعجلك عن قومك يا موسى؟. قال: هم أولاء على أثري وعجلت إليك رب لترضى. قال فإنا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامري. فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفاً قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعداً حسناً أفطال عليكم العهد أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدي. قالوا ما أخلفنا موعدك بمَلكنا ولكنا حُمِّلنا أوزاراً من زنة القوم فقذفناها فكذلك ألقى السامري. فأخرج لهم عجلًا جسداض له خوار فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسي. أفلا يرون ألّا يرجع إليهم قولًا ولا يملك لهم ضراً ولا نفعاً. ولقد قال لهم هرون من قبل يا قوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرّحمان فاتبعوني وأطيعوا أمري. قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى﴾ [طه: ٨٣ـ ٩١].

فإنه لم يكن سؤال الرب نبيه موسى ﴿وما أعجلك عن قومك﴾ تنديداً به وتبكيتاً عليه إلّا ليظهر من جوابه عذره في ذلك للناس: ﴿وعجلت إليك رب لترضى﴾ سباقاً إلى الخير واستعجالًا للقائك ...

أجل وإن نص الدعوة لم يكن فيه لزوم مصاحبتهم في الذهاب إليه تعالى إلّا مدعوون كمثله: ﴿يا بني إسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم وواعدناكم جانب الطور الأيمن﴾ [طه: ٨٠].

ولكن الأصل في هذا الميعاد لم يكن إلّا هو: ﴿و إذ واعدنا موسى أربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون﴾ [بقره: ٥١].

فهناك مواعدتان: عامة لبني إسرائيل كما في الأولى، وخاصّة لموسى عليه السلام كما في آيتين، ولقد كان هو المقصود الأصيل والهدف الرئيسي، وقد تنزَّل عليه ألواح

التوراة بعد إيناسه بربه وخلوته به أربعين ليلة، وإنما واعدهم لكـي يشـاهدوا نـزول الألواح عليه، وإذ ذاك فلم يكن في استعجاله عن قومه أي توبيخ فإنه خلّف هـرون فيهم وهم أولاء كانوا على أثره: ﴿قال هم أولاء على أثري وعجلت إليك رب لترضى﴾ ...

أجل إن موسى الرسول على هيمانه للقاء ربه وإنجاز وعده لم يكن ليبطىء إليه كإبطاء بني إسرائيل، ولذلك يعجل عن قومه إلى ربه غافلًا عما يُبتلون به بعده، إذاً فلا تنديد، لا على هرون ولا على موسى عليه السلام!.

من أضل بني إسرائيل؟:

ربـي: رجـاء أن تعـذروني فـي مقـالتي التاليـة: إن الأصـل فـي ضـلال بنـي إسـرائيل مواعـدة الـرب لموسـى حيـث واعـده ثلاثـين ليلـة ثـم زاده عشـرة، فلمـا رأت بنـو إسـرائيل أنّ موسـى أخلـف موعـده ظنـوه وربّـه كـاذبين فضـلّوا عـن عبادته إلى العجل الذهبي لخواره!.

المناظر: ويلك، أفهل يُضل الله قوماً بعد إذ هداهم! فليس من الرب تبارك وتعالى إلّا بلاءً يبتلي به عباده، ولكي يتجلى إيمان المؤمن ويكمل ويظهر نفاق المنافق ويخذل، فأصل المواعدة كان أربعين ﴿و إذ واعدنا موسى أربعين ليلة﴾ [بقره، ٥١]، وإن كانت صورتها الأخرى أنها ثلاثين: ﴿و واعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتمّ ميقات ربه أربعين ليلة ...﴾ [أعراف، ١٤٢]، فهذه العشرة كانت من تمام الميقات وإن كان لم يُنبّأ به بنوإسرائيل في البداية ـ ابتلاءً لهم ـ فكيف ضلّوا واتهموا موسى وربه بالكذب، ومن البديهي أن الأربعين لا ينافي الثلاثين لتداخلهما، ولم تكن مواعدة الثلاثين مقرونة بقرائن الحصر.

طالبان: انجيلي وإسرائيلي: شكراً يا أستاذ وألف شكر فويلنا من هذه التوراة التـي لا تـأتي لأنبيـاء الله إلا بكـل عـارٍ، وطـوبى لنـا وللبشـرية جمعـاء مـن القـرآن

لهيمنته على كتابات الوحي وأنبيائه ذوداً عن كرامتهم وتنزيهاً عن ساحتهم، وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر!!

من هو السامري؟:

الجمعية الرسولية الامريكية:[1] ... هذا من الجهل بالتاريخ وعلم توقيع البلدان أن يسّمى صانع العجل بالسامري، ولم يكن في عصر موسى شيءٌ يقال له سامرة ولا سامري، إلا الذي ملك بعد سليمان بخمسين سنة!.

هاشم العربي:[2] أجل إنه لحق صراحٌ، فإنه لم يقع في خلق الله إلى زمن موسى إلى زمن سليمان ونصف قرن بعده موضع يقال له سامرة، ولا منشأ للتسمية بالسامري، إلى أن اشترى الملك عمري ملك إسرائيل جبل السامرة من شامر بوزنتين وبنى على الجبل ودعا المدينة التي بناها باسم شامر السامرة، فالقرآن يعزى صنعة العجل الذهبي إلى رجل من مدينة سامرة المبنية بعد موسى زهاء خمسمائة وسبعين سنة!

المناظر: كيف لا وهناك تصاريح في التوراة أنّ واحداً من ولد يساكر بن يعقوب كان يسمّى شمرون (تك ٤٦: ١٣)، وأن جماً غفيراً من ولد شمرون وعشيرته كانوا مع موسى، و هم وقتئذٍ يبلغون الألوف (عد ٢٦: ٢٣)، ومن البديهي أن القرآن كتابٌ عربيّ، وطبيعة الحال تقتضي تعريب اللغات غير العربية فيها ومنها الشمروني حيث عرّبت فعبّر عنها بالسامريّ، ولو أن التوراة عبرت عن هذا الشمروني بالسامري لعربت في القرآن بغير السامري، فما لكم كيف تحكمون؟!!!

* * *

١ . في ج ١، ص ٣٧، من كتاب جمعية الهداية.

٢ . هاشم العربي في تذييلاته المستقلة، ص ٥٥.

داود (ع)

فرية كتاب الهداية على داود القرآن:[1]

ربي والجمعية الرسولية: لا فحسب فها هو قرآنكم يذكر داود النبي بذكريات سوءٍ، فأين الهيمنة والذود عن الكرامة؟

ومن ذلك التنديد به أن ظلم أو ريّاه في زوجته الجميلة التي هواها وزنى بها فاحتال في قتله فامتلك زوجته، ولقد كان عنده تسع وتسعون ولم تكن لأورياه إلا واحدة، فابتلاه ربه بصورة دعوىً بين رجلين تُمثِّل له ما ظلم وكما يقول ﴿وهل آتاك نبؤُ الخصم إذ تسوَّروا المحراب * إذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تَسطط واهدنا إلى سواء الصراط * إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزَّني في الخطاب * قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه وذن كثيراً من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض إلّا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم وظنَّ داود أنما فتنّاه فاستغفر بربّه وخرّ راكعاً وأناب * فغفرنا له ذلك وإنَّ له عندنا لزلفى وحسن مآب﴾ [ص: ٢١ - ٢٥].

أجل إن داود إستشاط غضباً على الظالم بينهما ورماه شذراً وقال: إذاً لا أدعك وإن رمت ذلك ضربنا منك أنفك، فقال الرجل: يا داود! أنت أحق مني بهذا الأمر، فقد كان لك تسع وتسعون امرأة ولم يكن لأوريّاه غير واحدة ورغم ذاك امتدّت رغبتك إليها وحَرَمته إياها، ثم صارت لك زوجة ولم ترعَ لعهده حقاً ولا حرمة.

---

١. في ج ١، ص ٤٩، من كتاب الهداية.

إذ ذاك تلفت داود بعد هذا القول الحكيم المنبعث عن نفس خبيرة بصيرة فلم يجد أحداً حوله فعرف سرَّ الأمر وفطن إلى حقيقة الحال فاستغفر ربه وخرَّ راكعاً وأناب إلى ربه ...

داود في القرآن:

المناظر: أيها الروحي الإسرائيلي والجمعية الرسولية! ما لكم تفسرون القرآن بالإسرائيليات المختلقة؟ ولماذا تحيدون حينذاك عن نص القرآن إلى افتراءات التوراة فتجعلونها تفسيراً لآي الذكر الحكيم!؟.

فبينا نحن نأخذ في هذه القصة المشؤومة على التوراة ونزيفها بما في القرآن من تصاريح في منزلة داود الرسولية ـ الكريمة ـ ومحتده عنه ربِّه، إذاً تخلطون أنتم هذه الأضغاث الأحلام بآيٍ من الذكر الحكيم لا صلة لها بالقصة في أية ناحية، لأنها تعتبر قصة الخصمين فتنة وامتحاناً من الله إليه ﴿وظن داود أنما فتناه﴾ [ص. ٢٤]، ولقد تخلص عنها ناجحاً حيث حكم بالحق الصراح في حين غفلة أنهما ملكان مقربان تصورا بصورة رجلين إذ تسوّرا عليه المحراب، فلما انتبه بالفتنة استغفر ربه أن نسب أحد الملكين إلى الظلم، وهم عباد مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ﴿فاستغفر ربه وخر راكعاً﴾ [ص. ٢٤]، لربه معتذراً إلى الملكين ﴿و أناب﴾ إلى الله ﴿فغفرنا له ذلك وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب﴾ [ص. ٢٥].

ثم جزاه ربه لحكمه بالحق وصلاحيته لذلك بعد التجربة، أن جعله خليفة في الأرض:

﴿يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد﴾ [ص. ٢٦].

جزاه ربه لحكمه بالحق في فتنته هذه وغيرها من الأحكام العادلة التي صدرت عنه، لا لحكمه الجائر اللاإنساني على أوريَّاه في اغتصاب امرأته واستيصاله لهذه البغية السوءِ ـ حاشاه!.

فهذه وما إليها من آي الذكر الحكيم تصف داودﷺ بعلو المحتد الروحي الرسوليّ عند الله وتَنَمُّره وشدة وطأته في ذات الله، فقد يهزم بضربته الهدامة على جالوت، يهزم جنده بإذن الله ويقتله فيجازيه ربه أن أتاه الملك وعلّمه مما يشاء: ... [بقره، ٢٥١]، ويفضله عن نفرٍ من النبيين أن آتاه زبوراً: ﴿ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبوراً﴾ [إسراء، ٥٥]، ويصفه بشدةٍ وقوةٍ في سبيل ربّه: ﴿... وسخرنا مع داود الجبال يسبحن الطير و كنا فاعلين * وعلَّمناه صنعة لبوس لكم لتُحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون﴾ [أنبياء، ٧٩- ٨٠]. ﴿اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الايد إنه أوَّاب * إنا سخرنا الجبال معه يسبِّحن بالعشي والإشراق * والطير محشورة كلٌّ له أواب * شددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب﴾ [ص، ١٧- ٢٠].

الجمعية الرسولية الامريكية:[١] هذا نص تفسير النسفي فكيف تكذبونه وقد لمح به التوراة!

المناظر: وإننا لننسف كل مقالة أو حديث لا يوافق القرآن، ننسفه في النار نسفاً، فلا حجة في تقوّل النسفي وغيره وهناك ما يعارضه من روايات تذود عن كرامة داود النبيﷺ وفقاً للقرآن الكريم، وكما يُروى عن علي أمير المؤمنين عليه أفضل التحية السلام قوله: من حدَّثكم بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين وهي حدُّ الفرية على أنبياء الله، وكما يُروى هكذا عن الإمام السادس جعفر بن محمدﷺ.

---

١. ج ١، ص ٤٩.

هذا، رغم أنّ التوراة تربط قصة الخصمين بما تقولون كالتالي: «لما ولدت امرأة اوريّا من داود من حمل ذلك الزنا (٢ صمو ١١: ٦- ٢٧)، أرسل الله ناثان النبي إلى داود وقال له قد كان في مدينة رجلان واحدٌ فقير له نعجة واحدة عزيزة عليه وآخر غني له غنم وبقر كثير جداً. فأخذ الغني نعجة الفقير وهيّأها لضيفه. فقال داود: يقتل هذا الرجل ويردُّ على الفقير أربعة أضعاف (وفي السبعينية سبعة أضعاف) فاخبره ناثان هذا مثلٌ له ووبّخه عن قول الله على أفعاله وأن الله سيكافيه ويسلط عليه من أهل بيته من يزني بنسائه قدام جميع إسرائيل» (٢ صمو ١٢- ١: ١٢).

فيا ويلاه للتوراة فإنها تأتي بغلط على غلط وفرية على فرية، فرية الزنا وفرية الحكم على خلاف العدل: أن يقتل آخذ النعجة ثم يؤخذ من نعاجه أربعة أو سبعة أضعاف، حكمان ضد العقل وحاشاه، فحكم السرقة في التوراة: غرامة أربعة أضعاف ما سرق دون هدر للدم إطلاقاً إلا إذا وجد ينقب فضرب ومات فإنه يقتل نفساً بنفس (خر ٢٢: ١- ٢)، أما ان غصبها فليس عليه إلا أن يعوض عنها ويزيد عليها خمس العوض ويكفر بكبش ذبيحة إثم (لا ٦: ١- ٨) حال أن فرض السؤال غصب النعجة لا سرقتها، فكيف يحكم داود التوراة على خلاف نصوصها!!

الطلاب الكتابيون: رجاء أن يستعرض علماؤنا قصة داود في التوراة ولكي نقارن فيها.

الدكتور بُست: داود يعني محبوب الرب ... ابتلي بالمعاصي القبيحة وتكدَّرت أيامه الأخيرة من عمره بالزدواج المتعددة ولقد كان ذنبه في قصة «اوريّا وبت شبع» عظيماً فوق الحد. فلما تذكر عن غفلته وزلّته أخذ في التوبة مغبراً جالساً على الرماد وتحمَّل توبيخ ربّه واستغفره تعالى وبعدئذ صارت حياته سلسلة معارك وصعوبات قارعة وتواتر القتل وألوان الفسوق والفجور والاضطراب في بيته (٢ صمو ١٢: ١٠)، ويعلم حدّ الهموم الحافة به من قصة تامار ووامنون وابشالوم.

أخذ يصرخ: ويلاي! ليت كنت حمامة أطير حيث أريد ولكي أسكن من قلقي (مز ٥٥: ٦) ... وإلى أن قضى نحبه في (٧١) من عمره ودفن في بلد داود على جبل صهيون حيث الآن يزار.

داود التوراة يزني بالمحصنة ويقتل زوجها!

المناظر: أجل ومن المؤسف! ثم هناك زيادات وتوضيحات حول ما يفترى عليه كما يلي:

... هكذا قال الرب إله إسرائيل (لداود) أنا مسحتك ملكاً على إسرائيل وأنقذتك من يد شاؤل. وأعطيتك بيت سيدك ونساء سيدك في حضنك وأعطيتك بيت إسرائيل ويهوذا ...

لماذا احتقرت كلام الرب لتعمل الشرَّ في عينيه. قد قتلت أوريّا الحثّي بالسيف وأخذت امرأته لك، وإياه قتلت بسيف بني عمّون، والآن لا يفارق السيف بيتك إلى الأبد لأنك إحتقرتني .. هكذا قال الرب هأنذا أقيم عليك الشر من بيتك وآخذ نساءك أمام عينيك وأعطيهن لقريبك فيضطجع مع نسائك في عين هذه الشمس، لأنك أنت فعلت بالشرّ وأنا أفعل هذا الأمر قدّام جميع إسرائيل وقدّام الشمس ... وضرب الرب الولد الذي ولدته أوريّا لداود فقتل .... (صموئيل ١٢: ٧- ٢٣)!!!

فهذا داود التوراة يعشق زوجة أمير جنده فيزني بها ـ وحاشاه ـ ثم يقتله ليخلوا معها، و إله التوراة يهدِّده بأخذ نسائه علانية ليُفعل بهن ما فَعل بها، رغم أن فعلته كانت خفية ـ جزاءً غير وفاق ـ حيث الظالم هناك إنما هو داود ـ وحاشاه ـ فما بال نسائه يبتلين بهذه البلية الوقحة، والظلم كان خفية فلماذا يجزى به علانية، أفجهراً بالسوء بدل الستر الذي أمر الله به عباده!!!

الأسقف: لا صراحة في هذه الآيات أن داود زنى بامرأة اوريا قبل مقتله فكيف تفترون!.

المناظر: كيف لا وتصاريح التوراة كما يلي: ...

«وكان وقت المساء أنَّ داود قام عن سريرة وتمشّى على سطح بيت الملك فرأى مِن على السطح امرأة تستحمُّ. وكانت المرأه جميلة المنظر جداً. فأرسل داود وسأل عن المرأة، فقال واحد: أليست هذه بنت بششبع اليعام امرأة أوريّا الحثي، فأرسل داود رسلًا وأخذها فدخلت إليه فاضطجع معها وهي مطهرة من طمثها، ثم رجعت إلى بيتها وحبلت المرأة فأرسلت وأخبرت داود وقالت إني حبلى، فأرسل داود إلى يوئاب يقول أرسل اليَّ أوريا الحثي .. فأتى أوريّا إليه ... فقال داود لأوريّا أقم هنا اليوم وغداً أطلقك ... ودعاه داود فأكل أمامه وشرب وأسكره ... وفي الصباح كتب داود إلى يوئاب: اجعلوا أوريا في وجه الحرب الشديدة وارجعوا من ورائه فيضرب ويموت ... فقتل أوريا كذلك ... فلما سمعت امرأة اوريًا أنه قد مات رجلها ندبت بعلها ولما مضت المناحة أرسل إليها داود وضمها إلى بيته وصارت له إمرأة ولدت له ابناً ... وأما الأمر الذي فعله فقبح في عيني الرب (٢ صموئيل ١١: ٢- ٢٦).

وفي (متى ١: ٦) إن داود الملك ولد سليمان من التي لأوريا!!!؛ وفي (مز ٥١: ٥) يقول داود: «هأنذا بالإثم صُوِّرت وبالخطينة حبلت بي أمي» فداود التوراة كما يولد سليمانه من زنا كذلك يتولد هو عن زنا ـ زنا في زنا!!!

... فليت هذه الأوراق أحرقت ولم تدنّس ساحة داود النبي بهذه الفرية السوء: أن يزني بمحصنه ثم يقتل بعلها، ويولد سليمان عن زنا ويتولد هو أيضاً عن زنا.

فما لداود محبوب الرب يعمل بخلاف حب الرب ويفجر مالا يفجر به إلّا الفساق الأرذلون، ثم يولد من الزنا خليفته النبي سليمان بعده وسليمان هذا من أجداد المسيح من ناحية الأم!!؟.

داود التوراة يرقص أمام الرب:

وهناك فرية أخرى تدنس ساحة داود النبيﷺ كما يقال: ... وكان داود يرقص بكل قوته أمام الرب (١٤) ... ولما دخل تابوت الرب مدينة داود أشرفت ميكال بنت شاول من الكوّة ورأت الملك داود يطفر ويرقص أمام الرب فاحترقته في قلبها (١٦) ... ولما انتهى داود من إصعاد المحرقات وذبائح السلامة بارك الشعب باسم رب الجنود (١٩) وقسم على جميع الشعب على كل جمهور إسرائيل رجالًا ونساءً على كل واحدٍ رغيف خبز وكأس خمر وقرص زبيب (٢٠) .. لعبتُ أمام الرب (٢١) وإني أتصاغر دون ذلك وأكون وضيعاً في عيني نفسي ... (٢ صموئيل ٦: ٢٢).

فيا ويلاه التوراة من هذه الإفتراءات البشعة التي لا تبقي ولا تذر كرامة لأنبياء الله إلّا وقد دنّستها! أفهل يرقص نبي الله داود أمام الله ويقسم بين عباد الله ما حرَّمه الله من الخمر التي تخمر العقل، كما خمرت عقله فأخذ يرقص؟ فهل هو ينوب الشيطان في القضاء على عقول الناس أن يسكرهم بالخمر وكما تأتي تصاريح حرمتها من العهدين[١] إنَّ هذا لشيءٌ عجاب، إن هذا إلا اختلاق، فكم بين داودين ـ في التوراة وفي القرآن ـ من بون شاسع!

الجمعية الرسولية: ... مع أن النصوص الواردة في التوراة ناطقة بتقوى داود وبطهارة قلبه وخلوص نيته وصدق طويته وبكرم أخلاقه ومسامحة أعدائه، فكم من مرة وقع شاول ألد أعدائه في يده وسامحه حتى شهد له عدوّه بأنه أبرّ منه، ومع ذلك كله فوقع في الخطينة التي لم يسلم منها إنسان فإشتهىٰ امرأة اوريا وزنى بها وعرَّض زوجها في ميدان القتال لسلاح العدو فقتله، فأرسل المولى سبحانه ناثان ووبَّخه على هذا العمل الوخيم وزجرة بألطف إشارة (٢ صموئيل ١٢). فجاءت القصة القرآن مقتضبة مضطربة وحذف وزاد، فذلك تدل على المراد وهو وقوع الخطيئة

---

١. كما في: لا ١٠: ٨ـ ٩ و ١: ش ٥: ١١ـ ١٢ و ٣٨: ١ و ٣ و ٧؛ ونا ١: ١٣ـ ١٣؛ وهوش ٤: ١١ و ١٨؛ وأمثال ٢٠: ١ و ٢٣: ٢٩ـ ٣٥ و ٣١: ٤ـ ٥؛ وحبقوق ٣: ٥؛ وتث ٢١: ٢١ـ ٢٢؛ ولو ١: ١٥؛ ويو ١، ١٨ وغيرها.

(٣٨: ٢٠ـ ٢٣)، فكل من أوتى ذرة من الفهم جزم بأن هذه الأقوال مأخوذة من التوراة وقد ذكرت مقتضبة كعادته!

المناظر: كلٌّ من أوتي ذرة من الفهم حكم باستحالة اقتراف الأنبياء تلكم المعاصي والمآسي، إذ إنهم حينذاك يُعتبرون قدوة لهتك الحرمات بدل أن يكونوا قدوة في الحفاظ عليها!

وكلٌّ من أوتي ذرة من الفهم يعلم أن تشابه القصتين في جذورهما لا يحكم بأخذ السليمة عن السقيمه والخالصة عن الدخلية، اللهم إلّا بالوحي المهيمن على كتاباته السالفة المحرفة، حيث الموحي واحد وهو الله، وقد كتب على نفسه الرحمة، ومن رحمته إصلاح ما فسد من أسفار النبيين من قبل كما طبَّقه بالقرآن الحكيم!

وكلٌّ من أوتي ذرة من الفهم تنبّه أن آي القرآن في قصة داود تذود عن ساحة كرامته كل عار وبوارٍ ولا تشير إلى موبقة ومعصية إلا ما أشارت إليه كما سلف: انه استغفر ربه لخطابه أحد الملكين كأنه ظلم الآخر، على حين غفلة أنه ملك.

اللهم هَب للجمعية الرسولية ذرة من العقل والإنصاف ولكي يهتدوا الصراط المستقيم!

سليمان بن داود (ع)

الطلاب الكتابيون: أستاذ! رجاءً استعرض سليمان النبي في حياته الرسولية للمقارنة ...

الدكتور بُست: سليمان اي: المليء من السلامة والسلم، هو الذي بنى البيت المقدس فاتخذه الله إبناً له (ايام ٢٨: ٦ـ ٧)، وأمر ناثان النبي أن يدعوه: يَديديا، أي:

محبوب الرب (صمو ١٢: ٢٥)، ولقد انتصبه الله خليفة أبيه داود قبل ولادته (١ ايام ٢٢: ٩-١٠) فصار بعده مَلِكاً نبيّاً في العشرين من عمره (١ ملوك ٢: ١٢ و ٣: ٧ و ٢ ايام: ١).

تجلّى له ربُّه فى رؤياه قائلًا: سل ما شئت فسأله الحكمة فوهبها وزيادة هي الملك والسلطان (١ ملوك ٣: ٤- ١٥ و ٢ ايام ١: ١٣. مقابل مع: أمثال ٨: ١١- ١٦ مت ٦: ٣٣) و ...

الطلاب: بخ بخ! ذكريات جميلة ما أحسنها، فما هي مقالة القرآن في شأنه؟

المناظر: لا فحسب فإن هناك ذكريات أخرى ما أقبحها، وهي شرُّ ما نسب إلى شرار خلق الله!

الطلاب: وما هي؟

سليمان المشرك العياش الظلوم حسب التوراة:

المناظر: هكذا يستمر بوست في مقالته حول سليمان كما رتبها من آي العهدين قائلًا:

«... أصبح سليمان في سلطانه مثرياً للغاية فأخذ في السَّرَف والتَّرَف والتعيش الممنوع أكيداً في (تث ١٧: ١٦- ١٧)، ولقد هدّده الله ووبخه في رؤياه الثانية فرغم أن يتعظ إستكبر و تساهل في أمر ربه ونسي ربَّه (املوك ١- ٩ و ٢- ١. ايام ٧: ١١- ٢٢).

أخذ يعاشر ويعاشق النساء الغريبيات اللّاتي منع الله عن عشرتهن فنكح منهنّ سبعمائه بالعقد الدائم وثلاثمائة منقطعاً، فاجتذبن وأملْن قلبه عن ربّه إلى أنفسهن وهو على كهولته و شيخوخته نحا نحوهن وحذا حذوهن إلى حيث بنى لكل واحدة منهن مذبحاً للأوثان على الأتلال (املوك ١١: ١- ٨ ونحميا: ١٣: ٢٦)، ولذلك غضب الله عليه وفرَّق ملكه من بعده جزاءً وفاقاً.

وهكذا انحرف في سلطانه وقدرته عن العدل وبالنسبة لرعيته حيث أجبرهم على خدمته وظلمهم في الخراجات الثقلية المحرجة، لحدِ اضطر المظلومون المحطَّمون

أن يتظلموا إليه جهاراً في جلوس يربعام (املوك ١٢: ٣- ٢٠) مقابل مع (١ صموئيل ٨: ١٠- ١٨).

هذا وإن مخازي سليمان التوراة- وحاشاه- لا تنحصر فيما أشار إليه بوست، فقد ينص العهد العتيق أن كثرة النساء محرَّمة على الملوك (تث ١٧: ١٧) وكذلك نكاح الوثنيات (خروج ٣٤: ١٦ وتث ٧: ٣ و ٤).

فلسيمان التوراة يجمع بين المحرَّمين وزيادة هي اتباعهن في الشرك، ومع الأسف أن ذلك كان في زمن شيخوخته، أن نساءه أَمَلن قلبه وراءَ آلهة أخرى ولم يكن قلبه كاملًا مع الرب إلهة كقلب داود أبيه. فذهب سليمان وراء عشتاروت إلهة الصيدونيين وملكوم رجس العمونيين. حينئذٍ بنى سليمان مرتفعة لكموش رجس المؤابيين على الجبل الذي تجاه أورشليم ولملوك رجس بني عمون (٢ ملوك ٢٣: ١٤ و ١ ملوك: ١١).

هذا وذاك! ثم العهد الجديد!!! يأتي سليمان بجديد يقضي على مولده في تصريحة:

«إن داود الملك ولد سليمان من التي لأوريا» (متى ١: ٦).

إذاً فلسيمان العهدين فاسد منذ البداية لحد النهاية يُولَد من فجور أبيه بمحصنة، ثم يفجر هو بنساء غريبات منع عن زواجهن، ثم يفجر حتى يشرك بالله - وحاشاه -!

... فويل التوراة وويل الأمة الإسرائيلية من ذياك الإفتراءات السوء على من تسمِّيه بدءاً محبوب الرب والمليء من السلم والسلامة، ثم أخيراً تفتري عليه أبشع ألوان الضلال و هو الشرك بالله، اتباعاً لميول النساء المشركات، ورفع بنايات القرابين للأوثان، فما لإله التوراة يصطفي هكذا أنبياء الذي يحرِّجون مواقف الهدى ويعمِّرون خرابات الردى.

ويلَ الإنسانية من تلكم النعرات الجاهلية والدعايات السوء على المكرمين من أنبياء الله!

الجمعية الرسولية: أجل إن للملك سكرة وللنساء صولة، وغاية المولى أن يعلِّم الملوك ألّا ينهمكوا في اللذات والشهوات التي تُلهيهم عن تدبير الأمور وسياسة الجمهور و عن القيام بالواجبات الدينية، وقد ورد في القرآن ما يفيد أنه اشتغل بالأمور الدنيوية التي ألهته عن عبادة الله، وثانياً ورد فيه أنه لمح بعبادة الأصنام في بيته وقالوا: إنه لم يقدّم المشيئة للّه ولم يتوكل عليه تعالى فورد في (ص ٣٠-٣٢): «فالخيل ألهته عن الصلاة حتى قالوا أنه ذبحها» وفي (٣٣ و ٣٤) من «كتاب الهداية»:

... وكان من الواجب على المتعرض أن يحذف عن قرآنه العبارات المؤذنة بسقوط سليمان في الخطيئة مثل: ﴿فتنا سليمان، ألقينا ... ثم أناب ... رب إغفر لي ...﴾ [ص ٣٤]، فإن هذه العبارات دالة بصراحة اللفظ على وقوعه في الخطيئة.

المناظر: ويل المرسلين الأمريكان حيث يوجهون مآسي سليمان الكافرة- وحاشاه!- بما هو أسوأ وأظلم وأطغى، حيث اعتبروها غاية المولى سبحانه كأنه هو الذي أقام نبيه على تلكم المنكرات بما فيها الشرك بالله وظلم عباده، ولماذا؟ لكي يَعتبر الملوكُ، فلا ينهمكوا فيما انهمك فيه نبي الله سليمان، رغم أن العبرة هناك لا تحنٍّ إلا إلى ضد البغية، فإن معاصي الأنبياء ـ وحاشاهم ـ تسهِّل الأمر على سائر الناس، ولا سيما الملوك، اعتباراً أن عصيانهم على علو محتدهم ومنزلتهم ومعرفتهم بربهم، يبرر عصيان من ليست لهم تلكم المنازل والزلفى.

و رغم ذاك فإن مما لا يريبه شك أن عصمة الأنبياء خُلقياً وعملياً عبرة لسائر الناس أن يهتدوا بهداهم بما أنهم بشرٌ كأمثالهم، وعصمة الملوك منهم كمثل داود وسليمان تزيد عبرة وحجة على الملوك لكيلا يعتذروا في استكبارهم وعتوهم بما حباهم الله من قوة الملك وشوكته، فإنما الحجة على الملوك الظالمين هو سليمان المعصوم عن الزلل ومَن إليه من الملوك الأنبياء، لا المنهمك في الشهوات والزلات!

فويلَ هذه الجماعة الروحية هنا وهناك: إذ لم يكتفوا بتلكم الإفتراءات المخزية حتى أصبحوا يؤولون آي الذكر الحكيم خلاف تأويلها، رغم أنها تذود عن كرامة نبي الله سليمان تبرئه عن الشرك والمشركين وكما يقول: ﴿وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا﴾ [بقره،١٠٢]، أولئك الشياطين الذين حرفوا كتاب موسى فنسبوا إلى سليمان الشرك.

سليمان القرآن عطية ربانية:

وتصرخ صرخة مدوية خالدة في بره وطهارته وأنه من العطايا الكريمة من الله إلى أبيه داود: ﴿و وهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب﴾ [ص، ٣٠]، وبذلك يطهر مولده عن دنس الزنا حيث هو موهوب الله، لا اللهو الفسقي: ﴿وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب﴾ [ص، ٤٠]، ﴿و ورث سليمان داود وقال يا أيها الناس عُلمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيءٍ إن هذا لهو الفضل المبين﴾ [نمل، ١٦].

ولقد استدعى من ربه مُلكاً عظيماً ما أعظمه فأجابه: ﴿وهَبْ لي مُلكاً لا ينبغي لأحدٍ مِن بعدي إنك أنت الوهاب﴾ [ص، ٣٥].

فاجابه الله خير إجابة لعلمه أنه لا يعمل في ملكه إلا بطاعته دون أن يتبع هواه:

سليمان الملك:

﴿فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب﴾ [ص، ٣٦]، ﴿ولسليمان الريح عاصفةً تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها وكنا بكل شيء عالمين﴾ [انبياء، ٨١]، ﴿وسليمان الريح غدوها شهرٌ ورواحها شهرٌ وأسَلْنا له عين القِطْر ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ... يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات﴾ [سباء، ١٢]، ﴿ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملًا دون ذلك وكنا لهم حافظين﴾

[انبياء. ٨٢] ﴿والشياطين كل بناء وغوّاص. وآخرين مقرّنين في الأصفاد. هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب﴾ [ص. ٣٧ـ ٣٩].

أجل، إن نبي الله سليمان أوتي مُلكاً لم يسبق إليه سابق ولا لا حق حتى الآن، حيث ملك الجن والإنس والطير والريح فما تحت الأرض وما فوقها، تجري بأمره رخاءً حيث أصاب، وعُلِّم منطق الطير وسائر الحيوان: ﴿وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيءٍ﴾ [نمل. ١٦].

سليمان وبلقيس:

ولكنه مع هذا الملك العظيم لم يَلهُ عن ذكر ربه وعبادته والدعوة إليه ولا لحظة! ولم يزده الملك إلا سعة وصموداً في الدعوة والدعاية في سبيل ربه، فإذا يقرع سمعه أن امرأةً مشركة تملك ملكاً كبيراً، لا يهوي إليها هوى الملوك المتهوسين، بل ويكتب إليها كتاباً يحمله إليها هدهد، طائرته الفاهمة التي أخبرته بخبرها، يكتب في كتابه الكريم: ﴿إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم * ألّا تعلوا عليَّ وأتوني مسلمين﴾ [نمل. ٣٠ـ ٣١].

... أخذت الكتاب وألقته إليهم كما أمر: ﴿اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون﴾ [نمل. ٢٨].

ألقته وأخذت تستمع إلى مقالها مع أعضاء البلاط فإذا هي تقول: ﴿يا أيها الملأ إني ألقي إليّ كتاب كريم * إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم * ألا تعلوا عليّ وأتوني مسلمين * قالت يا أيها الملأ أفتوني في أمرى ما كنت قاطعة أمراً حتى تشهدون * قالوا نحن أولوا قوة وأولوا بأس شديد والأمر إليك فانظري ماذا تأمرين * قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزّة أهلها أذلة كذلك يفعلون﴾ [نمل. ٢٩ـ ٣٤].

... لمحت الملكة في كلام رجالها ميلًا إلى الحرب وعدم الموافقة، فزيفت كلامهم، خطأت وسفّهت رأيهم، وأبانت لهم ان الصلح خير وإن أحضِرَت الأنفس الشحّ، أن الأجدر بذوي العقول الصائبة أن يبدأوا بالتي هي أحسن ومنها: ﴿إني مرسلة إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون﴾ [نمل.٣٥] ... هدية كما تناسب ومنزلته، فيها من كل غالٍ ثمين ونفيس كريم، أصانعه بها على ملكي وأتبين بها سبيله وأتعرف منهاجه.

أجل إنها زعمت سليمان كمثل سائر الملوك الذين لا يريدون بالقتال إلا فتح البلاد وأسر العباد وغَنْم الأمول، فعملت وفق ما زعمت، وأرسلت إلى سليمان إلا أن الهدهد رجعت قبل من أرسلتهم فأخبرت الخبر، فاتخذ سليمان للأمر عُدَّته وقدَّم لما بعده أهبته، لذلك أمر الجن فزينوا له بناءً عجيباً وصرحاً مشيداً يهزُّ الأفئدة ويبهر الأعين، فلما دنا القوم بالهدايا نظروا فبهتوا: ﴿فلما جاء سليمان قال أتمدونن بمال فما ءاتاني الله خيرٌ مما ءاتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون﴾ [نمل.٣٦].

... أقبل عليهم بوجه طَلق يرحب بقدومهم ويتهلل للقائهم، ثم بدأ يستشفُّ غرضهم ويتعرَّف رأيهم: ما وراءكم؟ فتقدموا بما حملوا من الهدايا يبتغون بها رضىً وقبولًا من النبي الكريم.

فتعفف سليمان وتلطف قائلًا: إرجع إليهم بهديتم فإن الله أعطاني الرزق السخي، والعيش الرضي، ومدَّ لي أسباب النبوة والملك، وآتاني ما لم يُؤْتِ أحداً من العالمين، فكيف يرضى مثلي أن يمدَ بمالٍ يُصانعُ به دعوة ربه؟ أم كيف يُلهيه عن نشر دعوته ملءُ الأرض ذهباً ﴿بل أنتم بهديتكم تفرحون. ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قِبَلَ لهمْ بهالنُخرجنَّهم منها أذلَّة وهم صاغرون﴾ [نمل.٣٦-٣٧].

أجل، إنه لم يكن ليصانع الملكة بمالها وجمالها، أللهم إلّا بإيمانها وإسلامها للَّه رب العالمين، حيث الهدهد أخبره: ﴿وجئتك من سبأٍ بنبأٍ يقين * إني وجدت امرأة تملكهم وأوتِيَتْ من كل شيءٍ ولها عرزش عظيم * وجدتها وقومها يسجدون

للشمس من دون الله وزيَّن لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون * ألّا يسجدوا الله الذي يُخرج الخبءَ في السموات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون * الله الذي لا إله إلا هو رب العرش العظيم﴾ [نمل: ٢٢- ٢٦].

فسليمان النبي أراد حينذاك ليظهر سلطانه لبلاط سبأٍ وملكتها قبل أن يأتوه ولكيلا تُغترَّ بعرشها الذي كانت تركن اليه وتتكىء عليه، فأشار إلى بلاطه، أولئك الملأ الديني الملكي الحافين حوله قائلًا: ﴿يا أيها الملأُ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين. قال عفريت من الجلن أنا ءاتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقويٌّ أمين﴾ [نمل: ٣٨- ٣٩]: ... بقوة خارقة جنيّة وأمانة إيمانية! فسبقه وزيره آصف بن برخيا في ملكه ونبوته، هذا الذي أوتي علماً من الكتاب: ﴿قال الذي عنده علمٌ من الكتاب أنا ءاتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك فلما رآه مستقراً عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني ءأشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم﴾ [نمل: ٤٠].

إنه آتاه عرشها قبل ارتداد طرفه، لا أدري في آن أو أقل منه، بكثير أو قليل، بأية قوة؟

بقوة الولاية وبإذن الله مولاه ومولي المؤمنين، وبهذه الخارقة التي استقبلت الملكة بان لها لِمنْ حولها أن سليمان ليس مَلِكاً فحسب، وإنما هو نبي مَلِك، وهذه من معجزاته ولكي تدخل الملكة قصر سليمان لأول مرة ويسلبها عن كفرها لأول نظرة منها إلى عرشها، فاحتال سليمان لها ﴿قال نكّروا لها عرشها ننظر أتهتدى أم تكون من الذين لا يهتدون * فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين﴾ [نمل: ٤١- ٤٢].

ما قالت: إنه هو، لأنها كانت خلَّفت عرشها بأرض سبأٍ، ولكنها لما رأت معالمه وتبينت آياته ومحاسنه دهشت وقالت: كأنه هو! ووقفت مشتَّتة الفكر حائرة القلب والهة الفؤآدقالت: أوتينا العلم بصدقك قبل هذه الآية البيِّنة وكنا مسلمين، ولذلك

أقبلنا إليك غير محاربين، ولقد كفتنا آيةً للحق فيدعوتك أن رجَّعت الهدية ولم ترضَ بالمصانعة المادية، فليست دعوتك ركيزة على المادة، لا إلا على الحق الصرّاح.

﴿و صدّها﴾ (سليمان) ﴿ما كانت تعبد من دون الله﴾ (بهذا وذاك ـ آية لاحقة تلو السابقة) ﴿إنها كانت من قوم كافرين﴾ [نمل: ٤٣].

وكان سليمان قد أمر ببناء صرح من زجاج أبيض فدعا الملكة إليه: ﴿قيل لها ادخلي الصرح فلما رأته حسبته لُجَّةً وكشفت عن ساقيها قال إنه صرح ممرَّدٌ من قوارير قالت ربِّ إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان للّه ربِّ العالمين﴾ [نمل: ٤٤].

إذ ذاك انكشف حجاب الغفلة عنها وقالت: رب إني مِلتُ حيناً من الدهر عن خدمتك و عبادتك، وضللت دهراً عن رحمتك، ظلمتُ نفسي وحسبتها عن نورك ورحمتك، وأنا الآن قد أسلمت مع سليمان خالصة لك متوجهة إليك وأنت أرحم الراحمين.

أجل، إنها لمَّا ضلَّت في عرشها وصرح سليمان اتخذت هاتين الزلّتين مع الآيتين السالفتين حججاً بيِّنة على ضلالها من ذي قبل حتى حينها فأسلمت لمّا رأت الآيات مع سليمان للّه رب العالمين.

فهذه سيرة سليمان القرآن منذ البداية حتى النهاية: يولَد ولادة طاهرة وهو في الطهارة العمل وطهارة العقيدة طيلةَ حياته، وهاتيك سنة سليمان القرآن مع النساء المشركات يُميل قلوبهن إلى الله بقوة ملكه وآيات النبوَّة، رغم التوراة حيث تفتري عليه أنهنَّ أمَلْن قلبه إليهن وإلى آلهتهن لا لشيءٍ إلّا لأنه عشقهن وهواهنَّ.

فسيلمان القرآن يبني لهذه المشركة صرحاً ممرداً من قوارير لتعتبر به فتؤمن، لا مذابح الأوثا لكل واحدة من المشركات فوق الأتلال!.

سليمان يراعي وحتى النمل!

ثم من عدله أنه يراعي حتى النمل إذ يعبر واديها بجنوده: ﴿وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون * حتى إذا أتوا على واد النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنَّكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون﴾ [نمل.١٧-١٨].

... يركب نبي الله سليمان يوماً في حشد عظيم من الإنس والجن والطير حتى نزل أرض عسقلان فأتى على وادي النمل فبصرت نملة من النمال على بُعدٍ فارتاعت لذلك الحشد، وخافت على قومها أن تدوسهم جنود سليمان فتحطمهم فأهابت بهم أن ادخلوا مساكنكم حتى لا تذهبوا ضحيَّة سليمان وجنوده.

ادخلوا مساكنكم لكيلا يحطمنكم سليمان وجنوده على غفلة، لا على عمدٍ وظلمٍ! وهم لا يشعرون، حيث ليست لهم تلك الدقة البارعة بالنسبة لما على الأرض من حيَوان صغار، وهم معذرون في ذلك حيث الجنود تغفل عنه بطبيعة الحال.

إلا أن سليمان سمع مقالتها: ﴿فتبسم ضاحكاً من قولها وقال ربِّ أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليَّ وعلى والديَّ وأن أعمل صالحاً ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين﴾ [نمل.١٩].

فسليمان القرآن يهتمُّ بإصغاء شكوى المظلومين وحتى النمل، ويشكر ربَّه ويسأله زيادة الشكر على هذه النعمة، وأن يعمل صالحاً يرضاه ربه، فكيف يظلم هذا العدل الرؤوف ذوي نوعه من البشر، ولا سيما رعيته الموحِّدين المسلمين له، أجل إنه يصغي حقَّ الإصغاء ويعدل حق العدل، رغم سليمان التوراة حيث يظلم رعيته في الخراجات الخارجة عن طوقهم إلى أن تجاهروا بتظلُّمه في جلوس رحبعام!

الطلاب الكتابيون: شكراً لك يا أستاذ والف شكر أن كشفت لنا شتى الأستار الغاشية عن حياة سليمان الرسولية، وزيَّفت طرفاً عظيماً من تقولات الجمعية الرسولية الأمريكية في ذلك، وإننا لنرجوكم استعراض ما أشاروا إليه من آي الذكر

الحكيم أن سليمان لمح بعبادة الأصنام في بيته ولم يتوكل على الله تعالى، وأن الخيل ألهته عن الصلاة، وأنه فتن ثم استغفر ربه وأناب، مما تدل بزعمهم بصراحة اللفظ على وقوعه في الخطيئة!

سليمان الأواب والجسد الملقى على كرسيّه:

المناظر: كلا يا أخواني المهتدين، فإن الآية الأولى من هذه الآيات المشار إليها تصف سليمان بكل خير قائلة: ﴿و وهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب﴾ [ص: ٣٠]، ثم تتلوها الآيات الواصفة لطرفٍ من علو محتده وكمال عبوديته وأوبته إلى ربه وإن كان فيما هو رمز الغفلة من زينة الدنيا وزخرفها قائلة: ﴿إذ عُرِضَ عليه بالعشيِّ الصافنات الجياد * فقال إني أجببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب * رُدُّوها عليَّ فطفق مسحاً بالسوق والأعناق * ولقد فتنَّا سليمان وألقينا على كرسيِّه جسداً ثم أناب * قال ربِّ اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب * فسخَّرنا له الريح تجري بأمره رُخاءً حيث أصاب﴾ ... [ص: ٣١- ٣٦] ثم تختم هذه الآيات بعدً ذكريات ملكه الذي هباه الله تعالى بقوله: ﴿هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب. وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب﴾ [ص: ٣٩- ٤٠].

فالآية الأولى والأخيرة الحافَّتان بقصة عرض الصافنات الجياد حبّ الخير وفتنته وإنابته واستغفاره، هاتان الآيتان تدلاننا أن هذه الذكريات تناسب ومحتده الرسولي و لا تنافيه، وإلا لم تبدأ بِتِلْكم الدعاية الخالدة: ﴿نعم العبد﴾ ولم تختم بـ ﴿إن له عندنا لزلفى وحسن مآب﴾، إذاً فعلينا التدبر في هذه الآيات:

... ﴿نعم العبد إنه أواب﴾ كثير الرجوع إلى الله، ومن ذلك ﴿إذ عُرِض عليه بالعشي﴾ عصراً ﴿الصافنات﴾ الخيل الصافنة التي تصفن قدميها عند السكون بكل إستقامة ووقار ﴿الجياد﴾ شديد الجري وسريعه إذا جرى وعدا، فإذا عرض عليه هذه الخيل الجيدة وهي من عطيات ربه ليركبها هو وجنوده في مقاتلة الأعداء، ابتهج من رؤيتها

ابتهاجة، وإذ ذاك قال: ﴿إني أحببت حب الخير﴾ حب الخيل الجياد، لا عن شهوة مالٍ أو جمال، لا عن كبرياء ودلال، ولا عن حب شهرة ونوال ... كلّا، وإنما هو عن ذكر ربي، حبٌّ ناشيءٌ عن ذكر ربي، لا معرضٌ عن ذكره ﴿إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي﴾ [ص. ٣٢].

أجل، وإنه أوّاب، كثير الرجوع إلى ربه، لا تشغله شواغل الخيل الجياد ولا غيرها من جمال الحياة الدنيا عن ذكر ربه، بل وإنما يحبّه إذ يحبه عن أمر ربه، ويذكر فيه ربه، فلا يختص ذكره لربه بصلاته وصيامه وقعوده وقيامه في عبادة ربه، بل ويذكره فيما هو رمزٌ للغفلة، فلا يبطر في نعمته ولا يعشوا عن ذكر ربه، وهذه السنة الجيدة في ذكر الله هي سنة الدوابين كما يصف الله عبده سليمان إنه أواب، ثم يذكر من أوبته إلى ربه ذكرى عرض الصافنات الجياد عليه بالعشي ...

فمن قال للجمعة الرسولية أن هذا الذكر عُنِيَ به الصلاة؟ ثم مَن وسوس لهم أن الصافنات الجياد شغلته عنها فابتلي بترك فريضة الصلاة، فتعساً لقوم يفترون، فبأيٍّ حديثٍ بعد الله وآياته يؤمنون، فما لهم كيف يفسرون!!

الأسقف: ... ﴿حتى توارت بالحجاب﴾ شاهد صدق على أن ذكر الرب هنا إنما هي الصلاة حيث أخّرها عن وقت العصر حتى توارت الشمس بالحجاب ...

المناظر: توارت الخيل، لا الشمس، حَيث لم يسبق لها ذكر لكي تختص بالضمير، إنما المذكور قبله هي الخيل، ثم إذا كانت هي الشمس فمن هو المسؤول في ردها إلا الله؟

فكيف يقول: ﴿ردوها عليّ﴾ بصيغة الجمع؟ ثم هل للشمس المردودة سوق وأعناق، حيث طفق سليمان إذ ذاك مسحاً بالسوق والأعناق؟: ﴿ردوها علي فطفق مسحاً بالسوق والأعناق﴾، ثم ما هي نتيجة ردها؟ هل ليصلي فريضة العصر أداءً رغم أنه لا يستطيع ذلك بعد مغيب الشمس لمرة ولو طلعت بعدها مرات، فلا فرق

بين ردها في يومه و بين طلوعها على سنتها لغده، فليقض ما فاتته من الفريضة ليومه أو غده؟.

ثم إذا كانت الخيل هي التي أنسته ذكر ربه فلماذا يستردها بعد أن توارت في الحجاب، فهل يستردها ويزيد في حبّها مَسحاً بالسوق والأعناق لكي تزيده نسياناً عن ذكر ربه؟ إذ ذاك فهل تسمَّى هذه الغفلات التي كانت تترى أوبَةً إلى ربه لكي يتسمى باسم الأواب، أم ازدياداً في البعد والغفلة عنه! فأحرى به أن يسمى عبداً شارداً في تباب! وهل إن إله سليمان أيضاً كمثله ساهٍ لحد يعتبر تغافل عبده عنه على عمدٍ أوبةً إليه فيرضى عنه، إذ يبدأ القصة بذكرى خلوصه في العبودية والأوبة قائلًا: ﴿و وهبنا لداود سليمان نِعْمَ العبد إنه أواب﴾.

فما للجمعية الرسولية تعتبر النور ظلمة والذكر غفلة والمدح ذماً، فما لهم كيف يحكمون؟! فهذا سليمان القرآن يذكر من كثرة أوبته إلى ربّه أنه إذا يحب الصافنات الجياد، لا يحبها إلا عن أمر ربه وذكره، وإذا توارت في الحجاب يأمر بردها عليه فيمسح سوقها وأعناقها تكريماً لنعمة ربه وشكرا ﴿إنّه أواب﴾ ولقد كان يكرر القو: ﴿إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي﴾ يكرره ﴿حتى توارت (الخيل) بالحجاب﴾، فأراد سليمان أن يأنس بهذا الذكر والشكر، ولذلك يأمر بردها عليه، ولكي يستديم في ذكراه ﴿فطفق مسحاً بالسوق والأعناق﴾ ليجمع العمل إلى القول في ذكر الله وشكره على نعمته ... ﴿إنه أواب﴾.

ولو كانت المتوارية في الحجاب هي الشمس لاستلزام ذلك أنه أخذ يكرر هذه المقالة ولم يصلِّ حتّى غابت الشمس وهذا تناقضٌ! حيث جمع فيه بين غفلته عن الصلاة طيلة المدة، وأنه كان يكرر أني غفلت عنها إلى أن غابت الشمس ... ﴿إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب﴾ [ص: ٣٢].

فهذه الفرية الممقوتة لا تناسب وساحة سليمان ولا سيما مع هذه النكات التي تجعل آيها صريحة في أنها تصف سليمان بكلّ خير.

الطلاب الكتابيون: شكراً يا أستاذ وألف شكر، ولقد كدنا نخرق تلكم الوريقات المفترية على نبي الله سليمان من تورات موسى، وإننا لنرى أنبياء الله مظلومين في هذه الإختلافات الزور الدخيلة في كتابات الوحي، وإذاً فلا مُنجيَ للبشرية إلا القرآن الكريم، أجل ليس إلا، ورجاء أن توضح لنا القصد من فتنة سليمان حيث ألقى على كريسه جسداً ثم أناب؟

الجسد الملقى على كرسي سليمان:

المناظر: إن الجمعية الرسولية تهوى أن تفسر الفتنة هذه بأن سليمان إبتلي في بيته بعبادة الأصنام، وأنه وقع في الخطيئة، رغم أنه لا شاهد هناك ولا تلميح، فلا الإبتلاء تلمح إلى الخطيئة، ولا الجسد الذي ألقاه ربه على كرسيه وثنٌ.

أنواع البلايا في مختلف الظروف:

حيث الإبتلاءات تختلف حسب اختلاف المبتلَين: فمنها ما تتَّجه إلى الإنسان جزاءً بما عمل من سوء كأصحاب الجحيم وكالمفسدين الضالين حيث يُبتلون بأنواع العذاب في الدنيا.

ثم منها ما يُبتلى بهاد عباد الله الصالحون ولكي يزدادوا إيماناً وقرباً إلى ربهم، فإن أفضل الأعمال أحمزها وكما: ﴿ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين﴾ [بقره، ١٢٤]، كذلك يبتلي عبده سليمان فيسأله بعد نجاحه: ﴿هب لي ملكاً لا ينبغي لأحدٍ من بعدي إنك أنت الوهاب﴾، فيجيبه ربه قائلًا: ﴿فسخَّرنا له الريح تجري بأمره رخاءً حيث أصاب * والشياطين كلَّ بنّاءٍ وغوّاص * وآخرين مقرنين في الأصفاد * هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب * وإنّ له عندنا لَزُلفى وحُسنَ مآب﴾ [ص، ٣٥-٤٠].

فهل جزاءً غير وفاق أنه عبد الجسد كما تفترون، ولذلك وهبه الله ملكاً لا ينبغي لأحد ... وأن له عنده لزلفى وحسن مآب!؟

ثم إن كان هذا الجسد الملقى صنماً فإن سليمان أناب إلى ربه إذ أُلقي، لا أن عبده من دون الله اعتباراً أنه صنم ـ وحاشاه ـ ولا أنه اعتمد عليه ورغب إليه لو كان مالًا أو جسد محبوب له من ولده أو امرأته ... ولقد روي في قصة الجسد روايات أكثرها إسرائيليات لا تناسب وساحة سليمانعليه السلام في نظر القرآن إلا شذراً منها قليلًا كما يُروى: أنه ولد له ولد فقالت الشياطين إن عاش صار مسلطاً علينا مثل أبيه فسبيلنا أن نقتله فعلم سليمان ذلك فكان يربِّيه في السحاب، فبينما هو مشتغل بمهماته إذ ألقي ذلك الولد ميتاً على كرسيِّه فتنبه ... فاستغفر وأناب، ولكناه لا تناسب سلطة سليمان على الشياطين.

وكما يروى أن سليمان قال: لأطوفن الليلة على سبعين امرأة كل واحدة تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله ولم يقل إن شاء الله، فطاف عليهن فلم تحمل إذا امرأة واحدة جاءت بشق رجلٍ فجيء به على كرسيه فوضع في حجره.

فلنفرض أنه ابتلاه ربه أن أمات ولده ومأموله المرغوب، الذي لم يكن يرغب إليه إلا في سبيل ربه، ابتلاه كذلك لأنه لم يقل إن شاء الله، وليس ترك ذكر المشيئة محرماً من المحرّمات إلا أن حسنات الأبرار سيئات المقربين، حيث الأبرار إذا رغبوا إلى أولادهم لكي يجاهدوا في سبيل الله تعتبر هذه الرغبة لهم حسنة، ولكنها سيئة في ساحة المقربين، إذا لم يذكروا فيها إن شاء الله، فلما رأى ذلك الجسد لم يبدأ بشيءٍ إلا الإنابة إلى ربه في نسيانه ذكر المشيئة، دون أن يندب على مهجة قلبه وثمرة فؤاده، فقال: ﴿رب اغفر لي﴾ ...

وَطَلَبُ الغفر لا يلمح إلى العصيان إلا بشهادة قرينة تدل عليه، فمِن غَفْرٍ عن إثمٍ سالفٍ، و مِن غَفرٍ يراد به الدفع عما يلحق الإنسان من عصيان مستقبل، وهو طلب التسديد من الله كما هو شأن الأولياء المعصومين، ومِن غَفرٍ عن المكروه في ساحة

النبوة غابراً أم في المستقبل، وقرينة الزلفى وحسن المآب لسيمان من ربه شاهدة صدق أنه لم يستغفر ربه عن عصيان غابر، ثم استيهابه من ربه ملكاً لا ينبغي لأحد يلمح إلى أن الجسد كان جسد من يرجو سليمان أن يرثه ملكه، فلما ابتلي بموته استبدل به ما هو خير منه وهو ملكه الذي لا ينبغي لأحدٍ من بعده.

إذاً فما هي الآية التي تدل على اشتغال سليمان بالأمور الدنيوية التي ألهته عن عبادة الله، وما هي التي تلمح أنه عبد الأصنام، فما لكم كيف تحكمون!؟

* * *

أيوب (ع)

أيوب التوراة:

الدكتور بوست: إن الكتب المقدسة تصف أيوب بكمال العبودية والإيمان وأنه تحمّل ألوان البلايا والرزايا صابراً محتسباً عند الله (حزقيال ١٤: ١٤ و ٢٠)، وليس كمثله أحدٌ في كمال الإستقامة والتقوى (أيوب ١: ٨ و ٢: ٣ و ٣٨: ١ و ٤٠: ١ و ٦ و ٤٢: ٧) ...

الطلاب الكتابيون: بخ بخ! إن هذه طليعة الأنوار القادسة في الكتب المقدسة أن تصف نبيّاً هكذا!

المناظر: لا فحسب، فإننا نرى ما يناقض تلكم الأوصاف الجميلة بالنسبة لهذا النبي الصابر الكريم في العهد العتيق وكما ينظمه بوست: أنه أخذ يشكو ربه على رؤوس الأشهاد ويهتك ساحة قدسه:

... «رب! لماذا تنازعني؟ هل يجوز أن تظلمني وقد تعلم أنني لست بشرير (أيوب ١٠: ١ و ٢ و ٧) قد مللت من الحياة، فلماذا لا تدعني أسلم ... والأحسن بكم استعراض نص الآيات كما يلي: «قد كَرِهَتْ نفسي حياتي، أسيّب شكواي، أتكلم في مرارة نفسي قائلًا للّه: لا تستذنبي. فهِّمني لماذا تخاصمني، أَحَسَنٌ عندك أن تظلم. أن

ترذل عمل يديك وتشرف على مشورة الأسرار؟ ألك عينا بشر أم كنظر الإنسان تنظر، أيامك كأيام الإنسان أم سنوك كأيام الرجل. حتى تبحث عن إثمي وتفتش على خطيئتي. في علمك إني لست مذنباً ولا مَنْقَذَ من يدك ... إن أرتفع تصطادني كأسد ثم تعود وتتجبر علي. تُجدد شهودك تجاهي وتزيد غضبك علي. نوبٌ وجيش ضدي ... فلماذا أخرجتني من الرحم. كنت قد أسلمت الروح ولم ترني عينٌ. فكنت كأني لم أكن فأقاد إلى القبر. أليست أيامي قليلة، أترك، كفَّ عني فأبتلج قليلًا قبل أن أذهب ولا أعود ... (أيوب ١٠: ١ـ ١٨) ...

«أشكو بمرارة نفسي، أبَحرٌ أنا أم تنين حتى جعلت علي حارساً. أنت قلت فراشي يعزيني. مضجعي ينزع كربتي. تريعني بالأحلام وتُرهبني بردي فاختارت نفسي الخنق الموت على عظامي هذه. قد ذُبتُ لا إلى الأبد أحيا. كُفَّ عني لأن أيامي نفخة. ما هو الإنسان حتى تعتبره وتضع عليه قلبك. وتتعهده كل صباح وكل لحظة تمتحنه. حتى متى لا تلتفت عني ولا تُرخيني ريثما أبلع ريقي. أأخطأت، ماذا أفعل لكَ يا رقيب الناس، لماذا جعلتني عاثوراً لنفسك حتى أكون على نفسي حِملاً، ولماذا لا تغفر ذنبي ولا تُزيل إثمي لأني الآن أضطجع في التراب. تطلبني فلا أكون» (أيوب ٧: ١١ـ ٢١).

«... فاعلموا أن الله قد عوجني ولفَّ علي أحبولته. ها إني أصرخ ظلماً فلا أستجاب. أدعو و ليس حَكَم. قد حوط طريقي فلا أعبر. وعلى سبلي جعل ظلاماً. أزالَ عني كرامتي ونزع تاج رأسي. هدمني من كل جهة فذهبتُ وقلع مثل شجرة رجائي. وأضرم علي غضبه وحسبني كأعداء معاً جاءت غزاته وأعدوا علي طريقهم وحلوا حول خيمتي. قد أبعد عني إخوتي. ومعارفي زاغوا عني. أقاربي قد خذلوني والذين عرفوني نسوني. نزلاء بيتي وإمائي يحسبونني أجنبياً. صرتُ في أعينهم غريباً. عبدي دعوت فلم يجب. بفمي تضرعت إليه. نكهتي مكروهة عند امرأتي وخممت عند أبناء أحشائي. الأولاد أيضاً رذلوني. إذا قمت يتكلمون علي. كرهني

كل رجالي والذين أحبهم انقلبوا علي. عظمي قد لصق بجلدي ولحمي ونجوت بجلد أسناني. ترأفوا ترأفوا أنتم علي يا أصحابي! لأن يد الله قد مستني. لماذا تطاردونني كما الله. ولا تشبعون من لحمي ليت كلماتي الآن تكتب. يا ليتها رسمت في سفرٍ. ونقرت إلى الأبد في الصخر بقلم حديد وبرصاص» ... [١٩: ٦ـ ٢٤].

«... من يعطيني أجده فآتي إلى كرسيّه. أحسن الدعوى أمامه وأملأ فمي حججاً فأعرف الأقوال التي يجيبني وأفهم ما يقوله لي ... هأنذا أذهب شرقاً فليس هو هناك وغرباً فلا أشعر به شمالًا حيث عمله، فلا أنظره يتعطف الجنوب فلا أراه» (٢٣: ٣ـ ٨).

«... حيّ هو الله الذي نزع حقي والقدير الذي أمرَّ نفسي» (٢٧: ٢)!

... هذا ـ ومع الأسى ـ أيوبٌ في الكتب المقدسة يناقض في هذه التصاريح العارمة الغاشمة ما صرح به ربه، وكما يقول: «فقال الرب للشيطان هل جعلت قلبك على عبدي أيوب، لأنه ليس مثله في الأرض رجل كامل ومستقيم يتقي الله ويحيد عن الشر» (أيوب ١: ٨)، «وإلى الآن هو متمسك بكماله وقد هيجتني عليه لأبتلعه بلا سبب» (أيوب ٢: ٣) ...

فرغم ذاك وذياك أخذ أيوب التوراة يكذب ربه قولياً وعملياً، ثم وقد يصدقه ربه في أقواله قائلًا: «قد احتمى غضبي عليك (اليفار التيماني) وعلى كلا صاحبيك لأنكم لم تقولوا فيَّ الصواب كعبدي أيوب» (أيوب ٤٢: ٧).

فيا ويلاه من إله التوراة وأيوبه كيف تناسبان في الظلم والزور؟ ويا وثاه من أيوبها كيف يخاطب ربه فينسب إليه الظلم ويدعي لنفسه أنه ليس بشرير فلا يستحق العقاب وقد يقر بالشر ويستغفره من ذنبه ثم يحاكمه إلى عبيده ويستنصرهم عليه، إلا أنه مهما يفحص عنه لا يجده لكي يتحاكم عليه و ... فأنشدكم بالله هل هذه من آيات الوحي بما فيها من أقاويل خارجة عن أدب العبودية لحدٍ يأبى عنه السذَّج الأرذلون فضلًا عن المرسلين الصالحين.

الطلاب الكتابيون: أجل، ومع منآت الأسى ألا تأتي الكتب المقدسة لأنبياء الله المقدسين إلا بكل رذيلة وبُوسى، وإذ ذاك نرجوكم استعراض بينة أيوب في نظرية القرآن و لكم الشكر.

أيوب في نظر القرآن:

المناظر: أجل، وإنه في نظر القرآن موصوف بأعلى مدارج الصبر واليقين وكما يقول:

﴿واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أني مسَّني الشيطان بنُصُبٍ وعذاب ۞ أركض برجلك هذا مغتسل باردٌ وشراب ۞ ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمةً منا وذكرى لأولي الألباب ۞ وخذ بيدك ضغثاً فاضرب به ولا تحث إنا وجدناه صابراً نعم العبد إنه أواب﴾ [ص. ٤١- ٤٤].

﴿وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين. فاسجتبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين﴾ [أنبياء، ٨٣- ٨٤].

... هذه نماذج من تصاريح الذكر الحكيم ـ الجميلة الموجزة ـ بالنسبة لنبي الله أيوب، حيث تذود عن ساحته وكرامته تلكم الأباطيل والأضغاث الأحلام، الجاهلة الإبليسية، فلا تصفه في بلواه إلا بالصبر الجميل فالأجر الجزيل بما صبر واتّقى.

هذا الذي طمع فيه إبليس بخيله ورجله، بنُصُبه وعذابه أن يصدَّه عن عبادة ربه، فعمل في ذلك واعتمل ولم يرجع عنه إلا خاسئاً وهو حسير.

أجل، وليكن أيوبُ قبَساً وهَّاجاً في الإيمان، ومَثَلًا عالياً وحيداً في الصبر واليقين، حيث ينكص إبليس على أعقابه ويجمّع شياطينه المردة، ويوحي إليهم أن الله لا يسدهم عن أية أذىً يريدونها بأيوب، فقالوا نجرِّده عن أهله وماله وصحة حاله ليعود مجرداً عن إيمانه أيضاً.

يريد الشيطان ويريد الله ﴿والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لايعلمون﴾ [يوسف: ٢١].

يريد الشيطان ليضطر عبد الله أيوب إلى خرق ثوب الصبر إذا تهدمت عليه أركان حياته، في ماله ودوره وأولاده وفي حاله، ويريد الله أن يجعل من أيوب عبداً مؤمناً صبوراً شكوراً تكون قصته لأولي الألباب والعابدين، وعبرةً للمصابين، وعزاءً للمكروبين، وسلوى للمرضى والمجروحين، وليكون أيوب المعلم الأول للصبر والمثل العالي في الإيمان.

مرت الأيام وتحدرت الأعوام، وأيوب لا يزال على شكاته حتى هزل جسمه، وذهب لحمه، وأصبح منقوف الوجه شاحب اللون، لا يقر على فراشه من الألم ...

فر عنه الصديق، وجانبه الرفيق، ورغبت عنه شيعته ومَن حوله إلا زوجة الرؤوف العطوف، فإنها تحننت عليه ما وسع قلبها الحنان، وعنيت به ما استطاعت إليه سبيلًا، رفَّت عليه بجناحيها، وبسطت له أكناف قلبها، وما شكت إلا هموماً تُساورها من آلامه، ومخارف تحذرها على حياته، ولكنها ظلت أيام مرضه حامدة راضية، مؤمنة محتسبة.

... ولقد أعيى أمر أيوب عبد الله إبليس عدو الله، ولم يجد سبيلاً إليه إلا مِن قبل امرأته، فانطلق إليها وهي في بعض شأنها مع أيوب فتمثل لها رجلا وقال: أين زوجك؟ قالت: هو ذا عميداً وقيذاً، يتضور من الحمى ويتقلب مما ألح عليه من الداء لا من الأموات ولا الأحياء ...

إذ ذاك طمع في إغوائها فإخذ يذكرها بما كان لزوجها في صدر شبابه وغضاضة إهابه من صحة وعافية ونعمة صافية، فأعادت لها الذكرى الأشجان وأثارت لديها كوامن الأحزان ثم أخذ يدركها الضجر وينساب إلى قلبها اليأس ... فذهبت إلى أيوب وقالت:

حتى متى يعذبك ربك! أين الجمال! أين الحال والعيال! أين شبابك الذاهب! أين عزُّك القديم!؟

فأجابها قائلًا: قد سوَّل لكِ الشيطان أمراً، أتراك تبكينَ على عزٍّ فات وولد مات!

فقالت: هلّا دعوت الله أن يكشف عنك حزنك ويزيح بلواك!

قال: كم مكثتُ في الرخاء؟ قالت: ثمانين، قال: وكم في البلاء؟ قالت: سبع سنين.

قال: أستحي أن أطلب من ربي كشف بلائي وما قضيت فيه مدة رخائي!

ولكن يخيَّل لي أنه قد بدأ يضعف إيمانك ويضيق بقضاء الله قلبك، ولئن برئتُ وأتتني القوة لأضربنَّك مائة سوط، وحرامٌ عليَّ بعد اليوم أن آكل من يديك طعاماً أو أشرب شراباً أو أكلِّفك أمراً، فاعزبي عني حتى يقضي الله أمراً كان مفعولًا.

أصبح أيوب وحيداً فريداً وقد اشتدت الآمه وتضاعفت أسقامه، ففزع إلى الله لا متسخطاً ولا متبرماً، بل داعياً متحنناً، فـ ﴿نادى ربّه أني مسّني الشيطان بنُصُب وعذاب﴾ [ص، ٤١]، ﴿أنّي مسني الضر وأنت أرحم الراحمين﴾ [أنبياء، ٨٣].

شكا إلى ربه الرحيم من الشيطان الرجيم، دون أن يسأله كشف ضرّه، وإنما قرن هذه الشكوى بأنه أرحم الراحمين، فإن رأيتَ فأرحم عبدك وإلا فأنا من الصابرين، لا ساخطاً عليك في بلواك ولا مصرٍ متبرم في شكاتي اليك.

فاستجاب له ربّه وأعلن رضاه عنه بعد ما أجابه: ﴿إنا وجدناه صابراً نعم العبد إنه أواب﴾ [ص، ٤٤].

أجل، وإلى هذه الساعة كان أيوب قد بلغ غاية الإيمان وصمد لوسوسة الشيطان وادَّرع بصبر الأركان، واحتمل هموماً تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً ... فبلغ ما أراد الله ونكص إبليس على عقبيه ..

فاستجاب دعاءه وأصاخ لشكواه وأوحى اليه: ﴿اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب * ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لأولي الألباب﴾ [ص، ٤٢- ٤٣].

... فما شرب واغتسل حتى اندملت قروحه وبرئت جروحه وصح جسمه وصلح بدنه ونسل عنه المرض وعاد كأحسن ما كان.

ولقد كانت زوجته قد رق قلبها له وحَدِبت عليه ولم تطاوعها نفسها الكريمة أن تتركه و شأنه، وقد لزمته من أول بلائه فرجعت إليه كعادتها تعاود إصلاح شأنه والقيام بأمره فرأت عجباً، رأت شاباً مكتمل الشباب، غض الإهاب، مكتنز اللحم، وافر المُنة والقوة، فحمدت الله على ما رد إليه من عافية ...

إذ ذاك وقد عادت اليه لتعاوده على عادتها، فهل يتركها ويستبدل بها غيرها بعد أن يطبّق يمينه عليها أن يضربها مائة جلدة كما عهد من ذي قبل؟ ما هكذا الظن به، من رحمته وحنانه، فهب أنه استدام معها فماذا يصنع بما أقسم عليها؟

يصنع ما دلّه اليه ربّه أن جمع له بين ألا يحنث في يمينه وألا يوجعها، قائلًا:

﴿وخذ بيدك ضغثاً فاضرب به ولا تحنث إنا وجدنا صابراً نعم العبد إنه أواب﴾ [ص. ٤٤].

خذُ حزمة من القش تشتمل على مائة باقة، واضرب بها زوجك ضرباً خفيفاً رفيقاً، رخصةً في يمينك، ورحمةً بهذه المخلصة المؤمنة التي احتملتك في مرضك، وشاركتك في آلامك...

... فيا أيها الروحيون الكتابيون هكذا أيوب النبي في نظر القرآن كأفضل ما يمكنأعلى ما يتصور، تمثيلا للصبر والإيمان والله هو المستعان على ما تصفون، وماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون!؟!

... ربي ـ الأسقف ـ الطلاب: أستاذ! لقد طال بنا البحث في إستعراض بيئات الأنبياء في نظر العهدين والقرآن وإن كان نعم البحث ذوداً عن كرامتهم وإكباراً من شأنهم، إلا أن البغية الهامة في هذه المناظرات متّجهة إلى المسيح ومحمد ... ولكي نقارن منزلتهما في الكتب الثلاثة، رجاءً رجاءً.

المناظر: أجل، وختاماً لاستعراض حالات الأنبياء إليكم نموذجاً منها على إجمال في نظر العهدين:

عجائب حالات أنبياء العهدين

١ ـ ... **لا يأتي العهد القديم بذكرى دعوات الأنبياء ودعاياتهم،** أنها لفرض نشر التوحيد وحقيقة الإيمان وأدب الشريعة وإصلاحها إلا شذراً، وهامة الذكريات في أحوال الأنبياء قبل موسى إنما هي بعض الأحوال الخاصة بأشخاصٍ في حياتهم، وفيها و مع الأسى ـ ذكرى الكثير مما ينال من كرامتهم ويمسُّ من ساحتهم، وتسجيل الفضائح على عائلاتهم والجرأة على الله وعظمته، كما مضى شطرٌ من ذلك وطوينا عن الكثير منها في طيات الكتاب حيث يضيق الصدر ويزيغ، وإن كنا نقرنها ونقارنها بذكرياتهم الحسنة والذائدة عنهم من آي الذكر الحكيم.

فلا تذكر لنوح ولا لإبراهيم ولا لغيرهما من النبيين دعوة إلى التوحيد والصلاح ولا نهياً عن عبادة الأوثان ... إلا أن موسى علّم بني إسرائيل التوحيد دون أن يدعو غيرهم، كأن شريعة التوراة تخص بني إسرائيل!

وكذا المسيح، حيث إن تصاريح العهد الجديد تنبيء عن اختصاص رسالته ببني إسرائيل فحسب: «... إنني لم أرسل إلا إلى خراف إسرائيل الضالة» (متى ١٥: ٢٤).

«لذلك يرسل تلاميذه للدعوة ويوصيهم ألا يذهبوا في طريق أمم ولا يدخلوا مدينة للسامريين بل يذهبوا إلى خراف إسرائيل الضالة» (متى ١٠: ٥ـ ٦).

هذا وإن كانت كأنه اختلفت دعوته بعد صَلبه حيث يقول خلاف مقالته السالفة «إذهبوا وتلمذوا جميع الأمم» (متى ٢٨: ١٩).

... ولو اختصت دعوة موسى والمسيح ﷺ بخراف إسرائيل الضالة فماذا تصنع سائر الأمم؟ ولماذا يعم المبشرون دعواتهم كل الأمم؟

٢- حالة تلقي الوحي:

تذكر الكتب المقدسة بكل صراحة أن: بناية الوحي قائمة تخلي النبي وتعرِّيه عن ثيابه و انطراحه عرياناً (١ صم ١٩: ٢٠- ٢٤).

وأنَّ ضرب العَود يوجب حلول يد الله على النبي وإعلان الوحي له. لذلك يطلب النبي عند تطلُّب الوحي عوداً وعواداً (٢ مل ٣: ١١- ١٩) (١ صم ١٠: ٥- ١١).

... كأن الله لا يوحي إلا بضرب العود والرقص عنده لكي ينشط أو يرقص هو أيضاً فيوحي!

لا فحسب: بل وقد تعتبر الجنون نبوَّةً كما في الأصل العبراني:

ويهى مما حارات وتصلح روح إليهم راعاه آل شاول ويتنبأ بتوك. هبِّيت (١ صم ١٨: ١٠).

أي: وكان من الغد واقتحم روح الإله الردي على شاول فتنبأ في وسط البيت.

وقد ترجمت التراجم قوله: ويتنبأ، بقولها: وجُنَّ.

... وحق لإله التواة بعد اشتراط وحيه بالدف والرقص أن يوحي روحاً شريراً على نبيّه شاؤل فيصير مجنوناً مغلوباً على عقله ـ على حدِّ إلهه ـ وحاشاه!.

٣- حالة التبليغ:

إله التوراة يأمر نبيَّه أشعياء أن يمشي عرياناً وحافياً بين الناس ثلاث سنين ليبلغ الناس ويقول لهم: هذا ملك أشور سبي مصر وجلاء كورش الفتيان والشيوخ عراة وحفاة، و مكثوا في الأستاه خزياً لمصر (١ ش ٢٠: ١- ٤).

ويأمر نبيه أرميا أن يصنع له ربطاً وأنياراً ويجعلهما على عنقه كما يجعل نير الفدان على أعناق البقر ليبلّغ الناس ويقول: أدخلوا أعناقكم تحت نير ملك بابل (أرميا ٢٧).

ويأمر نبيه حزقيال أن يأكل كعكاً من خبز الشعير الذي يخبزه أمام عيون بني إسرائيل على الخرء الذي يخرج من الإنسان ليبلغ ويقول: هكذا يأكل بنو إسرائيل خبزهم النجس بين الأمم الذين أطردهم إليهم، فيتضرع إليه حزقيال ويستقيله عن أمره: أنني لم آكل منذ الطفولة حتى الآن الأشياء النجسة، فأمره أن يأكل بدل خرءِ الإنسان خرء البقر (حز ٤: ١٢- ١٦).

ويأمر أيضاً أن يحلق رأسه ولحيته ويقسم الشعر أثلاثاً، يحرق ثلثاً ويضرب بالسيف حوالي ثلث ويذري الثالث إلى الريح ليبلغ ويقول: إن ثلث أهل أورشليم يموتون بالوباء والجوع، وثلث يسقط بالسيف، وثلث يذريه في كل ريح ويستلُّ سيفاً وراءهم (حز ٥:١- ٥).

ويأمره ثالثاً أن يأخذ من نفسه شهوة عينيه وهي زوجته وأن لا ينوح ولا يبكي ولا يعمل مناحة، ويلف عصابته ويجعل نعليه في رجليه، ولا يغطي شاربه ولا يأكل من خبز الناس، ليبلغ بني إسرائيل أنه هكذا يقع بهم (حز ٢٤: ١٥- ١٨).

ويأمر نبيه هوشع أن يأخذ لنفسه امرأة زنا وأولاد زنا ليعلل بذلك أن الأرض زنت تاركة للرب ولِعِظَةِ بني إسرائيل بأسماء الذين ولدتهم له تلك المرأة وذكر زناها (هوشع ١: ٢).

ويأمره أيضاً أن: إذهب حبِّب امرأة حبيبة صاحب وزانية كمحبة الرب لبني‌إسرائيل وهم متجهون إلى آلهة أخرى ومحبون لأقراص الزبيب، فيشتري هوشع المرأة الزانية بخمسة عشر شاقل فضة وبحومر ولثك شعير ويقول لها: تقعدين أياماً كثيرة لا تزني ولا تكوني لرجل وانا كذلك، لأن بني اسرائيل سيقعدون أياماً كثيرة بلا ملك ولا رئيس ولا ذبيحة (هوشع ٣: ١- ٤).

... فويلا التوراة كيف تنسب إلى أنبيائها ما يجل عنه حتى الأراذل ويأباه كل شرير وقِح سرسريّ، أنّ:

من شروط نزول الوحي على أنبياء التوراة تعريهم عما يسترهم بكل خلاعة ووقاحة، و ضرب العود والرقص أمام الرب، لعله ولكي يطرب الرب ويأخذ نشاطه فيوحي إليهم، ماذا يوحي؟ يوحي روح الجنون والدعارة!.

وإذا أخذه الطرب والنعشة الإلهية يأمر أشعيا النبي ليمشي هكذا عارياً ثلاث سنين بين الناس، ونبيه الآخر ارميا أن يجعل الربط والأنيار على عنقه، ثم حزقيال أن يأكل الغائط مع خبز الشعير أو خرء البقر بدله، وأن يحلق رأسه ولحيته تماماً ثم هوشع ليأخذ امرأة زنا وأولاد زنا، أي يزني لكي يولد له أولاد من زنا، وأن يحب الزانية، كل ذلك ليبلغوا الناس أنكم هكذا يفعل بكم أو أنتم فاعلون.

فهل إن هؤلاء الأنبياء كانوا خُرساً لا يتكلمون لكي يخبروا عن حادثة نكراء أو ينهوا عنها بلسان العمل، أنهياً عن المنكر بارتكابه، ودعوة إلى الخير بتركه؟ فاقض ما أنت قاض!

الطلاب الكتابيون: هاه من هذه الأضغاث الأحلام وخرافات الأوهام، وي كأن كُتّاب التوراة كانوا من ألد الأعداء للّهولأنبيائه حتى جاؤوا بهذه الإفتراءات الفتاكة! فما لهم كيف يحكمون، فويل لهم بما كسبت أيديهم وويل لهم مما يكتبون!.

الجمعية الرسولية: وهكذا نجد القرآن قد يأتي بذكريات تاريخية يأبى عنها العقل وتمسّ من كرامة بعض النبيين!.

المناظر والطلاب: كلّا وحاشاه، فان القرآن هو الذائد الأول والأخير والمهيمن النحرير، يذود عن ساحة رجالات الوحي ما تدنسهم به كتابات العهدين، كما بهر قبس من أنواره وازدهر شذر من أزهاره طيلة المقارنات الرسولية حتى الآن.

وي كأنكم بصفة الجمعية الرسولية، أجمعتم على الكذب والافتراء، أو أرسلتم للإفساد رغم مناظراتنا العاقلة المتحررة عن التقاليد الجاهلة العمياء، وي كأن الله لا يهدي القوم الظالمين!.

الطلاب الكتابيون: رجاء استعراض الاستاذ للنماذج الهامة التي نسجتها الجمعية الرسولية، وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون!:

المناظر: اجل وليقضَ على جذور الإفتراءات الخائنة على آيات الله البينات، فإننا أبناء الدليل مهما طال بنا الكلام والنقض والإبرام، فلا تقوم عقائدنا إلا على البراهين الشامخة والحجج الدامغة، فاليكم دمدمات من الجمعية الرسولية حول أنبياء القرآن، ما شذ عنه القلم في المقارنات الرسولية:

﴿يشرك بالله قد ضلَّ ضلالًا بعيداً﴾ [٤: ١١٦].

فالنصرانية منذ القرن الثالث حتى الآن تقلّد قوماً مثلثين[1] ضلّوا من قبل وأضلوا كثيراً، وهم الثلث الثالوثيون مع مجلس نيقية، وعلى رأسهم أثناسيون، وهؤلاء أيضاً يضاهئون في خرافة الثالوث: قول الذين كفروا من قبل، وهم مَن ذكرناهم من الوثنيين الأقدمين المثلثين، إذاً فالمسيحية اليوم ليست إلّا تقليداً في تقليد أعمى، مِن الأقدمين مَن قبلهم، وهاتان الآيتان تشيران إلى كلا التقليدان وتزيّفان موقف المقلدين!.

﴿... ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم﴾ [٤: ١٧١].

﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بن إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرَّم الله عليه الجنة ومأواه النارما للظالمين من أنصار. لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله الّا إله واحد وإن لم ينتهوا عمّا يقولون ليمسّنَّ الذين كفروا منهم عذاب أليم﴾ [٥: ٧٢ـ ٧٣].

﴿و إذ قال الله يا عيسى ابن مريم ءأنت قلت للناس اتخذوني وأُمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس بحق لي إن كنتُ قلتُه فقد علمتَه تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علّام الغيوب. ما قلت لهم الّا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم ..﴾ [٥: ١١٦ـ ١١٧].

---

١. راجع ج ١ ص ٣٣ـ ٣٦ المقارنات ـ تجد تفصيل عمليات مجلس نيقية

فقد يعتبر القرآن الكريم عقيدة الثالوث غلواً في الدين غير الحقّ، واتباعاً للذين ضلُّوا من قبل وأضلّوا كثيراً، وافتراءً على الله وتكذيباً بآياته وظلماً لا يُغفر، وضلالًا بعيداً، فمالكم كيف تحكمون؟.

تصاريح الإنجيل في تزييف الثالوث وألوهية المسيح:

هذا وكما يصرّح الإنجيل أن المسيح عبدالله (في ثمانين موضعاً) وأنه ...

* * *

يوسف(ع)

الجميعية الرسولية: ... يتّهم القرآن على يوسف أنه هم بامرأة العزيز: ﴿ولقد همت به وهمّ بها لولا أنْ رءا بُرهانَ ربّه﴾ وهم بها أي قصد مخالطتها، لولا ان رأى برهان ربّه، جوابه محذوف، تقديره: لولا أنّ رأى برهان ربّه لخالطها... (ص٧٠).

المناظر: ... تالله ما أعذرهم في هكذا تقدير صرفاً للكلام عن نصه، فما هي الحاجة إلى تقدير للجزاء وجزاء الشرط مذكور قبله: ﴿وهمّ بها﴾، فالشرطية الإمتناعية ﴿لولا﴾ تجعل الجزاء: ﴿وهمّ بها﴾ ممتنعاً، وإختصاص الشرطية بيوسف يخصّ إمرأة العزيز بالهمّ السوء ﴿ولقد همت به﴾، وحرف التحقيق ﴿قد﴾ أيضاً يحققه.

وكيف تدنّس ساحة يوسف بأنّ همّ بها، وهمٌّ الفاحشة بالمحصنة ولا سيما في ظرف الأمانة فحشاء وخيانة ما أفحشهما، والله هو الذي صرف عنه السوء والفحشاء ـ همّاً و عملاً ـ حيث رأى برهان ربّه، وهو العصمة والتسديد الإلهي:

﴿ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه كذالك لنصرف عنه السوء والفشاء إنه من عبادنا المخلصين﴾ [يوسف، ٢٤].

ومن ناحية أخرى نعلم أن الأفكار والأعمال الشريرة كلها من تسويلات الشيطان الرجيم إلا أن يده أحقر من أن ينال ساحة المخلصين كما في التصاريح التالية:

﴿إنّ عبادي ليس لك عليهم سليطان إلا من اتبعك من الغاوين﴾ [حجر، ٤٢].

﴿فبعزتك لأغوينهم أجمعين * إلا عبادك منهم المخلصين﴾ [ص، ٨٢- ٨٣].

... وأخيراً لو كان الجزاء هناك مقدراً بعد الشرط ـ لكان حق الكلام ـ «وهمّ بها ولولا أن رأى» ولكي تفصل الواو بين غابرها ومستقبلها ...

فما للجمعية الرسولية لا يزالون يحرفون الكلم من بعد مواضعه ونسوا حظاً مما ذكِّروا به، ولا تزال تطلع على خائنة منهم فذرهم وما يفترون!

كلا إن يوسف القرآن مصروف عنه السوء والفحشاء لأنه من عباد الله المخلَصين ـ وردفه في إرادة السوء بامرأة العزيز ثم استثنائه بالشرطية القاطعة، ذلك لكي يعلم حد البلية التي ابتلي بها يوسف، حيث إن بواعث الشهوة وكوارثها إحتفت به من شتى النواحي فلم يك ينجو بحوله وقوته البشرية فحسب إلا اعتصاماً من الله مشفوعاً باختياره، ليصرف عنه السوء والفحشاء تماماً ـ في الإرادة والعمل ـ ودليلًا آخر على نزاهة ساحته وحتى عن همٍّ السوء: أن قميصه قدَّ من دبرٍ، شاهد صدق على إدباره وفراره عنها بكل قوةاستعجال، أن قُدَّ قميصه بيدٍ خائنة من امرأة العزيز ... ﴿كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه م عبادنا المخلصين﴾!

امرأة العزيز تعمل بكل قواتها وإمكانياتها وتعمل، ليعمل معها يوسف كما تهوى، ولكن هيهات من السوء هيهات من الفحشاء:

﴿و راودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلّقت الأبواب وقالت هيت لك قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواى إنه لا يفعل الظالمون﴾ [يوسف: ٢٣].

أجل، إنها لبست لباس المتصببة العاشقة، فأسدلت السُجُف وغلقت الأبواب ـ أبواب القصر وأبواب العذر ـ غلقتها وفتحت أبواب الدلال وقالت هيت لك!.

ولكن يوسف وإن كان في ريعان الشباب وغضاضة الإهاب، ولكنه ارتضع لبان الحكمة، وترعرع في كنف الرسالة، فقلبه مشغول بربه ليس فيه موضع تستميله المرأة أو تستهويه نزاوات الهوى، إذاً فليس جوابه لدعوتها إلا قوله ﴿معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون﴾ [يوسف: ٢٣].

... ان كنتِ قد غلَّقتِ الأبواب وأسدلت الحجب، فإن ربي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور!

لكنها همّت وهمّت إذا استطارت غضباً، أن رأت عبدها يأبى عليها، فهاج هائجها، فهمت به بطشاً، وراودته عدْواً، حتى قدَت قميصه من دبرٍ فأصبح هذا شاهد صدق على خيانتها وأمانته، أن قال سيدها: ﴿يوسف أعرض عن هذا واستغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين ... إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم﴾ [يوسف، ٢٣]!

شهود براءة يوسف:

فبراءة ساحة يوسف مما يشهد بها القميص المقدود من دبر، ويشهد لها العزيز، ويشهد لها امرأة العزيز بعد تدهور الدهور ﴿الآن حصحص الحقّ أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين﴾ [يوسف، ٥١].

شهدت على نفسها عند الملك ثانية بعد إذ شهدت عند نسوة المدينة: ﴿قالت فذلكن الذي لُمتّنني فيه ولقد راودته عن نفسه فاتعصم ولئن لم يفعل ما امره ليُسجَنَن ليكونن من الصاغرين. قال رب السجن أحب إليَّ مما يدعونني إليه وإلا تصرف عني كيدهن أصبُ إليهن وأكن من الجاهلين. فاستجاب له ربّه فصرف عنه كيدهن إنه هو السميع العليم﴾ [يوسف، ٣٢ ـ ٣٤].

فهذه شهود يوسف ـ الصادقة البينة ـ إلا أن الجمعية الرسولية لا تهدف إلا مس كرامته بالتأويلات البعيدة الباردة الظالمة، والله من وراء القصد.

فأنساه الشيطان ذكر ربه ..:

الأسقف: أجل إلا أن هنالك آية أخرى تنسب إلى يوسف أن الشيطان أنساه ذكر ربه، إذ أخذ يلتمس من صاحبه المسجون ليذكره عند ربه الملك، لذلك جزاه الله أن لبث في السجن بضع سنين: ﴿وقال للذي ظن أنه ناج منهما اذكرني عند ربك فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين﴾ [يوسف، ٤٢].

إذا فالآيتان تتعارضان: آية الإنساء وآية أنه من المخلَصين، اعتباراً أن الشيطان ليس له سبيل وسلطان على مثله: «إلا عبادك منهم المخلَصين»، فلكُم الخيار بين التصلُّب على عصمة يوسف وعدم عصمة القرآن التناقض، أو عدم عصمة يوسف وعصمة القرآن، و إذا لم يك معصوماً عن الشرك بالله والإستعانة بغيره في السجن فكيف يكون معصوماً في سائر النواحي التي هي أدنى من الشرك!

المناظر: ما أراك أيها الأسقف إلا مقتفياً أثر الجمعية الرسولية في نشرك آي الذكر الحكيم نثر الدَّقِل، تفسِّرها بغير تفسيرها وترميها لغير مرماها!

فهل إن يوسف الصدِّيق سُجن بغير التماسة ودعائه: ﴿رب السجن أحب إليَّ مما يدعونني إليه﴾ فراراً عن السجن الروحي: «عصيان ربه» إلى السجن البدني، ولكي يستريح عن كيد النساء؟

إذ ذاك فكيف يلتمس الخلاص من غير ربه؟ وكيف ينُسيه الشيطان ذكر ربه إذا هو في السجن، في بغيته السالفة، ولم يكد ليُنسيه قبل ذاك إذ أحاطت به بواعث العصيان؟

كلا! لقد أخطأت اللفظ والمعنى، فليس مرجع ضمير النسيان في ﴿أنساه﴾ إلا صاحب يوسف، الذي ظن أنه ناج، وليس ذكر ربه، إلا ذكر الملك رب الصاحب السجين!

فإن يوسف قال له: ﴿اذكرني عند ربك ـ الملك ـ فأنسى الشيطان﴾ عن خاطر هذا الناجي أن يذكر ربه حالة يوسف، ولذلك ﴿لبث في السجن بضع سنين﴾، حيث صار منسياً في البلاط، وإليكم شهود صدق لما فسّرناه:

١ـ ﴿فأنساه﴾ تفريع على: ﴿قال للذي﴾ ولو كانت هذه المقالة: ﴿اذكرني عند ربك﴾ نتيجةً لإنساء الشيطان ذكر ربه لكان حق الكلام عكس التفريع: «أنساه الشيطان ذكر ربه فقال للذي ..» حيث الإنساء هكذا ليس نتيجةً لمقالته بل هي ناتجة عن النسيان!

٢- نعلم من ادِّكار صاحبه بعد أمة أنه هو الناسي ذكر ربه لا يوسف الصدّيق: ﴿وقال الذي نجا منهما وادَّكر بعد أمة أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون﴾ [يوسف. ٤٥].

فلو لم يسبق منه نسيان لم يكن لادِّكاره معنىً، فليدَّكر الأسقف أن الناسي هناك لم يكن إلا الناجي، نسي أن يذكِّر الملك مقالة يوسف، ثم ادَّكر بعد أمة.

٣- لنفرض أننا في شك في «مَن أنساه الشيطان» هل هو رسول‌الله يوسف وهو مِن عباده المخلَصين؟ أم هو صاحبه المشرك؟ إذ ذاك ألا تكفي آية الإخلاص شاهدة صدق و تخليصاً لساحة يوسف عن إنساء الشيطان إياه!!

اذكرني عند ربك:

... ثم هذه المقالة من يوسف الصدّيق لم تكن بدافع نسيان ربِّه ولا الإلتجاء والإستغاثة إلى غير الله، وإنما هي مقالة تجب ذكراها ذوداً عن كرامة يوسف، حيث البلاط الفرعوني نسيت أو تناست قصة يوسف وإعتبرت سجنه زعمَ خيانته وخلَّدته لذلك في السجن، وواجب الأنبياء والأولياء أن يذودوا عن كرامتهم كل مامسها بكل إمكانياتهم، اعتباراً أنه ذودٌ عن الحق وإرغام للباطل.

إذاً فلا يحلُّ ليوسف أن يصبر على التهمة في السجن من الطغمة الحاكمة على تناسي البلاط حقه، ووصمهم إياه وصمة الخيانة! بل ويجب عليه تذكريهم بحقه في الظروف المناسبة كما التمس السجنَ من ربه فراراً عن كيد النساء!

فيوسف الصديق يدخل السجن فراراً عن كيد النساء، ويحاول الخروج عنه ذوداً عن كرامته حيث البلاط عكست أمر السجن ضد يوسف، واعتبرت أنها لخيانته! ﴿ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجُنُنَّه حتى حين﴾ [يوسف. ٣٥]، تناسياً للحادثة ... ثم ليعكسوا أمرها ضد الحادثة!. إذ ذاك وهو يعلم ابتلاء الملك بالرؤيا الموحشة ـ بما علمه ربه ـ رؤياً يعجز المعبِّرون عن تأويلها ويعلمها يوسف ﴿وكذلك يجتبيك ربُّك ويُعلِّمك من تأويل الأحاديث ويُتمُّ نعمته عليك﴾ [يوسف. ٦].

وبما أنه أفاد صاحبيه في السجن تأويل رؤياهما، لذاك وذياك فحقٌ له أن يقْتَطِر علمه بتاويل الرؤيا لاجتلاب قلب الملك إليه، وليعظِّم منزلته فيخرجه من السجن مطهراً عما بهتوه به، ومقرّبا عند الملك، ولكي يجعله على خزائن الأرض إنه حفيظ عليم، رجوعاً للحق إلى من يحق له، وليكمل أخيراً آيات أمانته وخيانة امرأة العزيز والبلاط الملكي ...

... فلا يقصد يوسف من ذكرى الملك تخلُّصه عن السجن أياً كان، بل خروجه عن التهمة، عن السجن الروحي الذي لا يزال يفر منه ... فلشتمل دعاءه: رب السجن ...:

خروجه عن التهمة أيضاً كما شملت دخوله في السجن فراراً عن كيد النساء، فإن بلية النساء وتهمته بالخيانة هما على سواءٍ في وجوب الفرار عنهما، فهناك يفر إلى السجن من كيدهن وهنا يفر منه من التهمة ...

وشاهد صدق على أن مقالته ﴿اذكرني عند ربك﴾ لم تكن لمجرّد تخلُّصه عن السجن، ما يردُّ به مقالة الملك ﴿وقال الملك ائتوني به فلما جاءه الرسول قال ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطّعن أيديهنَّ إن ربي بكيدهن عليم * قال ما خطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه قلنَ حاشَ للّهما علمن عليه من سوء قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمِنَ الصادقين﴾ [يوسف. ٥٠-٥١].

... أترى مسجوناً يدعوه الملك فلا يجيبه!؟ فهذا يوسف المسجون لا يخرج عن السجن رغم أمر الملك إلا على شرط أن يقضي على تهمته ويفُضَح المفترون عليه كما فُضحوا، ولا يريد يوسف من ذكراه وجوابه للملك إلا ليعلمه أنه لم يخن العزيز في غيبه ...

﴿ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب وأن الله لا يهدي كيد الخائنين﴾ [١٢: ٥٢].

وبعدئذ يرسل إليه الملك مرة أخرى ليستخلصه لنفسه، لا ليخلّصه من السجن فحسب:

﴿وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي فلما كلمه قال إنك اليوم لدينا مكين أمين * قال اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم﴾ [يوسف: ٥٤ ـ ٥٥].

... إنك اليوم لدينا مكين بعد ما كنتش في سجن مهين، وأمين بعد ما نسبوك إلى الخيانة ...

فهذه سبيل سَلَكه يوسف الصديق لأخذ حق المُلك حيث يختص بعباد الله المخلَصين، وللذود عن كرامته لأنه من واجبهم، ولم يتطرّق إليها أيّاً كانت إلا بإذن الله.

أجل، إنه لا يقول مقالته المذكرة، ولا يأوِّل رؤيا صاحبيه في السجن، ولا رؤيا الملك، ولا يطلب منه استنطاق النساء ومحاكمتهن، ولا أن يجعله على خزائن الأرض ولا ... إلا بإذن الله ووحيه: ﴿وكذلك مكنا ليوسف في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين. ولأجر الآخرة خير للذين ءامنوا وكانوا يتقون﴾ [يوسف: ٥٦ ـ ٥٧].

الأسقف: أجل، فما هي هذه الروايات التي تَنسِب إلى يوسف ما تنسب: أنه الذي أنساه الشيطان ذكر ربه ولذلك جزاه الله أن لبث في السجن بضع سنين!

المناظر: نعتبرها مختلفات إسرائيلية، حيث تضاد القرآن، فإنه المرجع الأول والأخير لكل عقيدة ومقالة.

الطلاب: بخ بخ ليوسف القرآن وشكراً للأستاذ أن أدى حق المعنى في تفسير آي الذكر الحكيم في ذكراه!!

الجمعية الرسولية: ... لا نجد قصة يوسف في القرآن إلا شتات من ترجمات عن التوراة في بعضها، وخلاف عليها في أخرى.

ترجمة عبريتها بعربية كما يقول: ﴿إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون﴾ [يوسف: ٢].[1]

---

١. نقل بالمعنى اختصاراً عن الأصل (ج ٢ـ ٦٨ ـ ٨١).

المناظر: لقد أسلفنا القول الفصل في تزييف واستحالة كون القرآن ترجمة للتوراة[1] والآية تعني نزول القرآن باللغة العربية أي الواضحة، لا نزول سورة يوسف فحسب، فإن القرآن وحي مستقل بلفظه ومعناه ﴿نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين﴾ [يوسف، ٣].

أجل، ﴿بما أوحينا إليك﴾، لا بما ترجمنا لك عن التوراة فما لكم كيف تحكمون!

ثم اختلاف كثير من نواحي القصة في القرآن عما في التوراة لا يمتُّ بصلة لنقص زياداتها في القرآن، وإنما يرد النقض على نقص التوراة لهامة حوادث القصة.

الطلاب: شكراً يا أستاذ فحسبنا وإلى هنا، فرجاء استعراض بيئة المسيح عليه السلام من الكتب الثلاث ولكي نقارن بينها، ثم محمد صلى الله عليه وآله وسلم ...

المناظر: أجل، وإليكم استعراض بيئات المسيح ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم في مقارنات كتابية بين القرآن والعهدين:

المسيح عيسى ابن مريم(ع)

في نظر القرآن والعهدين؟:

الطلاب: رجاء أن يستعرض أستاذنا الأسقف هدف المسيح الأول والأخير من دعوته، ومقارنة بيئة مع الأنبياء الذين أتوا قبله من الإنجيل، لكي نقارن بينه وبين مسيح القرآن، والله المستعان.

الأسقف: ... إن مما لا يريبه شك وهو من أوليات الضروريات الإنجيلية أن المسيح سبق جميع الأنبياء في شتى ميادين الفضيلة، وإلى حيث اعتبر نفسه ابن

---

١. في كتاب المقارنات العلمية والكتابية بين الكتب السماوية.

الله ومعادله وصورة الله (٢ كو ٤: ٦) وبكر كل خليقة (كو ١: ١٥) وبداية خليقة الله (رود ٣: ١٤) و الرب (مت ٢١: ٣- مر ١١- ٣- لو ١٩: ٣١).

أجل إنه معادل الله إذ كان في صورة الله، وإن عبّر عن نفسه بالعبد والمخلوق أحياناً، لكنه لم يكن إلّا تواضعاً لأبيه العديل!

فالمسيح يسوع إذ كان في صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلًا للّه، أو لم يحسب المساواة بالله غنيمة، لكنه أخلى نفسه آخذاً صورة عبدٍ صائراً في شبه الناس، وإذ وجد في إلهيته كإنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب، ولذلك رفعه الله أيضاً وأعطاه اسماً فوق كل اسم (في ١: ٥- ١٠).

المناظر: ليس هذا اختصاصاً للمسيح أنه على صورة الله حيث تعم التوراة هذه المنزلة لنوع الإنسان أنه خلقه على صورته (تك ١: ١٨ و ١٥: ١- ٢ و ٩: ٧- ٩).

رغم ما أسلفناه من البحث الفصل في المقارنة التوحيدية تزييفاً لهذه المقالات الكافرة ...

لنفرض أن هذه الخرافة الكافرة حقيقة ناصعة، فهل إن نتيجة الربوبية أن يهتك الرب ساحة أنبيائه الذين أرسلهم للدعوة إليه، كما نرى مسيح الإنجيل صورة الله ومعادله! يعتبر جميع الأنبياء لصوصاً لأنهم لم يضحوا لتخليص عبيده كما ضحى، أو لم يخلِّصوا الأُمم من أسر التشاريع العملية، أي لم يطلبوا أحكامه!

الأسقف: كلّا والمسيح أساس الرحمة ومعدنها للعصاة فكيف بالأنبياء الهداة!

الطلاب: أجل وما كنا نسمع حتى الآن هتكاً هكذا من مسيحنا على أنبياء الله المكرمين!

مسيح الإنجيل يكذب أنبياء الله أجمع!

المناظر: كيف وهذه تصريحة الإنجيل عن مسيحه نأتي عليها مع منآت الأسى:

«... فقال لهم يسوع أيضاً الحق الحق أقول لكم إني أنا باب الخراف»

«جميع الذين أتوا قبلي سراق ولصوص» (يو ١٠: ٧- ٨).

فعجباً من مسيح الإنجيل كيف يعكس نسبة السرقة من نفسه إلى سائر الأنبياء، فرغم أنه الذي سرق التشاريع العملية وصار ضحيَّة القضاء عليها وغفران العصاة فيها، رغم ذاك يتهم النبيين أنهم سُراق ولصوص! لا لشيءٍ إلّا لأنهم لم يضحوا هكذا: لم يسرقوا أحكام الله و لم يقضوا عليها !!!.

ورغم أنه اختص بسرقة لاهوت الأُلوهيّة إلى ناسوت العبودية، والتجرد اللّامحدود إلى الجسمانية المحدودة، وشركة الربِّ في الربوبية، وما إليها من اختصاصات الخالق المتعال، ولا هكذا النبيون... فلذاك وذياك ينسبهم إلى السرقة عكس ما يحق لهم من النسبة والمنزلة!!!

الأسقف: هاه، أستاذ! ما هذا التسرع! فلعل هناك تأويلًا لمقالة المسيح!

المناظر: لا تسرُّع ولا تأويل إلّا ما نبهنا عليه، وشاهداً له قول مسيح الإنجيل من قبل‌من بعد في وجه نسبة السرقة إلى الذين أتوا قبله: إنهم لهم يضحوا كمثله تضحية الفداء الإنجيلي وكما يقول:

«الحق الحق أقول لكم إن الذي لا يدخل من الباب إلى حظيرة الخراف، بل يطلع من موضع آخر فذاك سارق ولصّ؛ وأما الذي يدخل من الباب فهو راعي الخراف، لهذا يفتح البوّاب والخراف تسمع صوته فيدعو خرافه الخاصّة بأسماءٍ ويخرجها. ومتى أخرج خرافه الخاصة يذهب أمامها والخراف تتبعه لأنها تعرف صوته. وأما الغريب فلا تبعه بل تهرب منه لأنها لا تعرف صوت الغرباء. هذا المثل قاله لهم يسوع. وأما هم فلم يفهموا ما هو الذي كان يكلم به فقال لهم يسوع أيضاً الحق الحق أقول لكم: إني أنا باب الخراف:

جميع الذين أتوا قبلي هم سُراق ولصوص!

ولكن الخراف لم تسمع لهم، أنا هو الباب. إن دخل بي أحدٌ فيخلص ويدخل ويخرج ويجد مرعى. السارق لا يأتي إلّا ليسرق ويذبح ويهلك. وأما أنا فقد أتيت لتكون لهم حياة وليكون لهم أفضل.

أنا هو الراعي الصالح والراعي الصالح يُبذل نفسه عن الخراف؛ وأما الذي هو أجير وليس راعياً الذي ليست الخراف له فيرى الذئب مُقبلًا ويترك الخراف ويهرب فيخطف الذئب الخراف ويبددها. والأجير يهرب لأنه أجير ولا يبالي بالخراف ... أنا أضع نفسي عن الخراف (يو ١٠:١ـ ١٥).

هذا ... وكل أحد يعلم أن هذه الآيات على طولها وتكرارها لا تهدف إلّا نقطة واحدة يختص مسيح الإنجيل بها دون الآخرين، وهو الفداء الصليبي الإنجيلي الذي تخلصت الأُمة المسيحية به عن لعنة الناموس وعبءِ التشاريع العملية، وهو يعبر عن هذه الأحكام العملية وأسرها بالذئب، فمسيح الإنجيل ضحى بنفسه عن الخراف لكيلا يبددهم ذئب العقوبات الناتجة عن ترك التشاريع العملية ... إذاً فالمعني من هؤلاء هم الأنبياء الذين بعثوا قبله، وعلى حد تعبير «مار اغواسطينوس» في تحفة الجيل «هم الأنبياء السابقون في بني إسرائيل ولم يأتوا من تلقاء نفوسهم، بل أرسلهم الله وكانوا بمنزلة منذرين سابقين للمسيح»! فويل الإنجيل من مسيحه كيف يضاد الله فيشاركه في ألوهيته ويتهم أنبياءه بالسرقة.

الأسقف: كيف وقد قدمتم نقل التصاريح الإنجيلية ومن العهد العتيق أن المسيح يُلزم بالتشاريع العملية دون نقض فيها لا ونقص!

المناظر: هذا تصديق منكم أن الإنجيل محرف عن أصله، حيث المتناقضان لا يصحان وهذا ما كنا نبغ: أن الأناجيل المتداولة ليست وحياً بأسرها، وإنما هي خليطة من الوحي ومن أضغاث الأحلام!

الطلاب: من المؤسف ذلك مع مئآت الأسى، فما هي نظرية القرآن في المسيح هنا؟

مسيح القرآن يصدق مَن قبله ومَن بعده من أنبياء الله وكتبه:

المناظر: إنه يصدق مَن قبله ومَن بعده، وهذا من أهدافه الرئيسية في رسالته: ﴿وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول‌الله إليكم مصدقاً لما بين يديَّ من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين﴾ [صف.٦]، ﴿و مصدقاً لما بين يديَّ من التوراة﴾ [آل‌عمران.٥٠].

الطلاب: حقاً إن مسيح القرآن هو الذي يحق لنا أن نؤمن به، ولا يعتبر مسيح الإنجيل من يحق الإيمان به! وي كأنهما شخصان على طرفي النقيض، وليتنا ندري من الذي اختلق مسيح الإنجيل هكذا!

مسيح الإنجيل نموذج الخرافات اللامعقولة!

مسيح الإنيجل ترجمان عن برهما وبوذا أو هو نتيجة المضروب منهما!

المناظر: مسيح الإنجيل ترجمان عن برهما وبوذا، نسخةً طبق الأصل إلّا نذراً مما أضيف إليه في الأناجيل وهو:

أنه ـ وحاشاه ـ ولد زناً من جهات، ولا يحق دخوله في حزب الإلهيين، وهو ملعون من نواحٍ شتى، وشرِّيب خمر، وكذاب، متهتك لأمه وللصالحين من أنبياء الله المكرمين، و ناقض لأحكام الله و ...

و النقطة المقابلة مسيح القرآن وهو من أعظم النبيين القديسين، بريئاً عن تلكم التهكمات الزور، سابقاً في شتى ميادين الفضيلة و ...

الأسقف: أراك يا أُستاذ كأنك تعبت من طول البحث فأخذت تهجم متسرعاً على المسيح!

المناظر: تالله ما تعبت ولن أتعب، ولو شغلت تلكم البحوث القيِّمة أوقاتي بأسرها، إنما أتعب وأتضجر أن يُتَّهم المسيح عيسى ابن مريم ﷺ ذلك الرسول

العظيم، يتّهم عليه بألوان التهم منذ حمله وولادته وطفولته حتى رجولته وصعوده أو صلبه! ومع بالغ الأسى أنّ تلكم الإفتراءات تجمعت في الأناجيل المنسوبة إليه، إذاً فلنكن نحن معكم وأنتم معنا على سواء في الذود عن كرامته وإن كان نتاجه إنكار هذه الأناجيل، وذلك لمن ألقى السمع وهو شهيد!

* * *

بوذا وبرهما = مسيح الإنجيل!

الطلاب: رجاء أن يستعرض الأستاذ مقارنة مختصرة عن هؤلاء الثلاثة المتشابهين رجاء.

المناظر: أجل وإليكم نموذجاً منها، ثم البحث الفصل عن مقارنة المسيح في نظر القرآن و العهدين:

مقارنة النصوص بين برهما ومسيح الإنجيل!

برهما = مسيح الإنجيل

١- عُرِفت ولادة كرشنا من النجم الذي ظهر في المشرق.[١]

١- لمّا وُلِدَ المسيح طلع نجمٌ في المشرق ودلّ الناس على محل ولادته.[٢]

٢- كان كرشنا من السلالة الملكية ولكنه تولد على ذل وفقر في مغارة.[٣]

٢- كان المسيح من السلالة الملكية وخاطبته اليهود سلطاناً ولكنه تولد في مغارة على ذلٍّ ومسكنة. (دوان ص ٢٧٩)

٣- لقد شعّ نور كرشنا المغارة عند ولادته وتلعلع وجه أمه ديفاكي من نوره.[٤]

---

١. كتاب تاريخ الهند، ج ٢، ص ٣١٧ و ٣٣٦.

٢. متى ٢: ٣.

٣. دوان ص ٢٨٩.

٤. دوان ٢٨٩.

٣- شع من نور المسيح المغارة عند ولادته وحارت عيون القابلة وخطيب مريم ـ يوسف ـ من نوره. (انجيل الولادة ٢: ١٣)

٤- لما وُلِّدَت ديفاكي كرشنا خافت عاقبة أمره وأخذت تبكي عليه فتكلم كرشنا وسلَّى خاطرها. (تاريخ الهند، ج ٢، ص ٣١١)

٤- تكلم عيسى عند ولادته مخاطباً أمَّه: أنا ابن الله وكما أخبرك جبرائيل جئت لأخلص العالم. (انجيل الولادة ١: ٢ - ٣)

٥- عرف البقر الذكر أن كرشنا إله فسجد له. (دوان ٢٧٩)

٥- عرف الرعاة المسيح فسجدوا له. (لوقا ٢: ٨- ١٢)

٦- لما وُلد كرشنا كانت أُمه وخطيبها ناندا، كانا غائبين حيث ذهبا إلى البلد لتسليم الماليات إلى السلطان. (كتاب وبشنو بورانا الفصل ٢ من الكتاب ٥)

٦- لما ولد المسيح كانت أمه وخطيبها غائبين حيث ذهبا ليسجلا اسمهما في الكرّاس الملكي. (لوقا ٢: ١- ٩)

٧- سمع ناندا خطيب ديفاكي أم كرشنا نداءً من السماء: خذ الطفل وأمه وفرَّ إلى كوكول واعبر نهر جهنة، لأن الملك يريد قتله. (كتاب وبشنو بورانا، الفصل ٣)

٧- يوسف النجّار خطيب مريم نودي في المنام أن: خذ الطفلو أمه وفرَّ إلى مصر حيث الملك يريد قتله. (متى ٢: ١٣)

٨- أخبر الحاكم عن ولادة الطفل الإلهي وأراد قتل كلَّ ذكر وُلِدَ في تلك الليلة لكي ينال بغيته. (دوان ص ٢٨٠)

٨- أخبر حاكم البلاد عن ولادة الطفل الإلهي المسيح وأراد قتله فأمر بقتل كل من وُلِدَ تلك الليلة. (متى ٢: ١٥- ١٧)

٩- لدغت حية زميلًا لكرشنا فنظر إليه بالنظرة الإلهية فحيي من فوره.[1]

٩- لدغت حية زميلًا للمسيح فمسحه المسيح بيده، فبرىء من فوره.[1]

---

١. تاريخ الهند، ٢: ٣٤٣.

١٠- يوماً من الأيام سار كرشنا مع بقرات فانتخبته ملكاً لها وذهبت كل واحدة منها إلى المحل الذي عينه الملك. (تاريخ الهند ٢: ٣٢١)

١٠- في شهر آذر جمع المسيح الأطفال وأخذ يتأمر فيهم كأنه ملكهم وكان لا يعبر أحدٌ هناك إلّا أمره أن يسجد لهذا الملك. (انجيل الطفولة ١٨: ١- ٣)

١١- كان أول معجزات كرشنا أن شفى أبرصاً. (تاريخ الهند ٢: ٢١٩)

١١- كان أول معجزات المسيح أن شفى أبرصاً.[٢]

١٢- صلِبَ كرشنا ومات على الصليب.

١٢- صُلِبَ المسيح ومات على الصليب.

١٣- لما مات كرشنا حدثت حوادث عظيمة واحتفَّ خطٌ أسود حول القمر وأظلمت الشمس عند الزوال وأمطرت السماءُ النار والرماد واشتعلت زبانية النيران وأفسدت الشياطين في الأرض ورأى الناس أن الآلاف من الأرواح يتقاتلون ليل نهار. (كتاب الصورات الدينية ج ١)

١٣- حدثت بموت المسيح حوادث عظيمة فخرقت ستار بيت الأصنام وانكسفت الشمس من الساعة ٦- ٩ وبُعثِرَت القبور وخرج عنها الكثير من القديسين. (متى ب ٢٧)

١٤- حدثت ثقبة في جنب كرشنا حيث أصابته الحربة القاتلة. (دوان ٢٨٢)

١٤- حدثت ثقبة في جنب المسيح حيث أصابته الحربة القاتلة. (دوان ٢٨٢)

١٥- قال كرشنا للصياد الذي قتله: إذهب برحمتي إلى السماء مكان الآلهة.[٣]

١٥- قال المسيح لأحد اللصوص الذين صلبوا معه: أنت اليوم معي في الجنة.[٤]

١٦- قام كرشنا بعد موته من بين الأموات. (دوان ٢٨٢)

---

١ . انجيل الطفولة ب ١٨.

٢ . متى ٣٦: ٦- ٧، وهذا يضاد تصريحة أخرى أن أولها تبديل الماء خمراً في العرس (يوحنا ٢: ١- ١١).

٣ . ويشنوبورانا، ص ٦١٢.

٤ . لوقا، ٢٣: ٤٣.

١٦- قام المسيح بعد موته من بين الأموات. (متى ٢٨: ٢٠)

١٧- دخل كرشنه الجحيم. (دوان ٢٨٢)

١٧- دخل المسيح الجحيم.[١]

١٨- كرشنا خالق كل شيءٍ ولولاه لم يكن شيءٌ. (دوان ٢٨٢)

١٨- المسيح خالق كل شيءٍ ولولاه لم يكن شيءٌ فهو الخالق الأزلي.[٢]

١٩- كرشنا هو الألف والياء وهو الأول والآخر والوسط لكل شيء. (دوان ٢٨٢)

١٩- المسيح هو الأول والوسط والآخر لكل شيء. (رؤ ١: ٨ و ٢٢: ٦)

٢٠- كرشنا برهما العظيم والقدوس وإنما ظهوره في الناسوت لسر من الأسرار العجيبة الإلهية. (ويشنو بورانا ٤٩٢)

٢٠- المسيح هو الله يهوه العظيم القدوس وإنما ظهر في الناسوت لسر من أسرار ألوهيته.[٣]

٢١- كرشنا هو الأقنوم الثاني من الثلاثة.[٤]

٢١- المسيح هو الأقنوم الثاني من الثلاثة. (الأناجيل السالف ذكرها)

مقارنة النصوص بين بوذا ومسيح الإنجيل

بوذا = مسيح الإنجيل

١- لما تنزّل بوذا من محل عال إلى رحم العذراء مايا، شعّ الرحم بنوره وكان يُرى فيه قبل مولده (بنسون: ص ٢٠، دوان: ص ٢٩٠).

---

١ . دوان ٢٨٢ وغيره من المدارك السالفة في باب دخول المسيح في الجحيم، فراجع باب التثليث.

٢ . يوحنا ١: ١- ٣ واكورنتس ٨٧: ٦ وافسس ٣: ٩.

٣ . اتيموتاوس: ٣، ١٦.

٤ . موريس وليمس في كتاب عقائد الوثنيين الهنود، ص ١٠٠.

١- لما تنزّل المسيح من محل عال سماوي ودخل رحم مريم العذراء صار الرحم كمثل البلور وكان يُرى فيه قبل مولده (متى، ب ١).

٢- علامة ولادته نجمٌ طلع من الأفق وتسمى نجم بوذا (دوان: ص ٢٩٠).

٢- علامة ولادته نجم طلع من المشرق إسمه نجم المسيح. (متى ٢:١)

٣- وُلِدَ بوذا ابن العذراء مايا التي حلَّ روح القدس في رحمها يوم عيد الميلاد ٢٥ كانون الأول. (بنسون في مسيح الملاك، ص ١٠)

٣- وُلِدَ المسيح ابن العذراء مريم التي حال روح القدس في رحمها عيد الميلاد ٢٥ كانون الأول. (دوان ٢٩٠)

٤- بعد ولادته سُرَّ به جنود السماء وبيمنه خطبوا خطابات وقالوا: إسمه نجم الصباح.[١]

٤- سُرّ ملائكة السماء بولادته وخطبوا بيمنه وقالوا: العظمة للّه في السماء والأرض للناس المسرة حيث أوصل النور إلى محل الظلام وأعطى العميان البصر.[٢]

٥- إن الحكماء عرفوا بوذا وأسراره اللّاهوتية بعد يوم من ولاده رحّب الناس بولادته.[٣]

٥- زار الحكماء المسيح وعرفوا أسراره اللّاهوتية وليوم بعد ولادته سمّوه إله الآلهة.[٤]

٦- قال بوذا في طفولته لأمه أنا أعظم الناس.[٥]

٦- قال المسيح في طفولته لأمه أنا ابن الله. (انجيل الطفولة ١: ٣)

---

١. دوان ٢٩٠.
٢. لوقا ٢: ١٣- ١٤.
٣. كتاب الهردي العقائد البوذية، ص ١٤٥- ١٤٦.
٤. متى ٢: ١- ١١.
٥. كتاب البيل، تاريخ بوذا، ص ١٠٣- ١٠٤.

٧- وُلِدَ بوذا خُفيةً، وملكُ بمبارا أصر في قتله حيث أخبر أنه يسلبه ملكه.[١]

٧- وُلِدَ المسيح خفيةً وملك هيردوس اهتم في قتله حيث سمع أنه يسلبه ملكه.[٢]

٨- لما بلغ بوذا الثاني عشر من عمره دخل بعض بيوت الأصنام وسأله أهل العلم عن مسائل فأجابهم عما سألوه من المشاكل وغلبهم. (ويبال في تاريخ بوذا ص ١٦٧- ١٦٩)

٨- لما بلغ المسيح الثاني عشر من عمره ذهبوا به إلى بيت الأصنام في أورشليم وسأله الأحبار عن مشاكل المسائل فأجابهم بما حاروا فيه.[٣]

٩- بوذا المنجي اغتسل غسل التعميد وحينذاك كان روح الله حاضراً، لم يكن بوذا الإله العظيم فحسب بل كان مع روح القدس أيضاً حيث حل في العذراء مايا فتجسم كوتاما بوذا.[٤]

٩- عمَّد يحيى المسيح في نهر الأردن ونزل عليه روح الله كحمامة فكان المسيح ابن‌الله مع كونه روح الله. (متى ٣: ١٣- ١٧)

١٠- مات بوذا ودفنوه ثم انفتح كفنه وستر تابوته. (مسيح الملاك ٤٩)

١٠- مات المسيح ودفن ثم إفتتح كفنه وبعثر عن قبره. (متى ب ٢٨ ويوحنا ب ٢٠)

١١- بوذا هو الألف والباء أزلي أبدي قيوم واحد. (دوان ٢٩٣)

١١- المسيح هو الألف والباء أزلي أبدي قيوم واحد. (يوحنا ١:١ ورؤيا يوحنا)

١٢- قال بوذا: إن ذنوب العالمين عليَّ وأنا خلاصهم عنها.[٥]

١٢- المسيح منجي العالم وقد أخذ وتحمل ذنوب العالمين على عاتقه.[٦]

---

١. بنسون في مسيح الملاك، ص ٣٧.
٢. متى ٢: ١.
٣. انجيل الطفولة ٢١: ١- ٢ ولوقا ٢: ٤١- ٤٨.
٤. مسيح الملاك ٤٥.
٥. تاريخ آداب السنسكريتي، ص ٨٠.
٦. دوان ٢٩٣ والتعاليم المسيحية كما مضت.

١٣- قال بوذا لتلاميذه أتركوا الدنيا وحاولوا الفقر والضيق فيها.[١]

١٣- قال المسيح لتلاميذه أتركوا ثروة الدنيا وعيشوا فقراء. (متى ١٦: ٢٥- ٢٨)

١٤- قال بوذا: الرجل العاقل يرى حياة الزوجية حياةً نارية ولن يقرب هذه الحياة إلّا لضرورة الإجتناب عن الزنا. (ريس داويس في كتاب بوذا ١٠٣)

١٤- قال المسيح يحسن للرجل ألّا يمس النساء إلّا في ضرورة حيث الزواج أحسن من أن يحترق بالنار، نار الزنا. (كورنتوس ٧: ١- ٩)

... أصحابي! إذ ذاك فمسيح الإنجيل هو بوذا * برهما- ثلاثة في واحد كما التثليث الإلهي! فلا عجب.[٢]

الطلاب: عجباً ومع منآت الأسى!!

الأسقف: إذ ذاك يحق لنا المقارنة بين مسيح القرآن والإنجيل، فلا صلة لبحثنا عن بوذا و برهما.

المناظر: أجل إلّا لتعلموا بينة مسيح الإنجيل وجذور شخصيته العتيقة إلى حيث يكاد المنصف المتحلل عن التقاليد ينكر وجود مسيح هكذا فيصدق مسيحاً واحداً هو مسيح القرآن!

* * *

١. هاردي في كتاب رهبانية الشرق، ص ٦ و ٦٢.

٢. هذه نماذج مما جمعه المغفور له محمد طاهر التنير البيروتي في كتابه العقائد الوثنية والمسيحية

المسيح (ع)

منذ الولادة وقبلها حتى الصلب! والرفع، وبيئته بين الطفولة والكهولة في نظر القرآن والعهدين

مريمعليها السلام في الإنجيل:

الطلاب الإنجيليون: رجاء تقديم بيئة أمِّ المسيح مريم الطاهرة ثم حملها وثم ...

المناظر: أجل، ونعم الترتيب، فمن هي مريم في العهد الجديد؟

الدكتور بست: مريم: بمعنى الطغيان أم المسيح من سبط يهوذا ونسل داود ومن أرقاب إليصابات أم يحيى المعمِّد، ولا نجد ذكرها في العهد الجديد إلّا في خمسة مواضع:

١- قصة قانا الجليل (يو ٢: ٣) ٢- إذ أرادت أن تكلم ابنها وهو يعلِّم تلاميذه (مت ١٢: ٤٦) (مر ٣: ٣١) (لو ٨: ١٩) ٣- عند صلبه (يو ١٩: ٢٦) ٤- في الأيام الأُولى بعد صعوده (١٤١: ١٤) ٥- عند ذكر أبنائها: يعقوب، يوشي، يهودا، شمعون، وعدة من بناتها (مت ١٣: ٥٥- ٣٧: ٥٦، مر ٦: ٣ و ١٥: ٤٠ و ٤٧).

المناظر: أهذه ذكريات مريم طيلة كتابات العهد الجديد، رغم أن لها من المكانة العليا ما تجعلها خير نساء العالمين؟

أهذه ذكرياتها وليتها مُحِيَت لكي يتخلص العهد الجديد ـ ولا أقلّ ـ عمّا يمسّ من كرامتها، وهناك مما لم يذكره بوست، آيات من العهدين تتناصر في إنهاء نسبها إلى الزنا وليتها لم تكن!!!

الأسقف: هذه ذكريات خمسة ما أجملها لأم المسيح، فأين الفرية الزور وأين؟

مسيح الإنجيل يستخف بأمه وينسب إليها الكفر!:

المناظر: نبدأ بالذكرى الأُولى قصة قانا الجليل ما أسوأها لمريم وعيساها!

فإنها تنسب إلى المسيح صنع الخمر من الماء في ضيافة العرس اعتباراً أنه من أول معجزاته التي دعت التلاميذ إلى الإيمان به، وذلك باستدعاء مريم: «ولما فرغت الخمر قالت أمّ يسوع له: ليس لهم خمر. قال لها يسوع مالي ولك يا امرأة! ... (يو ٢: ١- ١١).

فمسيح القصة يهتك أمه بهذه الكلمة الفاتكة: مالي ولك يا امرأة! رغم أنه أجابها في مأمولها دون إمهال وتأخير!!.

ثم يتهمها في فتكٍ ثانٍ بعدم الإيمان بالله، في قصة ثانية (مر ٣: ٣١. لو ٨: ١٩. ٢١. مت ١٢: ٤٦- ٥٠) «إذ كان يكلم تلاميذه: فجاءت حينئذ إخوته وأمه ووقفوا خارجاً أرسلوا إليه يدعونه، وكان الجمع جالساً حوله فقالوا له: هو ذا أُمك وإخوتك خارجاً يطلبونك، فأجابهم قائلًا:

من أمي وإخوتي؟:

ثم نظر حوله إلى الجالسين وقال: ها أُمي وإخوتي، لأن من يصنع مشيئة الله هو أخي وأُختي وأُمي!!! (مر ٣: ٣١) أُمي وإخوتي هم الذين يسمعون كلام الله ويعملون بها (لو ٨: ٢١).

... فهب أنها ـ وحاشاها ـ عصت في دعوة المسيح لصنع الخمر، فلماذا يهتكها بكلمة سوءٍ، ولماذا لا يستبدل ذلك بترك مسؤولها بكل حنان ورأفة، بل ويستعجل في تطبيق مأمولها ويصبح أول معجزاته الباهرة التي اجتذبت إليه أفئدة تلاميذه أن آمنوا به لأول مرّة!. ثم هب أنها عصت في الأولى، فما عصيانها في القصة الثانية لكي ينسبها وإخوته إلى عدم الإيمان بالله والعمل وفق مرضاة الله ثم يبرر عصيانه في إجابتها لمحادثتها بأنها وإخوته لم يؤمنَّ بالله ويعملن صالحاً: «إنما أمي وإخوتي من آمن وعمل وهم تلاميذي هؤلاء»!.

فيا لها من نسبة فاسقة ظالمة إلى مريم الطاهرة، ممن؟ من ابنها المسيح ومع الأسى، يمتنع عن مكالمة أمه الطاهرة بدعوى أنها تاركة للصالحات! في حين أنه هو يصنع أم الخبائث خمراً وقد حرمها الله في كافة تشاريع وأعلن أنها من عمل الشيطان.

يهتك أُمه هكذا في حين أنه يؤكد بالغ التوكيد في احترام الأُمهات وأنه من النواميس العشرة، احترام الأُم لأنها أمّ دون شرط الإيمان وغيره (مت ١٩: ١٩)، (مر ١٠: ١٩)، (لو ١٨: ١٠).

أفنقضاً للنواميس هكذا وتناقضاً في القول والعمل بهذه المثابة!!!

على أن تذليل الأبوين يخلّف لعن الله تعالى كما في (تث ٢٧: ١٦) «ملعونٌ من يستخف بأبيه أو أُمه ويقول جميع الشعب: آمين».

فمسيح الإنجيل ناقض للشريعة في حق أُمه، وملعون باستخفافها في لسان موسى وشعبه بوحي من ربه.

... ثم في الذكرى الثالثة وهي عند صلبه ينعزل عن بنوّته لها ويهبها لمن يحبه من تلاميذه (يوحنا) لتكون له أماً: «و كانت واقفات عند صليب يسوع أمه وأخت أمه مريم زوجة كلوبا ومريم المجدلية. فلما رأى يسوع أُمه والتلميذ الذي كان يحبه واقفاً، قال لأُمه:

يا امرأة! هوذا ابنك. ثم قال للتلميذ هوذا أُمّك. ومن تلك الساعة أخذها التلميذ إلى خاصته» (يو ١٩: ٢٥ـ ٢٧).

الأسقف: لا يهدف المسيح هنا استخفافاً بأمه، بل إكراماً ليوحنا لأنه كان يحبه ورحمة لأمه لكي تلحق بتلميذه بعده، إذاً فلا استخفاف!

المناظر: هل إن قضية إكرام الأُم وتسلية خاطرها ولا سيما عند صلب ابنها أن تُخاطَب كأجنبية لا قرابة بينها وبينه بدل أن يرأف بها الإبن زيادة على الغابر؟ أم هل إن إكرام التلميذ يستلزم مهانة الأُم وإهانتها بخلعها عن أُمومته وجعلها أُمّاً للتلميذ! أفلم يكن في اعتبار التلميذ أخاً فتشريكه في أمومة مريم له جمعاً بين الحقين وتطبيقاً للناموس الإلهي و رأفة زائدة على الأُم المصابة القلقة؟؟؟

فليت الأناجيل لم تذكر مريم أم المسيح بما ذكرت وسكتت عن شأنها إطلاقاً!

طالب إنجيلي: والذكريتان الأخيرتان ٤ و ٥ ومع الأسى من الأوليات!

المناظر: ليس فيهما إلّا ذكرى اسمها دون تأنيب ولا تعظيم ...

... فهكذا يهتك مسيح الإنجيل ويفتك بأمه الطاهرة، رغم عصمتها عن الشهوة، وعن الخطيئة الفعلية، وامتلائها من النعمة الإلهية، كما المختصر في علم اللاهوت العقائدي أيضاً[1] يصرّح بذلك في قول فصل، ونموذجاً من تصاريحه كالتالي:

... ومريم قد اكتسبت استحقاقات وافرة لا بكفاحها ضد الرغبات الحسيّة، بل بمحبتها للّه وبفضلها الأُخرى: (الإيمان، التواضع، الطاعة) (انظر القديس توما ٣/ ٢٧: ٣ على الثاني) ... فعند تقديس مريم في أحشاء أمها قُيِّدت الشهوات بحيث انتفت كل حركة حسية منحرفة، أما لدن الحمَل بالمسيح فقد أخمدت الشهوات إخماداً بحيث أن القوى الحسية صارت خاضعة كل الخضوع لقيادة العقل (انظر القديس توما ٣/ ٢٧: ٣).

١ . تأليف لوديغ اوث ج ٢ ص ١١٢ـ ١١٨.

... أعلن المجلس التريدنتيني: «ما من بارّ يستطيع مدة حياته كلها أن يتحاشى كل الخطايا حتى العرضية إلّا بامتياز خاص من الله، كما تعتقد الكنيسة أنه الحال في الطوباوية العذراء. (D: ٨٣٣)، وقد قال البابابيوس الثاني عشر في رسالته، (Mysticiorporis) عن العذراء أُم الله «بأنها كانت في عصمة من كل خطيئة شخصية أو وراثية (D. ٢٢٩١) هذه العصمة هي متضمنة في نص لوقا (١: ٢٨) «و السلام عليك يا ممتلئة نعمة ...».

كان الآبا اللّاتين يجزمون بعصمة مريم من الخطيئة، فيعلِّم القديس أوغسطينوس: أن كل خطيئة شخصية يجب أن تنتفى من العذراء مريم، والقديس أفرام يضع مريم البريئة من الدنس في مقام المسيح «انظر (٣)».

أقول ومع كل هذه التصاريح في عصمة مريم كيف يجرؤ مسيح الإنجيل أن يتهمها بعدم الإيمان ويسيء إليها الأدب!؟

الأسقف: فمن هي مريم في نظرية القرآن؟ لقد ضاقت صدورنا أن كادت تتفجر!!!

مريم ﷺ في القرآن الحكيم:

المناظر: إن القرآن يذود عن كرامتها ويرفع من ساحتها وجلالتها إلى حيث يختص سورة فذّة باسمها في ذكرياتها الجميلة ما أجملها وأجلّها: «سورة مريم».

لا فحسب، بل ويذكر أُمها الطاهرة إذ تحملها وتلدها بما يجعل مريم البتلول خارقة قبل ولادتها وبعدها إذ تلد المسيح وبعده ....

﴿إذ قالت امرأة عمران ربّ إني نذرت لك ما في بطني محرراً فتقبل مني إنك أنت السميع العليم. فلما وضعتها قالت ربّ إني وضعتها أُنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى وإني سميتها مريم وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ❋ فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتاً حسناً وكفّلها زكريا كلما دخل عليها زكريا

المحراب وجد عندها رزقاً قال يا ريم أنّى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب﴾ [آل عمران: ٣٥ – ٣٧].

﴿وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاكِ وطهرك واصطفاكِ على نساء العالمين. يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين﴾ [آل عمران: ٤٢ – ٤٣]، ﴿و مريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها و كتبه وكانت من القانتين﴾ [تحريم: ١٢].

فهذه الآيات تطهِّرها عن كل رجس، وتصطفيها على نساء العالمين وتختص تربيتها بربها أنه تقبّلها بقبول حسن وأنبتها نباتاً حسناً، وتختصها بالمائدة السماوية من عند ربها، أن الملائكة كانت تحدثها من ربها كأنها نبيَّة وليست بها، وتجعلها صديقة لكلمات ربها وكتبة وقانتة ...

هذه نماذج من بيئة مريم القرآن، ومن ناحية أُخرى نأتي على تصريحة قيمة من ابنها عند ولادته، فيها الذود الكثير عما نسب إليها: ﴿فناداها من تحتها ألّا تحزني قد جعل ربك تحتك سرياً * وهزّي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً * فكلي اشربي وقرّي عيناً فإما ترينَّ من البشر أحداً فقولي إني نذرت للرّحمن صوماً فلن أكلم اليوم أنسياً * فأتتبه قومها تحمله قالوا يا مريم جئت شيئاً فرياً * يا أُخت هرون ما كان أبوك امرأ سوءٍ وما كانت أُمك بغيّاً * فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبياً * قالَ انّى عَبدُ الله ءاتانِىَ الكِتبَ وجَعَلَنى نَبيّا * وجَعَلَنى مُبارَكًا اينَ ما كُنتُ واوصنى بِالصَّلوةِ والزَّكوةِ ما دُمتُ حَيًّا * وبَرًّا بِولِدَتى ولَم يَجعَلنى جَبّارًا شَقيّا * والسَّلمُ عَلَىَّ يَومَ وُلِدتُّ ويومَ اموتُ ويوم ابعَثُ حَيّا * ذلِكَ عيسَى ابنُ مَريَمَ قَولَ الحَقِّ الَّذى فيهِ يَمتَرون﴾ [مريم: ٢٤ – ٣٤].

... فهذه الآيات البينات تذود عن ساحة المسيح الكثير مما نسبوا إليه وإلى أُمه، وتذود عنه ما نسبت إليه الأناجيل، أنه كان جباراً لأُمه شقياً في عشرتها!!!

والقرآن يعتبر ناموس حرمة لوالدين والإحسان إليهما من أكبر النواميس بعد توحيد الله في عبوديته، في آيات يوصي ويأمر بالإحسان إليهما فيها بعد الأمر بعبادة الله تعالى:

﴿قل تعالوا أتل ما حرَّم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيناً وبالوايدين إحساناً﴾ [انعام، ١٥١]، اعتباراً أن ترك الإحسان إليهما من المحرمات، لا أنه الإساءة إليهما فحسب.

ولا يسقط وجوب الإحسان حال كبرهما وسوء خلقهما: ﴿وقضى ربك ألّا تعبدوا إلّا إياه وبالوالدين إحساناً إما يبلُغنَّ عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أُف ولا تنهرهما وقل لهما قولًا كريماً. واخفض لهما جناح الذل من الرّحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً﴾ [إسراء، ٢٣ - ٢٤].

ولا يسقط بالكفر والشرك أيضاً: ... ﴿و إن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً واتبع سبيل من أناب إليّ ثم إليّ مرجعكم فأنبِّئكم بما كنتم تعملون﴾ [لقمان، ١٥].

ثم في مقارنة الحقين يرجح جانب الأُم لتحمُّلها الأكثر من عبء الولادة والتربية، فكيف بما إذا كانت وحدها دون أب كمريم البتول: ﴿و وصينا الإنسان بوالديه حملته أُمه وهناً على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إليَّ المصير﴾ [لقمان، ١٤]، ﴿و وصينا الإنسان بوالديه إحساناً حملته أمه كرهاً ووضعته كرهاً وحمله و فصاله ثلاثون شهراً﴾ [أحقاف، ١٥].[1]

...ثم لا نجد في القرآن آية تصف نبياً من أنبياء الله أنه كان براً بوالدته ولم يكن جباراً شقياً، لأن ذلك من الأُمور الساذجة يلتزم بها كل مؤمن متوسط في الإيمان فكيف بالنبيين! وإنما يختص المسيح بهذه الصفة ﴿و براً بوالدتي ولم يجعلني جباراً

---

١. حيث نلمس من إفراد الأم بذكرى اتعابها في الحمل والولادة بعد اشتراكها مع الأب في وجوب الإحسان إليهما، نلمس من ذلك اختصاصها بالمزيد من الإحسان.

شقياً﴾ لكي يذود عن ساحته ما نسبت إليه الأناجيل من شقوته وإهانته بالنسب لأمه، وحاشاه!!!

نظرات الجمعية الرسولية حول مريم القرآن في شبهات وإعتراضات:

١- الجمعية الرسولية: [٢: ٣٦] ... إن قصة أنها كان يأتيها رزقها من الجنة وهي في محرابها، هي من خرافات المسيحيين، لا تمت بصلة للوحي الإلهي، حيث الجنة ليست محل أكل وشرب بل هي محل التقديس والتسبيح وكل تنعماتها روحيّة!

المناظر: أول ما نقول هنا إن قولها: هو من عند الله، لا يدل على أن رزقها كان من الجنة إلّا بتأويل أن الله في الجنة، فكل ما يأتي من عنده فهو من الجنة! فقد يجوز أن الله كان يخلق بقدرته رزقها دون أسباب عادية ظاهرية ومن حيث لا يُحتسب، ثم ينزله عليها في محرابها لكرامتها على الله، كما: «إن الله سخر الغربان لإيليا فكانت تأتيه بخبز ولحم صباحاً ومساء» (أمل ١٧: ٤ و ٦).

وكما هيأ له الكعكعة: (نوع من الخبز) وكوز الماء فنبهه الملاك للأكل والشرب حتى سار بقوة تلك الأكلة أربعين يوماً (أمل ١٩: ٥- ٩).

ثم الجنة لا تخص جنة الخلد لكي يستعبد نزول الرزق منها لمبعدات باطلة في نفسها، فهلّا يجوز أن هذا الرزق كان يأتيها من «جنة آدم التي فيها أُكُل متوفرة» (تك ٢: ٨- ٩)؟

فهل يقول: إنها يبست أشجارها ونابها الخراب؟ ثم لماذا لا يكون من الكرامة التي يشرب المسيح جديداً من نتاجها مع تلاميذه في ملكوت الله (مت ٢٦: ٢٩، ومر ١٤: ٢٥، ولو ٢: ١٨)؟ أو مما يأكل منه التلاميذ على مائدة المسيح في ملكوته (لو ٢٢: ٣٠).

وأخيراً كيف لا تكون جنة العدن محل أكل وشرب وقد فصلنا القول عقلياً ونقلياً أنه كذلك، ثم لا سناد لهم لما يزعمون إلّا قول مسيح الإنجيل في نقل متى:

«إن أبناء القيامة لا يزوجون ولا يتزوجون بل يكونون كملائكة الله في السماء» (مت ٢٣: ٣٠) (مر ١٢: ٢٥).

حال أن ترك زواجهم على فرضه لا يستلزم ترك الأكل، كما وأن المسيح ترك الزواج ولم يترك الأكل!

فما أجهل الجمعية الرسولية إذ تتعب نفسها لكي تستلب عن مريم القرآن كرامة المائدة السماوية! ما أجهلهم بالكتب المقدسة المشحونة من ذكرى الموائد و خوارق العادات!!!

٢- الجمعية الرسولية: [٢: ٥٧] إله القرآن يأمر مريمه لتقول كذباً: إنها نذرت للرّحمان صوماً فلن تكلم اليوم إنسياً، وهي لم تكن صائمة بدليل أمره إياها في العبارة نفسها أن تهزّ إليها بجذع النخلة تساقط عليها رطباً جنياً فتأكل وتشرب وتقر عيناً.

وبعد فإن أمره إياها أن تقول إنها صائمة لا تتكلم، كلام متناقض لأن الصائم لا يتكلم فإن قالت ما أمرها بقوله فقد تكلمت.

المناظر: أول ما تقول هنا إن الصوم هناك إنما كان الصوم الصمت حيث فرع عليه: ﴿فلن أكلم اليوم إنسياً﴾، ولا يلازم الصمت عن الكلام ترك الطعام.

لنفرض أنه يستلزم تركه أيضاً إلّا أن بين الزمانين بونٌ، حيث الأكل من جناة النخل كان عند الولادة، إذ لم يكن هناك أحد يرى، والصوم إنما أمرت به حين ترى الناس: ﴿فإما ترين من البشر أحداً فقولي إني نذرت للرّحمان صوماً﴾.

ثم القول لا يختص بالكلام اللفظي بل لعلّ المعني منه هنا هو الفعلي، وشاهداً عليه أنها حين رأت قومها واعترضوا عليها: ﴿يا أُخت هارون ما كان أبوك امرأ سوءٍ وما كانت أُمك بغياً﴾ [مريم: ٢٨]، سمعت مقالتهم ولم تلفظ بجواب إلّا إشارتها إلى ولدها ﴿فأشارت إليه قالوا كيف نكلّم من كان في المهد صبياً﴾ إذ ذاك فلم يكن قولها إلّا إشارتها.

وأخيراً هب أنها قالت: ﴿إني نذرت ...﴾ إلاّ أن كل عاقل يعلم خروج هذه المقالة الدالة على صومها وعذرها عن الكلام المنهي في صومها، إمّا لأن بداية صومها كانت بعد هذا الكلام، أو أنه لا ينافي صومها لضرورة الدلالة على عذرها ...

٣- مريم ابنة عمران أخت هرون:

الجمعية الرسولية: [٣: ٣١] خلط أبا موسى عمران بأبي مريم فتوهم أن عمران أبو موسى وهرون هو أبو مريم مع أن بين موسى والمسيح نحو ١٥٠٠ سنة، ووالد موسى أيضاً عمرام، لا عمران (خرو ٦: ٢٠).

الأسقف: ثم إن شرافة النسبة كانت تقتضي القول أنها أُخت موسى، لا هرون لأفلضه موسى على هرون!

المناظر: ... أكلٌّ من تسمى بعمران وهرون هو عمران أبو موسى وهرون أخوه؟ ليكون هذا سناداً في الإعتراض على القرآن؟ فأيُّ منافات بين تسمّي أبي مريم وأخيها بعمران و هرون كما تسمى أو موسى وأخوه هكذا، إلّا أن تخصوا كل اسم بمن تسمى به لأول مرة؟

ثم إن التوراة الحالية ليست هي السناد الوحيد لكي يرجع إليها في الخلافات، فذكر عمران فيها لا يستجر النقص على القرآن القائل: عمران، لا سيما أن عمرام عبرية وقد نحتمل كون عمران تعريباً له حسب القرار المستمر في تعريب اللغات والأعلام الأجنبية في لغة العرب كموشه = موسى، وكبرئيل = جبريل، وآبرام = إبراهيم و ...

ثم المبرِّر لنسبة مريم إلى أخيها هرون دون أبيها عمران، لعله اعتباراً بأفضلية هرون من حيث الشهرة الإيمانية والقداسة، فَمَن هذه منزلته كيف تنحرف أخته وتنجرف؟

فهناك جمع بين ذكر أخيها هرون وأبيها عمران وأمها، اعتباراً بالسلب والإيجاب:

سلب السوء عن أبيها، وسلب البغاء عن أمها، وإيجاب القداسة المتعالية عن سلب السوء عن أخيها، إذ إنه كان بمكانة عالية من القداسة يجلّ عن سلب السوء عنه ... إنما يحق وصفه بالثابتات الإيمانية ...

مقارنة مريم وفاطمة (ع):

طالب إنجيلي: بخ بخ لهذه الذكريات الجميلة من آي الذكر الحكيم لأم المسيحﷺ، فهل يسمح الأستاذ أن نرجح مريم على فاطمة بنت نبيكم كما في تصاريح القرآن ﴿واصطفاكِ على نساء العالمين﴾ كما وأنّ القرآن ذكرها لمرات واختص لها سورة فذة دون فاطمة!!!.

المناظر: إنما اختصت مريم البتول بكرور ذكراها في القرآن اعتباراً للذود عنها ما يمس من كرامتها، حيث نسبتها اليهود إلى الزنا والإنجيل إلى عدم الإيمان كما مضى.

ولكن فاطمة الإسلام لم ينسب إليها ما يمس كرامتها لكي تذكر في القرآن ذوداً عنها، و لا يأتي القرآن بذكرى النساء بأسمائهن استعفافاً، كما لم يأت بذكرى أية امرأة سوى مريم البتولﷺ.

وقصة اصطفاء مريم على نساء العالمين لا تنافي واصطفاء فاطمة عليها وعلى غيرها من النساء المعصومات يخص عالمي زمانها دون العالمين عبر القرون البشرية كما في آيات، وكما يُقال إن فلاناً أعلم العلماء فهل يظن عاقل أن المعني منه أنه أعلم ممن مضى وسوف يأتي إلّا بدليل؟

لنفرض أن مريم خير نساء العالمين أجمعين من الأولين والآخرين، إلّا أن فاطمة تختص بطهارة لا يشاركها فيها أحد من العالمين رجالًا ونساء إلّا أبوها وبعلها وبنوها، وشاهداً على ذلك آية التطهير: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيراً﴾ [احزاب، ٣٣].

وهناك إجماع رواة الإسلام ومفسريهم من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين حتى الآن، إجماعهم كلمة واحدة أن أهل البيت هنا إنما هم أهل بيت النبوّة المحمدية وهم: «محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين ﷺ»[1] تنزيلًا، وفي سائر الأئمّة المعصومين تأويلًا.

وهذه الطهارة تختص بهم دون غيرهم قضيةَ الحصر في ﴿إنما﴾ فعصمة فاطمة وطهارتها تفضل على جميع العالمين رجالًا ونساءً، إن رجحت مريم على نسائهم فحسب!!!

مريم الإنجيل كيف تحمل المسيح وتلده، وهل كان لها زوج؟:

الدكتور بُست: يوسف النجار زوج الباكرة (مت ١٣: ٥٥) ومسيح ابنها كانت له محبة يوسف حتى بعثه الله بالرسالة (مر ٦: ٣) ولقد كان يوسف تقياً (مت ١: ١٩) ...

الأسقف: ... الأحرى بنا استعراض نص الآيات في ولادة المسيح كالتالي:

«لما كانت مريم أم المسيح مخطوبة ليوسف قبل أن يجتمعا وجدت حبلى من الروح القدس. فيوسف رجلها إذ كان باراً ولم يشأن أن يشهرها أراد تخليتها سراً، ولكن فيما هو متفكر في هذه الأُمور إذا ملاك الرب قد ظهر له في حلم قائلًا يا يوسف ابن داود لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك لأن الذي حُبل به فيها هو من الروح القدس. فتلد ابناً وتدعو اسمه يسوع. لأن يخلّص شعبه من خطاياهم. وهذا كله لكي يتم ما قيل من الرب بالنبي القائل:

هوذا العذراء تحبل وتلد ابناً ويدعون اسمه عمانوئيل الذي تفسيره: الله معنا. فلما استيقظ يوسف من النوم فعل كما أمره ملاك الرب وأخذ امرأته ولم يعرفها حتى

---

١ . كما واسلفنا النص بالنسبة لهؤلاء الخمسة الأطهار من كتاب ادريس النبي: پارقليطا، ايليا، طيطه، شبير، شُبير، في قسم البشارات. (رسول الإسلام في الكتب السماوية).

ولدت ابنها البكر و قمطته وأضجعته في المِذودَ إذ لم يكن لها موضع فـي المنـزل. (لو ١: ٧) ...

المناظر: إن كان يوسف خطيب مريم لا زوجها، فكيف تذكرة الآيـات أنـه رجـل مريم وزوجها؟ فليكن زوجها المشروع وكمـا تـدل الآيـة ٢٧ و ٤١ و ٤٨ مـن ٢ لـو «وعندما دخل بالصبي يسوع أبواه يصنعا له حسب عـادة النـاموس ... وكـان أبـواه يذهبان كل سنة إلى أُورشليم في عيد الفصح ... وقالت له أُمه يـا بنـي! هـوذا أبـوك ...».

إذاً فيوسف هو أبو المسيح فكيف تلـد مـريم مـن روح القـدس، فهـل إن الـروح يزني بهذه المحصنة الطاهرة أم يشارك يوسف في زواجها؟

وبعدئذٍ كيف يعتبر المسيح ابن الله وهناك لـه أبـوان مـن قبـل: يوسـف والـروح اشتركا فيه، فهـل تقولـون إنهمـا مـع الله شـركاء ثـلاث متشاكسـون فيـه؟ فجـائز أن ينسب إلى كلٍ من آبائه الثلاثة وقد يربوا الإلـه علـى شـريكيه فيقـال عـن المسـيح: ابن الله، قولًا واحداً، فتلك إذاً قسمة ضيزى، أن يلده أبواه الأولان، يوسف والـروح، ثم ينسب إلى الله نسبةً فذةً واحدةً دون شركة.

تثليث مزدوج:

فهل يُؤَوّل هذه النسبة أيضاً كما يُؤَوّل تثليث الأقانيم إلى الوحـدة فتصـير الأقـانيم ذات وجهين:

١ ـ الأب (الإله) الإبن، روح القدس = إله واحدٌ.

٢ ـ يوسف، روح القدس، الإله = آبٌ واحدٌ.

لنفرض أنـه وليـد روح القـدس، فقـد كـان هـذا يستجر التهمـة علـى مـريم، إذ ذاك عليها أن تنبذ به مكاناً قصياً عن الناس، لا أن تلده وتضـعه فـي المـذود (الآخـور) أمـام

جموع الرعاة و قد: جاؤوا مسرعين ووجدوا مريم ويوسف والطفل مضجعاً في المذود (لو ٢: ١٦).

لنفرض أنها وزوجها لم يكونا مضطربين لهذا الحدث العظيم، أن تحمل باكرة دون ضجيع، إذاً فلماذا يضجعان هذا الوليد المبارك في الآخور ـ أفإهانةً على مسيح الرب!!!

الطلاب الإنجيليون: فما هي نظرية القرآن في ولادة المسيح(ع)؟

مريم القرآن كيف تحمل وتضع ولدها المبارك؟:

المناظر: نمت مريم وترعرعت وشبت واشتد ساعدها وعمر قلبها بالتقوى والصلاح ومكثت بالبيت تعبد الله وأخلصت في القيام بسدانة البيت وخدمته حتى صارت مضرب الأمثال، كلُّ ذلك لأن ربها أنبتها نباتاً حسناً وكفلها زكريا زوج خالتها، كفلها في بيت الله من الناحية التربوية والحفاظ عليها عن عيون الناظرين وهواهم فيها وعن كل ما يمس من كرامتها وعصمتها، ولم تحتج إلى كفالته في رزقها: ﴿فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتاً حسناً وكفَّلها زكريا كما دخلعليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً قال يا مريم أنَّى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب﴾ [آل عمران: ٣٧].

تقبلها ربها لخدمة البيت، ولا يحق لخادمة البيت المنذورة لها المقبولة من عند ربها، لا يحق لها خدمة أُخرى ـ لزوج وغيره ـ فلا تحن ولا تفكر في الزواج لاستلزامه الخروج عن البيت، وطاعة الزوج المنافية للمقام في خدمة البيت، ولا تعرضها فكرة الخروج لأية حاجة، فإنها كانت مكفولة نبي الله زكريا، ومرزوقة من موائد الله، ففكرة الزواج أو اختيار الخطيب بعيدة عن خَلَدها في بيت ربها، لأنها تنافي وتطبيق نذر أُمّها، وقبول ربها لخدمة البيت والتحرر لها:

﴿إذ قالت امرأة عمران ربِّ إني نذرت لك ما في بطني محرراً فتقبل مني إنك أنت السميع العليم * فلما وضعتها قالت ربيّ إني وضعتها أنثى وليس الذكر كالأُنثى و إني سميتها مريم وإني أُعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم * فتقبلها ربها بقبول حسنٍ﴾ ... [آل‌عمران، ٣٥ـ ٣٧].

تتحسر امرأة عمران على ما كان من خيبة رجائها وعكس تقديرها وتحزّنت إلى ربها إذ كانت ترجو إن تلد ذكراً تهبه لبيت المقدس وتقفه على خدمته، ولكن المولود أُنثى والبنات لا يصلحن لذلك، للزوم مقامهن عند أزواجهن إذ تزوجن، ولزوم الخروج حالة الحيض والطلق على أية حال ...

إذاً نلمس من تقبل الرب إياها منعها عن الزواج وطهارتها عن الحيض فلتبق كالذكور في البيت دون خروج إطلاقاً، وإن كان لرزقها حيث ضمنه لها ربها.

تسمّيها أُمها مريم أي مترفعة، تفاؤلًا لها لعلها تربو على أقرآنها و على الذَّكَر الذي كانت ترجوه تطبيقاً لنذرها، ثم لتحقيق هذا المغزى تعيذها بالله وذريتها من الشيطان الرجيم، تعيذها أن ينالها نقص كما ينال النساء في مقام الخدمة بالبيت، أو أن يصيبها ما تمسُّ وعفتها في خلطها بعبّاد البيت، أو أن يعترضها ضعفٌ في الخدمة، أو أن تلحقها تهمة تلزمها في اختلاطها بالناس في محل العبادة العامة.

فتقبّلها ربها مستعاذة كما أرادتها أُمها، وتقبّلها مريمَ: مستعلية مترفعة على شتات الهواجس التي تهجزها دون ما يهمها، وأنبتها نباتاً حسناً، نباتاً لم يخطر بخلد أُمها حيث اصطفاها الله على نساء العالمين: ﴿وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهَّرك واصطفاك على نساء العالمين﴾ [آل‌عمران، ٤٢].

... كانت تخدم البيت وتعبد رب البيت تحقيقاً لتحرّرها، وأُهبةً لحملها الآتي من عند ربها ﴿يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين﴾ [آل‌عمران، ٤٣].

وفي يومٍ مّا وهي في محرابها اضطربت نفسها فجأة وداخلتها رهبة لم تعهدها من قبل، إذ تظهر أمامها ملاك الرب يبشرون بوليد وجيه في الدارين: ﴿إذ قالت

الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين * ويكلم الناس في المهد وكهلًا ومن الصالحين﴾ [آل عمران: ٤٥- ٤٦].

تستوحش من هذه البشارة وحقٌّ لها إذ لاترى لنفسها ضجيعاً، ولم تعرض بخلدها حتى الآن قصة الزواج. فـ: ﴿قالت ربِّ أنّى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر﴾؟

قال: ﴿كذلكِ الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون﴾ [آل عمران: ٤٧].

تتفجأ لأول مرة: كيف تلد ولم يمسسها بشر؟ إذ عرفت أن البشارة تتحقق لمستقبل لا تلائمه الولادة كالعادة: أن تتزوج وتلد من فوره!.

كيف تحمل مريم من غير بعل؟:

... تتفجأ ثانية عندما يأتيها رسول ربها ليودِعها أمانة ربها، فتُداخلها رهبة تفجنها أكثر من الأولى، إذ ترى أمامها بشراً سوياً وليس هنالك بشر ليكون هو منهم، فإنها انتبذت إذ ذاك مكاناً شرقياً، فاتخذت من دونهم حجاباً فما لها وبشرٍ أمامها! اللهمَّ إلّا اختلاساً عليها إذ يحضر عندها دون أهبة ولا استيذان، كأنه من أقرب المحارم، أو هو زوج لا يكاد يستأذن في حضور زوجه: ﴿و اذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً. فاتخذت من دونهم حجاباً فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سويّاً. قالت إني أعوذ بالرحمان منك إن كنت تقيّاً﴾ [مريم: ١٦- ١٨].

حاولت الهرب واستعاذت بالله إذ ظنته معتدياً أثيماً وفاجراً زنيماً، وهي التقية المؤمنة، العفيفة الطاهرة، وتستعيذ بالرحمان خالقها منه إن كان تقياً يتقي بأس الرّحمان، فغير التقي لا يُستعاذ منه حيث لا يتقي على أية حال إلّا بمعجزة خارقة ينجيها الله بها منه، لكنه ما استعاذت كالثانية، بل اكتفت بالأُولى استيقاظاً لروح

التقوى فيه لكيلا يقربها مخافة الله، لكنه أعاد إليها طمأنينتها وسكّن روعها وأخذ يتحدث إليها قائلاً: ﴿إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكيّاً﴾ [مريم: ١٩]، زكياً في انعقاد نطفته وفي الولادة وبعدَها، زكياً لا يتهم هو ولا أمه ...

إنها اطمأنت بالأمان من ناحية وغشيتها سحابة الحزن من أُخرى، وطافت به موجة من الأسى، إلّا أن هول الموقف لم يعقد لسانها، حيث ذكرت هذه البشرى على إجمالها قلبنذٍ من ملاك ربها، ولكن هول البشرى، إذ تريد أن تتحقق دون بعل وإذ تخلّف تهمّ المعتدين، فهذا الهول يبعثها لسؤالها: ﴿أنّي يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغيّاً﴾ [١٩: ٢٠].

تقولها كأنها تعتبر حملها ذاك من مجرى العادة! حتى تسمع الجواب من الروح قائلًا: ﴿كذلك قال ربك هو عليّ هيّن ولنجعله آيةً للناس ورحمةً منا وكان أمراً مقضيّاً﴾ [مريم: ٢١].

... كذلك لحِكَم شتى وليجعله الله آية خارقة للناس: آية لعلمه تعالى وقدرته لليهود الذين لا يكادون ليصدقوا آيات موسى التسع، فلتأتهم بآية هي أقوى من أُختها لعلّهم يذكّرون، أو تحدث لهم ذكراً ولكي يُغلبون ﴿فحملته فانتبذت به مكاناً قصياً﴾ [مريم: ٢٢].

كيف حملته؟ حملت جسم المسيح أم روحه أم حملتهما؟:

لا شك أنّ حملها ما كانت من رسول ربها الروح القدس، ولا من ربها كما تحمل النساء من أزواجهن، ولا من غيرها .. فإن الرسل إنما وهبه إياها بالرسالة الإلهية، لا بالهبة الشخصية: ﴿إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكيّاً﴾.

إنما حملته بإذن الله حين أدّى رسولُه تلك الأمانة الأمينة، أداها وأودَعها رحم البتولة العذراء من مجراه الذي تجري إليه نطف الرجال وكما يقول:

﴿ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدّقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين﴾ [٦٦:١٢].

فروح الله المسحى نُفِخَ في رحم أمه من المجرى التناسلي: ﴿فنفخنا فيه (في فرجها) من روحنا﴾[1]

فكان نفخ المسيح كلمة الله أن ألقاه روح القدس في رحمها هذا المجرى بإذن الله.

﴿إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول‌الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروحٌ منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم إنما الله إله واحدٌ سبحانه أن يكون له ولد ما في السموات وما في الأرض وكفى بالله وكيلًا﴾ [نساء، ١٧١].

فلم يكن هذا الحمل بالمقاربة، بل بالنفخ والإلقاء في الفرج، نفخُ الروح وهي روحه، إلقاء الكلمة وهي جسمه؛ نفَخه وألقاه روح القدس بإذن الله، إذاً فالمسيح مخلوقٌ بإرادة الله دون أن يرى صلب أي رجل، فالله هو الذي يخلق النطفة الرجولية خارج الرحم ثم يمزجها بنطفة مريم في رحمها كما ويخلق روحه كذلك، وهكذا تحمل البتولة العذراء ابنها: ﴿فحملته (المسيح بروحه وجسمه) فانتبذت به مكاناً قصياً﴾ [مريم، ٢٢]، إذ الموهوب غلام زكي ﴿لأهب لك غلاماً زكياً﴾، لا روح الغلام أو جسمه فحسب.

وكما أن خلق النطفة الرجولية هناك كان خارقاً، كذلك نمو الجنين في رحم البتول كان خارقاً، حيث يُستأنس أنها وضعته بعد قليل مما حملته: ﴿فحملته فانتبذت به مكاناً قصياً﴾ ... نبذاً لحملها دون فصلٍ عن الوقت الذي حملته، كما نستوحيه من الفاء ﴿فانتبذت﴾.

---

١ . أجل إن نفخ الروح كان من مجري الفرج حيث يرجع ضمير المفرد المذكر - فيه - إلى فرجها لا إليها وإن‌كانت هنا آية أخرى لا توضح محلّ النفخ ﴿والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين﴾ [أنبياء، ٩١].

وشاهداً آخر على ذلك أن أحداً لـم يتهمهـا قبـل وضـعها، فلـو أن مـدة الحمـل كانت طائلة كسائر النساء لتبيَّن حملها ولا أقل لأهلها الأقربين إليها، وأخـذت التهم تترى عليها قلبنذٍ، لا أن يتهموها إذ رأوها تحمل ولدها في حجرها فحسب: ﴿فأتت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئاً فرياً﴾ [مريم: ٢٧].

ماذا حملت مريم؟:

لا شكّ أنها حملت جسماً مّا ـ وقد صار هو المسيح ـ لنفخه من مجرى التناسل إلى رحمها، فهل كان الحمل وقت إذٍ خليطاً مـن روح المسيح مـع هـذا الجسـم، أم نفـخ فيهـا الـروح بعـد الجسـم؟ قـد يسـتأنس تقارنهمـا مـن قولـه تعـالى: ﴿فنفخنـا فيـه مـن روحنا﴾.

فليكن المنفوخ روح المسيح مع جسمٍ مّا هو النطقة الرجولية، أو جنينٍ كامل مخلوق خارج الرحم، أو هـو الـروح والجسـم مخلـوق داخـل الـرحم مقارنـاً لـنفخ الروح، ثم يكون نفخه من المجرى المادي دليلًا على جسمانية الروح.

مما لا يريبه شك أن ما نفخ في رحمها لم يكن جسم المسيح فحسب، لقوله: ﴿من روحنا﴾، فإما هو الروح فحسب والجسم مخلوق في الرحم، أو هما معاً.

الروح – الكلمة = المسيح:

وبما أن المنفوخ في البتول هو الروح، والملقى إليها هـو الكلمـة التـي كانـت عبـارة أُخرى عن المسيح: ﴿إنما المسيح عيسى ابن مـريم رسـول‌الله وكلمتـه ألقاهـا إلـى مـريم

روح منه﴾ [النساء: ١٧١]. ثم اعتباراً أن الروح والكلمة كلاهما تعبيران عن المسيح بجسمه وروحه.[1]

من هذا وذاك نستشعر أن الذي ألقي إليها ونفخ فيها هو مجموع جزئي المسيح روحاً وجسماً، أجل إنه هما معاً ولكن على حدٍّ يمكن نفخهما من المجرى التناسلي.

وأن الجسم أياً كان قد خلط بنطفة مريم داخل الرحم، لكي تصح أمومتها له، لا أنها وعاءٌ للمسيح فحسب كأي وعاءٍ لا يستحق أمومته له! وشاهداً على الخلط، النفخ والإلقاء الدالّان على الدفع المحتاج إليه في اللقاح، حتى تصل النطفة الرجولية إلى عمق الرحم لكي تخلط بنطفة الأُنثى.

ثم إن هذا الجنين الحي من بداية أمره أخذ ينمو سريعاً يخرق الزمان كما خرق العادة في خلقه دون أب حتى وُلد، وخَرَق عادة أقرانه أن أخذ يكلم الناس في المهد صبياً.

إذاً فما مَثَله في خَلقه من غير أب وفي خرقه الزمان والعادة في سيره إلّا كمثَل آدم أو دونه: ﴿إن مَثَل عيسى عند الله كَمَثَلِ آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون﴾ [آل عمران: ٥٩].

فالمسيح أيضاً مخلوق من التراب خارج الرحم، مستكمل في الرحم، وآدم مخلوق من التراب ومستكمل فيه أيضاً، فقد امتاز خلق آدم عنه أنه لم يرَ رحم الأم كما لم يرَ صُلب الأب.

---

١. إذ لو كانت الكلمة هي الروح فحسب أو الجسم كذلك لكان التعبير عن المسيح بالكلمة تعبيراً عن أحد جزءيه ـ روحه أو جسمه ـ وإذاً كان حق الكلام أن يقال إن روح المسيح أو جسم المسيح كلمته، أو إنما المسيح رسول الله وروحه أو جسمه كلمته ألقاها إلى مريم.

وكما أن الله نفخ في آدم من روحه، كذلك نفخ في جسم المسيح من روحه، ثم نفخهما قبل الإستكمال في رحم البتول العذراء لكي ينمو هناك ويُستكمَل فيولد!!!.

وجسم المسيح وإن يفقد صُلب الأب ولكنه قد لا يفقد ترائب الأُم حيث خلط بنطفتها فخُلِقَ جسمه الكامل من أمه دون أب، بإرادة الله تعالى، ولكن آدم يفقد ترائب الأُم كما ويفقد صُلب الأب.

ومهما يكن من شيءٍ فقد حملت البتولة العذراء مسيحها بما نفخ الروح القدس بإذن الله في رحمها، فهي إذ ذاك يحق لها أن تستبشر بما وهبها الله آية للناس: إلّا أن التهم التي ستخلّف هذا الحمل لا تدها إلّا حائرة قلقة:

﴿فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة قالت يا ليتني متُّ قبل هذا وكنتُ نسياً منسياً﴾ [مريم، ٢٣].

ولعلها لم تقل هذه المقالة عند حملها لأنها لم تشعر بالحمل، إما لخفته وعدم تبيُّنه، أو لما داهمها من الدهشة والإضطراب حتى وضعت ... تتأوّه لمّا وضعت وتغتم وهي الآن لا تدري ماذا تصنع! سقط في يديها وتحيرت في أمرها واشتد حزنها وغلى مرجل غيظها بطبيعة الحال ... فما لبثت أن سمعت صوتاً يرنُّ صداه في أذنها فبدّد مخاوفها وكفكف دموعها:

﴿فناداها من تحتها ألّا تحزني قد جعل ربكِ تحتكِ سرياً. وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليكِ رطباً جنيّاً. فكلي واشربي وقري عيناً فإما تَرَينّ من البشر أحداً فقولي إني نذرت للرّحمن صوماً فلن. اكلّم اليوم إنسيّاً﴾ [مريم، ٢٤- ٢٦].

لا تحزني من هذه الحادثة، قد جعل ربك تحتك عظيماً: عظيماً في خلقه، عظيماً في مكانته، وهو يكفيك همك وغمك، ويذود عنك ما يمس من كرامتك!

... اطمأنت نفسها، وعاد إليها ما عزب من لبِّها، واستجمعت قوتها: ﴿فأتت به قومها تحمله﴾ [مريم، ٢٧]، وما كادت لتصنع هكذا لولا الحجة التي آتاها ربها، ولكنها على حجة من ربها، داحضة لما يتهمونها ...

﴿قالوا يا مريم لقد جئت شيئاً فرياً. يا أخت هرون ما كان أبوك امرأ سوءٍ وما كانت أمك بغياً﴾ [مريم، ٢٧- ٢٨]، ... يا ميرم لقد جئت شيئاً عجيباً، جديداً منكراً!!

﴿فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبياً * قال إني عبد اپ آتاني الكتاب وجعلني نبياً * وجعلني مباركاً أين ما كنت وأوصاني بالصّلاة والزكاة ما دمت حياً * وبراً بوالدتي ولم يجعلني جباراً شقياً * والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً * ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون﴾ [مريم، ٢٩- ٣٤].

فبداية الوحي على المسيح تضم:

١- براءته عما سوى النبوة والعبودية: من مكانة إلهية.

٢- كونه مباركاً أين ما كان، في أرحام الأُمهات منذ الأم الأولى حواء حتى البتولة العذراء، وفي أصلاب الآباء من أمها وأمومتها، مباركاً طاهراً عن دنس العهر عَبر الأرحام و الأصلاب، لا في رحم أُمه فحسب، فإنه يذود عن ساحة أُمه وزيادة.

٣- براءة عن نسبته إلى الشقاء بحق أمه والتصريح: إنه كان باراً بوالدته و ...

﴿ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون﴾. فى ولادته وفي نبوّته، في طهارته وفي أمه البتولة الطاهرة ... في بينة وبيئة أُمّة وفي كل شيءٍ ومنه وإليه.

الطلاب الإنجيليون: بخ بخ بهذه الولادة الميمونة وهذا المولود، وأحسِن بالقرآن ما أجمله تبياناً بحق المسيح وأمه، تالله إنه لحق أن نؤمن بالمسيح كما يعرِّفه القرآن، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

أسئلة واعتراضات:

طالب إنجيلي: إذا كان المسيح روحاً من الله فقد امتاز عن سائر الخلق بهذه الميزة البارعة، فليكن ابنه، أو لا خلقه ولا ابنه بل روحه؟.

المناظر: ﴿من﴾ هنا ـ نشوية ـ لا جنسية، لكي تقتضي مجانسة المسيح الناسوتي لاهوت الألوهية.

ولقد أسلفنا في المقارنات التوحيدية استحالة كون المسيح جزءاً من الله أو نفسه بالأدلة المحكمة العقلية، فلتفسَّر الآية: ﴿و روح منه﴾ كما يلائم وتلكم المحكمات.

وهناك آيات تدلنا أن روح آدم وذريته أيضاً كروح الله المسيح، روح من الله، وما هذه الإضافة إلا إضافة تشريفية تبين امتياز الروح الإنساني عن سائر الأرواح ... وروح المسيح بين بني الإنسان عن سواه، إلا روح الأرواح، الرسول الأعظم محمد ﷺ.

جمعية الهداية الرسالية: إن القرآن مشتبه في قصة مريم، حيث ينسب إليها قصة هاجر أم إسماعيل، فإنها التي كانت في البرية وهزّت إليها بجذع النخلة، ومريم كانت في بيت لحم اليهودية، والمسيح لم يتكلم في المهد، وهذه كلها مأخوذ من خرافات المسيحيين دون سناد من كتابات الوحي.[1]

المناظر: سناد الجمعية في الإنكار على القرآن ليس إلا عدم استعراض القصة هكذا في العهد الجديد، رغم أن القرآن في استعراضه العادل المعقول للقصة مهيمن على ما نسب الإنجيل إلى المسيح وأمه مما يمسُّ كرامتهما.

فكيف يمكن الإستناد إلى الأناجيل التي تتناقض في نقل القصة، ثم يُعترض على القرآن دون ذنب إلا عدم وفقه تلكم التناقضات والإفتراءات.

طرف من الخلل الإنجيلية في نقل القصة:

١. ج ٢، ص ٩٢ـ ٩٣، نقل بالمعنى.

متى ولوقا حينما يستعرضان القصة يهمل كل واحد منهما شطراً مما ذكره الآخر، فمتى يهمل ما يذكره لوقا في مجيء الروح «جبريل» في الناصرة إلى مريم وبشارته لها بالمسيح ومكالمته معها وجوابها له وذهابها إلى جبال يهوذا إلى اليصابات ومكالمتهما (لو ١: ٢٦- ٥٧).

وكذلك يَغفل عن ذكر يوسف وذهابه ومريم إلى الجليل إلى بيت اللحم لأجل الإكتتاب، وبشارة الملاك للرعاة وشأن مجيئهم إلى المسيح ورجوع يوسف ومريم بالمسحى إلى الجليل إلى الناصرة، بعد ما أكملوا أحكام الولادة في أورشليم فرجعوا منها إلى الناصرة (لو ٢:١- ٤١).

ولوقا يُهمل ما يذكره متى في شأن المجوس مع هيرودس ومع المسيح والوحي ليوسف بعد انصراف المجوس، أن يهرب بالمسيح إلى مصر فهرب به ليلّا سرًا، وقتل هيردوس للأطفال في بيت لحم ورجوع يوسف بالمسيح من مصر بعد ما مات هيردوس إلى أرض إسرائيل وخوفه من أرخيلاوس أن يذهب به إلى اليهودية فانصرف إلى الجليل إلى الناصرة (مت ٢:١- ٢٣).

ثم إن هناك تناقضاً بين نقلي متى ولوقا بشأن المسيح بعد ولادته:

فمتى يقول: إن يوسف بعد انصراف المجوس من زيارة المسيح في بيت لحم، هرب به إلى مصر وبقي هناك إلى أن مات هيردوس، فرجع به إلى أرض إسرائيل (مت ٢: ٧- ٢٢).

ولوقا يقول: إن يوسف ومريم والمسيح بقوا في بيت لحم إلى أنتمَّت أيام طهارة مريم (وهي ثلاثون يوماً- لا ١٢: ٢- ٢٤)، فصعدوا به إلى أورشليم ليقدموا ذبيحة كما قيل في التوراة، ولما أكملوا شريعة ولادة البكر بمقتضى التوراة رجعوا إلى الجليل إلى مدينتهم الناصرة (لو ٢: ٢٢- ٤٠).

فمقتضى قول متى: أنه بعد انصراف المجوس من بيت لحم كان لا يمكن أن يؤتى بالمسيح إلى أورشليم، لأن هيردوس بسبب أخبار المجوس كان يطلبه

ليقتله، بل هربوا به بمقتضى الوحي من هناك سراً إلى مصر، إلى أن مات هيردوس، فكيف يتلائم مع هذا إخبار لوقا أنه أتي به إلى أورشليم وتنبأ عنه سمعان وحِنَّة؟

وأخيراً يذكر متى أن يوسف لما رجع من مصر أراد الرجوع بالمسيح إلى بلاد اليهودية، ولكنه خاف من أرخيلاوس أن يذهب إلى هناك، فأوحى إليه ليذهب إلى نواحي الجليل، فذهب إلى ناصرة وسكن بها لكي يتم ما قيل بالأنبياء أنه سيدعى ناصرياً، و مقتضاه أن الناصرة لم تكن وطن يوسف ومريم وسكناً لهما قبل ذاك، وإنما صارت لهم دار هجرة من مصر.

ولوقا يذكر أن الناصرة كانت قبل ذاك وطن مريم ويوسف وفيها حملت مريم ومنها صعدا إلى بيت لحم لأجل الإكتتاب، وإليها رجعوا من أورشليم، لأنها كانت وطنهم.

... فهل ترجو الجمعية الرسولية أن يتبَّع القرآن تلكم المتناقضات في القصة ثم يعترضون على القصة في نقل القرآن لخلوِّ العهد الجديد عنها كما يستعرضها القرآن، إذاً فليعترضوا على كلٍّ من لوقا ومتى لانفراد الكل بشطر من القصة يخلو عنه الآخر!!!

ثم أخيراً فمَن قال لكم: إذن المكان القصي الذي انتبذت مريم بالمسيح إليه، هذا المكان كانت بريّه قفراً لا ماءَ فيها ولا كلاءَ، فلا شجر ولا نخل! فهل إن القصيَّ في قاموسكم بمعنى البرّية؟ أم إنه البعيد عن ملأِ الناس لكيلا يرونها تضع ولدها الطيب فلا يسارعونها في الإتهام، وطبيعة الحال قاضية أن النخلة ليست إلا في المعمورة، لا البرية القفر.

فهل إن المكان القصي المعمور بالنخل أحرى أن يولد فيه روح الله المسيح أم الآخور مَعْلف الحيوان على رؤوس الأشهاد وعيون الناظرين، فمالكم كيف تحكمون!.

فإن زعمت الجمعية الرسولية أن هناك لا يوجد نخل ولذلك تنكر أنها أجاءها المخاض إلى جذع النخلة، فإنجيل يوحنا يصرح «أن الكثيرين في أورشليم أخذوا سعوف النخل وخرجوا للقاء المسيح» (يو ١٢: ١٢- ١٣) وبيت لحم من ضواحي أورشليم.

وإن تبخل الجمعية عن كرامة الله لمريم هناك بإحياء النخلة وإثمارها لتأكل منها، فقد تنحو في بخلها أثر الأناجيل التي لا تسمح لمسيحها أن يكلم مريم أن بخل عن كلامها إذا استدعت ليحدثها!.

وحين لا تسمح الجمعية هذه الكرامة الكريمة والخارقة البديعة لمريم، تدنس ساحتها وتصدق: «أنها جاءت فانفتحت السماء ونزل عليها إناءٌ فيه كل دواب الأرض والزحافات والطيور وقيل لها: إذبحي وكلي. فقالت: يا رب إني لم آكل قط شيئاً نجساً. فقيل لها: ما طهره الله فلا تدنيسه» [١٠٤١: ١- ١٦].

فالجمعية تصدق هذه الخرافة القاتلة وتكذب تلك الكرامة!

فهل إن الله يُنزِّل على مريم الدنس والنجس ويأمرها بأكلهما أمراً بالمنكر الذي نهى عنه؟ أم إن مريم تعارض الله في حكمه وتريد إبطال تشاريعه العملية، لأنّ ولدها سيفتدي البشرية عن لعنة الناموس!

ولو أحالت الجمعية اخضرار النخلة وإثمارها من ساعتها فلتقل مثل ذاك في عصا موسى، حيث وضعها في خيمة الشهادة وفي الغد وجدها قد أفرخت فروخاً وأزهرت زهراً وأنضجت لوزاً (عد ١٧: ٧- ١١) (عب ٩: ٤).

وأخيراً تعتبر الجمعية تكلُّم المسيح في المهد أيضاً من الخرافات، وهو أول معجزة بيِّنة للمسيح(ع)! فلعل الجمعية الرسولية تريد استبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير، اعتباراً أن أول معجزاته قلب الماء خمراً في عيد المظال! أو لا ترضى أن يعترف المسيح بعبوديته، وينزه ساحة أمه من تهمة الزنا وينزه ساحته من هتكها!!.

الأسقف: كيف لا ترضى الجمعية الرسولية براءة ساحة البتولة العذراء عما نسب إليها، و هم أحرى وأولى بذلك منكم؟

نسب المسيح في العهدين:

المناظر: أجل لا ترضى من حيث لا تشعر أو تشعر! حيث تكذّب القرآن في مقالة المسيح الصادقة الذائدة عن كرامته الكثير مما نسب إليه وإلى أمه، في حين تصدِّق العهدين ـ بطبيعة الحال ـ في نسب المسيح وأنه من أولاد الزواني من شتى النواحي عبَر الأصلاب والأرحام!

الأسقف: هاه! أنى هذه التهم الزور في أناجيلنا بشأن مسيحنا وكيف يعكس أمر المسيح في الإنجيل والقرآن أن يفترى عليه في كتابه ويُذاد عنه في القرآن!؟

المناظر: صحة الأناجيل خطر على قدس المسيح! وصدق الأناجيل يستلزم كذب المسيح وتناقضه في دعوته! والعهدان يتناصران في تبعيد المسيح عن حزب الله ولا يسمحان له الدخول فيهم! والعهدان يفتريان على المسيح أنه من جدود أربعة ولدوا من زنا!

... والقرآن يأتي شاهد صدق للذود عن كرامة المسيح ما يسها في تصاريح!

مؤاب. فارص. بن عمي. سليمان

هؤلاء الأربعة من أجداد المسيح تجد كلهم من أولاد الزنا حسب تصاريح العهدين:

مؤاب: عوبيد جدّ داود النبي أمه روث (مت ١:٥-٦)، وهي من نسل مؤاب والمسيح من نسل داود من سليمان (مت ١:١). فمواب أحد أجداد المسيح وداود وسليمان.

بن عمّي: رحبعام بن سليمان من أجداد المسيح (مت ١: ٧)، أمه من نسل بن عمي (١ ملوك ١٤: ٢١).

فارص: وهو أيضاً في سلسلة أجداد المسيح (مت ١:١-٤).

ثم إننا نجد هؤلاء الثلاثة وسليمان في التوراة من ولد الزنا في تصاريح:

فمؤاب وبن عمّي: هما ابنا لوط حيث زنى سكراناً ببنتيه فولد له من الكبرى مؤاب ومن الصغرى بن عمّي وهما رئيسا سلسلتي مؤاب وبن عمي (تك ١٩: ٣٠-٣٨).

فارص أو برص: ولد من «تامار» حليلة ابن يهودا حيث زنى بها! فولدت فارص وزارح توأمين (تك ٣٨: ٦-٣٠) (مت ١: ٣).

وسليمان: أيضاً ولد من بت شبع امرأة أوريا حيث زنى بها داود النبي - (وحاشاه!) - (مت ١: ٦).

فداود وسليمان والمسيح أولاد زناً من المحارم نتيجة لتناصر العهدين في استعراض نَسَبَهم.

والمسيح ولد من زنا عَبر الأصلاب والأرحام، من «مؤاب، بن عمي، فارص، سليمان». ثم التوراة تأتي بتصاريح تخرج المسيح وهؤلاء من حزب الله، ولا تأذن لهم بالدخول فيهم: ... «لا يدخل ابن زنا في جماعة الرب. حتى الجيل العاشر لا يدخل منه أحد في جماعة الرب. لا يدخل عمّوني ولا مؤابي في جماعة الرب. حتى الجيل العاشر لا يدخل منهم أحد في الجماعة الرب إلى الأبد ... لا تلتمس سلامهم ولا خيرهم كلَّ أيامك إلى الأبد» (تث ٢٣: ٢-٣ و ٦).

إذاً فلا خير في مسيح الإنجيل ولا يدخل في جماعة الرب هو وكل ولد زنا ولا سيما المؤابين وبن عمين وهو منهما! فكيف يُعتبر نبياً عظيماً من أولي العزم؟ أو ابناً للّه أم إلهاً متجسداً في الناسوت!!!

أصحابي: فهل تسمحون حينذاك أن نعتبر مؤلفي الأناجيل من أعداء المسيح عليه السلام، أو من السذَّج الجهال الذين لا يهتدون سبيلًا:

فإن كنت لا تدري فتلك مصيبةٌ وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم

الطلاب الانجيليون: هاه من الكتب المقدسة كيف لا تضبط الأنساب القادسة كما هي إلّا وتدنسها ... إذاً فماذا يبقى للمسيح إذ قضي عليه في البداية، فهو مقضي عليه في تصاريح العهدين حتى النهاية!.

المناظر: لا فحسب، فإن هناك أيضاً مناقضات في استعراض نسب المسيح بين الأناجيل.

يقول مستر هارمرسي:[1] «كان أوراق النسب تُحفَظ في اليهود جيداً وليعلم كلُّ ذي علمٍ أن متى ولوقا اختلفا في بيان نسب الرب اختلافاً تحيَّر فيه المحققون من القدماء والمتأخرين».

واعترف جماعة آخرون من المحققين الإنجيليين مثل «اكهارن، كيسر، هيس، دبوت، وي نر، فرش» وغيرهم أنهما مختلفان اختلافاً معنوياً شاسعاً وإليكم نماذج من هذه الإختلافات بين متى ولوقا:

١ - متى: إن يوسف النجار ابن يعقوب، ١- لوقا: إنه ابن هاني.

٢ - متى: المسيح من ولد سليمان بن داود، ٢- لوقا: انه من ولد ناثان بن داود.

٣ - متى: إن جميع آباء المسيح من داود إلى جلاء بابل سلاطين مشهورون، ٣- لوقا:

ليس كذلك.

٤ - متى: شلتائيل بن يوخانيا، ٤- لوقا: أنه ابن نيري.

٥ - متى: إسم اين زور بابل أبيهود، ٥ - لوقا: أنه اين نيرى.

٦ - متى: من داود إلى المسيح ٢٦ جيلا، ٦- لوقا: انه ٤١ جيلًا، حال أن بين داود والمسيح ١٠٠٠ سنة، وعلى الأول فكل جيل ٤٠ سنة وعلى الثاني ٢٦ سنة،

---

١. إنجيل لوقا، ينقله عنه آدم كلارك.

فهناك أربعة عشر جيلًا اشتبه فيهم أحد الكاتبين، أو هما مشتبهان، فاقضِ ما أنت قاض.

مسيح القرآن، نسبه:

الأسقف: إذاً فالقرآن كيف يستعرض نسب المسيح؟

المناظر: ليس القرآن من كتب الأنساب لكي يستعرضها! وإنما ينسب المسيح إلى أُمه كل ما ينسبه، تنديداً بمن يختلق له أباً، سواءً أكان هو يوسف أم روح القدس أم الله - وحاشاه - أم عاهر - وحاشاه - و﴿إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته القاها إلى مريم﴾ [نساء. ١٧١].

وطبيعة الحال قاضية أن الولدَ يُنسب فيما يُنسب إلى أبيه إن كان له أب، وإلى أمه إن كانت فحسب، ثم لا يُنسب إلى أي والد أو والدة إن كان منفي الأبوين كآدم الأول، لا ان يُنسب إلى رجل أجنبي لا صلة بينه وبينه ولا بين أمه، أو يُنسب إلى الروح أو إلى الله كما نسبوا المسيح تارة إلى يوسف وأخرى إلى الروح وثالثة - وهي الأكثر تداولًا - إلى الله.

فالقرآن ينسبه إلى أمه نسبة الولادة وينسبه إلى الله نسبة الخلقة، ثم يطهره بكلمة واحدة بيِّنة عن العهر عَهر الأصلاب والأرحام، وعما ينافي الطهارة إطلاقاً بقوله عند ولادته: ... ﴿وجعلني مباركاً أين ما كنت﴾ [مريم. ٣١]، أين ما كنت قبل الولادة في رحم أمي وجداتي حتى أمي الأولى حواء، وفي صلب أبيها والآباء حتى آدم الأول، فقد كنتُ نوراً في الأصلاب الشامخة والأرحام المطهرة لم تنجسني الجاهلية بأنجاسها ولم تلبسني من مدلهمات ثيابها ... قد كنت مباركاً أين ما كنت وحيثما كنت، لم أرَ صلب زانٍ ولا رحم زانية، أو صلب مشرك جهول ورحم مشركة. أو ... كل ما ينافي والبركة والطهارة.

و بهـذه الكلمـة الجميلـة الطيبـة يقضـي القـرآن علـى طـائلات المحـرفين فـي العهدين حيث دنسوا فيهما ساحة المسيح بأدناس العهر، وكما أن ذلك من ميـزات ذلك الكتاب المهيمن الحفيظ على كرامات الله وأنبيائه، والله من وراء القصد.

... فهذه نظرات الأناجيل في المسيح حيث تتهمه بشتى التهم الجارفة في نسبه والمناقضات في وجوده ودعوته وأهدافه، لحدّ يزعج عنها كـل فاسق شرير فضـلًا عـن نبـي كـريم، رابع أولـى القـوم مـن الرسـل الـذين دارت علـيهم رحـى الـوحي الإلهي.

وقد نكتفي بهذه الناذج التي لا تدع فسقاً ولا كفراً ولا أي سوءٍ إلّا وتنسبه إلـى ساحة قدسه، ثم نأتي فيما يلـي علـى نمـاذج ناصـعة مـن الـذكر الحكـيم حـول المسيح طيلة حياته النيرة:

مسيـح القرآن عليه أفضل الصلاة والسلام

إن القرآن لما يأتي بذكريات المسيح، يرفض من ناحيةٍ كلّ مـا يمـس مـن كرامتـه وينال من ساحته مـن أضـغاث الأحـلام وخرافـات الأوهـام، ومـن أخـرى يرفعـه إلـى العشرات من مقامات الولاية، اختصاصية واكتسابية، إلى حيث شذ ما يوجد مثله فـي أنبياء الله وأوليائه، إلّا وليّه ووليّ كل نبي وهو الرسول الأعظم محمد.

فمسيح القرآن كما يلي:

إنه عبد الله ونبيّه ـ جعله ربه مباركاً أينما كان، عَبْر الأصلاب والأرحـام وعَبْـر حياتـه النيرة وبعد رفعه وعند ما يرجع [مريم، ٣٠ ـ ٣٢].

و﴿لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً للّه﴾ [نساء، ١٧٢].

ومقالته طيلة حياته الرسالية وقبلها ﴿إن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم﴾ [آل‌عمران، ٥١].

و﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال‌له كن فيكون﴾ [آل‌عمران، ٥٩].

و﴿إن هو إلّا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مَثَلًا لبني إسرائيل﴾ [زخرف، ٥٩].

وما كان من الذين يدعون الى أنفسهم أن يُعبد من دون الله ﴿٥ ﴾ [مائده، ١١٦ - ١١٧].

وكان واحداً من الخمسة أولى العزم من الرسل أصحاب الشرائع الفذّه والدعوات العامة العالمية: ﴿٤٢ ﴾ [شورىٰ، ١٣].

وكان له كتابٌ و هو إنجيله الذى أنزله الله عليه: [آل عمران، ٣ و٤٨ ومائده، ٤٦].

وقد سمّاه الله بالمسيح و روح منه و كلمة التى ألقاها إلى مريم [نساء، ١٧١].

وما كان من أئمة المرسلين الخمسة [احزاب، ٧] ومن شهداء الأعمال [نساء، ١٥٩ ومائده، ١٨٧].

و﴿وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين﴾ [آل‌عمران، ٤٥]

ومن المصطفين المجتبين الصالحين [آل‌عمران، ٣٣ و أنعام، ٨٥- ٨٧].

وقد علمه الله الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل [آل‌عمران، ٤٨].

وكان مبشراً بالرسول الأعظم محمدﷺ [٣: ٤٨].

﴿وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبّه لهم وإن الذين اختلوا فيه لفي شكّ منه ما لهم به من علم إلّا اتباع الظن وما قتلوه يقيناً. بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيماً﴾ [نساء، ١٥٧- ١٥٨].

وسيؤمن به أهل الكتاب قاطبة قبل أن يموت ﴿وإن من أهل الكتاب إلّا ليؤمننّ به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً﴾ [نساء، ١٥٩].

وآتاه الله البيِّنات من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبراص والعلم بما يدَّخرون في البيوت [آل عمران: ٤٩].

وكانت حياته كلّها تضحيات في سبيل الدعوة إلى الله وتطبيق تشارعيه، ثوره على الهمجية واللادينية واللأخلاقية دون أن يحمل آثام المذنبين بخرافة الصلب المختلقة.

فهو فادٍ لإحياء أحكام الناموس لا للقضاء عليها، كما وهي سنة أنبياء الله من قبل ومن بعد قضيةً لرسالتهم ورسالاتهم الإلهية.

أجل: إن مسيح القرآن يكلم الناس في المهد وكهلًا بما يصلحهم، فهو إذ يلعب مع لِداته و يلهو مع أقرانه، ينبئهم بما يأكلون ويدخرون في بيوتهم، وإذ يذهب إلى معلم القرية ويصغي إلى درسه، لا يتلقى شيئاً إلا وقد بدر معلمه في الصحيح الصحيح ...

يرحل إلى بيت المقدس مع أمِّه الصديق مريم، ولم تعد سنة الثانية عشرة، فلا يبهره ما يرى من جماعات مختلفة وألوان من الناس متباينة، ولا يفتنه ما يقع عليه بصره من مشاهد رائعة ومظاهر خلابة ساحرة، ولم تلهه تلك المدينة، بزيفها أو يَزَغ بصره من زخرفها، وهو في هذه السنّ التي لا توحي إلا بالبعث، ولا تدفع إلّا إلى اللهو، ولكنه يغضي عن ذلك كله، ويلقي بنفسه في ميدان العلم، ويستي من مورده ويرتوي من منهله.

ولقد كانت حالة اليهود عندما بزغ نجم المسيح وأشرقت شمسه، كانت حالة متوترة متفسخة في شتى امجالات العقائدية والأخلاقية والعملية، فمن فرقة تنكر القيامة ويستبعد الحشر ويكذِّب بالحساب، ومن أخرى ألهتهم الحياة الدنيا وانغمسوا في ملاذها وأقبلوا على شهواتها، يستسرّون بها، ويتسترون على أعين الناس وههم يقترفونها، يراؤون الناس ليوقعوهم في مخالبهم ويبتزوا أموالهم.

فأصحبت علماؤهم عملاء يشرون الكتاب وأحكامه بثمن قليل، وجهلاؤهم يصغون إلى آرائهم وهم يعرفونهم كما هم.

إذ ذاك بعثه الله تعالى ليخرجهم من الظلمات إلى النور، فلم يترك سبيلًا إلا سلكه، ولا باباً إلى طرقه، يحاول أن ينتشلهم من هذه الوهدة، ويخلصهم من تلك الحمأة.

حينذاك شعر رجال الدين الإسرائيلي بالتيار يجرفهم وأحسّوا بالخطر بدهمهم، فما هو ذا عيسى ينكر عليهم انغماسهم في الشهوات وتهالكهم على اللذات وتسابقهم إلى جمع المال، ثم هو يفضح أسرارهم وينشر بين الناس مخازيهم، فأجمعوا أمرهم بينهم على مناوأته أينما حلّ وتكذيبه حيثما رحل.

ولكنه صمد في سبيل الحق وثبت لدعوة الصدق، وسار منتقلًا بين القرى يزيِّف آراءهم ويفند أقوالهم أمام الجماهير، حتى وجدت دعوتُه الزاهرة آذاناً صاغية وقلوباً واعية، ممن كان يلقي السمع وهو شهيد دونما تعصب للباطل وتصلُّب على رفض الحق.

فأثار ذلك حفيظة الكهنة وحرَّك كامن غيظهم ودفعهم إلى التفكير فيما يريحهم منه ويكفيهم شره! ولكنهم لم يستطيعوا أن يمسّوه بأذى ﴿ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين﴾.

مسيح الإنجيل:

هذا وقد نجد مسيح الإنجيل يناقض كينونته وكيانه وما لَه وعليه وإليه طيلة حياته حتى الآن، يناقض مسيح القرآن، وإذاً فحجة من يزعم إجمال الفريقين على تصديق المسيح، وعلى المسلمين إثبات نبوة رسولهم، هذه الحجة داحضة، حيث المسلمون لا يصدقون رسولًا إلّا إذا صدقه القرآن، ومسيح القرآن يختلف عن مسيح الإنجيل بالكثير الكثير إلى حدِّ التناقض!

إذاً فميدان الخلاف بين المسيحيين والمسلمين لا يخص رسول الإسلام بل المسيح عليه السلام أيضاً.

الطلاب الكتابيون: أُستاذ! لك الشكر أن أوضحت لنا الحق إلا أنه ما تمّ حتى الآن، فنحن إذ نرى المسيح والأنبياء الذين أتوا قبله، نراهم ضياعاً مسّت كراماتِهم كتاباتُ العهدين، فإلى مَنْ بَعْدُ، إلى من؟

* * *

الرسول الاعظم محمّد(ص)

في القرآن والعهدين:

المناظر: إلى خاتم النبيين وسيد المرسلين.

إلى نبيٍّ هو النبيون وفيه مزيد.

إلى كتاب يجمع الكتب وفيه مزيد.

إلى تشاريع خالدة ناصعة، هي بالنسبة لما مضت نسبة الأصل إلى فروعه، نسبة الجادة إلى المقصد، ونسبة النقض إلى التمام.

إلى نبي ذكره في الصحف الأولى، وآيات صدقه شملت كتابات الوحي، وأخيراً كتابه القيم ﴿أو لَم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم﴾ [عنكبوت، ٥١].

إلى نبي رحيم يقضي بعطفه العام ورحمته الهامة، على سائر الإفتراءات والتهم التي دنّست ساحات الوحي على أنبياء الله من قبل، وزيّفت التشاريع المقدسة الإلهية من قبل و من بعد.

إلى نبي هو كلٌّ الأنبياء، وكتابٍ هو كل الكتب وفيه زيادة خالدة حتى القيامة الكبرى.

بيئة الرسول الأعظم في القرآن:

القس الدكتور فندر الالماني ويوحنا الغيور:[1] لا الكتاب المقدس يذكر محمدكم بذكريات ولا أن القرآن يصفه كما يحق لنبي معصوم، ونحن نجد وفيراً من آيه تذكره بأخطاء وذنوب، فكيف يؤهل رسولًا من الله وشافعاً للذنوب من لم يتخلص عن الذنوب!.

المناظر: إنْ هذه إلا فرية بيِّنة على الرسول الأعظم محمدﷺ مقابلة بمثل ما افترى به الإنجيل على مسيحه.

الطلاب: رجاء استعراض الآي التي تندِّد بمحمدﷺ كما يزعم فندر وغيره.

فندر: ... في (يو ١٣: ٦ و ١ ع ٤: ١٢ و ١ تيمو ٢: ٥ – ٦) «وليس في العالم شفيع إلا المسيح».

فرية العصيان على الرسول الأعظمﷺ:

ومحمد لما كان من الجنس البشري فقد يوجد فيه السهو والنسيان والعصيان، فكيف يهدي ويشفع وهو يحتاج إلى هاد وشفيع!

المناظر: ... لا حجة في تصاريح هذه الكتابات التي عرفناها طوال بحوثنا المقارنية.

ثم فرية هذه الأخطاء الثلاثة ـ السهو والعصيان والنسيان ـ التي هي من جرّاء عقيدة الثالوث دون أي سناد إلا زوراً وغروراً، هذه الفرية تزيفها القرآن والصحف الأولى.

فندر والجمعية الرسولية: وكما هو مسطور في ﴿فاصبر إن وعد الله حق واستغفر لذنبك وسبِّح بحمد ربك بالعشيِّ والإبكار﴾ [غافر: ٥٥] و﴿فاعلم أنه لا إله إلّا الله و استغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله يعلم متقبلكم ومثواكم﴾ [محمد: ١٩]، ﴿إنافتحنا لك فتحاً مبيناً. ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ...﴾ [فتح: ١-٢].

١. فندر في ميزان الحق ويوحنا في الباكورة الشتية، ص ٣٨٥.

هذه الآيات ظاهرة دون ريب أن محمداً أذنب ذنوباً ولذلك يأمره ربه ليستغفر عن ذنوبه بأن يفتح له فتحاً مبيناً ليغفر له ما تقدم وما تأخر.[١]

المناظر: ليتكم عرفتم معنى الذنب في اللغة العربية الأصلية لكيلا تحاملوا جهلًا وزوراً على رسولنا الأعظم محمدﷺ، فلو أنكم عرفتم المعنى لتبين لكم عكس ما تفترون. و أن هذه الآيات تعظِّم موقف الرسول الأعظمﷺ - الإيماني الرسولي - دون أن تندد به ولا شطر إشار!

الذنوب لغوياً:

يقول الراغب في غريب القرآن: الذنب في الأصل بذَنَب الشيء ويستعمل في كل ما يُستوخَم عقباه.

أقول: وخامة عقبى الفعل إما باعتبار عاجل الدنيا أو آجل الآخرة، والثاني عصيان لا محالة حيث الأمر يومئذ للّه، ولا يستوخم عقبى الفعل هناك إلا إذا كان عصياناً للّه، وأما الاول فإن اعتبر في نظر أهل الحق فكذلك أيضاً، وأما في نظر أهل الباطل فكل عملية تنافي وشهواتهم فهي عندهم ذنب يرصدون لفاعله كل مرصد، وكما يقول عن موسىﷺ ﴿ولهم عليّ ذنب فأخاف أن يقتلون﴾ [شعراء، ١٤]، فإن قتل القبطي المشرك المقاتل للسبطي الموحد لم يكن ذنباً عند الله وإنما هو في نظر فرعون وأهله.

إذ ذاك فلفظة الذنب لا تدل بمفردها على العصيان وإنما يقتفى في معناه أثر القرائن هنا و هناك، وآي الذكر الحكيم تذود عن ساحة الرسول الأعظمﷺ كل عصيان أو مكروه، و تصفه بأعلى مدارج الإيمان والعصمة والولاية الإلهية كالتالي:

الرسول الاعظم في القرآن:

١ . ميزان الحق تأليف الدكتور فندر، ص ٢١٧.

﴿قل إن كان للرحمان ولد فأنا أول العابدين﴾ [زخرف،٨١]، فكيف يُنسب العصيان إلى أول العابدين!

وهو شهيد الشهداء يوم الدنيا ويوم الدين: ﴿ويوم نبعث في كل أمة شهيداً عليهم من أنفسهم وجئنا بك شهيداً على هؤلاء﴾ [نحل،٨٩]، فهو الإمام على أئمة الأديان ـ بمن فيهم المسيح ـ في ناحية الشهادة على الأعمال وغيرها.

وهو الرسل إلى الرسل، وعلى كلٍّ رسول قبله أن يؤمن به وينصره: ﴿و إذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمننَّ به ولتنصرنه قال ءأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين﴾ [آل‌عمران،٨١].

وينفي عن ساحته الضلالة والغواية إطلاقاً: ﴿ما ضل صاحبكم وما غوى﴾ [نجم،٢] و كل عصيان غواية: ﴿و عصى آدم ربه فغوى﴾ [طه،١٢١].

ويعتبر قربه إلى أقرب ما يمكن: ﴿ثم دنا فتدلى * فكان قاب قوسين أو أدنى﴾ [نجم، ٨ ـ ٩].

اقترب إلى رتبه وتباعه عما سواه وحتى عن نفسه فلم يبق في أعماق ذاته إلا رضى الله وإلا التوجه إلى الله! ... ولم يبق بينه وبين الله أحد حتى نفسه، إذ غفل عنها في أرقى مراتب القرب.

ويَعتبر طاعته طاعة الله في كل ما يقول أو يفعل إطلاقاً: ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾، فلو أنه كان يعصي، وإن كان مرة واحدة في حياته، لم تكن وجوب طاعته هكذا، وإلا أمراً بعصيان الله ـ وحاشاه!ـ.

وأخيراً يستعظمُ خُلقَه العظيمُ قائلًا: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾ [قلم،٤]، والعصيان ينافي الخلق الإيماني العبودي فضلًا عن عِظَمه ولا سيما عند الله العظيم.

ما هو ذنب الرسول الأعظم (ص):

وما ذنبه طيلة حياته الرسالية النيرة إلا القضاء على العاصين وعلى الوثنيات واللا أخلاقيات، وإلّا الصمود والاستقامة في سبيل الحق، فهذا ذنبه. وجوده ذنب وتفكيره ذنب وعمله ذنب ودعوته ذنب ـ عندهم ـ في تلكم الظروف القلقة المرة التي كانت تمرّ على البشرية، ولقد اصطدم وأصيب بالبعض من عقبى عملياته الإصلاحية أن رموه بالجنون، وأدموه وشردوه وحاصروه واضطروه إلى الهجرة عن وطنه المألوف.

وكان مما يدفع مواصلة هذه العقوبات فتح مكة المكرمة أن غفر الله به ذنبه ما تقدم منه و ما تأخر، أن آمن به الكثيرون عفواً وطاعةً واستسلم الباقون خوفاً فلم يجرؤوا بعدئذٍ على أذاه والإنتقام منه.

أجل إن فتح مكة فتَح له حصون الضلالة، وأغلق عليه أبواب العقوبات والتعصبات العارمة من المشركين، التي كانت تواصل عليه كل شرّ وضرّ ليل نهار.

وقبل فتح مكة كان يأمره ربه بالصبر على أذى قومه والإستغفار من ذنبه، أي طلب الغفر من الله: أن يغفر ويستر العقوبات المكمونة عليه من كفَرَة العرب، حتى رزقه الله فتح مكة إنجازاً لوعده وإجابة لمسؤوله: ﴿و اتبع ما يوحى إليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين﴾ [يونس، ١٠٩]، ﴿و اصبر وما صبرك إلّا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في صيق مما يمكرون﴾ [نحل، ١٢٨]، ﴿فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون﴾ [روم، ٦٠] ... وإلى أن يقول: ﴿فاصبر إن وعد الله حق واستغفر لذنبك وسبِّح بحمد ربك بالعشي والابكار﴾ [غافر، ٥٥].

ووعدُ هذا وعدُ الفتح وكما يقول: ﴿لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلّقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً﴾ [فتح، ٢٧].

وهكذا الإستغفار للمؤمنين: ﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين و المؤمنات والله يعلم متقلبكم ومثواكم﴾ [محمد، ١٩]، حيث المؤمنين كانوا كمثله في خطر المشركين طيلة العهد بمكة، وبعد الهجرة إلى فتح مكة؛ وقد أمر الرسول

الأعظم ﷺ هناك وهناك أن يطلب من الله الفرج للاسلام وللمسلمين، أن يُذاد عنهم كوامن الشر والخطر، ويُغفر ويُستر عنهم ذنبهم ولم يكن إلا ذنباً واحداً اشترك فيه الرسول والمؤمنون و هو الدعوة إلى التشاريع الإسلامية وتطبيقها وتفنيد آراء المشركين، هذا وإلى أن أنجز الله وعده وكما يقول:

﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً. ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليكم ويهديك صراطاً مستقيماً. وينصرك الله نصراً عزيزاً. هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناض مع إيمانهم ولِلّه جنود السَّموات الأرض وكان الله عليماً حكيماً﴾ [فتح.١-٤].

ومن البديهي أن لا صلة بين الفتح المبين وغفران العصيان من رب العالمين حتى يؤهل الفتح سبباً للغفران، فإن للغفران أسباباً مفروضة على العاصي من التوبة والإستغفار و إصلاح ما أفسد بعصيانه، فكيف ينتج الفتحُ (وهو فعل الرب: ﴿إنا فتحنا﴾) غفران الذنوب! أجزاءً للذنب بفتح الرحمة جزاءً غير وفاق؟!

إذاً فالصلة البيِّنة في الآية بين غفران الذنب وفتح مكة توحي أن المراد من الذنب ما يناسب فعل الله وهو الفتح، وليس إلّا ما أغاظ الرسول الأعظم ﷺ المشركين بدعوته الإلهية أن كانوا يكمنون له الغوائل، وقد قضى الله تعالى عليها بفتح مكة كما ويصرِّح في عداد نتائجه: بالنصر العزيز وإلقاء السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم.

أجل وهذه النصرة والعزة من جرّاء صبره وصموده للحفاظ على نواميس الحق وكما أمره الله: ﴿فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم﴾ [احقاف.٣٥]، ﴿واصبر لحكم ربك إنك بأعيننا﴾ [طور.٤٨]، ﴿فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت﴾ [قلم.٤٨]. ﴿واصبر على ما يقولون واهجرهم هجراً جميلًا﴾ [مزمّل.١٠].

فقد صبر وصبر وصمد واستقام حتى أنجز الله وعده ويسَّر له أمره وكما وعد: ﴿فإن مع العسر يسراً * إن مع العسر يسراً﴾ [شرح.٥-٦].

إذاً فما كان ذنب الرسول الأعظم ﷺ إلّا واحداً طيلة حياته الرسولية ليل نهار ـ وهو رسالته ـ وما معناه إلا عصياناً عن ميول العتاة الطغاة من المشركين، لذلك فقد اعتر من أذنب قريش عندهم من أجل ما جاء به في دعوته الباهظة لأهوائهم الملائمة لدينهم الفاسد، وما قام به من الدفاع عن حوزة دين الحق بالحروب التي أرغمتهم وحطتهم عن جبروتهم وطاغوتهم.

وأخيراً فصحة الكلام: ﴿إنا فتحنا ... ليغفر﴾ ليست إلّا إذا أريد بالذنب غير العصيان، إلّا فما هي المناسبة بين الفتح والغفران؟ إذاً فلا يتأنى لفندر والجمعية الرسولية الإستدلال بالآية إلّا إذا اعتبروها آية غالطة في مرماها خالية عن رباط ألفاظها، رغم أن الآية بنفسها حجة داحضة على ما يهوون!!.

طالب كتابي: شكراً لك أستاذ وألف شكر والرجاء أن تزوِّدنا بالمعني مما تقدم وما تأخر.

المناظر: أجل، إن آية الفتح نزلت ولما تفتح مكة المكرمة، فقد كانت تبشيراً بفتح قريب: ﴿نصرٌ من الله وفتح قريب وبشر الممنين﴾ [صف: ١٣]، وذنب الرسول بالمعنى السالف صار مغفوراً له بالفتح ما تقدم منه قبل نزول الآية وما تأخر إلى الفتح وما بعده، فما كانوا يكمنون له من قبل ومن بعد صار مبتوراً بالفتح، وما أصابوه من قبل ومن بعد صار مجبوراً بالفتح، فأصبح الفتح دواءً لكل داءٍ يُنتظر من المشركين، وجبراً لكل ما أصابهم منه.

أجل إن الله تعالى أتم نعمته على رسوله بهذا الفتح، إذ جمع له من شذ عنه من قريش غيرهم الذين كانوا حجر عثرة في سبيل التوحيد والإسلام، وعقبة دون المسجد الحرام، وهداه صراطاً مستقيماً إلى إقامة شعائر الحج وسنن أبيه إبراهيم ونشر دين الحق، و نصره نصراً عزيزاً انقادت به جزيرة العرب وتخطتها الدعوة إلى روم وفارس.

فندر: ويقول القرآن إن محمداً كان قبل نبوته ضالًا، لا يدري ما الكتاب ولا الإيمان ﴿ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا﴾ إذاً فما بال الضال الجاهل اللاإيمان لا يصبح أول الهادين والعابدين!

جمعية الهداية: وهذه العبارة ﴿ووجداك ضالًا﴾ [ضحى. ٧]، ناطقة بأنه كان على عبادة أهله وعشيرته.

المناظر: لئن كان رسولنا الأعظم ﷺ قبل نبوته ضالًا بالمعنى الذي تشتهون - وحاشاه - فأنبياء العهدين كانوا ضُلَّالًا طيلة حياتهم الرسولية إلى حد الشرك والزنا والكذب وكما أسلفناه من العهدين!

ثم المعني من الضال هنا ليس كما تهوونه، فإن هنا احتمالات هي برمتها أرجح مما تهوونه.

١ - وجدك ضالًا عن الوحي والنبوة فهداك إليهما بما أوحى إليك، فالضال له مراتب شتى كالهداية، وإنما تتعيَّن مرتبة مّا للضلالة حسب القرائن، وهداية النبي المقابلة لضلالة قبلها تهدينا إل أنه الضلال عما هداه إليه من النبوة الختمية والولاية الكلية الإلهية، وتنفي آيات أخرى عنه الضلالة والغواية إطلاقاً، بمعنى ضلالة الشرك والكفر والعصيان، قائلًا: ﴿ما ضل صاحبكم وما غوى﴾ [نجم. ٢].

٢ - ﴿وجدك ضالاً﴾ أي ضالة الناس وكما أن الحكمة ضالة المؤمن أي فقيدته التي يفحص عنها، فإن الناس ما كانوا يعرفونه بمنزلته قبل النبوَّة فضلًا عما بعدها، ما كانوا يعرفونه قبل ذاك، فهدى الله الناس إليه أن جاهر بنبوَّته ومحتده وجعله من على رؤوس البشرية قاطبةً.

٣ - ضالًا أي فريداً في قومك وكما تسمي العرب الشجرة الفريدة في الفلاة ضالة، وقد كانت تلك البلاد كالمغارة اليابسة ليس فيها شجر ولا كلأ، شجرة إنسانية تحمل أثمار العلم والإيمان بالله، ألا وأنت الشجرة الفريدة في مغارة الجهل فهدى الله إليك المنحرفين.

٤ - وجدك ضالًا عن المعرفة والعقل حينما وُلِدت فهداك الله بهما بالكثير الكثير الذي يمتاز بالمئآت عمن سواك، وبعد ما فُطِمت هداك بأعظم ملك من ملائكته يسلك بك سبيل المكارم ومحاسن أخلاق العالم ليلك ونهارك، إلى أن ابتعثك الله برسالته فكانت حياتك بعد الولادة حتى الموت حياة معرفة وعقل على شتى المراتب متدرجاً إلى الكمال فوق الكمال.

٥ - ولقد ضل عن الطريق لمرات فهداه الله إليه وكما يقول: ضللت عن جدي عبد المطلب وأنا صبيٌّ ضائع كاد الجوع يتقلني فهداني الله، وكان يقول عبد المطلب إذ فقدني، متعلقاً بأستار الكعبة:

يا رب رُدَّ ولدي محمدا أردده ربي واصطنع عندي يداً

فما زال يردِّد هذا البيت حتى أتاه أبو جهل على ناقة وبين يديه محمد ﷺ وهو يقول:

لا ندري ماذا نرى من ابنك، فقال عبد المطلب ولِمَ؟ قال: إني أنخت الناقة وأركبته من خلفي، فأبت الناقة أن تقوم فلما أركبته أمامي قامت الناقة كأن الناقة تقول: يا أحمق هو الإمام فكيف يوم خلف الممقتدي: قال ابن عباس: ردَّه الله إلى جده بيد عدوِّه كما فعل بموسى عليه السلام.

٦ - خرج مع غلام خديجة ميسرة فأخذ الغلام بزمام بعيره حتى ضل عن الطريق، فهداه الله بجبرئيل أن جاءه بصورة آدمي فهداه إلى القافلة.

٧ - إنا أبا طالب خرج به إلى الشام فضلّ عن طريق، فهداه الله إلى القافلة.

٨ - ضالًا أي مغموراً كما تقول العرب: ضل الماء في اللبن إذا صار مغموراً، ولقد كان الرسول ﷺ مغموراً بين الكفار فقوَّاه الله تعالى حتى أظهر دينه وبسط سلطانه.

وبعد هذه الإحتمالات الراجحة بحججها كيف يجرؤ فندر والجمعية الأمريكية أن يختصوا الآية بهواهم الزائف، ويندّدوا بالرسول الأعظم محمدﷺ موقفه قبل رسالته؟!

فمن أين يحتّمون ما يهوونه من الآية ولا يجوّزون الإحتمالات الثمانية، ولا سيما أنه كان ضالًا عما أوحي إليه قبل النبوة، فهداه الله إليه بنور النبوة وأعلام الوحي ودفع عنه الحيرة فيما كان يطلبه من الهدى إلى شريعة خالدة؟ فما داؤهم وما داؤهم!

ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان:

وأما قصة جهلهﷺ بالكتاب والإيمان كما في آيات فهي تثبت أميّته كما قدمنا القول الفصل فيه[1] وأنها لا ترجع بالخزي والعار عليه، ولا تمس من كرامته، وإنما تزيده حجة على حججه الرسالية أن كيف أصبح أُمّي لا يكتب ولا يقرأ، أصبح معلم العالم؟:

﴿وما كنت تتلومن قبله من كتاب ولا تخطُّه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون﴾ [عنكبوت، ٤٨] ﴿تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين﴾ [هود، ٤٩]، ﴿وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم﴾ [شورى: ٥٢]، ﴿وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً﴾ [نساء، ١١٣]، ﴿نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنتَ من قبله لمن الغافلين﴾ [يوسف، ٣].

فجماع هذه الآيات وحي أن الرسول الأعظم محمداًﷺ ما كان يعلم من القرآن ولا من سائر كتابات الوحي شيئاً، قراءة ولا كتابةً ولا علماً قبل رسالته وإن

---

١. في المقارنات العلمية والكتابية بين الكتب السماوية.

كان «ربه قرن به من لدن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته يسلك به سبيل المكارم ومحاسن أخلاق العالم ليله ونهاره».[١]

ولا الإيمان:

طالب كتابي: أجل، إنها تنفي عنه العلم فما معنى نفي الإيمان؟.

المناظر: ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان، اي ما كنت تعلم الكتاب ولا تعلم الإيمان، فالآية إنما تنفي عنه العلم بالإيمان ولا تنفي نفس الإيمان، وعلم الإيمان بمعنى أن يكون الإيمان عن علم كتابي؛ وإيمان الرسول ما كان عن علم كتابي وإنما هو بما يسلكه به ذلك الملك العظيم سبيل المكارم.

ثم لنفرض أنها تنفي نفس الإيمان لكنها لا توحي نفي أصل الإيمان، بل إنما تنفي الإيمان الذي أتاه بالوحي والرسالة، ولا ريب في اختلاف مدارج الإيمان كالضلال، وكما أسلفناه في المعني من ضلاله ﷺ والله يهدي من يشاء إلى صراطه المستقيم.

هل حرَم النبي (ص) ما أحله الله؟:

فندر: هل ليس تحريم ما أحلَّ الله من الذنوب ومن أكبر المعاصي وقد فعله محمد، كما في سورة التحريم: ﴿يا أيها النبي لِمَ تحرِّم ما أحلَّ الله لك تبتغي مرضات أزواجك و الله غفور رحيم * قد فرض الله لكم تحلَّة أيمانكم والله مولاكم وهو العليم الحكيم﴾ [تحريم. ١ـ ٢].

ففي (ب ٥٥. ج ٢. حياة القلوب) أن سبب نزول هذه الآيات أن محمداً كان في يوم من الأيا في بيت حفضه إحدى زوجاته وعندها خادمة تسمى مارية القبطية، فلما ذهبت إلى شأن من شؤونها قارب محمداً مارية فأطلعت حفصة على الأمر واغتاضت أن

---

١. الخطبة الناصعة لأمير المؤمنين عليه أفضل الصلاة والسلام.

محمداً يقارب خادمتها في يومها الذي يخصها، فإستحيىٰ محمد وحلف ألّا يقرب مارية أبدا، إلا أن حبَّة لمارية أوجب نقض اليمين فأنزل آية التحلَّة لكي ترضى حفصة بذلك زعماً أنها وحي من الله![1]

المناظر: لقد أفرط فندر في فريته على الرسول الأعظم محمد ﷺ فغلط وخلط بين الغث والسمين والخائن والأمين، وجاء بزور بيِّن وفرية كافرة على أوَّل العابدين!

فأول ما يؤخذ على فندر فرية الزنا على رسولنا ﷺ أنه قارب خادمة حفصة في يومها وفي بيتها، رغم استفاضة الأحاديث من الفريقين في أسباب نزول آية التحريم أن مارية القبطية كانت جاريته ﷺ أهداها إليه مقوقس، ورغم نص الآية: ﴿لِمَ تحرّم ما أحلَّ الله لك﴾ وهو المقاربة مع مارية القبطية، فرغم الكتاب والسنة الصريحين على حلِ مارية، يشتهي فندر خلال فرية التحريم أن يدغم فيها فرية الزنا جمعاً بين الضدين، فإن كانت محرَّمة فما هو المعني من قوله تعالى: ﴿ما أحل الله لك﴾؟ وإن كانت محلّلة كما تدل الآية، فمن أين فرية الزنا أنه ﷺ - وحاشاه - قارب خادمة حفصة في يومها على فراشها دون رضاها، فاقض ما أنت قاض!

ثم المستفاد من هذه الآيات أن الرسول محمد ﷺ ما عصى ربه فيما فعل من التحريم و من المقاربة قبله، وإنما العاصي اثنتان من أزواجه ﷺ وكما يقول: ﴿إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما وإن تظاهرا عليه فإن ا هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين الملائكة بعد ذلك ظهير * عيسى ربُّه إن طلقكن أن يُبدله أزواجاً خيراً منكنّ مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيّات وأبكاراً﴾ [تحريم، ٤- ٥].

وأن النبي ﷺ أسر إلى إحداهما حديثاً ألّا تفشيها ولكنها أفشت وأظهره الله عليه، وكان إفشاء هذا السير عصياناً منهما: ﴿وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثاً

---

١. ميزان الحق (٢٥٣- ٢٥٤).

فلما نبّأت به واظهره الله عليه عرَّف بعضه وأعرض عن بعض فلمّا نبّأها به قالت من أنبأك هذا قال نبّأني العليم الخبير * إن تتوبا إلى الله ...﴾ [تحريم، ٣ـ ٤].

وما كان التحريم هناك إلا أنه ﷺ حلف بالله ألّا يقارب مارية القبطية بعدئذٍ، خوفاً من مظاهرة زوجتيه المتظاهرتين هاتين ـ ترجيحاً للأقل فساداً على الأكثر ـ ففي ترك المقاربة مع مارية متاركة الشهوة الجنسية بينهما، وفي إستدامتها مواصلة المظاهرة وتكدير الجوّ في البيت الوحي وتخطير الموقف وتهريج خاطر الرسول صلوات الله عليه، وقضية القاعدة الشرعية والعقلية الكلية هي رعاية الأهم في موارد المزاحمة، ولذلك يرجح الرسول ﷺ ترك مارية ويحلف على تركها استجلاباً لرضى الزوجتين لكيلا تتظاهرا عليه وتتواصلا في أذاه، فقد كانت هذه وظيفته قبل أن يأتيه الوحي في ذلك.

ولكن الله تعالى أحلَّ له ما حرَّمه على نفسه إشفاقاً عليه وبلاءً على زوجتيه المتظاهرتين وحفاظاً على حكم الحل قضاءً على المزاحم الأهم قائلًا:

﴿يا أيها النبى لِمَ تحرم ما أحل الله لك (فإنه حلال لك كما أحله الله تحرمه ابتغاء مرضاة الأزواج) تبتغي مرضاة أزواجك والله غفور رحيم﴾ يغفر لك أي يستر مظاهرة ومخاطرة الأزواج ـ من ناحية ـ ويرحمك ألّا تبتلى بتحريم حليلتك مارية، خوفاً منهما.

أجل، وإن إبتغاء مرضاة الأزواج هنا لم يكن بمعنى تغليب رضاهن على رضى الله وحكمه، بل كما فصَّلناه كان ذلك ترجيحاً للمزاحم الأهم شرعاً وعقاً، حتى كفى الله شر الأهم أن هددهما بالطلاق وزيف موقفهما في مظاهرتهما وأمرهما بالتوبة.

وروايات الفريقبين متظافرة متظاهرة أنهما كانتا حفصة وعائشة، كما وأخرج عبد بن حميد عن قتادة في الآية، قال: كان حرم فتاته القبطية أم إبراهيم في يوم

حفصة، وأسر ذلك إليها فأطلعت عليه عائشة، وكانتا تظاهرتا على النبي ﷺ، فأحل الله له ما حرم على نفسه.[1]

أجل، وإن رسول الله ﷺ كان يرجح حفاظ موقفه الرسولي على أهداف الشخصية وشهواته الجنسية المحللة في الشريعة، ولذلك أيضاً يبطيء الزواج مع بنت عمته حليلة زيد دعيِّه قبل الإسلام ...

فندر: ومن ذنوبه أنه في يوم من الأيام يذهب إلى بيت زيد دعيِّه فلما دخل سبقت نظرته إلى امرأة زيد فأعجبته وشغفها حباً، فقال: سبحان الله خالق النور، تبارك الله أحسن الخالقين، فشعرت زينب بذلك فأخبرت به زوجها يد، فطلقها زيدٌ إما خوفاً من محمد أو حباً وإخلاصاً له، فاختلق محمد الآيات التالية أن أمره ربه بنكاح زينب: ﴿وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيدٌ منها وطَراً زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن طَراً وكان أمر الله مفعولًا﴾ [أحزاب، ٣٧].

فإن التزويج بزوجة الدعي كان محرّماً في الجاهلية، ومحمد كان بين محظوري حب زينب وأنه هكذا تزويج محرمٌ في دين الجاهلية، ولذلك اختلق آية التحليل.[2]

الجمعية الرسالية الامريكية: أجل، إنه أخذ امرأة زيد الذي تبناه، مع أن قومه عيَّروه، إلا أنه لم يبال بتعييراتهم، لأن الشهوة إذا استولت على المجرد من النعمة الإلهية أماتت منه الإحساس، نعم وإن داود وقع في خطيئة الزنا ولكن يوجد فرق جسيم بين الأمرين، فلم يأخذ داود امرأة ابنه، وثانياً أنه

---

١ . الدر المنثور، ج ٦، ص ٢٤٠.

٢ . ميزان الحق، ص ٢٥٤.

استغفر ربه واعترف بذنبه وتاب، أما محمد فجعل هذه الخطيئة سنة لكل إنسان، فادعى أن الله أمره بذلك.

المناظر: قد أساء الأدب هذا القسيس وأساء إلى أن افترى على رسولنا الأعظم ﷺ فرية لا سناد لها إلا روايات إسرائيلية وأكاذيب ختلقها هو من عنده دون أن يستند في شيءٍ من ذلك إلى آيات الله البيّنات، ولأنها لا تدل على ما يهواه من الإفتراءات الزور، بل وتزيفها وتعظم موقف الرسول محمد ﷺ هنا وهناك!

ثم اقض العجب من الجمعية الرسالية، كيف يندد برسول الإسلام أن تزوج بزينب حليلة دعيه زيد بعد طلاقها رغم سنة الجاهليين، ولا يندد بداود التوراة إذ زنى بامرأة أوريا حتّى قبل طلاقها وقبل وفاة أوريا فأولد منها سليمان النبي! رغم حرمتها في كافة الشرائع الإلهية، فالجمعية الرسالية تتبع حكم الجاهلية الأولى المضادة لكافة الشرائع الإلهية، بإلحاق الدعي بالإبن الصلبي، لا لشيءٍ إلا تنديداً برسولنا الأعظم محمد ﷺ.

قول فصل في قصة النبي(ص) مع زيد وزينب:

زيد بن ثابت من المؤمنين الذين أنعم الله عليهم بالإيمان وأنعم عليه النبي ﷺ أن واه وزوّجه بنت عمه زينب بنت حجش: ﴿وإذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه ...﴾ [احزاب، ٣٧].

تبنّاه رسول الله ﷺ لا تبنّياً جاهلياً بل رغم أن أباه رفضه وجاهر بين الجماهير أنه ليس إبني، فهذه البنوة كانت من حيث الموادة والحب دون أن تلحق بالنسب جاهلياً.

فزيدٌ من الذين وقع عليه السبي فاشتراه رسول الله ﷺ بسوق عكاظ ولمّا نُبيء رسول الله ﷺ دعاه إلى الإسلام فأسلم فقدم أبوه حارثة وأتى أبا طالب وقال: سل

إبن أخيك فإما أن يبيعه وإما أن يعتقه، فلما قال ذلك أبوطالب لرسول الله ﷺ قال ﷺ: هو حرٌ فليذهب حيث شاء، فأبى زيدٌ أن يفارق رسول الله ﷺ، فقال حارثة يا معشر قريش إشهدوا أن زيداً ليس إبني فكان يدعى زيد بن محمد ﷺ ولقد كان يعدُّ من أهل بيت النبي ﷺ وكان يحبه النبي كثيراً.

وزينب بنت جحش الأسدية أمها بنت عبدالمطلب عمة رسول الله ﷺ خطبها النبي ﷺ على مولاه زيد بن حارثة فأبت وأنكرت وقالت: أنا ابنة عمك! فنزلت: ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوهل أمراً أن يكون لهم الخِيرَة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالًا مبيناً﴾ [احزاب، ٣٦].

فهذه إنعامٌ من رسول الله إليه أن قدمه على نفسه في بنت عمته، وقد كانت تكره زيداً وتحبه ﷺ قدمه على نفسه في نكاح محلَّل تحقيقاً لحقيقة إسلامية عادلة هي أن المؤمن كفؤ المؤمنة، مهما إختلفا في الحسب والنسب، وتكويناً لظرف صالح من ظروف التشريع هو تزويجه بها بعد طلاقها، قضاءً على سنةٍ جاهلية، علماً منه أنها لا تقوم مع زيد فيطلقها فيتزوج هو ﷺ بها: ﴿لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً وكان أمر الله مفعولًا﴾ [احزاب، ٣٧].

فلقد كان في تزويج زيد بها وفي طلاقها أيضاً خيرٌ، في الأول خير لزيد أن تزوج بإمرأة ذات حسب ونسب وجمال، وخير للمؤمنين أنقرر بذلك بينهم أن لا معنى للكفاءة إلّا في ناحية الإيمان.

وفي طلاقها أيضاً خيرٌ لزيد، حيث ما كان يستطيع المقام معها لخلاف بينهما أصيل، وخيرٌ لرسول الله أنّ في تزويجه بها هدمٌ لسنة جاهلية عريقة هي اعتبار الأدعياء أبناءً، وحرمة حلائلهم بنفس الإعتبار، ولقد ركزت هذه السنة الجاهلة بين العرب إلى حيث ما كان يصرفهم عنها نزول الآيات في إبطالها حتى يطبق الرسول إبطالها عملياً بنفسه المقدسة وكما عمل.

فقد نزلت آيات قلبئذٍ في إبطال نسبة الأدعياء: ﴿ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم وما جعل أدعياكم أبناءكم ذالكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل * ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا ءاباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم ليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمّدت قلوبكم وكان الله غفوراً رحيماً﴾ [احزاب. ٤-٥]، ﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله خاتم النبيين وكان الله بكل شيءٍ عليماً﴾ [احزاب. ٤٠].

فقد نفت الآية الأولى نسبة النبوة عن الأدعياء، والثانية نسبة الأبوة عن رسول الله لأحد من رجال المسلمين ومنهم زيد بن حارثة.

و لو أن رسول الله ﷺ كان يريد التزويج بزينب قضاءً للشهوة لتزويج بها قبل أن يزوجها زيداً، وطبيعة الحال قاضية أن امرأةً مثل زينب وهي بنت عمة الرسول ﷺ ما كانت ترجح مولى الرسول ﷺ على نفسه المقدسة، ولا أن الرسول يرجح الثيب على البكر! وكما خيل إليها في خطبتها لزيد أن الرسول ﷺ يريدها لنفسه فقبلت، ثم لما عرفت أنها لزيد ترددت.

فتزويج الرسول زيداً إياها قبل نفسه يوحي أن هناك هدفاً تشريعياً لا يطبق إلا هكذا: أن يتزوج الرسول بحليلة زيد دعيِّه بعد طلاقها ﴿لكي لا يكون على المؤمنين حرجٌ في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منه وطراً﴾ [احزاب. ٣٧].

ولقد كان هذا بوحي من الله، كما وأن الله زوَّج الرسول ﷺ إياها: ﴿زوّجناكها﴾ [احزاب. ٣٧].

تخاصم زيدٌ وزوجته فأراد زيد أن يطلقها، والرسول ﷺ يؤكد عليه بإمساك زوجه يخفي في نفسه واجب الذي سيطبقه بأمر الله، كما أن أمر الزوج بإمساك زوجه مما يمليه الشرع على عواتق الأولياء، ورسول الله ﷺ بما أنه وليُّ الأولياء لا

يريد بهذا الأمر إلا تطبيق واجبه من هذه الناحية، مع علمه أنه لا يمسكها وأن الله سيزوجه إياها للقضاء على سنة جاهلية عريقة:

﴿وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجتك واتّق الله و تخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهنّ وطراً وكان أمر الله مفعولًا. ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله في الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدراً مقدوراً * الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله وكفى باپ حسيباً * ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول‌الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيءٍ عليماً﴾ [أحزاب، ٣٧-٤٠].

فهذه الآيات البينات تصرِّح أن زواج الرسول محمد ﷺ بزينب كان واجباً لهدف هام إسلامي جماعي، وليس عليه حرج في ذلك وإن هاجم عليه السذج الجهال الذين ركزت في قلوبهم السنن الجاهلية، فليس له أن يخافهم في ذلك، وإنما عليه أن يخشى الله ويطبق أمره في هذه الزواج.

أجل وإنه كان يخشى الناس لا لشيءٍ إلا مخافة أن يهاجموا عليه أو يخرجوا من الدين، حيث كانوا جُدَد العهد بالإسلام، فكان ﷺ يحاول في تطبيق أمره تعالى الحفاظ على ناحيتين:

١ - أن يتزوج بزينب بعد أن قضى زيد منها وطراً إتماماً لأمر الله.

٢ - أن يأمر زيداً بإمساك زوجه لكي لا يُظن أنّه ﷺ يهواها، أن لو سكت ﷺ عن أمره بالإمساك لاستُوحي من سكوته رضاه بالطلاق، ثم تزويجه بها مع سبق رضاه بالطلاق يوحي أنه كان يهواها هوىً بشريّاً.

والله سبحانه تعالى ينهاه عن أن يخشى الناس، ويأمره أن يحافظ على الناحية الأولى فحسب: ﴿وتخشى الناس والله أحق ما تخشاه﴾ [أحزاب، ٣٧].

وكل عاقل منصف، وإن كان لا يؤمن بالله واليوم الآخر، يستوحي من هذه الآيات البينات أن زواج الرسول بزينب ما كان زواجاً بدافع الشهوة، بل بما فرض الله له و﴿ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له سنةَ الله في الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدراً مقدوراً﴾ [احزاب،٣٨]، وأن الله زوَّجه إياها، وهذا زواج مفرد في نوعه أن الله هو الذي يتكفل عقد الزواج، لأنه يكفل تطبيق أمر هام ديني جماعي بين المسلمين: ﴿لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا وطراً﴾.

ولقد كانت أقوال النبي وأفعاله حتى وزواجه وما إليه من أموره الدنيوية، كانت ترجع بالنفع للإسلام والمسلمين، وقد يأتيكم القول الفصل في المقارنات الأحكامية أن زواج رسول الله ﷺ بكل امرأة ما كان إلا بدافع سياسة شرعية ليس إلا.

فلما للقس فندر والجمعية الرسالية الامريكية وأضرابهم يتحاملون على رسول الإسلام في زواجه الواجب بزينب المطلقة عن زوجها، ثم يغضُّون الطرف عن زنا داود التوراة بامرأة أورياه، واحتياله في قتله للمكوث معها، وعن زواج سليمان التوراة بالمئات من النساء المشركات اللاتي أملن قلبه عن الله لحدّ أخذ يبني لهن بيوتاً فاخرة للأوثان على تلك الأتلال، وعن زنا لوط التوراة بكريمتيه! وما إلى ذلك من الإفتراءات الزور على رجالات الوحي ﴿والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾.

هل كان محمد يميل إلى متطلبات الكافرين؟:

الجمعية الرسالية: لما كان المشركون يرون منه ميلًا إلى آلهتهم كانوا يطلبون منه أن يذكر شفاعتها، فكان كثيراً ما يجيب دعوتهم ثم يرجع عن ذلك ويدعي أن الله نهاه، فورد في سورة الأحزاب ﴿يا أيها النبي اتق الله ولا

تطع الكافرين والمنافقين إن الله كان عليماً حكيماً. واتبع ما يوحى إليك من ربك﴾ [أحزاب. ١-٢]، فلو لم يقترف ذنباً لما نهي عنه!

المناظر: ويل الجمعية الرسالية كأنهم أجمعوا في رسالتهم على خلاف البديهة، فهل يشك ذو لبٍّ أن من أوضح المعلومات التي لا يسترها غبار التزوير أن رسولنا الأعظمﷺ كان أشد الرسل وطأةً ضد الأصنام وأصلبهم ذماً لها وتنديداً بعبدتها، لا يفتر عن ذلك طيلة حياته ليلَ نهار، بل إنما كان ذلك عنوان رسالته أولًا وأخيراً، ويفرّع عليه سائر نواحي تشاريعه أصولًا وفروعاً، كما ويشهد بذلك آي الذكر الحكيم بالمئآت المئآت.

وأخيراً من قال لكم أن النهي عن شيءٍ، ولا سيما في بداية التشريع، يدل على أن المخاطب به كان يقترفه قبل ذاك، فهلّا يجب على الله أن ينهى عباده عن المحظور دليلًا على حذره وإعلاماً بالمنع فيه، لكي يتركه المقترف ولا يقترفه التارك مستقبلًا؟

فإذا قيل للسذج من المسلمين لا تغتروا بتبشيرات المبشرين المسيحيين ولا تتخذوا المسيحية شعاراً، فهل إن ذلك دليل على أنهم صاروا منهم؟

ثم إن هذه النواهي توطئه لإبطال خرافة التبني وقصة الأدعياء، وألا يراعي الرسولﷺ جانب السذَّج من المسلمين الذين يستوحشون من نكاح حلائل الأدعياء من جرّاء السنة الجاهلية التي ترسَّبت فيهم، وأن الكفار والمنافقين كانوا يتظاهرون في تدعيم السنن الجاهلية، فلعل الرسولﷺ كان يهوى أن يتماشى معهم في قصة حلائل الأدعياء لحدٍّ ما، حتى يتقوى الإسلام وتتركز قوات الإيمان في أعماق قلوب المؤمنين، لكيلا يتأثروا ويضطربوا بدعايات الجاهلية الأولى الناشبة من الكفار على أيدي المنافقين فيهم.

إذ ذاك أدركته العصمة الإلهية بوحي هام: ﴿يا أيها النبي إتقِ الله ولا تطع الكافرين و المنافقين إن الله كان عليماً حكيماً. واتبع ما يوحى إليك من ربك إن كان

الله بما تعملون خبيراً. وتوكل على الله وكفى بالله وكيلًا. ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أُمهاتكم وما جعل أدعياءَكم أبناءَكم ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل، ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله ...﴾ [احزاب ١- ٥].

وإلى أن يأمر بتزويج امرأة زيد دعيِّه، بل ويزوجه الله إياها إنجازاً لأمره وقضاءً على سنة جاهلية عريقة وكما مضت.

فلم تك إذ ذاك لرسولنا الأعظم محمدﷺ سابقة سوءٍ ولا لاحقة، وما هذا النهي إلّا بدافع أن يهتم الرسول بالأمر دون أن يراعي الناس أو يخشى دعايات الكفار والمنافقين.

والجمعة الرسولية إذ تعتبر النهي عن شيءٍ آية اقتراف المنهي إياه يلزمهم ذلك أن جميع رجالات الوحي اقترفوا جميع الآثام، حيث نهوا عنها في كتاباتهم الإلهامية، وأنهم تركوا جميع الواجبات حيث أمروا بما فيها!

وإذ لا، فليرجعوا عن غيّهم وليفهموا أن الأمر والنهي هما من أوليات التشاريع الإلهية لكي يعلم كل نبيٍّ أحكامه وليبلِّغها قومه، وإذ لا أمر ولا نهي، فلا تشريع ولا نبوة!!!

وجهة النظر العامة إلى ما نهي عنه النبي(ص):

الأسقف: هناك في التشاريع الإلهية واجبات ومحرّمات لا تعلم إلّا بالوحي، وأما التي هي معلومة لدى كل عاقل ولا سيما محمد ـ وهو أعقل العقلاء ـ فما هي العلة في أمره بها أو نهيه عنها، كمثل الأمر بطاعة الله والنهي عن طاعة الشيطان واتباع أهواء المشركين، وهناك نجد الأوامر والنواهي من القبيل الثاني كثيرة في القرآن.

فمن المحرمات العقلية الضرورية التي نهي محمد عنها اتباعُ أهواء المشركين والكفار، حال أن اتباع الهوى محرَّمٌ وإن كانت هوى المسلمين فكيف بالمشركين،

إذاً فلا معنى لنهيه عنها إلّا اقترافه لها قبل ذاك أو أنه كان يهواها كذلك، وكما يقول: ﴿ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذاً لمن الظالمين﴾ [بقره، ١٤٥]، ﴿لا تجعل مع الله إلهاً آخر فتقعد مذموماً مخذولًا﴾ [إسراء، ٢٢]، ﴿..فتلقي في جهنم ملوماً مدحوراً﴾ [إسراء، ٣٩]، ﴿..فتكون من المعذبين﴾ [شعراء، ٢١٣].

فإن لم يكن محمد قبل ذاك مشركاً أو تابعاً لهوى المشركين أو مائلًا إلى ذاك وذياك، فما هذه النواهي المهدِّدة بالعذاب؟

المناظر: إنَّ لهذه الآيات اتجاهات ويجة رغم ما تزعمون:

منها تأييد دعوات الأنبياء ـ الحقة ـ المؤيدة بدليل العقل والفطرة، تأييداً ثالثاً بالوحي.

ومنها قطع أطماع الكفار عن أن يتَّبعهم النبي أو يهوى ويميل إليهم وإن كان لرجاء انجذا بهم إلى دعوته، وأن النبي على غاية قربة من جنابه تعالى مهدَّد في اتباعهم فكيف بهم وهم أُصول الضلال.

ومنها أنه كان يخاطب في مثل هذه الخطابات بعنوان: إياك أعني واسمعي يا جارة.

ومنها أن الأصل في خطاباته أنها رسالية يجب عليه أن يبلغها إلى الناس دون أن تختص بهﷺ وأحياناً لا تشمله لعلوّ محتده عنها كمثل ما مضت .. وشاهداً على هذا الأخير قوله تعالى: ﴿و إذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وإما يُنسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين﴾ [انعام، ٦٨].

حيث إن الظاهر الخطاب هنا أنه مع الرسولﷺ حال أن الآية الأُخرى في هذا المجرى تقول: ﴿وقد نزّل عيكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يُكفر بهايستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذاً مثلهم إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعاً﴾ [نساء، ١٤٠].

فإن المنزَّل على المسلمين في الكتاب قبل هذه الآية ليست إلّا الآية الأُولى بما أنها مكية سالفة وتلك مدنية لاحقة، ونحن لا نجد آية في الكتاب تضم هذه المقالة غيرها. إذاً فالخطاب في المدينة ﴿و إذا رأيت ...﴾ وإن كان بالنسبة لشخص الرسول حسب الظاهر، ولكنه خطاب. لكافة المسلمين كما صرحت الآية الثانية ﴿وقد نزل عليكم في الكتاب﴾.

ما هو الوزر الذي أنقض ظهر محمد؟.

الجمعية الرسالية: هناك وزر ـ أي إثم كبير ـ أنقض ظهر محمد والله وضعه عنه، أفليس ذلك دليلًا على أنه كان يقترف الآثام ﴿ألم نشرح لك صدرك. ووضعنا عنك وزرك. الذي أنقض ظهرك﴾ [شرح:١-٣].

المناظر: الوزر لغوياً هو ما يثقل ويتعب، واستعير للإثم أحياناً لأنه جمل ثقيل، لا يخفَّف عن حامله ويظهر ثقله يوم القيامة بكامله، فلا يحمل على المعنى المستعار له إلّا لقرينة، والجمعية الرسالية إذ تريد تزييف موقف رسولنا الدعظم ﷺ تختص الوزر هنا بمعناه المجازي وترفض الحقيقية برفض المعنى الحقيقي، رغم ظهور آيات الحقيقة هنا دون مجاز، ورغم أن سياق الآيات وصحه رباطها يرفض هذا المجاز كما يلي:

١- لو كان الوزر هنا إثماً لكان المناسب ذكر الغفر، لا الوضع، فإن الذنب لا يوضع ويرفع عن المذنب بعد صدوره، وإنما يغفر ويمحى أثره من حيث العقوبة.

٢- على كونه إثماً يجب أن يقدم على انشراح الصدر، فإن التزكية متقدمة على التحلية، فالمذنب الذي يُراد شرح صدره يُغفر ذنبه أولًا ويُطهَّر، ثم يشرح صدره ويحلَّى بحلية الإيمان واليقين أخيراً، لا أن يعكس الأمر، كما يرسل الماء الصافي إلى الحوض القذر النتن قبل تنظيفه!.

٣- إن فاعل الوزر بمحتده ومنزلته قرينة بينة على معناه، فوزر التاجر أثقال التجارة دائناً ومديوناً، ووزر الوزير حمله أعباء السياسة وأثقال أُمور المملكة، ووزر العالم ما يمليه عليه واجبه العلمي أمام الجماهير المحتشدة حوله، ووزر الحمَّال ما يحمله من أثقال ويتعبه من أتعاب ... ثم وزر الرسول ما يعانيه قبل رسالته من فساد المجتمع وهو لم يؤمر ويرسل للإصلاح كما يحق، وما يثقله حمل الرسالة بعدها، من الدعوة إلى الله ومن معارضات ومناوآت تهجم عليه في هذه السبيل.

ومناسبة الحكم والموضوع توحي دون ريب أن وزر الرسول الذي أنقض ظهره كان وزر المسؤولية الهامة أمام الخالق والمخلوق قبل أن يرسل وطيلة رسالته إلى أن هباه الله وزيراً من أهله يعاونه في حمل أعباء الرسالة دعوةً ودعاية ودفاعاً وما إليها من فرائضها.

هذا وإن كنا لا نحتاج في حمل الوزر على معناه الحقيقي إلى أية قرينة، إلّا أن هذه القرائن الثلاث مما تزيد احتمال المجاز تزييفاً ...

وزر قبل الرسالة و وزر بعدها:

أما وزره قبل الرسالة فهو ما كان يغمه ويهمه ويثقله ويجهده، وما كان يعانيه لأجل ما يراه من ضلال الناس وأهوائهم المردية وعاداتهم القبيحة وعباداتهم الباطلة الجاهلة، يتجرّع من ذلك غصص النكد دون أن يقدر على منعهم وتزييف موقفهم، لوحدته ولمَّا يأت الأمر من ربه، وعدم تزويده بآيات وحجج ترغمهم.

لذلك كان يحب العزلة ويلازم غار حراء مدة من الزمن مستوحشاً من ضلال الناس، معانياً لأعباءِ هذا الهم المبرح وعسر الحيرة وضيق الصدر، منتظراً لفرج الله ولطفه ورحمته الواسعة، حتى شرح الله صدره ووضع عنه من وزيره ورفع ذكره ويسر له عسره.

و أما بعد الرسالة فهو وزر الرسالة الختمية ووضعُه عنه ليس عزله عن الرسالة فإنه ينافي الإمتنان، بل هو تخفيفه عن عاتقه، لا بأن ينقض عن أحكامه وفروضه، لأن في ذلك نقمة عليه وعلى أُمته في دينه وعدم وفائه بحاجات العالمين، وهذا ينافي منصبه وينافي الغرض من هذه الرسالة الأخيرة التي يجب أن لا تشذ كمالًا إلّا أن تشمله.

إذ ذاك فليس تخفيف وزر الرسالة عن عاتقه الشريف إلّا بنصب وزير كمثله يعاونه كما زوّد موسى بأخيه هارون بعدما دعى:

﴿رب اشرح لي صدري * ويسر لي أمري * وأحلل عقدةً من لساني * يفقهوا قولي * واجعل لي وزيراً من أهلي * هرون أخي * اشدد به أزري * وأشركه في أمري * كي نسبحك كثيراً * ونذكرك كثيراً * إنك كنت بنا بصيراً * قال قد أُوتيت سؤلك يا موسى﴾ [طه: ٢٥- ٣٦].

إذ ذاك شرح الله صدر محمدﷺ ويسَّر له أمره ووضع عنه وزره بوزيره علي عليه السلام أخيه ومثله ونفسه المقدسة، فإن الوزير من يخفف عن المَلِك وزر المُلك حيث يعاونه في أمره كشريك، لا أنه ينقض عنه ملكه بوزارته!

وعلي عليه السلام أوّل من آمن بالرسول الأعظمﷺ من الرجال، وعاونه بالنفس والنفيس طيلة مقاومة معه وبعد وفاتهﷺ إلى أن قتل في محراب عبادته لشدة عدله وتنمُّره في ذات الله.

ولقد كان معهﷺ كالصِّنو من الصنو لا يفارقه، فهو النسخة الثانية المحمدية والممثل الأول لرسول الإسلام في مختلف ميادين التضحية والنضال والجدال والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ...

إذاً فما وزر رسولنا إلّا وزر الرسالة، ولا وزيره إلّا مثيله وممثّله عليٌّ(ع)، لا الأوزار التي تهواها الجمعية الرسالية كما ومسُّوا من كرامة أنبياء الله.

ثم لو كانت هذه الآيات دالة على ما يمسّ من كرامة محمد ﷺ لم يكن من العقل أن يختلقها ـ كما تزعمون ـ في كتابه الذي هو معجزته الخالدة وآيته العظمى وقد أجمع العالم على كمال عقله وإتقان رأيه، إذاً فلا دلالة فيها على ما تهوون.

الرسول الأعظم في القرآن:

وذلك كتاب القيم يصف رسوله بالقيم الفذة التي شذ ما توجد في أنبياء الله من قبل، حيث يصفه بكل كمال ممكن عندما يستعرض بينة الرسالية وإليكم نماذج كما يلي:

يعتبر القرآن نبيّه العظيم رسولًا إلى الرسل، كما كان هو رسول إلى كافة المكلفين، ويملي على الأنبياء أن يؤمنوا به إيمان كل أُمة برسولها، وذلك في ميثاق هامٍّ إلهيٍّ أخذه عليهم كما يقول:

﴿و إذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمننّ به ولتنصرنه قال ءَأقررتم وأخذتم على ذلك إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين﴾ [آل عمران، ٨١].

ولا نجد رسولًا يُملَى عليه الإيمان برسول آخر ولا سيما بالمبعوث بعده بقرون، ولا أنّ النبيين مأخوذ عليهم الإيمان به إطلاقاً ونصرته، ولا أنه رسول إليهم رغم أنهم بُعثوا قبله، كما أنه رسول إلى عامة المكلفين يوم الدين ...

لا نجد رسولًا كذلك إلاّ رسول الإسلام كما في هذه الآية البارعة وما إليها، ﴿ثم جاءكم (النبيين) رسولٌ مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه﴾.

أليس هذا رمزاً إلى أنه الزعيم الأول والأخير- الإلهي- بين المرسلين؟.

أليس هذا رمزاً أنه بالغٌ في محتده ومنزلته الرسالية حداً يعتبر النبيون من أمته؟.

أليس هذا نبراساً لكونه رسولًا طوال العهود الرسالية، مأخوذاً على النبيين ميثاقه لمّا أوتوا من كتاب وحكمة، فهو أولهم ميثاقاً وآخرهم مبعثاً؟

أليس هذا برهاناً أن رسالاتهم ودعواتهم كانت من ناحية هامّة تنحو نحو دعوته ورسالته الخالدة؟

هذا وكما يقول المسيح ﷺ: ... «لذلك أقول لكم إن رسول‌الله بهاءٌ يسرُّ كل ما صنع الله تقريباً، لأنه مزدانٌ بروح الفهم والمشورة، روح الحكمة والقوة، روح الخوف والمحبة، روح التبصّر والإعتدال، مزدانٌ بروح المحبة والرحمة، روح العدل والتقوى، روح اللطف والصبر التي أخذ منها من الله ثلاثه أضعاف ما أعطى لسائر خلقه ما بعد الزمن الذي سيأتى فيه إلى العالم؛ صدقوني أني رأيته وقدمت له الإحترام كما رآه كل نبي، لأن الله يعطيهم بروحه نبوة، ولما رأيته امتلأت عزاءً قائلًا:

«يا محمد! ليكن الله معكم وليجعلني أهلًا أن أحلَّ سير حذائك، لأني إذا نلت هذا صرت نبيّاً عظيماً وقدوس الله، ولما قال يسوع هذا شكر الله» (برنابا ٤٤: ١٩- ٣٣).

... وهذه المنزلة لا تخص دنياه فحسب، بل وهو شهيد الشهداء في الآخرة أيضاً وكما يقول: ﴿ويوم نبعث في كل أُمّة شهيداً عليهم من أنفسهم وجئنا بك شهيداً على هؤلاء ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيءٍ وهدىً ورحمةً وبشرى للمسلمين﴾ [نحل.٨٩] ﴿فكيف إذا جئنا من كل أُمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً﴾ [نساء.٤١].

ومما لا يريبه شك أن شهيد كل أُمة يوم القيامة ـ كما في الدنيا ـ إنما هو أفضلهم فهو نبيّهم، ورسول الإسلام إذ كان شهيد الشهداء فهو الزعيم الروحي الأول بين النبيين الشهداء إطلاقاً.

الأسقف: ما لنا وهذا الإنجيل المختلَق الذي يختلف عن التعاليم الإنجيلية المقبولة عندنا؟

الطلاب الكتابيون: مه يا أستاذ! إن كان للمسيح كتاب فهو ذا كتابه الذي يحقّ أن يعبِّر عنه دون الكتابات الأُخرى التى تمس من كرامته وتنال من ساحته، وقد فصّل الشيخ الأستاذ في ذكريات الأناجيل عبر القرون بيئة مستندة مقبولة عندنا عن إنجيل برنابا.[1]

الأسقف: ذاك إليكم وإليه، وإنما المهم أن توجد بشارات وتصريحات بحق محمدﷺ في الكتابات الإنجيلية الأُخرى التي نحن نصدقها، وكذلك كتب العهد العتيق!

* * *

البشارات

ذكريات الرسول الأعظم في كتب المقدسة:

المناظر: أجل وهنالك نصوص نستعرضها من كتابات الوحي رغم الوفير من التحريفات والإختلافات التي إصطدمتها، فإن نور الله لا يستره شيء، فلقد كان من هامّة وظائف رجالات الوحي التبشير بنبوّة خالدة ختمية تجمع جميع النبوات وفيها مزيد.

رسالة أبدية عامة فيها تبيان كل شيءٍ ولا رطب ولا يابس إلّا في كتاب مبين.

ولاية كليّة محمدية ﷺ خالدة تمع المحامد حتى الغاية، هي كالأصل للولايات والنبوات السالفة.

فإلى كتاب فذٍّ قيِّم لم يحرف ولن يحرَّف، بل يبقى متراساً ونبراساً وأصلًا يرجع إليه في الخلافات الهدامة التشريعية من قبل ومن بعد.

إلى نبوة وكتاب فيهما استبقاءٌ للحياة الرسالية، وذودٌ عن كرامة النبيين وتحقيق لما يحق لهم من مختلف مقالات الولاية وتزييف للإفتراءات الزور التي عُزِيَت إليهم.

في هذه البشارات نصرةٌ بالنسبة للمبشرين ترجع بفوائد هامة إلى عامة المرسلين التشاريع الإلهية، وحجة على أهل الكتاب أن يؤمنوا بمن صدّقه وآمن به أنبياؤهم، وأخيراً تأييد للبيّنات التي يأتي بها صاحب الرسالة الختمة المحمدية ﷺ وإن كان هو بنفس الذات في غنىً عن تلكم البشارات لتزويد الرسالة المحمدية ﷺ بالحجج الكافية.

أجل ولأنه مؤيد بمعجزة خالدة تمشي مع الزمن ولا تزداد على مرّ الدهور إلّا نوراً وبهوراً، لمن يتحلّل عن التقاليد الجاهلية العمياء، لمن ألقى السمع وهو شهيد؟

فإليكم تلكم البشارات بصورة الحوار كما كنا طوال بحوث هذا الكتاب: في كتابنا «رسول الإسلام في الكتب السماوية» الذي يضم حوالي تسعة وخمسين بشارة من الكتب الساوية بحق الرسول الأعظم محمد ﷺ ، وكما قدمنا على «عقائدنا» هذا «المقارنات» العلمية والكتابية بين الكُتب السمواية.

قم المشرفة: محمد الصادقي. النجف الأشرف

تلفون: ٢٩٣٤٤٢٥ د. محمد الصادقي

* * *

فهرس المصادر والأعلام

«القرآن الكريم»:

الأسفار الخمسة التوراتية: التكوين، التثنية، الحروج، الاويان، الاعداد، منسوبة إلى موسى وبعض الأنبياء.

ملحقات التوراة، العهد القديم: كتب أنبياء بني إسرائيل، مزامير: داود، الأمثال، نشيد الانشاء لسليمان، راعوث، نحميا، صموئيل، ملوك، ارميا، حزقيال، دانيال، هوشع، ميخا، ناحوم، حيقوق، صفنيا، حجي، ملاخي.

الأناجيل المنسوبة إلى الحواريين والتابعين:

الأناجيل الأربعة، منسوبة إلى: متى، يوحنا، لوقا، مرقس.

مكاتيب الحواريين وسواهم: يوحنا، بولس، بطرس وغيرهم.

انجيل برنابا: برنابا القديس.

انجيل الطفولة وانجيل الولادة:

مكاشفات فيلبس: فيلبس كودالونس.

القرآن والكتاب: الاستاذ حداد.

ميزان الحق: القسيس الدكتور فندر الالماني.

الهداية: جمعية المرسلين الامريكيين.

الملاحظة: القديس برنردوس.

قاموس كتاب المقدس: الدكتور قس بوست.
أصول الديانة المسيحية وفروعها: بروفسور پاطر.
النجوى في الصناعة والعلم والدين: الخور فسقفوس جرجس شلحت السرياني.
النجوى في الصناعة والعلم والدين: القديس يوحنا الدمشقي.
التجسد: الأب فرنسيس فربية.
مختصر علم اللاهوت العقائدي: لوديغ اوث الآلماني.
مختصر علم اللاهوت العقائدي: ترتليان، هيلاريوس، القديس توما.
مختصر علم اللاهوت العقائدي: القديس اوغسطينوس.
حياة السيد المسيح: فاروق الدملوجي.
الآثار الهندية القديمة: موريس.
خرافاة التوراة والانجيل وما يماثلها في الديانات الأخيرة: دوان.
كبيتا: ينقله عنه محمد طاهر التنير البيروتي.
الهند: ألن.
أصل الوثنية: مستر فابر.
الايمان والعقل: مستر هلسلي ستونس.
اعتقاد المصريين: بونويك
الخرافات ومخترعوها: فيسك.
القرآن دعوة نصرانية!: الاستاذ حداد.
الديانات القديمة: دوان.
الديانات القديمة: هيجن.
الانكلوسكستن: مسيو دونلاب.
ابن الانسان: بنصون.
القاموس العبراني: بارخوست.

الصنائع القديمة والخرافات الوثنية: نيت.

آثار المكسيك القديمة: اللورد كينكسبرو.

رمز الحية: سكوير.

رمز الحية: برستس، الدكتور كود، مستر فلك.

الحوار الإسلامي المسيحي: الاستاذ حداد.

الانجيل والصليب: الأب عبد الاحد داود الآشوري.

مقالة في الاسلام: جرجس صال الانجليزي.

الشامل في الهرطقات: ابيفان الفلسطيني.

رحلة هوك: هوك.

المسيح الملاك: بنصون.

الشجرة والأفعى: فركوصون.

ينابيع الاسلام: عبد المسيح الكندي.

ينابيع الاسلام: بولس الراهب اسقف صيد الانطاكي.

الدر المنثور في التفسير بالمأثور: جلال الدين السيوطي.

نور الثقلين: الحويزي البحراني.

الميزان: العلامة الطباطبائي.

التوحيد، معاني الأخبار: الصدوق.

كهنوت الأبدية: الكاردينال منغ الانكيلزي.

الديانات القديمة: القس جورج كوكس.

الديانات القديمة: اكهارن، المسيو كوينيو، اسلي بيس.

تاريخ بوذا: بيل.

تاريخ الآداب السنسكريتية: مكس مولر.

الخرافات: موري، الدكتوروت بي.

الخرافات: دين استان هوب، لوطر، باهل.

الخرافات: الدكتور همند.

تفسير دوالي درچردينت: الدكتور همند.

تاريخ الفلسفية الغربية: برتراند راسل.

تفسير هورن: هورن.

صلاة النصاري، اعتقاد الحواريين: هورن.

قتيقيمسون: هورن.

قتيقيمسون: لوثريوس، اكليمنضس، كريستوم، اوريجانس.

انيس الاعلام: محمد صادق فخر الاسلام المستبصر.

انيس الاعلام: موسيهيم، الموسيو ارتست ذي بونس الالماني.

تاريخ الديانة النصرانية: الموسيو ارنست ذي بونس الالماني.

الاسلام أي النصرانية الحق: ملمن.

تحفة الاريب في الرد على أهل الصليب: القس بيشاب لينظن.

البرهان: السيد هاشم البحراني.

مفردات القرآن: الراغب الاصفهاني.

لسان العرب: الراغب الاصفهاني.

الهدى، الرحلة المدرسية: الامام البلاغي.

العقائد البوذية: الهروي.

العقائد الوثنية والمسيحية: محمد طاهر التنير البيروتي.

❊ ❊ ❊